

جيليان فلين
GILLIAN FLYNN

أماكن مظلمة

DARK PLACES

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أماكن مظلمة

DARK PLACES

أماكن مظلمة

DARK PLACES

رواية

جيليان فلين

GILLIAN FLYNN

ترجمها عن الإنكليزية

أنس حمراء

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

DARK PLACES

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Shaye Areheart Books, an imprint of the Crown Publishing Group, a division of Random House, Inc., New York بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2009 by Gillian Flynn All rights reserved
Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: آب/أغسطس 2017 م - 1438 هـ.

ردمك 978-614-02-3312-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الرويم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو

أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

ليبي داي الآن

في داخلي سفالة حقيقية كعضو من أعضائي. تقدّني في بطني. وقد تنزلق خارجاً، عميقة وقاتمة، تقع على الأرض فيمكنك سحقها. إنه دم آل داي المشوب بالإثم.

لم أكن طفلةً صغيرة طيبة، وبعد الجرائم أصبحت أسوأ. الصغيرة اليتيمة ليبي داي كبرت مهیضة الجناح منبوذة؛ مُتنقلةً بين مجموعة من الأقرباء البعيدين - أبناء عمومة من الدرجة الثانية وخالات وأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء - مكثت في سلسلة من بيوت مُتنقلة أو بيوت ننتة عفنة في جميع أنحاء كنساس. ذهب لي إلى المدرسة بثياب أختي المتوفيتين أذنتي: قمصان برائحة الخردل تحت الإبطين، بناطيل بعجيزة واسعة فضفاضة بشكل مُضحك، معلّقة بحزام مهلهل مشدود حتى آخر ثقب فيه. في الصور المدرسية كان شعري يبدو دائماً معقوفاً - ملاقط شعر فالتة من الجداول، كأنها أشياء طليقة وقعت في الشراك - وكان لديّ دائماً جيوب منتفخة تحت عيني، كعينيّ صاحبة أملاك ثملة، وتقوّس شاك في الشفتين حيث يجب أن تكون ابتسامة.

لم أكن طفلةً محبوبة، ونشأت في مراهقتي مكروهة كثيراً، أرسم صوراً عن روعي، فتكون خريشة بالأشواك.

كان الطقس شيئاً باعثاً على الشقاء، برداً قارساً في آذار وأنا مُستلقية في

سريري أفكر بقتل نفسي، وتلك إحدى هواياتي، مُطلقةً العنان لأحلام اليقظة فيما بعد الظهر: طلقة رصاص في فمي، دويّ ويترنح رأسي مرة، اثنتين، الدم على الجدار يتساقط قطرات. يتطاير. سيسأل الناس هل أردت أن تدفن أو أن تحرق؟ من سيأتي للتشييع؟ ولن يعرف الجواب أحد. الناس، كائناً من كانوا، سينظر كل منهم إلى حذاء الآخر أو كتفيه حتى يعم الصمت ثم سيضع أحدهم وعاء القهوة، بخفةٍ وبكثير من القعقة. القهوة تنسجم جداً مع الموت المفاجئ.

دفعت قدميَّ خارج أغطيتي، لكني لم أتمكن من حمل نفسي لإيصالها إلى الأرض. أنا أكون، أنا أظن، منبوذة. أظن أنني نُبذت قرابة أربع وعشرين سنة. أستطيع أن أشعر بنسخة أفضل مني في مكان ما هنا مختبئة. مقيمة أو مربوطة بلجام من الكآبة داخل إعاقتي، جسد طفولي - ليب.ي التي تطلب مني أن أنهض من فراشي، أن أفعل شيئاً أكبر، أتحرك. لكن السفالة هي عادةً من يفوز. أخي ذبح عائلتي عندما كنت في السابعة من عمري. أمي، وأختي، متن، طاخ طاخ، فرم فرم، خنق خنق. ولم يكن بيدي فعل أي شيء بعد ذلك، من غير ريب. لا شيء كان متوقعاً.

ورثت 321,374 دولاراً عند بلوعي الثامنة عشرة. الثمرة التي حصلت عليها من أولئك المحسنين الذين قرأوا قصتي الحزينة، فاعلي الخير الذين انفطرت قلوبهم حزناً عليّ. كلما سمعت تلك العبارة، وقد سمعتها كثيراً، أتصوّر رسوم قلوب مُفعمة بالمحبة، أكملها بأجنحة طيور، تُرفرف باتجاه واحدٍ من البيوت الكثيرة لطفولتي المُضنية. أنا نفسي الطفلة الصغيرة على النافذة، ألوح وأختطفُ كلَّ قلبٍ لامعٍ. ينهال عليّ النقد الأخضر، تشكرات تشكرات بالأطنان.

عندما كنت صغيرة كانت الهباتُ تُوضع في حسابٍ لي في بنكٍ مُتصدّر، تُحسب فوائده بشكلٍ يومي، يشهد قفزةً كل ثلاث أو أربع سنوات، وقتها كتبت بعض الصحف ونشرت محطات الأخبار أحدث الأخبار عني: يومٌ جديدٌ كلياً للصغيرة ليب.ي داي: الناجية الوحيدة من مجزرة البراري تنقلب حياتها في العاشرة من عمرها إلى مُتعةٍ

مشوية بالألم. (أنا بجديلةٍ مُدلاةٍ على عنقي، أقف على المرجة المصفرة خارج مقطورة الخالة دايان. بطتا رجليّ دايان الثخينتان تبرزان تحت تنورةٍ نادرة، وكأنهما مزروعتان في العشب خلفي). طفلةُ آل داي الحلوة الشجاعة ذات الستة عشر ربيعاً! (أنا ما زلتُ نسخةً مُصغرةً، وجهي يلتئمُ بشموع العيد، قميصي مشدودٌ جداً على ثديي اللذين كبُرَا في ذلك العام، وأصبح حجمهما مُضحكاً لا ينسجمُ وجسدي الصغير)، المنظرُ سخيفٌ وإباحي.

عشتُ أكثرَ من ثلاث عشرة سنة على تلك الدفعات، لكنها انقطعت تقريباً. ذهبتُ لاجتماعٍ بعد ظهر ذلك اليوم لمعرفة سبب انقطاعها بالضبط. مرةً في العام كان الرجلُ المُكلفُ بالنقود، عاملُ مصرفٍ لا يرفُّ له جفن، مُتورد الخدين يُدعى جيم جيفريز، يلحُّ عليّ كي أتناول الغداء معه، وهذا ما يدعوه (مقابلة)، سنأكلُ شيئاً بقيمةِ عشرين دولاراً ونتحدث عن حياتي - هو يعرفني منذ كنتُ طفلة، وبعد ذلك، هه هه. أمّا أنا فأكاد لا أعرف شيئاً عن جيم جيفريز، لم أسأله عن شيءٍ قطّ، وأرى لقاءاتنا دائماً بعيني طفلة: كوني مهذبة، ولكن طبيعية، ليكن جوابك بكلمةٍ واحدة فقط، تنهداتٍ مُتعبة - (الشيء الوحيد الذي خمنتُه عن جيم جيفريز أنه لا بدّ أن يكون مسيحياً، رجل كنيسة - لديه صبر وتفاؤل شخص يعتقدُ أن المسيح يُراقبه). تأخرت عن موعد المقابلة ثمانية أو تسعة أشهر، إلّا أنّ جيم جيفريز تضايق، وترك لي رسائل تليفونية بصوتٍ جدّيّ وقمعي، قائلاً إنه فعل كل ما بوسعه ليُطيل أمد الرصيد، ولكن حان الوقت للتفكير بالخطوات التالية.

وهنا عادت السفالة للظهور ثانيةً: فكّرتُ على الفور بتلك الفتاة الصغيرة الأخرى، جيمي سمسينغ، التي فقدت عائلتها في السنة نفسها 1985 وكان جزءً من وجهها قد احترق بنارٍ أشعلها أبوها وقتلت كل أفراد عائلتها. في كل مرةٍ أستخدم فيها بطاقة الصراف الآلي، أفكر بتلك الفتاة جيمي، أقول لنفسِي: لو أنها لم تختطف الأضواء مني لكنتُ حصلتُ على ضعف المبلغ. جيمي؛ أياً كانت هي هذه الفتاة، قد تكون الآن في أحد المُجمّعات تشتري بمالي حقائب يدوية فاخرة ومجوهرات وتشتري من

جناح التجميل المساحيق لتجمل وجهها المشوّه اللامع. إن التفكير في هذا الأمر شيء مُرعبٌ بالطبع. على الأقلّ، أنا أعرف ذلك.

أخيراً، أخيراً، أخيراً سحبتُ نفسي خارج السرير بتأوّهٍ مسرحي وتجولتُ في مقدّمة بيتي. لقد استأجرتُ بيتاً صغيراً من الآجرّ بطابقٍ واحدٍ ضمن مجموعة بيوت آجريّة أخرى، تجتمُّ كلها على جرفٍ ضخمٍ مُشرفٍ على ساحةٍ مدينةٍ كنساس. مدينةٍ كنساس، ميسوري، وليس مدينةٍ كنساس، كنساس. هناك فرق.

المنطقة ليس لها اسمٌ يُذكر، هي منسيّة، وتُدعى (هناك على ذلك الطريق). قدّر مشووم، منطقةٌ عجيبة، ملأى بأشلاءٍ كلابٍ وبقاياها. البيوت المُجاورة محشوةٌ بعجائزٍ عشن فيها منذ إنشائها. كانت العجائز الشائبات والشبيهات بحلوى الأرز يجلسن وراء شبكٍ نوافذهن، يتلصصن على مدار الساعة، ويمشين في بعض الأحيان إلى سيارتهن على رؤوس أصابعهن بحذرٍ يجعلني أشعر بالذنب، وكأنه عليّ أن أذهب لمُساعدتهن. لكنهنّ لن يحببن ذلك. إنهنّ غير عشوراتٍ، نوات شفاهٍ مزمومة. لقد نبذتني العجائز اللواتي لم يقدرن أنني جارةٌ لهنّ، نبذن هذا الشخص الجديد. وقد تضامنت المنطقة كلها معهنّ في رفضي، فانتشرت أصواتهنّ تزدريني في كل مكان. ثمّة على بُعد بابين من بيتي كلبٌ هزيلٌ أحمر ينبحُ طول النهار، ويعوي كالذئب طول الليل، فتفودك الضجة المتواصلة الغامضة إلى الجنون، إنها ضجةٌ لا تتوقف إلاّ بضع دقائقٍ مباركاتٍ فقط. ثم تعود لتبدأ من جديد. الصوت الوحيد المُمتع لجيراني، الذي أنام عادةً على وقعه، هو دبيب الجرذان الصباحي. عددٌ كبيرٌ منها، وجوهٌ مُستديرة ومُتغضنة، تمشي للاختباء في جحورٍ ليست بعيدة في الشوارع الخلفية، كلٌّ منها يتشبث بجزءٍ من قطعةٍ حبلٍ طويلةٍ يجرّها الأكبر فيها. تمشي، مشيةً البطريق، تجتاز بيتي كل صباح، لكني لم أشاهدها تخرج ولا مرة. كلُّ ما أعرفه هو أنها تجوب العالم كله ثمّ تعود في التوقيت نفسه لتجتاز نافذتي ثانيةً في الصباح. أيّاً كانت الحكاية، فقد تعلّقتُ بها. هناك ثلاث فتياتٍ وولد، يرتدون الجاكيتات الحمراء اللامعة - إن فاتتني رؤيتهم حين أذهب إلى النوم، ينتابني الحزن، وما يُحزني أكثر يُمكن أن

يكون الكلمة التي اعتادت أُمي قولها؛ لا شيء يُثير كالحزن، وأنا عشت في أحزاني أربعة وعشرين عاماً.

ارتديت تنورةً وقميصاً للمقابلة. أحسّ بضآلة جسدي، ثيابُ فتاةٍ كبيرة لا تناسبني، أنا بالكاد خمس أقدام؛ أنا في الحقيقة، أربع أقدام وعشرة إنشات، لكني مُمتلئة الجسم. غازلني! أنا في الحادية والثلاثين، لكن الناس يميلون لمُحادثتي بأسلوبٍ مُنعم، كأنهم يتقربون مني.

نزلتُ عبرَ المنحدر المعشوشب أمام بيتي، كلبُ الجيران الأحمر يثبُ فيه وهو ينبج. على الرصيف بجانب سيارتي هياكل عظمية مُحطّمة لطيورٍ صغيرة؛ مناقيرها وأجنحتها المسحوقة جعلتها تبدو كالزواحف. هي تقبعُ هناك منذ عام، لا أستطيع تجنّب النظر إليها كلّما صعدتُ سيارتي. نحتاج إلى طوفان كبير لجرفها بعيداً.

عجوزان كانتا تتحدثان على الدرجات الأمامية لأحد البيوت عبر الشارع، يُمكنني أن أشعر بتجنبهما رؤيتي، لا أعرف اسم أيّ منهما؛ إن ماتت إحداهما لا أستطيع حتى أن أقول، العجوز المسكينة السيدة زالينسكي ماتت.

عليّ أن أقول، تلك الكلبة العجوز الحقيرة عبر الشارع خرّت صريعة.

أشعرُ كأنني شبح طفلة، صعدتُ إلى داخل سيارتي المُتوسطة الحجم، المجهولة الاسم، التي تبدو وكأنّ مُعظمها صنّع من البلاستيك. أنا أتربّب أن يظهر أحدٌ ما من إدارة المرور ويقول لي بوضوح: إنها دُعابة. أنتِ فعلاً لا تستطيعين قيادة هذه. كنا نمزح. قُدتُ سيارتي اللّعبة لمدة عشر دقائق باتجاه وسط المدينة لمُقابلة جيم جيفريز، أخّرنِي الدوران داخل مرآب مطعم ستيك هوم، لأركن سيارتي، عشرين دقيقة، أعرفُ أن جيم سيبتسم بلُطف ولن يُعلّق بشيءٍ عليّ تأخري.

كان من المُفترض أن أتصل به من جهازي الخليوي حين أصل، فيخرج لاصطحابي إلى الداخل، المطعم - فخم، مطعم ستيك هوم، مدرسة K.C القديمة - مُحاطٌ بأبنية فارغة لها صلة به. وتخيّلتُ كأن فرقة الكشافة من قارعي الطبول كانوا

مُجتمعين في أماكنهم ينتظرون قدومي.

جيم جيفريز لن يكون الشاب الذي يسمح بحدوث ما يُسيء لليبي داي. لا يمكن أن يحدث أي شيء سيء لطفلة آل داي الشجاعة، الفتاة الصغيرة الضائعة، المثيرة للشفقة، بنت السنوات السبع، ذات الرأس الأحمر والعيون الزرق الواسعة. الناجية الوحيدة من مجزرة بيراري. جنون القتل في كنساس؛ ضحايا الشيطان في البيت الريفي، أمي، أختاي الكبيرتان، جميعهن ذُبحن بيد بن. أنا الناجية الوحيدة؛ أشرتُ إليه بإصبعي بوصفه القاتل، كنتُ الحيوانة الذكية التي سلّمت أخاها، عابد الشيطان، للعدالة، كنتُ الخبر الرئيس، وتتصدّر صورتي الباكية الصفحة الأولى من صحيفة الإنكواير تحت عنوان الوجه الملائكي.

استرقتُ النظر في المرآة العاكسة ورأيتُ وجهي الطفولي حتى الآن، تلاتشي النمش منه وتقومت أسناني، لكن أنفي بقي أفتس، وبقيت عيناى مُستديرتين كعينيّ قطة. صبغتُ شعري بلونٍ أشقر فاتح، إلا أن الجذور الحمر نامية الآن.

أبدو وكأن فروة رأسي تنزف، خصوصاً في ضوء شمس آخر النهار التي تبدو مُلطخةً بالدماء. أشعلتُ سيجارةً؛ قد تمرّ عدة شهور دون أن أدخن ثم أتذكر: أنا أحتاج السيجارة. أنا هكذا. لا شيء يقف في طريقي.

دعينا نذهب، بيبي داي. قلتُ لنفسي بصوتٍ مسموع، هذا ما أدعو به نفسي عندما أحسّ بالكراهية.

خرجتُ من السيارة، ودخنتُ في طريقي إلى المطعم، مُسكةً السيجارة بيدي اليمنى، وبهذا ليس عليّ أن أنظر إلى اليد اليسرى، المحروقة. كان الوقت مساءً: الغيومُ المهاجرة تطفو مُتراصّة عبر السماء مثل الجاموس، والشمس مُنخفضةً بدرجة كافية لتصبغ كل شيء باللون الوردى، عند النهر؛ بين مُنحدرات الطريق المُتخلّق الرئيس تقبع صوامع الحنطة مهجورة، مُظلمةً وباردة.

مشيتُ المسافة كلها عبر المرأب بمفردي، في الأعلى برجٌ من الزجاج المُهشم.

لم أهاجم، الساعة رغم ذلك كله لم تتجاوز الخامسة بعد الظهر. جيم سريع البديهة، وهو يفتخر بذلك.

كان جالساً إلى البار عندما دخلت، يشرب مياه غازية، وأول ما فعله؛ كنتُ أعرف مُسبقاً أنه سيفعل، سحب هاتفه الخليوي من جيب معطفه وحدّق فيه وكأن الجوال غشهُ.

- هل اتصلتِ؟ سأل عابساً.

- لا؛ نسيت كذبتُ عليه.

عندها ابتسم قائلاً:

- حسناً، على كل حال، أنا عموماً مسرورٌ لوجودك هنا، حبيبتي. هل أنت جاهزةٌ للتحدّث أيتها المغرورة؟

وضع دولارين على البار، انسحبنا بلباقة إلى ركنٍ جلدي أحمر تنبِقُ حشوةٌ صفراء من شقوقه، ذراعُ الأريكة خدش بطي ساقِي وأنا أنزلقُ فيها، وفاحت رائحةُ دخان كريمة من المساند.

لم يتناول جيم جيفريز المشروبات أمامي أبداً، ولم يسألني إن كنتُ أريد مشروباً، لكن، عندما أتى النادل طلبتُ كأساً من الشراب الأحمر وراقبته وهو يحاول ألا يبدو مُستغرباً، أو غير راضٍ، أو أي شيء. جيم جيفريز يحب ذلك، سألني النادل: أي نوعٍ من الشراب الأحمر؟ لم تكن لديّ فكرة، في الواقع - أنا لا يُمكنني تذكر أسماء الشراب الأحمر أو الأبيض، أو جزء الاسم الذي من المُفترض أن يُقال بصوتٍ مسموع، لذا قلتُ فقط، هاوس.

طلب هو شريحة لحم، وطلبتُ أنا طبق بطاطا مشوية مُضاعفاً، ثم غادر النادل وأطلق جيم جيفريز تنهيدةً عميقة وقال: - حسناً، يا ليب-بي، هنا نحن ندخل معاً مرحلةً جديدةً ومختلفة.

سألته:

- كم تبقى إذن؟

وأنا أقول في نفسي قلّ عشرة آلاف، قلّ عشرة آلاف.

- هل قرأت تلك التقارير التي أرسلتها إليك؟

- أحياناً أفعل - كذبتُ ثانيةً - أحبُّ استلام البريد، ولكني لا أحبُّ قراءته، من

المُحتمل أن هذه التقارير مُكوّمةً في مكانٍ ما من بيتي.

- هل استمعتِ إلى الرسائل التليفونية؟

- أعتقد أن جوالك مُلخبط، فهو يحذف جزءاً كبيراً منها.

سمعتُ فقط ما يكفي لأعرف أنني في مأزق، أنا عادةً أُقلّل الجهاز بعد الجملة

الأولى لجيم جيفريز؛ الجملة التي تبدأ دائماً: "هنا صديقك جيم جيفريز، ليب.ي...".

كّور جيم جيفريز أصابعه ومطّ شفته السفلى،

- يوجد 982 دولاراً واثنًا عشر سنّاً مُتبقيةً في الرصيد، كما ذكرتُ لك من قبل،

لو كان بمقدورك زيادته بأي نوعٍ من العمل المنتظم، لاستطعنا المحافظةً عليه جاريًا،

ولكن... رفع يديه وكشّر، الأمور لا تُحلّ بتلك الطريقة.

- ماذا عن الكتاب، ألم يكن الكتاب...؟

- أنا آسف يا ليب.ي، الكتاب، ألم أقلّ لك ذلك في كل عام، هي ليست غلطتك،

لكن الكتاب... لا، لا شيء.

منذ أعوام، في حفلة عيد ميلادي الخامس والعشرين، طلب مني أحدُ ناشريّ كُتب

الاعتماد على النفس أن أكتب كيف استطعتُ قهر الأشباح من ماضي. أنا قهرتُ

الكثير من الأشياء بغير قصد، لكنني على أيّة حال وافقتُ على الكتاب. أُجريتُ مكالمةً

هاتفية مع امرأةٍ في نيو جيرسي، وهي قامت بالكتابة الفعلية، صدر الكتاب في فترة

عيد الميلاد، 2002، بغلافٍ عليه صورة رياضية لي بشعرٍ أشعث؛ عنوانه، يوم جديد كلياً! ليس النجاة من صدمة الطفولة - بل تجاوزها! وقد تضمن الكتاب عدّة لقطات لي وعائلي الراحلة، بين دفتيه منّا صفحة مملوءة بمزيجٍ من الأفكار الإيجابية. دفعتُ ثمانية آلاف دولار لإصداره، دعاني عددٌ قليل من تجمّعات الناجين من الموت لألقي كلمة، وسافرتُ جواً إلى توليدو لمُقابلة رجالٍ ممّن تبنا أطفالاً منهم، وإلى تولسا للمشاركة في تجمّعاتٍ خاصّة بالمُراهقين الذين قُتلت أمهاتهم بآبائهم. وقّعتُ كتابي لأطفالٍ سألوني أسئلةً مُثيرةً للمُشاعر، مثل: هل طبخت أمك الفطائر؟ كما وقّعتُه لرجالٍ شياّبٍ مُحتاجين، كانوا يحدّقون إليّ من وراء عدساتهم المُزدوجة، تُطلق أنفاسهم رائحة القهوة المحروقة وحمض المعدة؛ كتبتُ لهم: أبدأ يوماً جديداً! أو يومٌ جديدٌ ينتظرك! ما أسعدَ أن تتلاعبَ لفظياً بالاسم الأخير. كان الناس الذين يأتون لمقابلتي دائماً مُرهقين ويائسين، يقفون في جماعاتٍ مُتفرّقة مُرتابين إلى جانبـي، كانت المجموعات دائماً صغيرة، وما أن عرفتُ أن أحداً لن يدفع لي مقابل ذلك، حتى رفضتُ الذهاب إلى أي مكان. عموماً؛ الكتاب انطلق الآن.

يبدو لي أن الكتاب كان يجب أن يعطي مردوداً أكبر، غمغمتُ، أنا أردتُ حقاً أن يجلب الكتاب لي مالاً، بطريقة الاستحواذ الطفولية - ذلك الشعور بأنني إن أردتُ لشيءٍ أن يتحقق، لا بدّ أن يتحقق.

قال جيم جيفريز:

- أعرف.

وبعد ستة أعوام لم يكن لديه شيءٌ ليقوله في ذلك الموضوع. راقبني وأنا أشرب الشراب بصمت: - لكن هذا يمنحكِ بطريقةٍ أو بأخرى، يا ليبـي، فصلاً جديداً مُمتعاً حقاً من حياتك، أعني: ماذا تريدان أن تكوني عندما تكبرين؟

يُمكّني القول إنه من المُفترض أن يكون هذا الكلام ساحراً، لكنه أثار غضبـي. أنا لا أريد أن أكون أي شيء، ذلك هو بيت القصيد.

- لم يتبقَّ لي رصيد؟

هزَّ جيم جيفريز رأسه بأسى، وراح يرشُّ الملح على شريحة اللحم التي وصلت للتوّ، مُحاطةً بالمرق كأنها في بركة لامعة من الدم.

- ماذا عن الهبات؟ الذكرى السنوية الخامسة والعشرون قادمة.

شعرتُ بثورة غضبٍ أخرى، فقد كان هو من يدفعني لقول ذلك بصوتٍ عالٍ.

- بدأ بن فورة القتل قرابة الساعة الثانية بعد منتصف الليل من اليوم الثالث من كانون الثاني 1985، التوقيت الذي تمّت فيه المجزرة - من هنا انطلقت - من قال أشياء كهذه؟ لماذا لا يكون مُتبقياً في رصيدي خمسة آلاف دولار على الأقل؟
هزَّ رأسه ثانيةً.

- لن يكون هناك المزيد، ليب.ي، كم عمرك الآن؟ ثلاثون؟ أصبحت امرأة، الناس التفتت إلى غيرك، هم يريدون مُساعدة فتياتٍ صغيراتٍ أخريات وليس....

- ليس أنا.

- بكل أسف نعم.

الناس التفتوا إلى غيري؟ حقاً؟ شعرتُ بالهزيمة في تخليهم عني، بالطريقة نفسها التي شعرتُ بها دائماً عندما كنت طفلة، حينما كانت إحدى خالاتي، أو كان أحد أبناء عمومتي، يرميني في بيت خالة أخرى أو ابن عمٍ آخر: قمتُ بما عليّ، خذوها عندكم لفترة، الخالة الجديدة أو ابن العم الجديد يكونان فعلاً طيبين معي لما يُقارب الأسبوع، يُعاملانني بقليلٍ من القسوة والمرارة، ثم... في الحقيقة، الغلطة تكون غلطتي. إنها كذلك فعلاً، هذا ليس كلام ضحية، نثرتُ الماء الأثيري في غرفة المعيشة لأحد أبناء عمومتي وأشعلتُ النار فيها. خالتي دايان، مُربيّتي، شقيقة أمي، حبيبتي، احتضنتني - وأبعدتني - مراتٍ عديدة قبل أن تُغلق الباب في وجهي أخيراً وإلى الأبد؛ فقد فعلتُ الكثير من الأشياء السيئة لتلك المرأة.

- هناك دائماً جريمة جديدة، أنا متأسف، ليب.ي.

كان جيم جيفريز يتحدثُ بنبرةٍ رتيبةٍ: اهتمام الناس يدوم لفترة قصيرة، أقصدُ، فكّري كيف يحومُ الناس المُتحمّسون حول ليزيت ستيفاني.

كانت ليزيت ستيفاني سمراء جميلة في الخامسة والعشرين من العمر، اختفت في الطريق إلى البيت، وهي عائدةٌ من حفلة عشاء عيد الشكر. مدينة كنساس كلها هبت للبحث عنها والعثور عليها. لا يُمكنك مشاهدة الأخبار دون رؤية صورتها تضحك لك، تطوّرت الحكاية لتصبح قضية وطنية في بداية شهر شباط، ولمدة شهر لم يستجدّ أي شيء في القضية. ليزيت ستيفاني ماتت، وقد عرف الجميع بذلك وقتها، لكن لم يرغب أيٌّ منهم أن يكون الأول في مغادرة الحفل.

- غير أني - تابع جيم جيفريز - أعتقد أن الجميع يحبون أن يسمعوا عنك كل خير.

- شيءٌ مرعب.

- ماذا عن الكلية؟

- مضغ قطعة لحم قاسية

- لا.

- ماذا لو حاولنا تعيينك في عملٍ مكتب.ي، تصنيف أو ما شابه.

- لا، وانطويت على نفسي متجاهلةً وجبتي، مُبديةً الكآبة؛ تلك كانت كلمة أخرى من مفردات أمي: (كئيب)، أن تكون كئيباً بالطريقة التي تزعج الآخرين، يعني أن تكون كآبتك عدوانية.

- حسناً، لم لا تتحمّلين أسبوعاً آخر تُفكرين فيه؟

كان يلتهم شريحته، وشوكته تتحرك صعوداً ونزولاً بخفة. أراد أن يُغادر، الآن

صار جيم جيفريز مُرهقاً. غادرني تاركاً لي طروداً ثلاثة من البريد مع ابتسامه عريضة كان من المفترض أن تكون تفاؤلية. ثلاثة طرود، تبدو جميعها كالزبالة. اعتاد جيم جيفريز أن يُسلمني علب أحذية منتفخة مُمتلئة بالبريد، معظمه كان رسائل في داخلها شيكات، عليّ أن أوقعها وأعيدها له، ثم يستلم المُتبرّع رسالةً تقليدية بخطّ يدي؛ شكراً لتبرعكم، أمثالكم يُمكنونني من التطلّع إلى مستقبلٍ مشرق. المخلصة: ليب-بي داي، كنتُ أكتبها بتهجئة خاطئة لأن جيم جيفريز اعتقد أن ذلك سيؤثر في الناس، لكن علب الأحذية المُمتلئة بالهبات انتهت، وبقيت مع ثلاث رسائل فحسب، وبقية الليل للقتل.

توجّهتُ عائداً إلى البيت. كانت السيارات تُومض لي بمصابيحها، فعرفتُ أنني كنتُ أقود سيارتي بمصابيح مُطفأة. أفق مدينة كنساس أضاء إلى الشرق مني: أفقٌ خجول، وظهورٌ واهن لنجومٍ مُبعثرة، أبراج البث الإذاعي مُسمّرة هنا وهناك. حاولت أن أتصوّر أشياء يمكن أن أفعلها لكسب المال، كتلك الأعمال التي يقوم بها الكبار.

تخيّلْتُ نفسي بقبعة المُمرضات، أحمل مقياس الحرارة، ثم في زيّ شرطيّة أزرق أنيق، أرافق طفلاً ليعبر الشارع، ثم مُرتديّة للالئ ومريول بائعة زهور، أحضّر العشاء لصديق لي. (هذا ما أنت عليه الآن)، فكّرت. (تصوّرك عن سنّ الرُشد مُستمدّاً من ألبومات الصور). حتى وأنا أفكّر فيه، أرى نفسي أكتبُ ألف باء على السبورة أمام عيون تلاميذ الصفّ الأول اللامعة.

حاولت البحث عن أعمالٍ واقعية، عن عملٍ ما على الحاسوب، إدخال بيانات، أليس هذا نوعاً من العمل؟ خدمة الزبائن، ربما؟ شاهدتُ مرةً فيلماً عن امرأةٍ ترعى كلاباً من أجل العيش، تلبسُ بدلةً عملٍ وسترةً وتحمل الزهور دائماً، الكلاب ودودةٌ ومُحبةٌ، أنا مع ذلك لم أحب الكلاب يوماً، هي تُخيفني. فكّرتُ أخيراً، طبعاً، بالزراعة. عائلتنا كانت من المُزارعين ولمئات السنين وصولاً إلى أمي، إلى أن قتلها بن. بعدئذٍ بيعت المزرعة.

أياً يكن الأمر، أنا لم أعرف العمل في الزراعة، لديّ ذكرياتٌ عن ذلك المكان: عندما كان بن يضع السماد داخل طين الربيع البارد، يضربُ العجول ليُبعتها عن طريقه، ويذا أمي الخشتان تحفُران في أديم الأرض لتُحوّلها إلى تربةٍ صالحة. صرخاتٌ ميشيل وديب.ي وهما تتقافزان على حُزم القش في الحظيرة، ديب.ي دائمة الشكوى، تصرخ: إنها تجعلني أحكّ، ثم تقفز عليها من جديد. لا يُمكنني الاسترسال في هذه الأفكار، لقد صنّفتُ هذه الذكريات منطقةً محظورة، مكاناً مُظلماً. أتوقف طويلاً عند صورةٍ لأمي وهي تُحاول إصلاح غلاية القهوة المُنفجرة، أو صورةٍ لميشيل وهي تدور راقصةً في قميص نومها الجيرسيه، وجواربها الطويلة مرفوعةً حتى رُكبتيها، ويندفع عقلي داخل مكانٍ مُظلم.

مهووسٌ يخفي أضواء حمراء لأمعةً في الليل. ذلك هو القدر المحتوم، فأسّ متواتر، يتحرك آلياً وكأنه يقطع الخشب. تنفجرُ طلقةً بندقيةً في ردهةٍ صغيرة. صرخاتٌ أمي كصرخات غرابٍ مذعور، وهي تحاول أن تحمي أطفالها بنصف رأسها المُتبقّي.

تساءلتُ: ماذا يمكن أن يفعل المسؤولون الحكوميون؟

انسحبتُ إلى بيتي، ومشيتُ على بلاطة من الرصيف حفرَ عليها أحدهم جيمي يحب تينا في الإسمنت المُتآكل. في بعض الأحيان تخطر في بالي حكايات عن كيفية انتهاء العلاقة بين الزوجين: كان هو لاعباً احتياطياً في فريق البيسبول/وكانت هي ربّة منزل تُصارع السرطان في بيتسبورغ. هو كان رجل إطفاء مُطلق/وهي كانت حمامية غرقت في مياه الخليج العام الفائت. كانت هي معلمة وسقط هو ميتاً في العشرين من عمره نتيجة مرض تمدد الأوعية الدموية (الأنورسما).

يلائمني أن يكون نشاط الذاكرة مُخيفاً، من عاداتي قتل واحدٍ منهما على الأقل. تأملتُ بيتي المُستأجر، تساءلتُ: إذا كان سطحه مائلاً وانهار كل شيء فلن أخسر الكثير. لا أملك شيئاً ذا قيمة، غير قطّ عجوز اسمه باك، هو من يتحمّلني، وما أن

تطأ قدمي الدرجات المتقوسة الرطبة حتى يصلني مواؤه مُستاءً من داخل البيت، وأتذكر أنني لم أطعمه اليوم. فتحت الباب فتحرك القطّ العجوز نحوي مُتثاقلاً مُتموج الشعر، كسيارة عتيقة بدولابٍ مثقوب. لم يتبقَّ عندي أي طعامٍ للقطط - وقد ذكرته في قائمة المُشتريات الأسبوعية - اتجهت إلى الثلاجة، سحبتُ منها بضع شرائح جبنة سويسرية مُتصلبة، وأعطيتها له، ثم جلستُ لأفتح مُغلفاتي الثلاثة، نفوخُ من أصابعي رائحة الحليب الفاسد.

لم أتجاهل الرسالة الأولى:

عزيزتي الأنسة داي،

أمل أن تصلك رسالتي هذه، فأنت، على ما يبدو، لا تملكين موقعاً إلكترونياً. قرأت عنك وتتبعُ قصتك عن كذب لأعوام، وأنا مُتشوّقٌ لأسمع منك كيف تسير الأمور معك، وما كنت عليه حتى هذه الأيام. هل حدث أن قُمتِ باستعراضِ أمام الناس؟ أنا أنتمي إلى مجموعةٍ ستدفع لك خمسمئة دولار للحضور فقط. أرجو أن تتصلي بي وسأكون سعيداً لإعطائك معلوماتٍ أوفر.

بمحبّة - لايل ريث

مُلاحظة: هذا عرض عمل رسمي.

أهو عرضٌ للتعري، إباحية؟ حين صدر كتابي، وفي الفصل الذي يعرض (صور طفلة آل داي تكبر)، كانت الصورة الأكثر شهرة لي، هي صورتي وأنا في السابعة عشرة من عمري، ثدياي المُتهدلان كثديي امرأةٍ مرفوعان بحمالة صدرٍ بيضاء. تلقيتُ نتیجتها عدّة عروض من مجموعة مجلات للتعري. لا أحد منهم دفع لي المبلغ الذي يجعلني أفكر جدياً بالموضوع، حتى الخمسمئة دولار الآن لن تنفعني طويلاً إن أردني هؤلاء الشباب أن أتعري، لكن ربما - فكري بإيجابية يا بيب.ي داي! - ربما كان هذا عرضاً منطقياً فعلاً، مجموعاتٍ أخرى من أولئك المفجوعين، بحاجة لظهوري، كي يكون لديهم سببٌ للتحدّث عن أنفسهم. خمسمئة دولار مقابل بضع ساعات من التعاطف. مُقايسةٌ مُمكنة. كانت الرسالة مطبوعة، عدا رقم الهاتف الذي كان مكتوباً بالحبر في الأسفل ويخطُّ توكيدي. طلبتُ الرقم، آملةٌ أن يكون الردّ آلياً. بدلاً من ذلك، وبعد توقّفٍ كهفي قصير على الخط، رُفعت السماعة، دون أن يتكلّم أحد. شعرتُ بحماقتي، كأنني اتصلتُ بأحدهم في وسط حفلة لم يكن مُفترضاً أن أعرف بها.

لحظاتٌ ثلاث، ثم قال صوتٌ ذكوري: - مرحباً؟

- مرحباً، هل لايل ريث معي؟

وكان القطّ باكٍ يطوف حول رجلي، مُتلهفاً لمزيدٍ من الطعام.

- من معي؟

مازال في خلفية الصوت صدى كبير من فراغ، كأنه كان يصدر من قاع حفرة.

- هذه أنا، ليب.ي داي. أنت كتبت لي.

- أووووه حقاً؟ ليب.ي داي. أوه أين أنت؟ هل أنت في المدينة؟

- أيّة مدينة؟

الرجل - أو الولد - قال شيئاً ما بصوتٍ عالٍ لشخصٍ يقف خلفه يتضمّن عبارة

(انتهيتُ من ذلك)، من ثم همسَ في أذني متأوِّهاً.

- أنت في مدينة كنساس؟ أنت تُقيمين في مدينة كنساس، صحيح؟ ليب-ي؟

هَمَمْتُ بإقفال الخط، لكن الشاب بدأ يصرخ في السَمَاعَة مر - ح - با؟ مر..
ح.. با؟ كنتُ أشبه بطفلة دائخة في الصفِّ ولا تنتبه للدرس. لهذا قلتُ له، إنني أقيم
في كنساس، وقلتُ كل ما أراده هو. أطلقَ ضحكة هيب هيبهيب من تلك الضحكات
التي لا تُقنعك لكنها ضحكات.

- حسناً، كما قلتُ لك، أردتُ التحدُّث إليك حول استعراضٍ، إن أمكن.

- ماذا عليّ أن أفعل؟ حسناً أنا في نادٍ خاصٍّ.. هناك نادٍ خاصٍّ دعينا نجتمعُ
فيه الأسبوع القادم، و...

- أيُّ نوعٍ من النوادي؟

- حسناً؛ إنه صنفٌ مُختلف، نوع من العمل السريّ...

لم أقل شيئاً، تركته يدور، بعد الحديث الاستهلالي، شعرتُ بأنه مُرتبك، جيد.

- أوه يا للحماقة! من المستحيل أن أشرح لك على الهاتف، هل يُمكنني، أوه..
أن أشتري لك قهوة؟

- الوقت متأخر لشرب القهوة، قلتُ، - ثم أدركتُ أنه ربما لم يقصد هذه الليلة -
يمكن في وقت ما من هذا الأسبوع. ثم تساءلت ثانيةً كيف يُمكنني قضاء الساعات
الأربع أو الخمس المُقبلة.

- شراب؟ سأل هو.

- متى؟ سألتُ

توقف لبرهة: الليلة؟

توقفتُ لبرهة: لا بأس.

بدأ لايلا ريث شبيهاً بقاتل مأجور، وهذا ما يعني على الأرجح، أنه ليس شخصاً عادياً. (إن كنت تكسر المراكب أو تُطعم الفارين، حاول أن تبدو طبيعياً). كان يجلس إلى طاولة ميسر في وسط مطعم تيم - كلاركس غريل، حانة رطبة مُتصلة في سوق السلع المُستعملة. أصبح مطعم تيم - كلاركس غريل مشهوراً بمشوياته، وهو مُخصّص الآن للطبقة الراقية - خليط مُتقلقل من الشيايب كبيرى السن، والشباب المُتأنقين ذوي الشعر المُصفّف وبناطيل الجينز المُلتصقة بالجلد. لم يكن لايلا هذا أو ذاك، كان شاباً في أوائل العشرينات من عمره، بشعر مُتموّج هادئ، حاول تشبّيته بكثير من الجل بطريقة غير مُتناسبة، فبدأ نصفه أجد والنصف الآخر مصقولاً. يضع نظارة من دون إطار، يلبس سترة جلدية قصيرة وضيقة خاصّة بأعضاء النادي فقط، وبنطال جينز مُلتصقاً بالجسم، بشكل غير مُريح، إلّا أنه أنيق. تقاسيم وجهه لطيفة جداً وفاتنة حين تكون لرجل، شفاه الرجال لا تكون وردية. لفت نظري، عندها مشيتُ باتجاهه. لم يعرفني في البداية، لاحظ فقط وجود سيدة غريبة، حين وصلتُ إلى الطاولة تقريباً، تطابق في ذهنه شكلي وما يعرفه عني.. النمش، وكلامي على الهياكل العظمية لصغار الطيور، والأنف الأفتس الذي يتضح أكثر إن أمعنت النظر إليّ.

- ليب.ي؟ بدأ، ثم أدرك أنه قالها من دون كلفة، وكأنّ بيننا ألفة، فقال: داي!

وقف وسحب كرسيّاً مطويّاً، وبدأ كأنه ندم على هذه الشهامة، فعاد إلى الجلوس.

- شعرك أشقر.

- يووب قلتُ، أنا أكره الناس الذين يبدأون محادثاتهم بوقائع - ماذا يُفترض أن تفعل بهذه الحالة. (الطقس حار اليوم. نعم، إنه كذلك). تَلَقْتُ حولي لأطلب مشروباً، نادلةً بتنورة قصيرة وشعر أسود مُثير أدارت مؤخرتها الجميلة لنا. نقرتُ الطاولة بأصابعي إلى أن استدارت نحونا، بان لي وجهها وجه امرأةٍ بعمر السبعين سنة على الأقل، مسحوق البودرة الذي تضعه مُتجمّع في تجعدات خديها، العروق

الأرجوانية تغطي يديها، أصدرت مفاصلها صريراً عندما انحنت لتسجيل طلب.ي، ونشقت عندما طلبتُ PBR فقط.

قال لاييل: لحم الصدر طيبٌ هنا حقاً. لكنه لم يكن قد تناوله قط، كان يرشِفُ ثُمالة شرابٍ حليب.ي.

أنا لا آكل اللحم، أنا في الحقيقة توقفتُ عن أكل اللحم منذ رؤية عائلتي تتقطّع - وما زلتُ أحاول إبعاد منظر جيم جيفريز وشريحته القاسية عن مخيلتي. هزرتُ كتفَي نافيةً، مُنتظرةً الشراب مُتلفتةً حولي مثل سائحة. أظفار لاييل كانت مُتسخة، وكان هذا أول شيء لاحظته فيه. كان شعر النادلة العجوز الأسود المُستعار غير ملائم لها، خصلات من الشعر الأبيض المُبلل بالعرق تلتصقُ على رقبتها، رفعت بعضاً منها إلى الخلف وهي تنتشلُ كتلة من المقالي الساخنة جداً من الموقد الحار. رجلٌ بدينٌ جلس وحيداً إلى الطاولة المُجاورة، يأكلُ أضلاعاً قصيرة ويتفحصُ مُشترياته من الأشياء المُستعملة: مزهريّة قديمة سقط متاع، رُسِمَت عليها حورية بحر، تركت أصابعه آثار شحمٍ على أثنائها.

لم تقل النادلة شيئاً وهي تضع الشراب أمامي مباشرةً، ثم خرّخت للرجل البدين تُناديه عزيزي...

- إذن، ماذا عن النادي؟ تأهبتُ للعمل.

تورّد وجه لاييل، واهتزّت ركبته تحت الطاولة من شدّة التوتر.

- حسناً، أنت تعرفين كيف يلعب بعض الشباب مباراة بكرة القدم، أو يجمعون بطاقات البيسبول؟

أشرتُ له بالإيجاب، فأطلق ضحكةً غريبةً وتابع: - أو نساء يقرأن مجلات الفضائح وهنّ يعرفنّ كل شيء عن بعض المُمثلين، يعرفنهم مثلما يعرفن أسماء أولادهن، والمدينة التي تربين فيها.

أُحْنِيتُ رَأْسِي بِاحْتِرَاسٍ وَأَوْمَأْتُ بِحَذَرٍ.

- طيب، هذا يشبه ذاك، لكنه، حسناً، نحن ندعوه نادي القتل.

أخذتُ رشفةً من الشراب، صعدت فقاعاتها إلى أنفي.

- إنه ليس غريباً كما يبدو لك.

- يبدو غريباً للغاية.

- أتعرفين إلى أي مدى يحبّ الناس الألباز؟ أو الاقتناع تماماً بأن الجريمة

حقيقة؟ حسناً؛ هذا النادي هو مجموعة من هؤلاء الناس. كل شخص يعرف جرائمهم

التي تُقلِّقهم: لاسي بيترسون، جيفري ماكدونالد، ليزي بوردين، أنت وعائلتك. أعني،

أنت وعائلتك، شيء هائل بالنسبة إلى النادي، هائلٌ تماماً، بيكرن جون بينيت.

ضبطني وأنا ألوي قسماً وجهي ساخرة، وأضاف: ما حدث مأساة بكل ما في الكلمة

من معنى. وأخوك في السجن لمدة... ماذا، سيُكمل الخمس والعشرين سنة؟

- لا تأسف على بن. هو من قتل عائلتي.

- هه، صحيح - امتصّ قطعة ثلج حلّيبية - إذن، هل تكلمت معه في

الموضوع؟

شعرتُ بأن دفاعاتي انقلبت. يوجد هناك في الخارج أناسٌ يقسمون أن بن بريء،

أرسلوا لي قصاصات جرائد حول بن ولم أقرأها أبداً، كنتُ أرميها حالماً أرى صورته -

شعره الأحمر متهدّل وطويل يصلُ إلى كتفيه ليلائم توهّج وجهه الطافح بالسلام.

سيتعدّى الأربعين سنة. لم أذهب لرؤيته في السجن، ولا مرة طوال تلك السنين كلها.

سجنه الحالي، قريبٌ، في ضواحي مدينتنا كيناكي، كنساس - حيث ارتكب الجرائم،

لكني لا أتوق لاستعادة وضع يتعدّر استرداده. معظم المتعصّبين لقضية بن من

النساء. آذان كبيرة وأسنان طويلة، أصلية أو مستعارة، شفاة مزمومة ومُتصالبة،

يظهرن بين الفينة والأخرى على درجات بيتي، يتطايرُ الشرُّ من عيونهن، يقلن لي

أن شهادتي كانت زوراً. كنت في السابعة من عمري، مشوشة، مُكرهة، كذبتُ بعد أن أقسمتُ اليمين بأن أخي هو القاتل. هن يصرخن في وجهي غالباً، ولديهن الكثير من النعومة دائماً، وفي عدة مرات صفعنني فعلاً، في قناعتهن أن ذلك يجعلنا مُتعادلات قليلاً: من السهل تجاهل امرأة مخبولة، محمّرة الوجه، وأنا دائماً أبحث عن سببٍ للتجاهل. لو كنّ لطيفاتٍ معي لوقفت إلى جانبهن.

- لا؛ أنا لم أكلم بن، وإذا كان هذا هو الموضوع، فأنا لست مهتمّة له.

- لا، لا، لا، لا، ليس كذلك، فقط تعالي أنتِ - إنه يُشبه الإقناع تقريباً - دعينا نُعش ذهنك. أنتِ حقاً لا تفكرين ملياً بتلك الليلة؟

مكانٌ مُظلم؟

- لا، أنا لا أفعل.

- يجب أن تعلمي شيئاً مهماً، يوجد بعض المُناصرين... خُبراء يعرفون أكثر ممّا يعرفه المُخبرون أنفسهم في القضية، تلك ليست مشكلة صعبة.

- إذن هؤلاء هم مجموعة الناس الذين سيقنعونني ببراءة بن.

- حسناً.. ربما، وربما استطعتِ أنتِ إقناعهم بالعكس.

تملّكتني نفحة من الشعور بالتفوق، كان رأيه مُتأرجحاً، وكان مُثاراً، ومشدود الكتفين.

- أريد ألف دولار.

- يمكنني أن أعطيكِ سبعمائة.

جلتُ بنظري في الغرفة ثانية، دون تعليق. سأخذ ما يُعطيني إياه لاييل ريث لأنني في كل الأحوال كنتُ أتطلّع إلى عملٍ جاد، حقيقي وفوري، ولم أكن مُهيأةً لذلك، أنا لستُ الشخص الذي يُعتمدُ عليه لخمسة أيامٍ في الأسبوع: الاثنين، الثلاثاء،

الأربعاء، الخميس، الجمعة. أنا حتى لا أنهض من السرير لمدة خمسة أيام متتالية - وغالباً لا أتذكر أن آكل لخمسة أيام متتالية. أن أثبت وجودي في مكان عمل حيث سأضطر للبقاء ثماني ساعات - ثماني ساعات طويلة خارج بيتي - غير مُحتمل.
قلتُ:

- إذا سبعمائة لا بأس.

- ممتاز، وسيتواجد هناك مجموعة من الهواة، لذا أحضري معكِ أية تذكارات، أوه؛ أشياء من طفولتك تودين بيعها ربما، ويُمكنك الحصول على ألفي دولار بسهولة، خصوصاً الرسائل، والأكثر شخصية تكون الأفضل. أي شيء تاريخه مُقاربٌ لتاريخ الجريمة 3 كانون الثاني 1985 - رددتها وكأنه اعتاد عليها - أي شيء من والدتك، الناس فعلاً... مفتونة بوالدتك.

الناس أرادوا دائماً أن يعرفوا: أي صنفٍ من النساء كانت تلك التي ذُبحت بيد ولدها.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

2:08

كان يتحدث بالهاتف، يمكنها سماع صوته كما في أفلام الكرتون، يتمم وراء باب غرفته، أراد أن يمدّ خطاً هاتفياً خاصاً به. أقسم إن نصف زملائه في المدرسة لديهم أرقام خاصة باسمهم في دليل الهاتف، تحت اسم خطوط هاتفية للأطفال. ضحكت حتى بالت في ثيابها، وهو يُداعبها. هل أنت جاد؟ خطُّ أطفال هاتفي؟ كم هم مُدللون هؤلاء الأطفال؟ ولم يتطرق إليها أيّ منهما ثانيةً، - كان كلاهما مفلساً بلا شك - ثم، وبعد عدة أسابيع، عاد إلى البيت، مطأطئ الرأس، وأطلعها على محتويات حقيبة المشتريات: توصيلة تسمح لجهازي هاتف باستخدام الخط نفسه، وهاتف بلاستيكي لافت للنظر لا يختلف عن نسخ اللعب الوردية التي اعتادت الفتيات لعب دور السكرتيرات بها. من هنّ في مكتب السيد بنيامين داي يُجبن على الهاتف، يحاولن إشراك أخيهن الأكبر في اللعبة. اعتاد بن أن يبتسم ويطلب إليهن تسجيل الرسالة؛ وأخيراً يتجاهلهن.

منذ أن جلبَ بن مشترياته إلى البيت، صارت عبارة شريط الهاتف بالمعمودية مُتداولة في بيت آل داي. شقّ الشريط طريقه بشكلٍ لولبي من مأخذ التيار في المطبخ، ثم من فوق النضد إلى الردهة، وانثنى تحت الشقّ في باب غرفته، الذي

كان مغلقاً دائماً، سيتعثّر أحدها به على الأقل مرةً في اليوم، يلي ذلك صرخة (إذا كانت واحدة من البنات) وشتيمة (إذا كانت باتي أو بن). طلبت منه مراراً أن يُثبّت الشريط على الجدار، وقد فشل مراراً في تثبيته. حاولت أن تُقنع نفسها بأن ذلك العناد كان طبيعياً، عناد مراهقين، لكن مع بن كان عدوانياً، وذلك ما جعلها تقلق إذا كان غاضباً أو مُتكاسلاً، أو يفعل شيئاً سيئاً لم يخطر لها في بال. تُرى، مع من كان يتكلم؟

قلّما كان بن يتلقى مكالماتٍ قبل الإضافة الغامضة للهاتف الثاني، كان لديه صديقان طيبان، الأخوان ميوهلر، رئيساً جمعية (مزارعو المستقبل في أمريكا)، وهما مُحفّظان، كانا في بعض الأحيان يُغلّقان الهاتف عندما تُجيب هي، ثم تُخبر بن أن جيم أو إد اتصل للتوّ، لكن لم تكن هناك مكالمات طويلة خلف الأبواب المُوصدة قبل الآن.

ظنّت باتي أن لدى ابنها، أخيراً، صديقة، لكنّ بضعة تلميحات بهذا الصدد ضايقّت بن، جلده الشاحب تحوّل إلى أبيض مُزرق والتمتع النمشُ الوردي في وجهه، إنه فعلاً يُشبهه إشارات الإنذار. لم يعد لديها القدرة على حمل الأعباء بشكلٍ تام، ولم تكن من ذلك الصنف من الأمهات اللواتي يستطعن أن يفتحن أبواب الحياة لأبنائهن على مصاريعها؛ كان من الصعوبة بمكان لابن الخمسة عشر عاماً أن يحصل على خصوصيةٍ في بيتٍ مُمتلئٍ بالنساء. ركّب قفلاً على باب غرفته بعد أن عاد من المدرسة في أحد الأيام ليجد ميشيل تعبثُ في أحد أدراج طاولته، تركيبُ القفل أيضاً؛ كان نتيجة اتفاقٍ مُسبق مع أمه: مطرقة، وبعض الطرقات، وتمّ تركيب القفل. إنه عشّ الولد الخاصّ والآمن. إنها، للمرة الثانية، لا تستطيع لومه. لقد أصبح البيت الريفى بناتياً منذ أن غادره رنر. الستائر، الأرائك، حتى الشموع جميعها بلون المُشمش ومُخرّمة، أحذيةٌ صغيرة وردية وملابس داخلية مُزهِرة، ومشابك شعر ملأت الأدراج والخزائن. إصرار بن على حقه في التحفّظ على خصوصياتٍ صغيرةٍ وقليلة - شريط الهاتف المُلتف والمعدنيات، الخصوصيات الرجولية - بدت مفهومة، بالفعل.

سمعت طقة ضحكة آتية من خلف بابه، أثارت أعصابها. لم يكن بن ضحوكاً، حتى عندما كان طفلاً، في عمر الثماني سنوات نظر إلى إحدى أخواته ببرود وصرخ، ميشيل لديها حالة من القهقهة وكأنها حالة يجب أن تُعالج. وصفته باتي بأنه رزين، لكن ضبطه لنفسه يعود إلى ما وراء ذلك، لأن أباه بالتأكيد لم يكن يُحسن التصرف معه. تصرفه كان يتراوح بين المعاملة الخشنة في البيت (كان بن عنيداً وغير متجاوب عندما يجره أبوه كتمساح على الأرض) وبين الاتهام (كان رنر يتذمر بصوت مرتفع من أن الولد، غريبٌ عجيب، بنّاتي، لا جدال في ذلك)، لم تُصبّ باتي نجاحاً أفضل، هي اشترت مؤخراً كتاباً حول رعاية الأم لابنها المراهق، وأخفته تحت سريرها كأنه كتابٌ عن الجنس. قال الكاتب: كوني شجاعة، اطرحي أسئلة، طالب بي ابنك بأجوبة. لكن باتي لم تستطع. إن مجرد تلميح لسؤال يجعل بن يبول على هذه الأيام، ويُفجر فيه ذلك الصمت الصارخ غير المُحتمل. وكان كلما حاولت أن تتقرب منه وتفهمه، يطول اختفاؤه في غرفته، يُهاتف أناساً لا تعرفهم.

بناتها الثلاث استيقظن باكراً أيضاً، ومنذ ساعات، مزرعة، عديمة القيمة، تزيد من تعاستهم، تتطلب الاستيقاظ باكراً، والمُثابرة على العمل في خلال الشتاء. يتساقط الثلج على الفتيات فيبدو كالزغب، طردتهن خارج البيت كقطيع جِراءٍ كي لا يوقظن بن، ثم غضبت حين سمعت صوته على الهاتف، عرفت أنه استيقظ للتو وأدركت أن السبب في ذلك هو أنها تُعدّ الفطائر التي تُفضلها البنات، هذا هو الدافع بالضبط. كان بن والبنات يتهمونها دائماً بالتحيز، بن مطلوبٌ منه على الدوام أن يكون صبوراً مع تلك المخلوقات الصغيرة ذوات الشرائط، والمرجو من البنات باستمرار أن يسكتن؛ لا تُضايقن أخاكن يا بنات. ميشيل ذات العشر سنوات، كانت أكبر أخواتها، ديب ي كانت في التاسعة، وعمر ليب ي سبع سنوات. (يمكنها سماع بن يعاتبها: يا إلهي ماما، يبدو أنك أنجبت مجموعة جِراءٍ دفعة واحدة). ألقت نظرة من خلف الستارة لتشاهد البنات في حالتهم الحيوانية الطبيعية: ميشيل وديب ي، رئيس ومعاونه، تبنيان حصناً ثلجياً، لم تُزعجا نفسيهما بمشاركة ليب ي، ليب ي تحاول أن تحشر

أنفها في العمل، مُقدّمة كرات ثلجية وحجارة وعيداناً طويلة هزّازة، رفضتها كلّ منهما بنظرة باردة، أخيراً حنت لبيـي رجليها لتبدأ بالصراخ، ثم ركلت العمل كله أرضاً، ابتعدت باتي وتلت ذلك اللكمات والدموع، باتي لم تكن في مزاج جيد.

فُتح باب غرفة بن مُصدراً صريراً، ضربات خطواته الثقيلة في نهاية الردهة أعلمتها أنه ينتعل تلك الجزمة السوداء الكبيرة التي تكرهها، هي حتى لا تنظر إليها، قالت في نفسها إنها شعرت بالشيء ذاته عندما ارتدى لباس (الكامو) الداخلي، (عيس رافضاً كلامها عندما تدمّرت من ذلك وقال: أبـي ارتدى لباس الكامو، للصيد، هو ارتداه للصيد، صحّحت الكلام). لقد افتقدت الولد الذي اعتاد أن يطلب الملابس غير الزاهية، الولد الذي كان يرتدي الجينز فقط وقمصان المربعات الرخيصة، الولد ذا الشعر الأحمر القاني المُجدد والمهوس بالطائرات. ها هو قادم الآن بمعطف الجوخ، والجينز الأسود، وقبعة صوفية مشدودة للأسفل، تمتم شيئاً ما واتجه إلى الباب.

صرخت: - ليس قبل الإفطار.

استدار نحوها نصف استدارة، مُلتفتاً بجانبه فقط.

- لديّ بعض الأعمال يجب أن أنهيها.

- حسناً. تناول شيئاً من الطعام معنا

- أنا أكره الفطائر المُحلّاة، أنت تعرفين ذلك، اللّعة.

- سأحضّر لك شيئاً آخر، اجلس.

هو لن يتحدّى أمراً مباشراً، هل سيفعل؟ حدّق كلّ منهما إلى الآخر، باتي كادت تستسلم حين تنهد بن بعمق، ثم ألقى بنفسه على كرسي. بدأ يعبثُ بمرشّة الملح، يصبُّ الحبيبات على الطاولة ويجرفها في كومة، هي طلبت منه ألا يفعل ذلك، لكنها توقفت. كان وجوده على الطاولة كافياً حتى الآن.

- مع من كنت تتكلم؟ سألته وهي تسكبُ له عصير البرتقال، وعرفت أنه لن

يشريه نكايَةً بها.

- مع بعض الناس.

- الناس جميعهم؟

رفع لها حاجبيه فقط. انفتح باب الشبك المتأرجح ثم انصفق الباب الأمامي بالجدار، وتمكنت من سماع وقع خطوات مُتتالية بانتظام على الحصيرة، أدركت أن العراك بين الفتيات سينشُب بسرعة، ميشيل وديب.ي كانتا تتشاجران حول بعض أفلام الكرتون على التلفاز، أما ليب.ي فمشت مباشرةً ورمت بنفسها على كرسي بجوار بن، تنفض الثلج من شعرها، من بين بنات باتي الثلاث، ليب.ي فقط عرفت كيف تسترزي بن؛ هي تبتم له، تُلوح له تلويحةً سريعة، ثم تُحدق أمامها بخطٍ مستقيم.

- مرحباً ليب.ي. قال وهو لا يزال ينخل الملح.

- مرحباً بن، أحب جبل الملح الذي صنعته.

- شكراً.

رأت باتي بوضوح أن بن تفوق على نفسه حين دخلت الاثنان الأخيران إلى المطبخ، مرحهما وأصواتهما المزعجة تملأ أرجاء الغرفة.

- ماما، بن يُثير الفوضى. صاحت ميشيل.

- لا بأس يا حلوتي، الفطائر المحلاة جاهزة تقريباً. بن، أتريدُ بيضاً؟

- لماذا يُمنى بن بالبيض؟ صرخت ميشيل.

- بن، أتريدُ بيضاً؟

- نعم.

- قالت ديب.ي: أنا أريدُ بيضاً.

- قاطعتها ليب.ي: أنت حتى لا تحبين البيض.

يمكنها دوماً أن تتعمد الوقوف إلى جانب أخيها.

- بن يحتاج البيض لأنه صب.ي، رجل.

جعل ذلك بن يبتسم ابتسامةً طفيفة، شجعت باتي على اختيار الفطيرة المدوّرة الكاملة لليب.ي. كوّمت الفطائر في صحون بينما كان البيض يُقرقع. مُعايرة الفطور الرائعة لخمسة أشخاص كانت عادلة، وكان هذا الطعام هو آخر ما تبقى من الفصح، لكنها الآن لا تهتمّ. بعد الإفطار سيُقلقها هذا الأمر.

- ماما، ديب.ي تضع مرفقيها على الطاولة. قالت ميشيل بمزاجها الاستبدادي.

- ماما؛ ليب.ي لم تغسل يديها. قالت ميشيل ثانيةً.

- ولا أنت. قالت ديب.ي.

قالت ليب.ي ضاحكةً: ولا أحد.

- فتىّ وسخ، قال بن ووكزها في جنبها. تلك العبارة كانت مزحة قديمة بينهما، لم تعرف باتي كيف بدأت. أمالت ليب.ي رأسها إلى الوراء وضحكت بصوتٍ أقوى، ضحكة مسرحية لإرضاء بن.

- أم رؤوم، قهقهت ليب.ي بنداوة، نوعاً من الردّ على بن.

بلّلت باتي منشفة بالماء والصابون وممرّتها على كلّ منهم، وبذلك تمكّن الجميع من البقاء في أماكنهم على الطاولة. انزعاج بن من مضايقة إحدى أخواته له كان حدثاً نادراً، ويبدو أن بقاء الجميع في أماكنهم يُبقيها في مزاج جيد. هي بحاجة إلى المزاج الطيب، كحاجتك للنوم بعد سهر الليل كله، وحلمك نهاراً برمي نفسك في السرير. تستيقظ كل يوم وتُقسم أنها لن تدع المزرعة تُرهقها، لن تدع خرابها (ثلاث سنين وهي تحت ثقل الديون، ثلاث سنين وليس هناك من مهرب)، يحولها إلى ذلك الصنف الذي تكرهه من النساء: تعيسة، محرومة، عاجزة عن الاستمتاع بأي شيء،

في كل صباح تتكؤم بألم على السجادة المهلهلة بجانب سريرها وتُصلي، لكن صلاتها لم تكن صلاة، بل وعداً بالفعل: (اليوم أنا لن أصرخ، لن أبكي، لن أربط نفسي بكرة وكأني أنتظر نفخة ترفعني. سأستمع اليوم).

ويمكن أن تُعيد صلاتها على الغداء قبل أن تتكدر.

جميعهم جلسوا الآن، غسل كل واحد منهم يديه، تَلوا صلواتٍ سريعة، وكان الجميع على ما يُرام إلى أن أطلقت ميشيل هذه الكلمات.

- يجب أن يخلع بن قبعته.

لدى عائلة داي تقليدٌ دائم هو خلع القبعة على مائدة الطعام. كان ذلك نظاماً جديراً بالاهتمام، وقد تفاجأت باتي لمجرد توجيه ملاحظة ميشيل.

- على بن أن يخلع قبعته. قالت باتي تحته بصوتٍ لطيف.

أحنى بن رأسه نحوها فشعرت بشيءٍ من القلق. هناك خللٌ ما، كان حاجباه في الحالة الطبيعية، رقيقين بلون الصدا، لكنهما الآن أسودان، الجلد تحتها مُلطخٌ بصبغةٍ داكنة.

- بن؟

خلع قبعته، وكان رأسه مُتوجاً بالشعر الأسود الداكن، ملفوفاً كشعر عضوٍ في حزب العمال. كانت صدمةٌ كبيرة، كمن ابتلع ماءً مُثلجاً بسرعة. ابنها ذو الرأس الأحمر فقد ميّزته المُحددة، بدا أكبر سناً، وضيعاً كأنّ الولد الذي أمامها طوى بن الذي عرّفته بالنسيان.

ميشيل صرخت، ديب.ي انفجرت بالبكاء.

- بن، حبيب.ي، لماذا؟ قالت باتي، كانت تُكلم نفسها لتتجاوز الصدمة. ذلك فقط وبالضبط ما كانت تفعله. هذا فعل مُراهق غبيّ - هذا كل ما في الأمر - جعلها ذلك تشعرُ فجأةً بأن علاقتها الوطيدة بابنها ميؤوسٌ منها. وبينما كان بن مطرقاً مُحدقاً

بالطاولة، يتكّف الابتسام، ليحمي نفسه من ثورتهنّ النسوية، عمّلتْ باتي على إيجاد عذر له. كره بن شعره الأحمر كصبيّ، كونه تعرض لمُضايقاتٍ بسببه، وربما ما يزال. ربما كان هذا عملاً لإثبات الوجود، وإنه شيءٌ إيجاب.ي. أضف إلى ذلك أن باتي هي من أورثت بن الشعر الأحمر، الذي طمسه للتوّ. إن ذلك لم يكن رفضاً. ليب.ي هي الوحيدة بين بناتها برأسٍ أحمر. كان واضحاً أنها تفكرُ بذلك، جلست مُمسكةً خصلةً من شعرها بين أصبعيها، مُحدّقةً إليها بكآبة.

- حسناً. قال بن وهو يزدردُ بيضةً ويقف قائلاً: لا تجعلوا الأمر مأساة. إنه مجرد شعر غب.ي.

- ومع ذلك كان شعرك مُلائماً جداً.

توقف لسماع ذلك، وكأنه كان يفكرُ ملياً فيه، ثم هزّ رأسه - ردّاً على تعليقها إذ لم تكتشف ذلك منذ الصباح - ومشى نحو الباب يدقّ الأرض بقدميه.

- فقط اهدئي، قال دون أن يلتفت، سأعود لاحقاً.

كانت تتوقع أنه سيصفق الباب، لكنه بدلاً من ذلك أغلقه بهدوء.

لظمت باتي جبينها بعنفٍ وجالت بملء عينيها الزرقاوين الواسعتين على الطاولة، البنات كنّ يرقبنها ليرينَ كيف سيكون ردّ فعلها. ابتسمت وأطلقت ضحكة خفيفة.

- حسناً، كان ذلك غريباً وصلّت.

أشربت الفتيات قليلاً وهنّ جالسات في مقاعدهنّ، فظهرن بشكلٍ أوضح.

أضافت ميشيل: - إنه غريبٌ جداً.

قالت ديب.ي: شعره ينسجم مع ثيابه الآن وهي تمسح دموعها بقفا يدها، وتضع قطعةً من الفطيرة في فمها.

نظرت لبيبى إلى صحنها، كتفاها محنيتان نحو الطاولة، كانت فى عينيها نظرة حزن، هى كل ما يستطيع طفل أن يفعله.

- لا بأس، لبيب. قالت باتى وحاولت أن تُربّت عليها عرضاً دون إثارة الفتيات الأخريات ثانيةً.

- لا إنه ليس كذلك. قالت: إنه يكرهنا.

ليبي داي الآن

بعد خمس ليالٍ من تناول الشراب مع لائل، قدتُ السيارة من بيتي انحداراً فوق الجرف، وتابعتُ النزول داخل الوادي إلى الأعماق الغربية من مدينة كنساس. ازدهرت المناطق المجاورة في عهد تجارة الماشية، ثم اضمحلت تدريجياً، وهي، كلها، الآن مبانٍ شاهقة العلو، مبانٍ آجريّة منعزلة، تحمل أسماء شركاتٍ لم تدم طويلاً: رافرتي كولد ستوريج، لندن بيف، دنهوسر كاتل تراست. بضع منشآت تم ترميمها وتحولت إلى بيوتٍ لخارجين على القانون مطاردين، تضاء في عيد القديسين، خمسة طوابق هي معاقل للمُنحرفين ومصاصي الدماء، والمُراهقين السكارى الذين يخفون زجاجات الشراب في أبعاد مكانٍ من سُتراتهم.

المكان كان مُوحشاً في مطلع آذار، كنتُ أقودُ سيارتي في الشوارع الخاملة، أشتبه، بين الفينة والأخرى بأحدٍ يدخل أو يخرج من الأبنية، دون أن تكون لديّ فكرة عن غرضه، ثم تحولت المنطقة بمُحاذاة نهر الميسوري من شبه فارغة إلى مهجورة بشكلٍ يُنذر بالسوء، خرائب مُنتصبة فقط.

شعرتُ بمسّ من الخوف وأنا أركنُ سيارتي أمام بناءٍ من أربعة طوابق عليه يافطةٌ كُتب فيها (تعاونية تولمان)، كانت تلك إحدى الدقائق التي تمنيتُ فيها أن يكون عندي أصدقاءٌ كُثر، أو أصدقاءٌ فحسب.

كان يجب أن يكون معي أحد، يُبدد ذلك الخوف، كان يجب أن ينتظرنني أحد ما ليسمعي إن حصل لي شيء، كان يجب أن أترك ورقة على الدرج داخل بيتي أشرح فيها أين أكون؛ مُرفقة برسالة لاييل. إن اختفيت ستجد الشرطة مكاناً تبدأ منه البحث، طبعاً، لو كان عندي أصدقاء لكان من المُحتمل أن يقول لي أحدهم: (لن أدعك تفعلين ذلك بأي شكل، حبيبتي)، يقولها بطريقة النساء اللواتي يقلن دائماً أشياء بذلك الصوت الحنون.

ومن المُحتمل أيضاً ألا يفعل ذلك، القتلة يضعونني في حالة سيئة دائماً بهذه الأنواع من النداءات المصيرية.

أفترض أن كل شيء سيئ يُمكن أن يحدث في العالم، بل إن كل شيء سيئ في العالم يحدث الآن، ثم أليس مُصادفةً عجيبة أنني أنا، ليب-ي داي، سأواجه الأذى في قمته، ألم أكن في مأمن لو امتنعت عن الظهور؟ لو كنت شخصاً لا يُمكن لأحد أن يهزمه، لا يُمكنني اتخاذ قرار، أنا أُغَيِّرُ وجهتي من الحذر المُتطرف (النوم والأنوار مُضاعة كل الوقت، ومُسدس أمي القديم صانع السلام على طاولتي الجانبية) إلى التهور السخيف، (أغامر بنفسي وأذهب إلى نادي القتل في بناء مهجور).

كنت أنتعلُ جزمةً بكعبٍ عالٍ لأبدو أطول مما أنا عليه ببضعة إنشآتٍ أخرى، الفردة اليمنى أكثر وسعاً من اليسرى بسبب عيبٍ في قدمي، أردتُ أن أقطع كل عظمة في جسمي، شعرتُ بالإسهال، كنتُ مشدودةً، بُلْتُ، أسناني اصطكت، يجبُ ألا يسعى أحدٌ إلى النقود على هذا النحو الخطير. حاولتُ أن أقول ما كنتُ أفعله على أنه غير مؤذٍ، وفي نظرة سريعة إلى اليوم الماضي، تصوّرتُ أنني حوّلتُ نفسي إلى شخصٍ شهير. هؤلاء الناس كانوا مهتمّين بعائلتي، كنتُ فخورةً بعائلتي، وكنتُ أسمح لهؤلاء الغرباء ببعض التبصّر الذي لن يحصلوا عليه من جهاتٍ أخرى، إن كانوا سيعطونني نقوداً ساخذها، فأنا لم أربح كثيراً من ذلك.

في الحقيقة، أنا لم أكن فخورةً بعائلتي، لم يجب أحد آل داي. أب-ي رنر داي،

كان مجنوناً، سكيراً، وعنيفاً بشكلٍ فظ، رجلاً صغيراً بقبضتين حقيرتين. أمي عندها أربعة أطفال لم تستطع إيلاءهم العناية المناسبة. فقراء، أطفال المزرعة، كريهو الرائحة، مُتسخو الأيدي، يظهرون في المدرسة دائماً في مظهر المحتاجين: إفطارٍ مفقود، قُمصانٌ مُمزقة، أنوفهم وحلوقهم مُحترقة، تعرّضنا أنا وأختي لأربع غزواتٍ من القمل على الأقل في تجربتنا المدرسيّة القصيرة. يا لآل داي القذرين! وها أنذا، وبعد أكثر من عشرين سنة، ما زلت أضع نفسي في موضع المحتاجة لكل شيء، المال تحديداً. كان في جيب بنطالي الجينز الخلفي ورقة كتبها ميشيل قبل شهر من الجرائم، اقتطعتها من مفكرة ذات شريط لولبي، واقتطعت الشراريب بعناية، ثم طوتها بإتقان على شكل سهم، تلك الورقة تتحدّث عن الأشياء الاعتيادية التي شغلت ذهن ميشيل ابنة الصفّ الرابع: صبيٌّ في صفها، مُعلمتها الغبية، بعض الجينزات البشعة التي حصلت عليها إحدى البنات المُدلات في عيد ميلادها، كانت الورقة مُملّة ولا تستحق الذكر - عندي صناديق من هذا النموذج، نقلتها معي من بيتٍ إلى بيت ولم أفتحها حتى الآن، أحتاج لمنّي دولار ثمنها. شعورٌ لاذعٌ بالذنب طفح من المرح عندما فكّرتُ بكل تلك الأشياء الحقيرة التي يُمكن أن أبيعها، مذكرات وصور وخردة، لم تكن لديّ قذائف لأفجرها. خرجتُ من سيارتي والتقطتُ نفساً وطقطتُ فقرات رقبتي.

كان الليل بارداً، مع نسماتٍ ربيعيةٍ مُنعشةٍ هنا وهناك، قمرٌ أصفر ضخم معلق في السماء مثل مصباح صيني.

صعدتُ الدرجات الرخامية الموحلة، أوراق أشجارٍ مُتسخةٍ تنسحقُ تحت قدمي، صوتها مؤذٍ، وكأنني أسحقُ عظماً بالية. كانت الأبواب معدنية ثقيلة وسميكة، طرقتُ الباب، وانتظرت، ثم طرقتُ مراتٍ ثلاثٍ أخرى، وأنا أقفُ مكشوفة في لمعان ضوء القمر مثل ممثل في مسرحية هزلية. كنتُ سأتصل مع لایل من هاتفٍ النقل حين تآرجح الباب وانفتح، ظهر رجلٌ طويل القامة والوجه يتفحصني من الأعلى إلى الأسفل.

- نعم؟

- أوه، هل لايل ريث هنا؟

- ولم سيكون لايل ريث هنا؟ قالها دون أن يبتسم. إنه يَعمد إلى القوة معي، لأنه يستطيع ذلك.

- أوه، لعنك الله. قلتُ دون تفكير، واستدرتُ مُبتعدة، أشعرُ بأنني حمقاء، كنتُ قد نزلت ثلاث درجات عندما ناداني ذلك الشاب.

- يا إلهي، انتظري، لا تحني قامتك بهذا الشكل.

لكني ولدتُ محنية بهذا الشكل، يُمكنني أن أتخيّل نفسي خارجة من الرحم ناعبة فيها خلل. أنا لا ألبث أن أفقد صبري. كلمة (اللعة) قد لا تكون معلقة على رأس لساني لكنها قريبة، في منتصفه.

توقفتُ بين درجتين، مُتجهةً إلى الأسفل.

- انظري؛ أنا أعرف لايل ريث، تماماً. قال الشاب. هل أنتِ على قائمة الزوّار أو شيء من هذا القبيل؟

- لا أعرف، اسمي ليبي. داي.

أرخی فكّه، ثم سحبه إلى الأعلى بصوتٍ كأنه يبصق، ورماني بنظرة دعايات التشيكليتس، نفس النظرة التي رماني بها لايل.

- شعركِ أشقر.

رفعتُ له حاجبي.

- ادخلي، سأُنزلكِ إلى تحت. قال فاتحاً الباب واسعاً. ادخلي، أنا لا أعضّ.

هناك بضعُ عبارات تزعجني أكثر من (أنا لا أعضّ)، الحالة الوحيدة التي تجعلني أبول بسرعة منها، هي عندما يراني سكيّر له وجه حيوان من أبناء المدينة

المُتَأَنِّقِينَ، أحاول أن أتجاوزَه فينبح: (ابتسمي؛ لن يكون ذلك سيئاً)، نعم، بالفعل، قد تكون مُحَقّاً أيّها الغراب. اتجهت عائداً، ألقب النظر ببلاهةٍ إلى الشاب الواقف على الباب، أمشي ببطءٍ شديدٍ ممّا اضطره إلى أن يسندُ الباب ليُبقِيه مفتوحاً. اللّعة.

دخلتُ بهواً شبيهاً بالكهف، مملوءاً بقواعد مصابيح مكسورة، مصنوعة من النحاس، وقد شكّلت لتبدو مثل سنابل القمح. كان سقف الغرفة مُرتفعاً لأكثر من أربعين قدماً، وقد طُلِيَ ذات مرة بلوحةٍ زيتيةٍ غامضة، صورَ مشوّهةً لصبيان وبنات من الريف يعزفون ويحفرون، إحدى البنات؛ وقد تلاشى وجهها الآن، تبدو كأنها كانت تُمسكُ حبل القفز أو أفعى؟ كانت الزاوية الغربية السالمة من السقف قد تآكلت في بعض الأماكن، حيث شجرات البلوط الزيتية مُتفرّعةً إلى أغصان وأوراق الصيف الأخضر، يوجد بدلاً منها رقعة من سماء ليل أزرق. يُمكنني رؤية توهج القمر، وليس القمر نفسه. كان البهو مُظلماً، من دون كهرباء، لكنني استطعتُ تمييز أكوام من النفايات تكسّست إلى زوايا الغرفة. شقّ المُحتفلون طريقهم بين هذه الأكوام، ثم أحضروا مكنسةً إلى المكان لإزالتها. أصدرت رائحة كرائحة البول في أية حال. واقٍ ذكري قديم كان مُلصقاً إلى أحد الجدران بالمعكرونة.

- أنتم أيّها الشباب، أما كان باستطاعتكم تجهيز قاعة احتفالٍ، مثلاً؟ تمتت - الأرضية الرُخامية تحتي كانت رطبة، من الواضح أن كل العمل كان يحدث تحت الأدراج.

- نحن، إن أردتِ الدقّة، لسنا جمعية مُرحباً بها قال الشاب، وجهه فتِيّ مُكتنّزٌ تُزيّنه الشامات، وضع في أذنه قرطاً فيروزياً صغيراً، كان دائماً يرتبطُ في ذهني بأشكال دانجونز ودراغونز. الرجال الذين يملكون أشرطةً حريرية، ويفكّرون بحيل سحرية، يكونون باردين.

- كما أن لهذا البناء مكانة... خاصة. فجّر أحد رجال تولمان دماغه هنا في

عام 1953.

- جميل.

وقفنا ينظرُ أحدنا إلى الآخر، وجهه كان يغوص في الكآبة، لم أتمكن من رؤية طريق واضحاً للنزول إلى الأسفل، وكان واضحاً أن المصاعد إلى يساري لا تعمل، عداداتها الملوثة متجمدة بين الطوابق. تخيلتُ ورشة عمل من الرجال الأشباح في بدلات العمل ينتظرون بفارغ الصبر لبدأوا التحرك ثانيةً.

- إذن... هل نحن ذاهبون إلى مكانٍ ما؟

- أوه؛ نعم. انظري؛ أردت فقط أن أقول... أنا آسف لفقدانك لأسرتك، وأنا واثق أنه وبعد كل هذا الوقت حتى... لا أستطيع أن أتخيل إن ما حدث يُشبه شيئاً ما لإدغار آلان بو.

- أنا أحاول ألا أفكر به كثيراً. قلتُ الجواب النموذجي.

ضحك الشاب وقال:

- حسناً، إذن، أنتِ في المكان الخطأ.

قادني حول الركن، نزلنا عبر ممرٍ بين مكاتب تالفة، سحقْتُ زجاجاً مكسوراً بقدمي، كنتُ أختلسُ النظر داخل كلِّ غرفة مررنا بها، فارغة، فارغة. عربةٌ مُشتريات، كومةٌ صغيرةٌ من البراز، بقايا من مواعد قديمة، وبعدئذٍ ظهر مُتشرِّدٌ وقال بمرح: (مرحباً..)، عمره يتجاوز الأربعين.

- اسمه جيمي، قال الفتى. يبدو أنه مضبوطٌ، لهذا تركناه يُقيم هنا.

قلتُ في سرِّي كم أنت لطيفٌ أيها الفتى، لكنني فقط أومأتُ لجيمي. وصلنا إلى بابٍ ثقيلٍ عازلٍ، فتحناه، وياغتني الضجيج، أصواتٌ مُتناحرةٌ أتتنا من القبو، موسيقى الأرغن، وأصواتٌ معادن ثقيلة، وهمهمة الناس العالية، كلٌّ منهم يحاول أن يحتج على الآخر.

- من بعدك. قال ولم أتحرك، أنا لا أحبُّ أن يكون الناس خلفي.

فكرت بالانسحاب فوراً، ولكن الشرّ ثارَ في داخلي عندما تخيلتُ هذا الشاب، هذا اللّعين مُهرج عصر النهضة، ينزل ويخبر أصدقاءه: هي استغرقت، وهربت منذ لحظات! وجميعهم يضحكون ويشعرون بالقوة، ويُضيف هو: إنها حقاً تختلف عما توقّعتها أن تكون ويرفع يده عالياً مُشيراً إلى قلة الوقت الذي بقيت فيه، تَبّاً لك، تَبّاً لك، تَبّاً لك، رنمتها وتبعته.

نزلنا من الطابق الأول إلى باب قبو أُلصقت عليه نشراتٌ إعلانية بأسماء الكوى، الكوة 22: هوردين ليزي بوردن! مواد مُختارة للبيع أو التبادل! الكوة 28: كارلا براون - بايت ماركس ديسكشن، الكوة 14: مؤدّية أدوار - للاستفسار سيسي أنتوني! 15: تعاملات توم الرهيبة - يقوم بها الآن جونز تاون بانتش وسويت فاني آدمز! ثم رأيتُ نشرةً زرقاء عليها صورة لي في إحدى الزوايا: تتحدّث عن داي السيئة! مذبحه البيت الريفي في كناكي كنساس - تحليل حالة وضيفٌ خاصٌ جداً!!!

مرة أخرى فكرت بالمغادرة، لكن الباب اندفع مفتوحاً بقوة فولجت داخل قبوٍ رطب بلا نوافذ، يكتظّ بحوالى منّي شخص، يميلون بعضهم على بعض، يهتفون بانتباه مؤيد، أيديهم على أكتافهم. في المدرسة ذات مرة، عرضوا لنا شريطاً سينمائياً عن طاعون الجراد يجتاح الغرب الأوسط، ذلك ما لمع في ذهني - كل تلك العيون الجاحظة تنظر إليّ، أفواهٌ تلوّك، سواعد ومناكب تتناحر، أُعدت هذه القاعة لاجتماع مُقايضة، مقسّمة إلى صفوفٍ من الكوى يفصل بعضها عن بعض سياجٌ من سلاسل رخيصة، وفي كل كوة جريمةٌ مُختلفة. أحصيتُ قرابة أربعين منها من النظرة الأولى، المؤلّدة كانت بالكاد تُشعل خطأً من المصابيح مُعلّقا بأسلاكٍ على مدار الغرفة، يتأرجحُ في أوقاتٍ مُتقطّعة، يُنير وجوهاً لملائكةٍ مُخيفة، حفلةٌ من أقنعة الموت.

لايل في الجهة الأخرى رأني وبدأ يشقُّ طريقه من خلال الحشود، مُقدماً كتفه، مُنطلقاً على طول الطرق الجانبية، مسروراً. كان على ما يبدو شخصيةً مهمّة في هذه الحشود - أراد كل واحد لمسه، وإخباره شيئاً ما. انحنى ليسمح لأحدهم أن يهمسُ في أذنه الوسيمة، وعندما سحب نفسه لينتصب، ضرب رأسه المصباح

الكشّاف، ضحك الجميع من حوله، تلمع وجوههم بشكلٍ مُتناوب مع الضوء، مثل سيارات الشرطة. وجوه الرجال، وجوه الشباب، لم يكن هناك غير بضع نساء فقط في المكان بأكمله. أربعٌ أستطيع رؤيتهنّ، جميعهنّ بسيطات لا يلفتن النظر. الرجال أيضاً لم يكونوا جذابين، يوجد بينهم رجالٌ مُطلقو اللحي. أتباعُ الأساتذة، يصعبُ وصفهم، إنهم من سگان الضواحي - يُشبهون أبي؛ وعددٌ كبير من الشباب في عشريناتهم بقصّاتٍ شعرٍ بسيطةٍ ونظارات، رجالٌ ذكروني ب. لایل والشاب الذي قادني إلى الأسفل، غير جديرين بالملاحظة، ولكن تفوحُ منهم رائحةٌ غطرسيةٍ زكية، لُسمّها A P بعد الحلاقة.

وصل لایل إليّ، الرجال يبتسمون من خلفه ويتفحصونني وكأنّي الصديقة الجديدة، هزّ رأسه: عفواً، لیب.ي كان من المُفترض أن يُهاتفني كيني حال وصولك، لو فعل لكنتُ أنزلتكِ بنفسِي، وتطلّع إلى كيني من فوق رأسي، فأصدر كيني صوتاً مُتحرّجاً وغادر. كان لایل يقودني مُخرقاً الحشد مُستخدماً سبّابته من خلف كتفي، كان بعض الموجودين يرتدون بدلات، رجلٌ يلبس صدرية وقبعة سوداء طويلة، اندفع أمامي، يقدّم لي السكاكر ويضحك. نظر لایل إليّ وقال: - فردريك بيكر، شخصٌ عجيب، نحن حاولنا دعم مؤدّي الأدوار لعدّة سنوات، ولكن... كثيرون هم الشباب الذين دخلوا في ذلك المجال.

- لا أعرف ماذا يعني ذلك. قلتُ، جاهدةً، لأن المناكب والأكتاف كانت تدفعني وتُعيدني إلى الوراء كلّما تقدّمتُ بضع أقدام إلى الأمام. أنا حقاً، وبكل جدية لا أفهم ما الذي يجري هنا.

تنهد لایل فاقد الصبر، نظر إلى ساعته:

- حلقتنا لن تبدأ حتى مُنتصف الليل، ما رأيك لو نتمشى معاً في الجوار، وأشرح

لك المزيد؟

- أريدُ نقودي.

عضّ على شفّته السُفلى، وسحب ظرفاً من جيبه الخلفي وأصقه بيدي، وهو ينحني إلى أذني ويطلب مني أن أعدّها لاحقاً. بدا المُغلّف ثخيناً، فهدأتُ نسبياً.

- دعيني أطلعك على الجوار. مشينا في محيط الغرفة، الكوى الضيقة على يسارنا ويميننا، تلك الأسيجة المعدنية تُذكّرني بأوجار الكلاب، وضع لایل تلك الأصبع على ذراعي ثانيةً، يحثّني إلى الأمام.

- نادي القتل - وبالمناسبة، لا تناقشي، نحن نعرف أنه اسمه سيء، إلا أنه مناسبٌ تماماً، إنه نادي القتل، نحن نُسميه K.C، وهو أحد الأسباب التي تجمّعنا هنا كل سنة. كنساس سيتي K.C، نادي القتل... أوه، كما أسلفت، إنه بالأساس للمُحلّين والمُتحمّسين للجرائم الشهيرة، كل من في النادي، يحبّ فاني آدمز ل....

- من هي فاني آدمز؟ تفاجأت، مُدركةٌ إنني كنت أشعرُ بالغيرة، كنت أعتقدُ أنني المُميّزة هنا.

- كانت في الثامنة من عمرها، تقطّعت إرباً إرباً في إنجلترا في العام 1867، ذلك الشاب الذي مررنا به للتوّ، ذو القبعة العالية والأشياء، كان يلعب دور قاتلها، فردريك بيكر.

- ذلك مؤلّمٌ حقاً، إذاً هي ماتت وللاُبد، ذلك جيد، ما من منافسة.

- حسناً؛ تلك كانت جريمة شهيرة جداً - ضبطني ألوي ملامحي - نعم مثلما قلتُ لك، هم جماعةٌ غير مُستساغة، أعني معظم تلك الجرائم حُلّت هنا، ليس هناك سرّية حقيقية، بالنسبة لي؛ كل ذلك حول تفسير تلك الجرائم، لدينا رجال شرطة سابقون، محامون...

- هل هناك لاعبو أدوار لي... حالتني؟ عائلتي، هل يوجد من يقوم بهذه الأدوار

هنا؟

شابٌ بدينٌ بشعرٍ لامع، ودمية رشيقة تلبس فستاناً أحمر توقفاً بين الجموع،

تقريباً أعلى مني، لم يلحظاني حتى، أصابع الدمية البلاستيكية دغدغت خدي، صرخ أحدهم من ورائي (الإسكتلندي وعنبر!)، دفعتُ الشاب عني، حاولتُ أن أتفحص الحشد بحثاً عن أحدٍ ما يرتدي مثل أمي، مثل بن، ابن زانيةٍ بشعرٍ أحمر مُستعار، يلوحُ بفأسٍ، وتكوّرت يدي لتصبح قبضة.

- لا، لا، طبعاً لا يوجد. قال لایل، قطعاً، ليبي؛ لن أسمح بحدوث ذلك أبداً، لن يأخذ دو... ها. لا.

- لماذا جميعهم رجال؟

في إحدى الكوى القريبة، ولدان قصيران بدينان بقميصي بولو، كانا يزمجران بسبب بعض جرائم الأطفال التي حدثت في كشك ثعابين البحر في ميسوري.

- ليسوا جميعاً رجالاً - قال لایل مُدافعاً - معظم محلّي الجرائم هم من الرجال، حتى في لعبة الكلمات المتقاطعة تجدين الشيء نفسه. النساء يأتين إلى هنا يتحدثن عما يجعلهن يتطابقن مع الضحايا، لديهن أزواجٌ سيئون أو ما شابه، يتناولن القهوة، يشترين صورة قديمة. لكن علينا أن نكون حذرين، لأنهن في بعض الأحيان يمكن أن... يتعرّضن لك.

- نعم من الأفضل ألا يُعاملن بإنسانيةٍ في مثل هذه الحالة. قلتُ لأنني مُناقفةٌ لعينة. شكراً لله على أن لایل تجاهلني.

- جميعهن، مثلاً، يهجن بشيءٍ اسمه ليزيت ستيفينز. أشار إلى الخلف وراءه، حيث مجموعة من النساء كنّ يتحلّقن حول حاسوب، يَمظن رقابهن، كالدجاجات. تحرّكتُ مُتجاوزةً لایل إلى الكوة. كنّ جميعهن يُشاهدن شريط فيديو عن ليزيت وأخواتها في النادي النسائي، ليزيت وكلبها، ليزيت وأختها التي تشبهها.

- هل رأيت ما أعني؟ قال لایل. هنّ لا يحلّطن، هنّ يُطالعن أشياء يمكنهن رؤيتها بشكلٍ مباشر في المنزل

المشكلة مع ليزيت ستيفينز هي في عدم وجود أي شيء للتحليل: لم يكن لديها صديق، ولا زوج، ولا مُضايقات من زملائها في العمل، ولا عاملٌ غريب صاحب سوابق يقوم بإصلاحاتٍ في بيتها، هي اختفت فقط، دون أي سبب يستطيع أي شخص أن يفكر فيه، عدا أنها كانت جميلة، كانت فتاة من النوع الذي يلفت انتباه الناس، فتاةٌ ضجّت كل وسائل الإعلام بتغطية خبر اختفائها. في البقعة المُجاورة لنا تنبّهت لمجموعة فُصان قطنية كُتب عليها العبارة الآتية: (أعيدوا ليزيت إلى بيتها)، سعر الواحد منها خمسة وعشرون دولاراً. في كل الأحوال كانت مجموعة النساء مهتمّةً باللاب توب. نقرت النسوة على رسائل الشبكة، الناس غالباً يُرفقون صوراً إلى جانب تعليقاتهم، لكن الصور كانت مُتضاربة مع التعليق، مثلاً: (نحن نحبك ليزيت، ونعرف أنك ستعودين إلى البيت)، تدخل فجأةً إلى جانب التعليق صورة لثلاث نساءٍ في مُنتصف العمر على الشاطئ، (السلام والمحبة لعائلتك في وقت الشدّة)، جملةٌ تظهر إلى جانب صورة شخص عابث. عادت النسوة إلى الصفحة الرئيسية فظهرت الصورة الأكثر شيوعاً في وسائل الإعلام، ليزيت وأمّها، كلّ منهما تُطوّق الأخرى بذراعيها، الخدّ على الخدّ، وهما تبتسمان.

هزرتُ كتفيّ استهجاناً، مُحاولةً أن أتجاهل قلقي على ليزيت، التي لم أعرفها، ومُقاومةً الغيرة ثانيةً أيضاً. من بين كل هذه الجرائم، أردتُ أن تكون كوة داي هي الأكبر، كان ذلك بدافع الحب: أهلي المتوفون كانوا الأفضل، لديّ لمحةٌ عن أمي، شعرها الأحمر مُثبّتٌ إلى الخلف على شكل ذيل حصان، تُساعدني كي أخلع جزمتي الشتوية المُهترئة، ثم تمسحُ أصابعي واحداً واحداً، تُدْفئُ أصبعي الكبير، تُدْفئُ أصبع طفلة. في هذه الذكرى، يُمكنني أن أشمّ رائحة التوست بالزبدة، لكني لا أعرفُ إن كان موجوداً فعلاً، في هذه الذكرى ما زلتُ أحتفظُ بأصابع قدمي كلها، ارتعشتُ بقوة، مثل قطة.

- واو؛ أحدٌ ما يمشي على قبرك؟ قال لايل، ثم أدرك أنه يسخر.

- إذا ماذا بعد؟ اصطدنا بحشدٍ من الناس أمام كوة مكتوب عليها (بازار بوب بيزار)، يُديره شابٌ يحمل شاربين أسودين ضخمين، وكان يحتسي الشورية، وراه أربعة جماجم مصفوفة على لوحٍ خشبي مع لوحةٍ كُتِبَ عليها (آخر أربعة). كان الشاب يصيحُ على لایل ليُقدِّمه إلى صديقه الصغيرة، بدأ لایل يلوح وهو يحاول أن يُخرجنا من بين الحشد الطاحن، ثم هزَّ كتفيه وهمس لي: إنه لاعب أدوار.

- بوب بير ديلا قال لایل للرجل مؤدياً غمزةً ساخرة من الاسم، هذه ليب-بي داي، التي كانت عائلتها... من مجزرة البيت الريفى في كناكى كنساس، آل داي.

انحنى الشاب نحوي عبر الطاولة. قطعةً من الهمبرغر مُبللة باللعب كانت مُعلّقةً بين أسنانه؛

- لو كان لكِ رمز الرجولة، لكنتِ الآن تماماً قطعاً مرميةً في زبالتى. قال ثم أطلق ضحكة وأردف: قطعاً صغيرةً جداً وطوّح يده باتجاهى. انسحبتُ إلى الوراى مُكرهة، ثم ملتُ عائدةً نحو بوب، رافعةً قبضتى ومُتوفرة، كما أكون دائماً حين أتعرّضُ للخوف، أهاجم الأنف، أجعله ينزف، وأضرب قطعة اللحم التي في وجهه ضربةً مُوجعة، ثم أضربُ مرةً ثانية. قبل أن أصل إليه، دفع بوب كرسيه إلى الوراى، رافعاً يديه وتمتم ليس لي، إنما للایل: كنتُ أمزح فقط، دون أذى، يا رجل، لم ينظر إليّ حتى وهو يعتذر وكأننى طفلة، بينما كان يُثرثر مع لایل، ذهبتُ إليه لكن قبضتى لم تصل إليه تماماً، وهكذا انتهيتُ بإعطائه صفةً قويةً على ذقنه، بالطريقة نفسها التي تُعاقب فيها كلباً.

- عليك اللعنة، يا فتحة...

عندها استدار لایل فجأةً نحوي مُتمتماً باعتذاراتٍ ومُبعداً إياي، بقيت قبضتاي مشدودتين، وفكّاي مُطبقين بإحكام، ركلتُ طاولة بوب بجزمتى وأنا أمشي مُبتعدة، ركلةً كانت كافيةً تماماً لتترنّح الطاولة مرةً واحدة، وعلى نحوٍ خطير، سقطت الشورية على الأرض. أنا الآن نادمةٌ لأننى لم أدمر الطاولة تماماً.

لا شيء أكثر إخراجاً من امرأة قصيرة لا تستطيع إيصال لكمة، كان يجب أيضاً أن أحمل بعيداً، وقدماي الطفوليتان ترفسان في الهواء، ألقى نظرة إلى الخلف، كان الشاب واقفاً هناك ذراعاه مُسبلتان، ذقنه حمراء يحاول أن يقرر أكان نادماً أم غاضباً.

- لا بأس قد لا يكون العراك الأول في نادي القتل، لكنه قد يكون الأغرب قال لایل.

- أنا لا أحب أن أكون مُهددةً.

- هو لم يكن في الواقع... أنا أعرف تمتم لایل: كما قلت لك، في بعض النقاط الأساسية هؤلاء الشباب لاعبي الأدوار، سوف ينسحبون ويتركون المُحللين الجديين وحدهم، ستُحبين الناس في مجموعتنا، مجموعة آل داي.

- هل هي مجموعة آل داي أم مجموعة مجزرة البيت الريفي في كناكي كنساس؟ قلت مُتذمّرة.

- أوه؛ نعم. ذلك ما ندعوها به. حاول أن يتلوى ليخرج من عنق زجاجة آخر في الممشى الضيق، وانتهت المحاولة بدفعه إلى جانبي، التصق وجهي بضعة إنشآت خجلاً من قفا رجل، قميصٌ أزرق مُنشئ ماركة أوكسفورد، ثبتت عيني على مركز التعضن تماماً. شخصٌ ما بلباس حريري كبير لمُهرج كان يدفعني باستمرار من الخلف.

- معظم الناس يُساعدون الشيطان بطريقة أو بأخرى قلت؛ شيطان مجزرة البيت الريفي، قتلى شيطان كنساس.

- نعم؛ نحن في الواقع لا نؤمن بذلك، لذا نحن نحاول ألا نستخدم أية إشارات للشيطان، اعذريني! قال مُتسللاً إلى الأمام.

- إذن، تلك هي نقطة الخلاف. قطعاً عليه الطرق، عيناى مُثبتتان على

القَميص الأزرق، اندفعنا نحو ركنٍ في فسحة مفتوحة باردة.

- أتودين رؤية مجموعات أخرى؟ مُشيراً إلى يساره مباشرة، نحو جمهرة من الرجال في الكوة 31، قصّات شعرهم على شكل (كويكي)، وشواربهم خفيفة، عددٌ كبيرٌ من الأزرار على ستراتهم، يتجادلون مُنفعلين بنبرة خفيضة؛ هؤلاء الشباب باردون جداً، بالفعل قال لایل، هم أساساً يبتدعون رواياتهم البوليسية الخاصة: يفكّرون بأنهم مُتطابقون مع سلسلة من القتلى، بعض الشبان يجولون في ولايات - ميسوري، وكنساس، وأوكلاهوما - ويساعد في قتل الناس، رجالاً مسؤولين عن عوائل، أو أناساً طاعنين في السنّ أحياناً، أثقلتهم الديون، بطاقات حسابهم مُنتهية الصلاحية، مُرتبطين برهاناتٍ عقارية مُستحقة، ليس لديهم مهرب.

- هو يقتل الناس لأنهم لا يجيدون التعامل بالمال؟ قلتُ وأنا ألقب عيني.

- لا؛ لا. هو يعتقد أنه يُشبهه كيفوركيان بالنسبة إلى الناس الذين لديهم رصيد دائم وتأمين جيد على الحياة، هم يسمّونه (ملاك الدين).

واحدٌ من أفراد الكوة 31 له فكٌّ بارزٌ وشفطان لا تُغطيان أسنانه تماماً، كان يسترقُ السمع، التفت فجأةً مؤكّداً بحركة من يده كلام لایل وقال: نعتقد أننا وجدنا الملاك في أيوا الشهر الماضي؛ فتى مكمانشن وأولاد أربعة، لديه تصوّر عن كارثة ثلجية تامة، وفي الوقت المناسب تماماً، وبذلك تكون الحصيلة جريمة واحدة في كل شهر من العام الماضي، يا له من تنظيم ويا له من رجل!

كان الولد سيّتاب حديثه، يريد سحبنا إلى داخل الكوة بخرائطها وروزناماتها، قُصاصات أخبار، وبقايا خلطة مُكسّرات كلها فوق الطاولة. كان الرجال يملؤون أيديهم بقشور الفول السوداني والبسكويت المُملح ويرمونها على أذيتهم في الأرض. هزرتُ رأسي للایل، وأبعدته لِنغيّر المكان. في الممشى خارجاً، أخذتُ نفساً من الهواء غير المالح ونظرتُ إلى ساعتِي.

- حسناً، قال لایل، هذا كافٍ لِندخل، لنذهب مباشرةً. أنت حقاً ستُعجبين

بمجموعتنا، أعتقد أنها أكثر جدية، انظري؛ هناك أناسٌ حضروا الآن. أشارَ إلى كوةٍ مُرتبة، حيثُ تجلسُ امرأةٌ بدينة، بشعرٍ أجعد، كانت تحتسي القهوة من كوبٍ ضخمٍ بحجم فوهة خرطوم الإطفاء، ورجلان أنيقان، في أواسط العمر كانا يتفحصان الغرفة، أيديهما على أوراكهما، مُتجاهلينيها، يبدوان كرجلي شرطة، خلفهما؛ جلس رجلٌ أصلع أكبر منهما سنّاً، كان منحنيّاً على طاولة لعب الورق، يكتبُ ملاحظاتٍ على أوراق قانونية، بينما يقف ولدٌ متوترٌ بعمر طالب جامعة، يقرأ من فوق كتفه. حفنة رجال يصعبُ وصفهم تجمّعت في الخلفية، يقلّبون في كدسةٍ من أكياس مصنوعة من القنب، سياسيون أو مُتسكعون فقط.

- انظري؛ النساء أكثر - قال لایل بانتصار، مُشيراً إلى الجبل الأنثوي ذي الشعر الأجدد - هل تُريدين أن ندخل الآن، أم أنكِ تُريدين الانتظار لتدخلِي دخولاً مهيباً؟
- الآن أفضل.

- هذه مجموعة نشطة، أنصارٌ جديون، سوف تحبينهم، أراهن أنكِ ستتعلمين منهم أشياء كثيرة.

أطلقتُ صوتاً يُعبّر عن الشك، وتبعْتُ لایل. رفعت المرأة نظرها في البداية، ضيّقت عينيها فيّ، ثم وسّعتهما، كانت تحمل ملفاً من صنع منزليّ، ألصقت عليه صورة قديمة لي حين كنتُ يافعةً أضعُ على عنقي طوق القلب الذهب-بي الذي أرسله لي أحدهم بالبريد. بدت المرأة وكأنها أرادت أن تُسلمني الملف - كانت تحمله بطريقةٍ مسرحية، لكنّي لم أتناوله منها. لاحظتُ أنها رسمت قرنيّ شيطان على رأسي في الصورة.

وضع لایل يده على كتفي ثم سحبها. مرحباً؛ لكم جميعاً. ضيفتنا الخاصة وصلت، وهي النجمة لمؤتمر القتل هذا العام؛ ليب-بي داي.

ارتفع عددٌ من الحوارج، رؤوسٌ مُتعدّدة أومات لي بإعجاب، واحدٌ بمظهر رجل شرطة قال؛ قذارةٌ مبعجة، وكان سيُعطي لایل تخميسة عالية ثم تراجع: تجمّدت ذراعهُ

بتحية نازية عرضية، أشاح الرجل الأكبر سنًا بنظره عني وسجل مزيداً من الملاحظات. قَلَبْتُ للحظة لأنه كان من المُفترض أن أدلي بكلمة - لكنني بدلاً منها تمتتُ تحية لاذعة وجلستُ إلى الطاولة. وكانت هناك الأسئلة الترحيبية العادية، نعم عشتُ في مدينة كنساس. لا، تقلبتُ في عدّة أعمال. لا، ليس لديّ أي اتصال مع بن. نعم هو كاتبني عدة مرات في العام، لكنني رميت المُغلفات مباشرة في القمامة. لا، لم يكن عندي فضول للاطلاع على ما كتب. نعم، سأكون راضيةً لأبيع الرسالة القادمة.

- حسناً - قاطع لایل أسألهم بتدَمّرٍ مُبالغٍ فيه - لديكم هنا الشخص المفتاح في قضية آل داي، وكما يُقال شاهد عيان، إذن لِمَ لا نتقدّم إلى الأسئلة الحقيقية.
- لديّ سؤالٌ حقيقي - قال أحد رجال الشرطة. ابتسم ابتسامةً مبتورة واستدار بكرسيه نحوي - إن لم يكن لديك مانع من الدخول في الموضوع.

وانتظر فعلاً لأقول له:

- لا مانع لديّ.

- لماذا شهدت أن بن قتل عائلتك؟

- لأنه فعل، لقد كنتُ هناك.

- كنتِ مختبئةً يا حبيبتي، ولا سبيل لأن تكوني قد رأيتِ ما قتلته، وإلا لكنتِ ميتةً

أيضاً.

- رأيتُ ما رأيت. بدأتُ بالطريقة التي أفعلها دائماً.

- هُراء، رأيتِ ما طلبوا منك رؤيته، لأنك كنتِ طيبةً؛ فتاةً صغيرة خائفة أرادت

تقديم العون. محامي الادعاء شجّعك بامتياز، استخدموكِ للظفر بأسهل الأهداف.

أكسل عمل للشرطة رأيتَه في حياتي.

- كنتُ في البيت.

- نعم؛ كيف تُفسرين طلقات البندقية التي ماتت أمك بها؟ دقّ الرجل مُنحنياً إلى الأمام على رُكبتيه لم يكن على يدي بن أي أثر.

- شباب؛ شباب - قاطع الرجل المُسنّ مُلوّحاً بأصابع ثخينه مُجعدة - وسيدات - أضاف مُداهماً مومناً لي وللسيدة ذات الشعر الأجدد - نحن حتى لم نُقدّم الحقائق عن القضية، كان يجب أن تكون لدينا مسودة لما سنقوم به في هذا المؤتمر وإلاّ سيكون هذا بعضاً من جلسات الدردشة على الإنترنت. عندما يكون عندنا ضيفٌ مثل هذه، يجب أن نكون واثقين تماماً أننا جميعاً على الصفحة نفسها.

لم يرفض أحد ما قاله، ولم يكن أكثر من دمدماتٍ تؤكّد أن ما قاله جديرٌ بالاحترام. لذا رطبّ الرجل المُسنّ شفّتيه، نظر من فوق نظارته وابتلع ريقه، كان الرجل ذا سلطة، زد على ذلك أنه غير مأمونٍ حتى الآن. أنا تخيلته في البيت بمُفرده، يأكل خوفاً مُعلّباً على طاولة المطبخ ويقضي على عصيره. بدأ يتلو علينا من مُفكرته.

- حقيقة: في مكانٍ ما قرابة الساعة الثانية صباحاً من اليوم الثالث من كانون الثاني عام 1985، شخصٌ أو أشخاص قتلوا ثلاثة من أفراد عائلة داي في منزلهم الريفي في كناي كنساس. الراحلات هنّ: ميشيل داي؛ عشرُ سنوات، ديب.ي داي؛ تسعُ سنوات، والأم الرئيسة للعائلة؛ باتي داي، اثنتان وثلاثون سنة. ميشيل داي ماتت خنقاً، ديب.ي داي ماتت بجروحٍ من ضربات فأس، باتي داي من طلقتين ناريتين، جراح من ضربات فأس، وطعناتٍ عميقة من خنجر صيد.

شعرتُ بالدم يتدفّق في أذنيّ، وقلتُ لنفسي: أنا لا أسمعُ أي شيء جديد، لا شيء يُثير الرعب، أنا في الواقع لم استمع إلى تفاصيل الجريمة. سأتركُ الكلمات تهربُ من ذهني لتخرج من أذني، مثل مريض سرطانٍ يرتعب من سماع تلك المُصطلحات المُشفرة كلها ولا يفهم شيئاً، عدا أنها أخبارٌ سيئة جداً.

- حقيقة: الابن الأكبر بنيامين داي؛ خمسة عشر عاماً، يدّعي أنه كان في الخارج ونام في مخزن حبوب لجيرانه تلك الليلة، بعد جدال مع أمّه، ولم يقدم أي عذر آخر، كما كان تصرفه مع الشرطة غير مُساعد إلى أبعد حدّ، ومن ثم اعتُقل وتمّت إدانته، اعتمدت الإدانة على إشاعاتٍ قوية ضمن نطاق معارفه أنه كان مُنغمساً في عبادة الشيطان؛ كانت الجدران في المنزل مُغطاةً برموز وكلمات مُتعلّقة بعبادة الشيطان، كُتبت بدم أمّه.

توقف الرجل المُسنّ ليُضفي تأثيراً درامياً، ألقى نظرةً على المجموعة، ثم عاد إلى ملاحظاته: بقاء أخته على قيد الحياة كان الدليل الأكثر إدانة له، ليب.ي؛ شهدت أنها رآته يرتكبُ الجرائم، وعلى الرغم من أن شهادة ليب.ي كانت مُشوشة، ورغم صغر سنّها، بن داي كان مُداناً، هذا إلى جانب الافتقار المُروّع لدليلٍ ماديّ، نحن نجتمع لنكتشف الاحتمالات الأخرى، ونناقش الوقائع الموضوعيّة للحالة. ما أعتقد أننا يمكن أن نتفق على أن القتل كان ردّ فعل على الأحداث التي حصلت في 3 كانون الثاني 1985، جميعها سارت على نحوٍ خاطئ في يومٍ واحد - التلاعب بالألفاظ ليس مقصوداً، تمتّات من الضاحكين، نظرات نحوي تُوحى بأنني مُذنب - عندما استيقظت تلك العائلة صباحاً، لم يكن هناك ما يُوحى بأن مصيبةً ستقعُ على رؤوسهم، أمرٌ ما حدث خطأ في ذلك اليوم بالفعل.

جزء من مشهد الجريمة كان صورةً مُسرّبة من ملف المُتحدّث: كانت ضربة مُفاجئة لي، ساقٌ مُدماة وقطعة من قميص نوم ليكي كان لديب.ي، لاحظ الرجل نظرتي المُحدّقة فأعادها إلى داخل الملف، كأنّ الأمر لا يخصني.

- أعتقد أن ثمة إجماعاً عاماً على أنّ رنر داي هو من فعلها. قالت المرأة البدينة، وهي تبحث في محفظتها. ومناديل مُفللفة تتساقط من جانب المحفظة.

جفّلتُ حين سمعتُ اسم أب.ي، رنر داي رجلٌ بائس.

- هل ما أعنيه صحيح؟ وتابعت: هو يذهب إلى باتي، يحاول أن يتنمّر عليها

من أجل المال، لكنه كالعادة، لا يحصل على شيء، ويذهب بخفيّ حنين. أقصد أن الرجل كان مجنوناً، أليس هذا صحيحاً؟

أخرجت المرأة زجاجة ماء ودستّ حبتيّ أسبرين في فمها كما يفعل الممثلون في أفلام السينما، بحركة رأسٍ عنيفة وحادةٍ إلى الوراء، ثم تطلّعت إليّ لأؤكّد ما قالته.

- نعم؛ أعتقد ذلك، أنا لا أتذكره جيداً، هما انفصلا عندما كنتُ في الثانية من عمري تقريباً، لم يكن بيننا اتصال بعد ذلك. عاد وعاش معنا إحدى الصيفيات، الصيف الذي سبق الجرائم، ولكن....

- أين هو الآن؟

- لا أعرف.

أدارت عينيها نحوي.

- لكن ماذا عن آثار قدمين كبيرتين لرجل؟ قال رجلٌ في الخلف.

- الشرطة لم تُفسّر لماذا تُشاهد آثار حذاء رجل في بقعة الدم والبيت ليس فيه رجال تتعل أحذية.

- الشرطة لم تعطِ تفسيراً وافياً. قال الرجل الأكبر.

- مثلما لم يقدّموا تفسيراً لبقعة دم أخرى. قال لایل مُلتفتاً إليّ؛ ثم أضاف: كان هناك بقعة دم على غطاء سرير ميشيل - وكانت مختلفة عن زُمرة دم أي واحد في العائلة - ولسوء الحظ كانت الأغطية من المبرّة، لذا اعتبر المُدعي العام أن الدم يمكن أن يكون من أي شخصٍ آخر.

- أغطيةٌ مستعملة قليلاً.

أغطية، نعم. استفاد آل داي كثيراً من المبرّة: أريكة، وتلفاز، ومصابيح، وبناطيل جينز، نحن حصلنا حتى على الستائر من هناك.

- هل تعرفين كيف سنجذ رنر؟ سأل الولد الأصغر. أيمكنك أن تسأليه بعض الأسئلة لأجلنا؟

- وأنا ما زلت أفكر أنه سيكون من الأفضل أن نسأل بعض رفاق بن في ذلك الوقت، هل ما زال لديك أي نوع من التواصل مع كناكي؟ قال الرجل المُسنّ.
بدأ عدد من الناس يتناقشون حول مُغامرات رنر وأصدقاء بن والإجراءات الهزيلة التي اتخذتها الشرطة.

قاطعتهم بحدّة: هيه، ماذا عن بن؟ بن خارج نقاشاتكم صحيح؟

- رجاءً؛ هذا هو الإخفاق الفادح للعدالة على الإطلاق - قالت المرأة البدينة -
فلا تتجرّأي وتفكري بغير ذلك، إلّا إذا كنتِ تحمين والدك، أو أنكِ خجلةٌ جداً ممّا فعلتِ.

حملتُ إليها، كان شيء من بقايا صفار البيض عالقاً بشعرها، (من يأكل البيض في منتصف الليل؟) فكّرت (أو أن ذلك موجودٌ منذ الصباح؟).

- ماجدة هنا، مُنغمسةٌ جداً في القضية، مُتعلّقةٌ جداً بالسعي لتحرير أخيك. قال الرجل المُسنّ، مع حركة تأييد من حاجبيه.

- إنه رجلٌ رائع قالت ماجدة لافتة ذقتها إليّ؛ هو يكتب الشعر والنوتات الموسيقية، وهو بالضبط جيشٌ من الأمل، يجب أن تتعرّفي إليه، ليب.ي؛ عليكِ فعلاً أن تتعرّفي إليه.

كانت ماجدة تُمرّر أظفارها بين مجموعة ملفات على الطاولة أمامها. لكل فرد من عائلة داي واحد منها، الملف الأسماك كان مغطىً بصور لأخي: صورة لشاب يافع برأسٍ أحمر، يحمل لعبة قاذف قنابل بكآبة، ثم صورة لبنٍ بشعرٍ أسود يبدو فيها خائفاً، التُقّطت له بعد الاعتقال بصفته مشتبهاً به، اليوم؛ في السجن، استعاد شعره اللون الأحمر، إطلالته تُوحى بأن الصورة التُقّطت في استديو، نظرتة، فمه المفتوح

جزئياً كأنه في منتصف جملة كان يقولها. تلا ذلك ملف ديب.بي، حاملاً الصورة الوحيدة لها وهي تلبس زيّ عجرية في الهالويين، خدّاهَا أحمران، شفتاهَا ورديتان، شعرها البني مُغطى بمنديل أمي المُزركش، ردفها بارزٌ على جنب في وضعٍ مُغرٍ، إلى يمينها، يُمكنك رؤية ساعدي المُنمّش، يمتدّ إليها. كانت صورة عائلية، شيءٌ أعتقد أنه لم ينشر.

سألتها: من أين حصلتِ عليها؟

- من الجوار. وغطت الملف بيدها الثخينة. أخفضتُ نظري إلى الطاولة، أقاوم شعوراً مُلحاً يدفعني إلى الأمام. صورة جسد ديب.بي وهي ميتة تسربت من ملف الرجل المُسنّ مرةً ثانية، تمكّنتُ من رؤية ساقها المُدمّاة، وبطنها المُقطّع، ذراعها شبه المُبتور. انحنيتُ فوق الطاولة، أمسكتُ بمعصم الرجل ودمدمت: - ضع ذلك الهُراء بعيداً.

دسّ الصورة في الملف ثانية، ثم حمل الملف كدرعٍ واقٍ أمام وجهه ورفرف لي بعينه.

كانت المجموعة كلها تتطلّع إليّ الآن بفضول، وقليل من الاهتمام، وكأني كنتُ أرنباً مُدللاً والآن فقط أدركوا أنه مُصابٌ بداء الكلب.

- ليب.بي.. قال لایل بنبرة تهديئة تُبدي حُسن الضيافة. لا أحد يشكُّ بأنك كنتِ في البيت، ولا أحد يشكُّ بأنك نجوتِ من محنةٍ مروّعة لا تُصدّق ولا يمكن لطفلٍ أن يتحمّلها. لكن هل حقاً رأيتِ بعينيكِ ما قلتِ إنكِ رأيتِه؟ أو أنه تمّ تدريبك على قول ذلك؟

كنتُ أتخيّل ديب.بي تنخل شعري بأصابعها القصيرة الرشيقة وتجذّله على شكل سمكة، كانت تُصرّ عليه علماً بأنه أصعب من الجداول الفرنسية، تنفخ نفساً دافئاً على مؤخرة رقبتي، ثم تعقد الشرائط الخضراء في نهاية الجديلة، تحوّلني إلى هدية، تُساعدني كي أتوازن على حافة حوض الاستحمام وأنا أحمل مرآة يدوية لأتمكّن من

رؤية خلفية فروة رأسي في المرآة التي فوق المغطس. ديب.ي؛ التي أرادت وبشكلٍ مُفرط أن يكون كل شيء جميلاً.

- ليس هناك أي دليل على أن أي شخص غير بن قتل عائلتي. قلتُ مُنسحبةً إلى الوراثة، إلى أرض الواقع، حيث أعيش بمفردتي؛ هو حتى لم يطلب استئنافاً، يا إلهي، هو لم يحاول أن يخرج، ليس لدي خبرة بالمُدانين، لكن يبدو لي أنهم دائماً يقدمون استئنافاً، كأنها هواية عندهم، حتى وإن لم يكن لديهم أمل. عندما تخيلتُ السجن، تخيلت بدلات رياضة برتقالية وشارات صفراء رسمية، بن أثبت أنه مجرم بجموده المُطبق. شهادتي كانت إلى جانب الإدانة.

- كان لديه سببٌ كافٍ للاستئناف لثمانى مرات. أعلنت ماجدة وبشكلٍ حاسم.

أدركتُ أنها كانت واحدة من أولئك النساء اللواتي سيظهرن على درجات بيتي ليصرخن في وجهي، كنت سعيدة بأنني لم أعطِ لایل عنواني. إحجامه عن السعي لا يعني أنه مُدان، ليب.ي، بل يعني أنه فقد الأمل.

- حسناً، إذاً جيد.

فتح لایل عينيه باتساع.

- أوه؛ يا إلهي. فعلاً أنتِ تعتقدين أن بن فعلها ثم ضحك مرة واحدة وبغير قصد، لكنه كان صادقاً تماماً، ابتلع ريقه بسرعة وتمتم: اعذريني.

لا أحد يضحك عليّ. كل ما أقوله أو أفعله يكون بمنتهى الجدّية، لا أحد يسخر من ضحية، أنا لست كياناً للتسلية، حسناً. جميعكم مُستمعون بأفكاركم التآمرية. قلت ذلك ونهضتُ عن الكرسي.

- أوه؛ لا تكوني كذلك. قال الشرطي الشاب. اجلسي واقنعينا.

- هو لم... يتقدّم... بأي استئناف. قتلها مثل معلمة في روضة أطفال؛ ذلك يكفي بالنسبة إليّ.

- إذا أنتِ معتوهة.

دفعته من طريقي، بإيماءة صارمة كما لو كنتُ أحفر في أرضٍ باردة، ثم استدرتُ مُبتعدةً، بينما كان أحدهم يقول من ورائي: ما زلتِ كاذبة صغيرة.

اندفعت كالسهم عائدة بين الزحام، أشقّ طريقي من تحت الأذرع ويجانب الأرداف إلى أن وصلت إلى الهدوء في بيت الدرج، الضجّة ورائي. انتصاري الوحيد في هذه الجولة كان رزمة النقود التي في جيب-ي، والمعرفة بأنّ هؤلاء الناس كانوا مُثيرين للشفقة مثلي.

وصلت إلى البيت، أضأت كل مصباح فيه، جلست على السرير مع زجاجة من الشراب البارد، استلقيت على جنب-ي، أتفحص الطيّات المعقدة لورقة ميشيل، التي نسيت أن أبيعها.

بدا الليل مُلبّداً، وكأنّ العالم فجأة انقسم بعناية بين الناس الذين يعتقدون أن بن مجرم، والناس الذين يؤمنون ببراءته، والآن، أولئك الغرباء الإثنا عشر اجتمعوا في كوةٍ بقبوٍ في قاع المدينة إلى جانب البريء والحجارة في جيوبهم، وبوووووم! هنالك حيث الثقل كله الآن. ماجدة وبين والشعر وقوة من الأمل، أثارُ أقدام ويقع دماء، ورنر يصبح مسعوراً. للمرة الأولى منذ محاكمة بن، عرضتُ نفسي تماماً للناس الذين اعتقدوا أنني كنتُ مخطئةً تجاه بن، نتج عن ذلك أنني لم أكن على مستوى التحدي. أنا ذات إيمانٍ ضعيف. في ليلة غير هذه كان عليّ أن أستهنهم كلهم، كما أفعل عادةً، لكن أولئك الناس كانوا واثقين جداً، ورافضين كُلياً، كأنهم ناقشوا حالتي لمراتٍ لا تُعدّ وقرروا أنني لن أكون غاضبة جداً من استجواب-ي بتلك القسوة. ذهبت إلى هناك متوقعة أنهم سيكونون مثلما اعتاد الناس أن يكونوا معي: يودّون مُساعدتي، الاعتناء ب-ي، ويحلّون مشاكلي، لكنهم بدلاً من ذلك سخروا مني. هل كنتُ أنا تلك التي تُستثار بسهولة، تلك الرقيقة؟

لا. أنا رأيت ما رأيت تلك الليلة، فكّرت، هذا ما أكّره دائماً في سرّي، حتى لو لم

يكن ذلك صحيحاً. أنا، في الحقيقة لم أر أي شيء. تمام؟ لا بأس، تقنياً أنا لم أر شيئاً، أنا سمعت فقط، سمعت فقط لأنني كنت مختبئةً في خزانة، بينما كانت عائلتي تموت، لأنني جبانة صغيرة وتافهة.

تلك الليلة، تلك الليلة، تلك الليلة؛ استيقظت في الظلّمة في الغرفة التي تُشاركني فيها أختاي، البيت باردٌ جداً لأن الصقيع كان يغطي زجاج النافذة من الداخل، تُشاطرنِي ديب.ي السرير في بعض الحالات - نحن نتبادل الاحتضان عادةً لندفأ - مؤخرتها السمينية كانت تدفني في بطني، تضغطني إلى الجدار المُثلج. كنت ممّن يمشون في نومهم منذ أن بدأتُ الخطو، لذا أنا لا أتذكر إن كنتُ قد سحبتُ نفسي من فوق ديب.ي، لكنني أذكر أنني رأيتُ ميشيل وكانت نائمة على الأرض، مفكرتها بين ذراعيها كالعادة، تمصّ قلماً وهي نائمة، والحبر الأسود يسيل مع لعابها على ذقنها. لم أزعج نفسي بإيقاظها وإعادتها إلى السرير، كنّا نحصر بشدّة على النوم في بيتنا الصاخب، البارد، المزدهم، ولا تستيقظ إحدانا دون عراك. تركتُ ديب.ي في سريري وفتحتُ الباب لأسمع أصواتاً آتيةً من أسفل البهو في غرفة بن - همساتٌ لحوحة مُتداخلةٌ بالضجّة، الأصوات تصدر من أناسٍ يحسبون أنهم يتكلّمون بهدوء. هناك ضوءٌ آتٍ من الشقّ في أسفل باب غرفة بن، قرّرتُ الذهاب إلى غرفة أمي، اجتزتُ الصالة بخطى خافتة، سحبتُ أعطيتها وحشرتُ نفسي وراءها، في الشتاء، تنام أمي لابسةً زوجين من القمصان الداخلية وعدة سترات، فتبدو دائماً مثل حيوان عملاق محنّط. هي عادةً لا تتحرك عندما نندسُ معها في السرير لكنني أذكر أنها في تلك الليلة التفتت إليّ بسرعة فحسبتها ستدفعني غاضبة، غير أنها بدلاً من ذلك حضنتني وعصرتني، قبلت جبيني، قالت لي إنها تحبني. هي نادراً ما قالت لنا أنها تحبنا، لذلك أنا أذكر ذلك جيداً، أو أعتقد أنني أفعل. ما لم أكن قد أضفتها لأرتاح بعد الجريمة. حسناً، هي قالت إنها تحبني، وبعد ذلك غرقتُ في النوم فوراً.

عندما استيقظتُ لاحقاً، ربّما بعد ذلك بدقائق أو ساعات، كانت أمي قد خرجت، ومن وراء الباب المغلق، حيث لا أستطيع أن أرى، كانت أمي تولول وكان بن يجأر

عليها، وكانت هناك أصواتٌ أخرى أيضاً، كانت ديب-ي تنشج، وتصرخ مامممممممميششششيل، ثم كان هناك صوت فأس. عرفتُ عندها ما كان يحدث. حفيف معدن في الهواء - ذلك هو الصوت - وبعد صوت التلويح أتاني صوت رجاء واهن وقرقرة، ثم شخرت ديب-ي وسمعت صوتاً يُشبه الشهيق، بن يصرخ على أمي قائلاً: لماذا دفعتني لفعل ذلك؟ لا صوت من ميشيل، وهذا ما كان غريباً، لأن صوت ميشيل دائماً كان الأقوى، أما الآن فلم يصدرُ عنها شيء. أمي تصيح: اركضي! اهرب-ي! لا تفعل، لا تفعل. انطلق عيار ناري، بقيت أمي تهدر لكنها لم تعد تقوى على الكلام، ولم أعد أسمع سوى صرخات دُعر وألم وكأن طيراً يرتطم بالجدران في نهاية الردهة.

قدم ثقيلة تدوس بالجزمة، وأقدامٌ ديب-ي الصغيرة تبتعد، هي لم تمت بعد، تركض إلى غرفة أمي وأنا أفكر (لا، لا، لا تأتي إلى هنا)، ثم جزمات هزت الردهة ومن ورائها سحجٌ وخربشةٌ على الأرض وكثيرٌ من القرقرة، قرقرة، ارتطام، وبعدئذٍ ضربة وصوت فأس ومازالت أمي تُصدر أصوات خوار مُرعب. كنتُ واقفةً مُتجمدةً في غرفة نوم أمي، أسمع فقط، ثم طلق ناري يصمُّ أذني مرةً ثانية، وارتطامٌ زلزل الأرض الخشبية تحت قدمي. أنا، جبانة، أرجو أن ينتهي كل شيء، جاثمة، نصفي داخل الخزانة ونصفي الآخر خارجها، أهزهُ نفسي (ابتعد، ابتعد، ابتعد) ارتطام أبواب وأصوات أقدامٍ متكاثرة وعويل، بن يهمس لنفسه؛ شديد الاهتياج، ثم يبكي بكاءً ذكورياً عميقاً، وكان صوت بن، أنا أعرف أنه كان صوت بن، يصرخ ليب-ي! ليب-ي!

فتحتُ نافذةً في غرفة أمي وقذفتُ بنفسي من خلال الشبك المكسور، عجيذةٌ خَلقية تسقط من علوٍ بضع أقدام على الأرض المكسوة بالثلج، جورب-ي ابتل فوراً، وشعري يشتبكُ بالأشجار، وركضتُ.

ليب-ي! صوتٌ يناديني؛ التفتُ إلى البيت خلفي، ضوءٌ وحيد فقط في نافذة، وكل شيء آخر أسود.

قدماي كانتا دامتيتن في الوقت الذي وصلت فيه البركة واختبأت بين القصب،
كنت ارتدي طبقتين من الثياب مثل أمي، بناطيلٌ طويلة تحت قميصي النوم، لكني
كنت أرتجف، الريح تعصف بثيابي وتيار هواءٍ بارد يضرب بطني مباشرةً.

مسح ضوءٌ كشّافٌ مسعور رؤوس القصب ثم أيكة قريبة من الأشجار، ثم
الأرض ليس بعيداً عني، ليب.ي! صوتٌ بن ثانيةً، يُطاردني، ابقى في مكانك يا
حبيبتي، ابقى في مكانك! كان الضوء الكشّاف يقتربُ أكثر فأكثر، وتلك الجزمة
تسحقُ الثلج وأنا أبكي بشدة داخل كُمي، أتحاملُ على نفسي كي أكون جاهزة لأن
أقف وأتهيأ معها، ثم تارجح الضوء مُتراجعاً إلى الوراء ووقع الأقدام ابتعد عني
وبقيتُ هناك بمفردي وحيدة، تُركتُ لأتجمّد حتى الموت في الظلام، انطفأ الضوء في
البيت وبقيتُ حيث أنا.

بعد عدّة ساعات، عندما أصبحتُ فاقدة الحسّ تماماً وعاجزةً عن الوقوف، في
ضوء الفجر الضعيف زحفتُ عائدةً إلى البيت، قدماي مثل حديد رنّان، يداي
مُتجمدتان كمخالب غراب. كان الباب مفتوحاً على مصراعيه، تقدّمتُ ببطءٍ إلى
الداخل، على الأرضية خارج المطبخ كانت كومة قيءٍ صغيرة بانسة، بازلاء وجزر
وكل شيء عداها كان أحمر - لُطاخاتٌ على الجدران، بُرك على السجادة، فأسٌ
مُدّمة تُركت على ذراع الأريكة، وجدتُ أمي مُلقاة على الأرض أمام غرفة بناتها،
انفجرت قطعة مُثلثية الشكل من قمّة رأسها، جروح فأس بليغة تخترق ثياب نومها
السميكة، أخذُ ثدييها مكشوف، فوقها، خُصلات من شعرها الأحمر كانت مُلتصقةً
على الجدار بالدم وأشياء من المخ. ديب.ي مُلقاة بعدها مباشرة؛ عيناها جاحظتان
وخطٌ دموي يسيل على خدها، ذراعها كانت مبتورة تقريباً، كانت معدتها مقطّعة
بالفأس وبطنها مفتوح، رخو مثل فم شخصٍ نائم، ناديتُ ميشيل لكني عرفتُ أنها
ميتة، مشيتُ على رؤوس أصابعي داخل غرفة نومنا فوجدتها مُلتفة على سريرها مع
لُعبها، حلقتها أسود وعليه خدوش، مازالت فردة من خفّها عالقة بقدمها، وإحدى
عينيها مفتوحة.

كانت الجدران مطلية بالدم: نجومٌ خماسية كرموزٍ سحرية وكلمات قذرة، شياطين، كل شيء مكسّر، مُمزق، مُحطّم، مرطبانات الأغذية مهشمة على الجدران، والحبوب مُنتشرة على الأرض، قطعة من فطيرة أرز وُجدت في جرح في صدر أمي، الأذى كان عشوائياً. إحدى فرديتي حذاء ميشيل تدلّت أنشوطتها من مروحة السقف الرخيصة.

عرجتُ على قدمي لأصل إلى هاتف المطبخ، سحبته إلى الأرض وطلبتُ رقم خالتي دايان، الرقم الوحيد الذي حفظته عن ظهر قلب، وعندما أجابت دايان صرخت (جميعهم ماتوا) بصوتٍ شقّ أذني لحدّته، ثم حشرتُ نفسي في صدعٍ بين الثلاجة والفرن وانتظرتُ دايان.

في المستشفى؛ خدروني وبتروا ثلاثة أصابع أمتها الصقيع، مع نصف خنصري، منذ ذلك الوقت وأنا أنتظر الموت.

اعتدلتُ في جلستي يغمرني النور الكهربائي الأصفر. سحبتُ نفسي من مسرح الجريمة في بيتنا وعُدتُ إلى غرفة نومي وأنا شابة الآن، لم أكن لأمت طوال تلك السنين، كانت صحتي في اعتلال، لذا احتجتُ لخطّة. الحمد لله أن عقل آل داي المولع بتدبير المكائد عاد ببركة الإله يُفكّر لصالحِي. الصغيرة ليبي داي اكتشفت الآن أنها ملاك. سمّها غريزة حب البقاء، أو سمّها ما شئت: طمع مثلاً.

أولئك (المُتحمّسون لآل داي)، وأولئك (المُحلّلون) لن يدفعوا ثمن الرسائل القديمة فقط، ألم يسألوني أين يكون رنر، وأياً من أصدقاء بن ما زلت أعرف؟ إنهم سيدفعون أيضاً لقاء معلومات أنا فقط من يستطيع الحصول عليها، إن لدى أولئك المهرجين الذين يحفظون مخطط الأرض قبل بناء بيتي، من راكموا ملفات مملوءة بصور من مشهد الجرائم، لديهم جميعاً نظرياتهم الخاصة حول من قتل آل داي. لقد قضا وقتاً عصبياً في البحث عمّن يتحدث إليهم، لأنهم هواة، أنا يُمكنني فعل ذلك لأجلهم، والشرطة قد تُسايرني قليلاً حتى مع بعض الشكّ. يُمكنني التحدّث إلى والدي إن كان ذلك ما أرادوه حقاً، وإن استطعت العثور عليه.

ليس بالضرورة أن ذلك سيقودنا إلى أي شيء، في البيت وتحت ضوء الجردان الساطع، أشعر بالأمان ثانيةً، ذكّرتُ نفسي بأن بن كان مجرماً (عليه أن يكون، عليه أن يكون) لأنني لم أستطع أساساً الإمساك بأي احتمال آخر، ليس لأنني سأعمل، ولأنني احتجت للمرة الأولى خلال أربع وعشرين سنة لأن أعمل. بدأتُ أُجري عمليات حسابية في رأسي: 500 دولار، للحديث مع الشرطة؛ 400 دولار للحديث مع أحد أصدقاء بن؛ 1000 دولار للبحث عن رنر؛ 2000 دولار للحديث مع رنر. أنا واثقة من أن لدى الأنصار قائمة من الناس الذين يُمكنني التملُّق لهم لمنح اليتيمة داي بعضاً من وقتهم، وأستطيع إطالة الفترة لأشهر.

أشعر بالنعاس، وزجاجة الشراب مازالت في يدي، وأنا أوكد لنفسي: بن داي قاتل.

بن داي

2 كانون الثاني 1985

9:13 صباحاً

بن يدور بحرية فوق الجليد، ودولابا دراجته يتذبذبان، كان الممرّ مُعدّاً للدراجات البخارية، وفي وقت الصيف، أما الآن فهو مُتجمّد كلياً، لذا كان من الغباء ركوب الدراجة عليه، والأكثر غباءً ما كان يفعله الآن: هو يقود الدراجة بأقصى سرعة فوق الأرض الوعرة، سيقان الذرة المُتكسرة على الجانبين كأنها بيادر، وهو يقود وفقاً للصّاقة عليها صورة فراشة كانت إحدى أخواته قد ألصقتها فوق مؤشر السرعة، كانت مُلصقة هناك لأسابيع، تنتقل الفراشة بسرعة داخل وخارج بصره، كأنها تُعاكسه، لكن ذلك لم يكن كافياً للتلاعب معها، راهن أن ديب.بي هي من وضعتها هناك، لأنها قصيرة نظر وغبية.

كان بن في منتصف الطريق المُتألئ عندما صدم كومة تراب، دولاب دراجته الأمامي استدار كلياً نحو اليسار، وشبّ منصب الدراجة من تحته، هو لم يطر في الهواء تماماً، لكنه قُذف إلى الأعلى، وبقيت إحدى ساقيه مُعلّقة بالدراجة، وقع على الرصيف فانخدش ساعده الأيمن بأكواز الذرة، التوت ساقه اليمنى تحته، واصطدم رأسه بكومة تراب، اصطكت أسنانه ورنت مثل جرس.

بعد قليل من الوقت استطاع أن يتنفس ثانيةً - عشر دقائق من الوميض

والدموع - شعر بسيلٍ دافئٍ من الدم ينزل متلويًا ويجتاز عينيه، جيد؛ مسحه عن خده برؤوس أصابعه، ثم وفي الحال شعر بخطٍّ من الدم يسيل من شقٍّ في جبهته. تمنى لو كانت الضربة أقوى، فهو لم يسبق أن انكسر له عظم، حقيقة هو يعترف بها فقط عندما يكون مضغوطاً، (حقاً، أيها المُغجج، كيف تسير حياتك دون أن يتكسر فيك شيء؟ هل غلقتك أمك في فُقاعة؟).

في الربيع الفائت، اختلف مع بعض الشبان في مسبح المدينة، فوقف على لوح الغطس فوق المسبح الجاف، مُحدقاً إلى القاع الإسمنتي، يستعدُّ ليرمي نفسه فيه، ويتحطم فعلاً، لأنه ولدٌ مجنون وثبَّ عدّة مرات، ثم أخذ جرعة أخرى كبيرة من الويسكي، تَهزَّز صاعداً نازلاً أكثر، ومشى عائداً إلى الشباب الذين بالكاد يعرفهم، والذين كانوا يُراقبونه بزوايا أعينهم فقط.

عظمٌ مكسور سيكون أفضل، لكن لا بأس ببعض الدماء، كانت تسيلُ بشكلٍ مستمر الآن، منحدره على خده، إلى تحت ذقنه، وتتساقط على الجليد بركٌ مستديرة من الدم الأحمر الصافي.

الإبادة.

أنت الكلمة من فراغ، كان ذهنه مُشوشاً، عباراتٌ ومقاطع صغيرة من أغانٍ كانت دائماً محشورة هناك، إبادة.

لمعت في ذهنه صورة برايرة النورس، يلوحون بفؤوسٍ، تعجّب لبرهة، برهة فقط، إن كان مُتأسخاً، وما هذه إلا بعضٌ من ذكريات مُتراكمة، تمرّ في خاطره مثل الرماد، ثم التقط دراجته واستبعد الفكرة من ذهنه، هو لم يبلغ العاشرة بعد.

بدأ يقود دراجته، وركه الأيمن مُتشنّج، تزداد سخونة ذراعه من كشط قصبات الذرة، قد يكون تلقى كدمة قوية أيضاً. ديوندرأ أحبّت ذلك، مررت أصبعها بنعومة فوقها، دورتها مرة أو اثنتان ثم نقرتها بشكلٍ آلمه فقفز، كانت فتاة مغرمة بردود الفعل العنيفة. ديوندرأ؛ كانت تصيح، تبكي، تنبح عندما تضحك، تفتح عينيها على

وسعهما، ترفع حاجبها إلى خط شعرها تقريباً حين تريد أن تبدو مُدهشة، كانت تحب أن تقفز من خلف الأبواب لإخافته، فيقوم بمطاردتها، ديوندرا، فتاته هي ذاتها التي جعلته يُفكر بالأميرات أو عارضات التعري، لم يكن متأكداً أيّاً منهما تكون، فقد كانت مزيجاً من الاثنتين: غنية ورخيصة.

قعقع شيء ما مُتقلقل في دراجته، وأصدر صوتاً يشبه صوت مسمار في تنكة آتٍ من مكانٍ ما قرب الدوّاسات، توقف لحظة ليتفحص، يداه ورديتان ومُجعدتان من البرد مثل يدي رجل عجوز، وهو واهن تماماً مثله، لكنه لم يرَ مكان العطل، تجمّع الدم أكثر في عينيه، وهو مُصمّم على إيجاد العطل، تباً له، إنه عديم الفائدة، كان صغيراً جداً عندما غادر أبوه المنزل، ولم تسنح له الفرصة لتعلّم أي شيء عملي. رأى فتيناً يعملون في إصلاح الدراجات النارية والجرارات والسيارات، بدا له قلب المحركات مثل أمعاء معدنية لحيوان، لم يسبق له أن رآه. الآن هو يعرف الحيوانات، والبنادق، كان صياداً مثل أي فرد آخر في عائلته، لكنه لا يحتمل ذلك كثيراً نظراً لأن أمه كانت تصيد أفضل منه. أراد أن يكون رجلاً مفيداً، لكنه لم يكن متأكداً من كيفية حدوث ذلك، هذا الأمر يُخيفه للغاية. عاد والده ليعيش معهم في المزرعة، لبضعة شهور، هذا الصيف، وكان بن مُتفائلاً، مُتخيلاً أن الرجل سيُعلّمه شيئاً ما بعد كل هذا الوقت، أو أن يُزعج نفسه بأن يكون أباً، بدلاً من ذلك، كان رنر يقوم بكلّ الأعمال الميكانيكية لوحده، ولا يدعو بن حتى لمراقبة عمله. في الواقع كان رنر يقول بصراحة؛ إن على بن أن يبقى بعيداً عن طريقه، أمّا هو فيقول إن رنر يعتبره فتاة: عندما تتحدث أمه عن حاجتها لتثبيت شيء ما يقول رنر (ذلك عمل رجال) ويُطلق ضحكة مُتحدياً بن أن يوافق، هو لا يستطيع أن يطلب من رنر أن يُعلّمه أي شيء.

هو أيضاً، لا يملك مالاً، والأصح؛ أن لديه أربعة دولارات وثلاثين سنتاً في جيبه، ذلك هو كل مصروفه لهذا الأسبوع. لا تملك عائلته مالاً مُدخراً، حسابهم في البنك كان دائماً مُنخفضاً أو فارغاً تقريباً - في إحدى المرات رأى كشف حساب، وكان الرصيد دولاراً وعشرة سنتات بالضبط، إذن؛ وبكلمة واحدة، عائلته بأكملها تملك أقل

مما كان يحمله في معطفه حتى الآن. والدته عاجزة عن إدارة المزرعة بشكل جيد - وبطريقة ما كانت تُحاول انتشارها، لقد قامت بنقل حملٍ من الحنطة إلى مخازن الحبوب على ناقلةٍ مُستعارة، ولم تحصل على شيء - بل حصلت على أقلّ من تكلفة زراعتها - ومهما كان المبلغ الذي حصلت عليه، فهي مدينةٌ للناس، وكانت تقول دائماً: (الذئب عند الباب)، إنه يتخيّلها الآن كما كان يراها وهو صغير، مُتكنةً على الباب الخلفي، ترمي الأوراق النقدية الخضر على مجموعة أشخاص كالكلاب، وهم يختطفونها وكأنها لحم، ولم تكن كافية.

هل سيأخذ أحدٌ ما المزرعة منّا في مرحلة ما؟ هل سيأخذها أيّ أحد؟ أفضل شيء يمكن أن نفعله هو التخلص من المزرعة، ونبدأ من جديد، غير مُقيدين بمصدر العيش هذا، الكبير والقديم الفائدة. لكن المزرعة كانت قصر أبوي أمي، الذي ترتبط به عاطفياً، ومن الأنانية المُفرطة أن تُفكر ببيعها. كان بن يعمل كل الأسبوع في المزرعة، ثم يعود إلى المدرسة في أيام العطل ليعمل كعامل نظافة (مدرسة ومزرعة، ومزرعة ومدرسة، تلك هي حياته كلها قبل ديوندر. الآن لديه مثلث جيد من الأماكن ليرتادها: المدرسة والمزرعة وبيت ديوندر الكبير في طرف المدينة)، هو يُطعم القطيع ويجمع السماد في البيت، ويعمل أكثر بكثير في المدرسة، ينظف عُرف تبديل الملابس ويُنظف الكافيتريا، يُزيل براز الأولاد الآخرين، وفوق كل ذلك؛ المُتوقع منه أن يُحوّل نصف راتبه لأمه (حصّة العائلة)، نعم؟ حسناً؛ الآباء يعتنون بأطفالهم، ماذا عن ذلك؟ وماذا عن وجود ثلاثة أولاد زيادة في حين أنها تكاد لا تستطيع القيام بتربية الولد الأول؟

قعقت الدراجة بقربه، وبن ينتظر أن تتفكك كلها إلى قطعٍ مثل بعض أفلام الكرتون المُعاداة، وينتهي بالتجوال على مقعدٍ ودولابٍ واحد فقط، هو يكره أن يُجبر على قيادة الدراجة إلى أماكن مثل (أوباي) ذهاباً إلى بركة صيد السمك، ويكره أن يكون عاجزاً عن القيادة (لا شيء يُحزن أكثر من صبيٍّ لم يبلغ السادسة عشرة) سيقول له تري وهو يهزُّ رأسه وينفث الدخان في وجهه، تري كان يقول ذلك في كل

مرة ظهر فيها بن على دراجته أمام ديوندر. كان تري هادئاً في معظم الأحيان، لكنه كان من النوع المُستعدّ دائماً لأن يلکم شخصاً آخر، كان في التاسعة عشرة، ذا شعر أسود طويل ومُتلبد مثل قطران مُتجمّد منذ أسبوع، هو ابن عم ديوندر أو شيء من هذا القبيل، عمّ رئيسي أو صديق عائلة أو ابن بالتبني لصديق العائلة، إمّا أنه غير الحكاية عدّة مرات، وإمّا أن بن لم يُعره انتباهاً، وهذا هو الاحتمال الأصح، نظراً لأن بن حين يكون قريباً من تري يتوتر فوراً، يرتبك من حركات جسده، لماذا يقف على ساقيه في الزاوية؟ ماذا سيفعل بيديه؟ سيضعهما على خصره أم في جيبيه؟

أحد أمرين؛ إمّا أن يرفع من شأنك أو يسخر منك، كان تري من الشبان الذين يبحثون عن أشياء تافهة تماماً، لكنها خطأ فيك، لم تلاحظه أنت، وينشرها أمام الجميع، (قصيرٌ بشكلٍ لطيف)، كانت أول عبارة قالها له تري، كان بن يرتدي بنطال جينز من المُحتمل أن يكون أقصر من اللازم بنصف إنش أو بإنش، (قصيرٌ بشكلٍ لطيف) صرخت ديوندر، انتظرها بن لتتوقف عن الضحك، وليعود تري للحديث ثانية، انتظر لمدة عشر دقائق دون أن ينبس بكلمة، كان يحاول فقط أن يجلس في زاوية حيث لا يظهر جوربه كثيراً، ثم تراجع إلى الحمام، حلّ حزامه درجة واحدة، وأنزل بنطاله إلى وركيه، وعندما عاد إلى الغرفة - غرفة ديوندر المضافة تحت الأدرج، بسجادة زرقاء وأكياس قماشية صغيرة مملوءة بحبات الفول تُتخذ لُعباً للأطفال منشورة في كل مكان مثل الفطر - كان الشيء الثاني الذي قاله تري (حزامك وصل إلى مؤخرتك الآن، يا رجل، هل تستغبي أحداً).

نزل بن إلى الممشى في العزلة، البارد بسبب الشتاء، نُدفٌ كثيرة من الثلج تعوم في الهواء مثل ذرات الغبار، حتى وهو الآن في السادسة عشرة، لا يملك سيارة - أمه لديها سيارة كافالير ابتاعتها من مزادٍ علني، كانت سيارة أجرة وليس بمقدورهم تحمّل نفقات سيارة أخرى، وقد أخبرته أن عليهما أن يتشاركا في نفقاتها، ما جعل بن يُحجم عن استخدامها نهائياً، تخيل أنه يُحاول أن يُركب ديوندر في سيارة تفوح منها رائحة مئات الناس الآخرين، سيارة رائحتها تدلُّ على أنها مُستهلكة تماماً - رائحة

بطاها فرنسية قديمة - لطاها مُمارسات جنس لأناس آخرين - وعلى رأس ذلك؛ هي الآن مملوءة بكتب الفتيات المدرسية وألعااب منسوجة من الصوف، وأطواق بلاستيكية، هذا لا ينفعا. قالت له ديونءرا إنه يستطيع قيادة سيارتها (كانت في السابعة عشرة، وتلك مشكلة أخرى، فهي ليست من النوع الذي يتقبل أن تكون أءنى من صءيقتك بصقّين في المدرسة)، لكن المشءه سيكون أفضل: لو أن كليهما في سيارتها الحمراء C R X، بمؤخرتها المرتفعة على نوابض، سجائر ديونءرا المَطعمَة بالنعناع تملأ السيارة برائحة الءخان العطرة، تشفي المءبوح، نعم، أفضل.

قءاا السيارة خارج هذه المدينة الحمقاء، إلى وتشيئا، حيث يملك عمّها مءزنا للأءوات الرياضية، وقد يعطيه عملاً، كان بن قء حاول اللعا في فريقى كرة السلة وكرة القءم، وطُرد منهما مُبكرًا بقسوة من ءون رجعة لءا بءا قضاء أيامه في غرفة كبيرة مملوءة بكرات السلة وكرات القءم شيئًا من السُخرية، ثم أنه سيكون؛ بكل تلك المءءات من حوله قادرًا على التمرين وسيصبح جيءًا كفاية للانضمام إلى فريق الرجال أو أي شيء. بءا أن ذلك سيكون جانبًا إيجابيًا.

الجانب الإيجابى الأكبر هو ديونءرا طبعًا، هو وءيونءرا في شقتهما في وتشيئا؛ يأكلان وجبةً من ماكءونالءز، ويشاهدان التلفاز، ويمارسان الجنس، ويءءخان عُلبًا كاملةً من السجائر في الليلة. بن لا يءءن كثيرا إذا لم يكن في جوار ديونءرا - كانت هي المءمنة، هي تءءن كثيرا لءرعة أن رائحة الءخان تفوحُ منها حتى بعء الاستحمام، إن شقت جءءها، سيرشح منه بخار النعناع. أَلف بن تلك الرائحة، هي تُمثل له الراحة والبيت، كما تُمثل رائحة الخبز الساخن لشخصٍ آءر، إن هذا ما سيحصل: هو وءيونءرا بشعرها البنى المءولب المءجون بالجل (تلك رائحةٌ أخرى كانت تفوحُ منها كلّها - رائحة العنب الواخرة والحاءة من شعرها)، تجلس على الأريكة تُشاهد الأوبرا الصابونية (مسلسلات تُعالج مشاكل الحياة المنزلية)، تُتابعها يوميا، وهو يستعءد لمُشاهدة المسرحية: سيدات عريضات الأكتاف يشربن الشراب والماسات تتلألأ في أصابعهن وهن يقمن بالخيانة أو أن أزواجهن يخونونهن أو أن الناس فقءوا ذاكرتهم

ويخون بعضهم بعضاً. يعود هو من عمله إلى البيت، تفوح من يديه رائحة غبار جلد كرات السلّة، وتكون هي قد اشترت له وجبةً من ماكدونالدز أو تاكوبيل، وسيعرضان أفلاماً ويُنكتان على السيدات اللامعات في التلفاز، وتُحدّد ديوندرتا السيدات ذوات الأظافر الأجمل بينهن. هي تحبّ أظافرها؛ ثم ستلّح عليه كي تطلي أظافره، أو أن تضع له أحمر شفاه، ذلك ما تحب أن تفعله، هي تحب أن تجعله أجمل، ودائماً تقول إن الأمر سينتهي بهما في عراك على السرير عاريين وعبوات الكاتشب مُلتصقةً على قفاهما، وتُطلق ديوندرتا ضحكةً قرد بصوت عالٍ يدقُّ الجيران على إثرها السقف.

لم يكن هذا التصوّر كاملاً، فقد تعمّد ترك تفصيل واحد مُخيف جداً، فقط مسح حقائق مؤكّدة تماماً، ذلك ليس مؤشراً جيداً، والصحيح هو أن كل ذلك كان حلم يقظة، كان ولداً غيباً لا يمكنه حتى امتلاك شيءٍ صغير، كشقة في وتشيتا ولا حتى ذلك الشيء الصغير جداً يمكن أن يمتلكه. شعر بموجةٍ من غضب مألوف، كانت حياته خطأً طويلاً من الرفض، الرفض فقط ما ينتظره.

الإبادة. للمرة الثانية يرى فؤوساً وبنادق، أجساداً مُضرجةً بالدم تنهار على الأرض، إن الصراخ يفتح الطريق للأنين وغناء الطيور، رغب في أن ينزف أكثر.

ليبي داي الآن

عندما كنتُ صغيرة، عشتُ قُرابة خمسة أشهر مع ابن عم رنر الثاني في هولكومب كنساس، بينما كانت المسكينة خالتي دايان تتعافى من عامي الثاني عشر الصاخب بالتحديد. أنا لا أتذكر الكثير عن تلك الشهور الخمسة، عدا أننا قمنا برحلة مدرسيّة إلى دودج سيتي لنتعرّف إلى وايت إيرب. حسبنا أننا سنرى بنادق، وجواميس، وبنات هوى، لكنهم بدلاً من ذلك نقلوا ما يُقارب العشرين منّا وحشروهم في سلسلةٍ من عُرفٍ صغيرة للملفات، يبحثون فيها عن تسجيلات، وقضينا اليوم بأكمله مع ذرات الغبار ونحن ننتحب. إيرب نفسه لم يترك أي انطباع عندي، لكني أعشق أولئك الرجال أوغاد الغرب القديم، بشواربهم المُتهدّلة، وثيابهم المُتدلّية، وعيونهم التي تلمع مثل النيكل. كان الخارج عن القانون يُوصفُ دائماً بـ (كاذبٌ ولصّ)، وهناك في إحدى العُرفِ الداخلية العفنة، موظف الملفات المُتكاصل في أرشفتها، راودتني حالةٌ نفسيّة طيبة من لقاء مسافر قرين لي، لأنني اعتقدتُ أن ذلك القرين هو أنا.

أنا كاذبة وسارقة، لا تدعني أدخل بيتك. وإن فعلت لا تتركني وحدي، أنا آخذ أشياء، يُمكنك أن تضبطني وطوقك المشغول من اللآلئ الجميلة يُخشخش في كفيّ الصغيرتين الجشعتين، وسأقول لك إنه ذكّرني بطوق أمي، أردتُ لمس تلك اللآلئ فقط للحظة، وأنا آسفة؛ لا أعرف ما الذي اعتراني.

لم تمتلك أُمي مجوهرات، وهذه اللآلئ لا تحوّل لون جلدها للأخضر، لكنك لن تعرف ذلك، وسوف أسرق اللآلئ حين تُبعد نظرك عني.

أنا أسرق سراويل داخلية، خواتم، أقراص CD، كتباً، أحذية، أجهزة آي بود، ساعات، حين أذهب إلى حفلة في بيت أحدهم - ليس لديّ أصدقاء، لكن لديّ أناسٌ يدعونني إلى أماكن كهذه - أغادر الحفل وأنا مُرتدية بضعة قمصان تحت سترتي، مع زوجٍ من أحمر الشفاه الجيد في جيبِي، وكل ما أجده من نقود عائمة في حقيبة أو اثنتين، حتى أنني آخذ الحقيبة كلها أحياناً، إذا كان المُحتفلون ثملين ما فيه الكفاية، فقط أُلقيها على كتفي وأغادر، ومعِي حبوب أدوية، عطور، أزرار، أقلام، طعام. لديّ قارورة جلبها جدُّ أحدهم حين عاد من الحرب العالمية الثانية، لديّ قلم (في بيتا كابا) كسبه أحدهم من عمه المُفضل، ولديّ كوبٌ معدنيّ أثري مُتهالك نسيْتُ من أين سرقتَه، هو عندي منذ زمن طويل، أدّعي أنه مُتوارث وكان دائماً في عائلتي.

المُمتلكات الفعلية لعائلتي؛ هي تلك الصناديق الموجودة تحت درجات بيتي، وأنا لا أطيق النظر إليها. أحب أشياء الآخرين أكثر، فهي تحمل تاريخ أولئك الناس.

شيءٌ واحد في بيتي لم أسرقه، هو رواية عن جريمة حقيقية اسمها (حصاد الشيطان: ضحايا الشيطان في كناي كنساس)، صدرت في عام 1986، كتبتها صحفية سابقة تُدعى بارب إيشل، هذا كل ما أعرفه حقاً. ثلاثة من شبه الأصدقاء الشباب أعطوني نسخة عن الكتاب برزانة ووقار، تخلّصت منهم جميعاً فوراً، إن قلتُ لا أريد قراءة الكتاب فذلك يعني أنني لا أريد قراءته. إنها مثل عادتي في النوم دائماً، والمصاييح مُضاعة. أنا أقول لكل رجل أنام معه إنني أترك المصاييح مُضاعة دوماً، وهم دائماً يقولون شيئاً مثل (أنا سأعتني بك، يا صغيرتي)، ثم يحاولون إطفاء النور، بقولهم لا فرق، وهم بكل الأحوال يبدون مُندهشين من أنني أنام والمصاييح مُضاعة فعلاً.

نبشتُ رواية (حصاد الشيطان) من كدسة كتب مركونة في الزاوية، أحتفظ بها

لنفس السبب الذي يجعلني أحتفظ بصناديق أوراق وحماقات عائلي، فأنا قد أحتاجها يوماً ما، حتى لو لم أحتاجها، لا أريد لأحدٍ آخر أن يمتلكها.

جاء في صفحة الافتتاحية.

كناكي كنساس مجتمعٌ ريفي هادئ، في قلب أمريكا، حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً، يذهبون إلى الكنيسة معاً، يشيخون معاً، لكنها لم تكن مُحصَّنةً ضد الأشرار الآتين من العالم الخارجي. في ساعات الصباح الأولى من 3 كانون الثاني 1985، قام أولئك الأشرار بالقضاء على ثلاثة أفراد من عائلة داي في سيلٍ من الدماء والرعب. هي ليست حكاية قتل فقط، بل طقسٌ من شعائر الدم، والنزوع الفطري إلى الشرِّ المنتشر في كل أنحاء أمريكا، حتى في الأجواء العائلية الحميمة، التي تبدو في منأى عنها.

بدأت أذناي تطنّان بأصوات تلك الليلة: نخيرٌ ذكوريٌّ عالٍ، جيشان، عويل من حلقٍ جاف، صرخات أمي المشؤومة، مكانٌ مظلم. نظرتُ إلى صورة الغلاف الخلفية لبارب إيشل، شعرها قصيرٌ مُجعد، أقرطها مُتدلّية، ابتسامتها كئيبة، تقول في سيرة

حياتها الشخصية أنها عاشت في توبيكا كنساس، ولكن ذلك كان منذ عشرين سنة.

أحتاج لأن أتصل مع لايل ريث من أجل أموالى المقترحة، لكنى لست مهيأة لسماعه يُحاضر ثانيةً حول جريمة عائلتى (أنتِ حقاً تعتقدين أن بن مجرم!)، أحتاج لأن أكون قادرة على النقاش معه بدلاً من الجلوس هناك مثل الجاهلين وليس لى شيء مفيدٌ لأقوله. هذا ما أنا عليه أساساً.

تفحصت الكتاب أكثر قليلاً، وأنا مُستلقيةٌ على ظهري، مُستندةٌ إلى وسادةٍ مطويةٍ طيتين، كان باك يُراقبنى بعينيّ قطّ يقظ، لأية حركة منى نحو المطبخ. وصفت بارب إيشل، بن بأنه (متوحد، مُتشح بالسواد، غير اجتماعي وغاضب)، و(مهووسٌ بالأسلوب الأكثر وحشية من أغاني المزاج الهائج - يُدعى بلاك ميتال - التي راجت لتكون نداءات مُشفرة للشيطان نفسه ليس أكثر)، قلبتُ صفحات الكتاب بسرعة، بشكلٍ طبيعي، حتى وجدتُ إشارةً لى: (ملائكية؛ لكنها قوية)، (مُصممةٌ وحزينة) فى (جو من الاستقلالية لا تجده عادةً عند أطفالٍ بضعف عمرها)، عائلتنا كانت (سعيدة ونشطة جداً، تتطلع إلى مستقبلٍ فى جوٍ نظيفٍ وعيشةٍ صافية) ممم - ممم. من المفترض أن يكون هذا الكتاب عن الجرائم، الكتاب المُميز حتى الآن، بعد كل تلك الأصوات فى نادي القتل، التي تقول إننى كنتُ غبية، كنتُ أتوق لأتحدث مع أحد من خارج هذه المجموعة يؤمن بأن بن كان مذنباً، لىساندنى فى وجه لايل. تخيلتُ نفسى وأنا أفند الحقائق على أصابعى: (هذا، وهذا، وهذا يُثبت أنكم مُخطئون أيتها الحمير)، ولايل فاغراً فمه، مُدركاً أننى وبعد كل ذلك كنتُ على صواب.

ما زالت لى الرغبة فى أخذ نقوده إن أراد ذلك.

لا أعرف تحديداً من أين أبدأ. اتصلتُ بالاستعلامات فى توبيكا، وكانت أجمل ضربة حظ حصلت معى. حصلتُ على رقم هاتف بارب إيشل، ما زالت فى توبيكا وما زال رقمها فى الجدول. كان الحصول عليه عملاً فى منتهى السهولة.

رفعت السماعة؛ وعند الرنة الثانية ردت بصوت فرح وحاد، تغير حين أخبرتها من

أكون.

- أوه؛ ليب.بي. كنت أتساءل دوماً إن كنتِ ستتصلين بي يوماً ما. قالت بعد أن تنحنت إهإهإه، أو إن كنتُ أنا سأتواصل معكِ، أنا لم أعرف، لم أعرف....

يُمكنني أن أتخيلها تجولُ بعينيها في أنحاء الغرفة، تنقرُ بأظفارها؛ تتقلَّبُ، هي واحدةٌ من أولئك النسوة اللواتي يطلَّعن على قائمة الطعام عشرين دقيقة ثم يرتعبن عند وصول النادل.

- كنتُ آمل أن أتحدَّث معكِ حول... بن. قلتُ لها وأنا واثقةٌ من وقع كلامي.

- أعرف؛ أعرف، كتبتُ له عدَّة رسائل من الاعتذار طول تلك السنين، ليب.بي، أنا لا أعرف تماماً كم مرةً عليّ أن أقول أنا آسفة من أجل ذلك اللعين، الكتاب اللعين.

موقف بارب فيما قالته لم يكن متوقعاً.

أرادت بارب إيشل دعوتي للغداء لأنها رَغِبَتْ أن تشرح لي الأمر شخصياً، هي لم تُتابع ما حصل بعد ذلك، لذا عليّ أن أذهب إليها، وستكون مُمتنة لي، لحسن الحظ؛ توييكا ليست بعيدة عن مدينة كنساس. لم أكن مُتحمِّسةً للذهاب إلى هناك، فقد رأيتُ من هذه المدينة ما فيه الكفاية أثناء نشأتي. في المدينة جحيمٌ من العيادات النفسية، وعلى نحوٍ خطير، حتى أنه كانت هناك يافطةٌ على الطريق العام كُتِبَ عليها شيء ما مثل (أهلاً بكم في توييكا، عاصمة العلاج النفسي في العالم!)، المدينة كلها تعجُّ بأعمالٍ غريبةٍ ومُختصِّين بالمعالجة من دون أدوية، اعتدَّت أن أذهب إلى هناك بانتظام للعلاج من الاختلال، مريضةٌ زائرة ذات امتياز استشاري. بالنسبة إلى حالتي؛ كنا نتحدث عمّا ينتابني من كوابيس، نويات ذعر، ثورات غضب، كما تحدثنا عن ميلي للاعتداء الجسدي، خلال سنوات المراهقة، كانت المدينة كلها قلقة بقدر ما أنا قلقة. إن للعاصمة كنساس رائحة تُشبه رائحة فضلات بيت مجنون.

قرأتُ كتابَ بـارب قبل ذهابـي للقائـها، وتسلّحتُ بالحقائق والأسئلة، لكن جرّأتـي تدمّرت في مكانٍ ما خلال الساعات الثلاث التي قضيتها في مشوارٍ يستغرق ساعة قيادة واحدة. دخلتُ منعطفات عديدة بالخطأ، وأنا ألـعن نفسي لعدم امتلاكي إنترنت في البيت، وعجزت عن تحميل الاتجاهات في هاتفي، لا شبكة ولا كابل. أنا لا أفهم أشياء مثل: قصّات الشعر أو تبديل زيت السيارة، أو الزيارات لطبيب الأسنان. عندما انتقلتُ إلى بيتي؛ قضيتُ الشهر الثلاثة الأولى مُلتفّةً بالأغطية لأنني لا أتمكّن من إشعال الغاز، وقد قطعوه عن بيتي في الأعوام الأخيرة ثلاث مرات، لأنني أحياناً أعاني من مشاكل في الإنفاق، فلا أستطيع توقيع الشيك.

وصلتُ أخيراً إلى هناك، كان بيت بـارب بيتاً عائلياً بسيطاً، كتلة حجرية لطيفة من الجصّ طلّتها بالأخضر الفاتح، لون مُهدّئ للأعصاب، مجموعة أجراس هوائية. فتحت الباب وارتدّت إلى الخلف، كأنني فاجأتها، هي ما تزال بنفس قصّة الشعر مثل الصورة المطبوعة على كتابها. إلّا أن شعرها أصبح الآن حلقات شائكة من الشيب، تضع على عينيها نظارة لها سلسلة عقد، من ذلك النموذج الذي تُسميه العجائز (فانكي)، كانت تُقارب الخمسين من عمرها، عيناها سوداوان حادثان، جحظتا في وجهٍ نحيل.

- أوه؛ مرحباً لـيبـي! قالت بلهفة، وفجأةً حضنتني. بعضٌ من عظامها وكزني في ثديي الأيسر، رائحتها تُشبه عطر نبات الباتشولي والصوف. ادخلي، ادخلي... كلبٌ مُهجّن صغير جاء نحوي يقطّط على أرضية الغرفة وهو ينبج بسرور، ساعة جدارية ترنّ عند تمام الساعة.

- أوه؛ أرجو ألاّ تُضايقك الكلاب، إنه كلبٌ مُحبب. قالت وهي تراقبه يثبُّ عليّ.
أنا أكره الكلاب، حتى الصغيرة الظريفة منها. رفعتُ يديّ عالياً بانفعال، ليس مُداعبة له.

- تعال، يا ويني، دع صديقتنا تدخل. كلمته بلثغة الأطفال.

لم أحبه حتى بعد أن عرفت اسمه.

أجلستني في غرفة المعيشة، التي بدتْ محشوة: كراسي، أريكة، سجادة، وسائد، ستائر، كلّ شيء مكور ومغمور بمواد أخرى. دخلتُ وخرجتُ بسرعة، نادتنني من فوق كتفها بدلاً من أن تبقى واقفة، سألتني ماذا أريد أن أشرب مرتين. في كل الأحوال كنتُ أعرف أنها ستُقدّم لي كوباً من الكريستال مُتسخاً ورائحته سيئة مملوءاً بالشاي المُحضّر من جذور البابوري أو مشروب الياسمين المُعتق، لذا طلبتُ كأس ماء فقط. بحثتُ عن زجاجات مشروب كحولي فلم أعثر على أيّ منها. كان هناك بعض حبات الدواء كانت قد تناولتها هنا، كان كلّ شيء في هذه المرأة يتداعى: طق، طق وكأنها صُفّيت تماماً.

أحضرت سندويتشات على صوانٍ لنأكلها في غرفة الجلوس، الماء الذي طلبته كان كله مكعبات ثلج، شربته في جرعتين.

- إذن؛ كيف هو بن، ليب.ي؟ سألتني عندما جلست أخيراً. وضعت صينيّتها إلى جانبها بشكلٍ يسمح بانسحاب سريع.

- أوه؛ لا أدري، ليس لي اتصال معه.

بدتْ وكأنها لم تسمعي فعلاً، كانت تُديرُ مؤشر الراديو إلى محطتها المُفضلة، شيءٌ من موسيقى الجاز الخفيف.

- بصراحة، ليب.ي، أشعر بذنبٍ كبير لمُساهمتي في ذلك، على الرغم من أن الكتاب صدر بعد الحكم ولم يكن له تأثيرٌ فيه قالت على عجل مع ذلك، كنتُ جزءاً من ذلك الاستعجال في الحكم. كان ضمن المُهلة، كنتُ صغيرةً جداً، أعرف أنك لا تذكرين هذا، لكن الثمانينات، أعني تلك التي كانت تُدعى مرحلة تأليه الشيطان.

سألتها ماذا كانت؟ وتساءلتُ كم مرة استخدمت اسمي في حديثها، إنها تبدو وكأنها واحدة من أولئك.

- مُجمّع الطب النفسي كله، الشرطة، مُنفذو القانون، المؤسسة بمُجملها. اعتقدت أن كلّ شخصٍ هو من عبدة الشيطان، وبالعودة إلى ذلك الزمن فقد كانت نزعة شائعة. مالت برأسها نحوي، أقرطها تتمايل، يداها تعجنان الهواء. اعتقد الناس حقاً بوجود هذه الشبكة الواسعة من أتباع الشيطان، كان ذلك شيئاً مألوفاً، بدأ المراهقون يتصرفون بغرابة: إنه عابد شيطان. أعني؛ هل تذكرين مُحكمة روضة ماك مارتن؟ تعذب أولئك المعلمون المساكين لسنوات قبل أن تسقط عنهم الاتهامات. تأليه الشيطان كانت قصة جيدة، وأنا آمنتُ بها، ليب.ي، نحن لم نسأل كفاية.

شمشم الكلب فوقى وتوترت راجية بارب أن تُبعده، لكنها لم تلاحظ رغم أن عينيها كانتا مُركّزتين على زهرة عباد شمس زجاجية ملونة مُتدلّية من النافذة فوقى وتعكس ضوءاً ذهبياً.

- وأنا أعني أن القصة نجحت. تابعت بارب؛ وسأعترف الآن أنها استغرقت عقداً من الزمن. ليب.ي، انطلقتُ من مجموعة أدلة لا تُناسب فكرة بن الشيطانية هذه، وتجاهلتُ أعلاماً حمراً جليّة.

- مثل ماذا؟

- ممم، مثل حقيقة أنك كنتِ مُدربة تماماً، ذلك لأنك شاهدة موثوقة من دون شك، ذلك الضغط الذي مارسوه عليكِ لتشهدي (أغروك بالكلام)، كل ما فعلوه هو حشر الكلمات في رأسك.

- دكتور برونر؟ تذكرتُ برونر: وجوديّ نحيل مُسبل الشعر ومتأنق، له أنفٌ كبير وعينان صغيرتان - شكله يُشبه شكل حيوان أليف في كتب الروايات، كان الشخص الوحيد الواقف إلى جانب خالتي دايان الذي أحببت في تلك السنوات، والشخص الوحيد الذي تحدّثتُ معه عن تلك الليلة كان الدكتور برونر، لأن دايان لم ترضَ أن تسمعني.

- كواك. قالت بارب وفهقتها. كُدت أحتج دفاعاً عن نفسي فالمرأة دعنتي

بالكاذبة في وجهي، مع أن ما قلته كان صحيحاً، وما زالت تستهين بي، فتقول وماذا عن ادّعاء والدك وعشيقته تلك؟ لا شكّ في أن إثبات ذلك كان ضرورياً، ليس لدى ذلك الرجل عذر حقيقي، هو مدينٌ للكثير من الناس وبكثيرٍ من المال.

- أُمي لم يكن لديها أية نقود.

- كان لديها أكثر ممّا لدى والدك، صدّقيني. أرسلني أبي ذات مرة إلى بيت الجيران لأحصل على غداء مجاني، وطلب مني أن أفتش تحت مساند أريكتهم علّني أجدُ فُكَّةً من النقود فأجلبها له.

أضافت:

- لقد كانت هناك أيضاً آثارُ حذاء رجل في الدم، وذلك أمرٌ لم يُحقق أحد فيه، أضف إلى ذلك أن مشهد الجريمة كله كان مُلتبساً، وهذه قضية أخرى تخطّيتها في الكتاب، كان هناك أناس يدخلون إلى ذلك المكان ويخرجون منه طول النهار. دخلت خالتك وأخرجت ما في الخزائن من أسمال، ثيابٍ وأمتعة لك. كل ذلك كان مُخالفاً لقواعد إجراءات الشرطة، لكن أحداً لم يهتمّ بالأمر، كان الناس يُخططون، ولديهم صبيٌّ مُراهق غريب لم يحبه أحد في المدينة كلها، لا يملك مالاً، ولا يعرف كيف يعتني بنفسه، وقد تصادف أنه يحبّ (الهيبي ميتال)، كل هذه الأمور أوقعته في المتاعب، عدّلت جلستها وقالت: شيء مروّع، مأساة.

- هل يمكن لأي شيء أن يُخرج بن من السجن؟ سألتُ ومعدتي تؤلمني، فحقيقة أن الحكم النهائي بإدانة بن غيرَ رأيها كانت تُمرضني، وكأنني ألتقي الآن شخصاً آخر يُعلن أنني أقسمتُ يميناً كاذباً.

- حسناً، أنتِ تحاولين أن... صحيح؟ أعتقد أنه من المستحيل تقريباً أن نحلّ هذه الأشياء بعد كل تلك السنين، فمن المُحتمل أن تكون فرصته للاستئناف قد انتهت. هو بحاجة لأمر قضائي للتحقيق في قانونية سجنه وذلك... جميعكم ستحتاجون إلى دليل جديد مُقتع، ومن هذا الموقع تتدرج الكرة، دليل مثل الخضوع

الحقيقي لتحليل الحمض النووي، لكن، لسوء الحظ، تم إحراق جثث عائلتك، لذا...

- صحيح، حسناً، شكراً لك، أنا بحاجة للذهاب إلى البيت فوراً.

- أكرّر؛ لقد كتبتُ الكتاب بعد الحُكم، ولكن إن كان بإمكانني فعل أي شيء لمُساعدتك، أعلميني ليب.ي، أنا أتحمّل بعض اللوم، وأنا أتحمّل المسؤولية.

- هل قدمت أي تصريح؟ هل أخبرت الشرطة أنك لا تعتقد أن بن فعلها؟

- حسناً، لا، يبدو أن معظم الناس استنتجوا ومنذ وقت طويل أن بن لم يفعلها. قالت بارب وكان صوتها يعلو تدريجياً، أفترض أنك سحبت شهادتك رسمياً؟ أعتقد أن ذلك سيكون مُساعدة كبيرة لبن.

كانت تنتظرني لأقول المزيد، لأشرح لها سبب مجيئي الآن، لأقول لها: نعم؛ بالتأكيد، بن كان بريئاً وسأثبت هذا كله. جلستُ تنظر إليّ، تتناول غداءها، تمضغ كل لقمة بعناية فائقة. التقطتُ لفافتي - خيار وحُمص - ثم أعدتها، تاركةً بصمتي على الخبز الرطب. كانت الغرفة مُخططة برفوف كتب، لكنها احتوت على كتب الاعتماد على النفس فقط: (افتح شباكك لضوء الشمس!)، (هيا هيا يا فتاة)، (توقف عن مُعاقبة نفسك)، (قف - أفرد قامتك)، (كُن صديق نفسك المُفضّل)، (الانتقال إلى مكان آخر)، (الانتقال إلى الأعلى)، وهكذا دواليك، عناوين مُحفزة، مُفرحة، وعديمة الشفقة، وكلّما قرأتُ أكثر زاد شعوري بالبوُس، (المعالجة بالأعشاب)، (تفكير إيجاب.ي - الصفح على حساب الذات) مُفعم بالأخطاء، حتى أن لديها كتاباً عن الهزيمة المُبكرة، أنا لا أثق بالمُعتمدين على أنفسهم، منذ سنوات غادرتُ حانة مع صديق صديقي، شابّ طبيعي لطيفٌ وجذاب، عنده شقة في الجوار، بعد أن مارسنا الجنس، وبعد أن غرق في النوم، أخذتُ أحشر أنفي هنا وهناك في غرفته، فوجدتُ أن مكتبه مُغطى بمقالة قصيرة مُلصقة على المكتب:

لا تأسَ على الأشياء الصغيرة، إنها أشياء صغيرة.

فقط إن أوقفنا محاولتنا أن نكون سعداء
سنجد وقتاً جيداً ومُلائماً.
تمتّع بالحياة - لا أحد يخرج منها حيّاً.
لا تقلق، كُن سعيداً.

بالنسبة إليّ، كل ذلك التشجيع المُلح يُفزعني أكثر من العثور على كومةٍ من
الجماجم والشعر ما يزال عالقاً فيها. خرجتُ راضةً بمنتهى الهلع.
لم أطل البقاء مع بارب، غادرتُ بعد أن أعطيتها وعوداً بأن أتصل بها قريباً،
وسرقتُ من على طاولتها الجانبية مُثقلّة أوراق زرقاء على شكل قلب.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

9:42 صباحاً

كان المغطس مُلطخاً بالوحد الصبغي حيث صبغ بن شعره، أقفل باب الحمام على نفسه في وقت ما من الليل، جلس على كرسي التواليت المغلق، قرأ التعليمات على علبة صبغة الشعر التي وجدتها في سلة المهملات، على العلبة صورة لامرأة بشفاه وردية وشعر أسود فاحم، مُرتدية زيّ وصيفة. تساءلت إن كان بن قد سرقها، هي لا يمكنها أن تتخيل بن يحني ذقنه إلى صدره، يضع أدوات الصبغة على الرف، هو إذن سرقها. ثم في منتصف الليل، ابنها فعل كل ذلك بنفسه، عاير ومزج ورغى، ثم جلس في كومة وحلٍ من المواد الكيماوية على شعره الأحمر وانتظر.

الفكرة برُمّتها جعلتها حزينة بشكل لا يُصدّق، في بيت النساء هذا، ولدها يُلَوّن شعره في الليل بمُفرده. من الواضح أنه كان مُضحكاً أن تفكّر في أنه سيطلب منها المساعدة، ولكن أن يفعل شيئاً كهذا دون شريك بدا مُوحشاً جداً. دايان، أخت باتي الكبرى، ثقبت أذنيّ باتي في هذا الحمام نفسه منذ عقدين من الزمن. سخّنت باتي دبوساً بقِدّاحةٍ رخيصة، وقطعت دايان حبة البطاطا إلى نصفين وألصقت الجانب البارد الرطب خلف أذن باتي التي كانتا قد قامتا بتبريد شحمتها بمكعبٍ من الثلج، قالت دايان: اصمدي؛ اصمدي.. وغرست ذلك الدبوس في شحمة أذن باتي المطاطية.

لماذا احتاجتا البطاطا؟ لهدفٍ أو شيءٍ ما. باتي فقدت أعصابها بعد الأذن الأولى، وسقطت على حافة حوض الاستحمام، بقي رأس الدبوس عالقاً في شحمة أذنها، دايان قوية ولا تتزحزح وهي في قميص نوم ضخم. أطبقت عليها بدبوس حاراً آخر، (سأنتهي خلال ثانية، لا يمكنك ثقب واحدة فقط، بببب).

دايان، العاملة ترى أن الأعمال لا يمكن تركها بسبب الطقس أو الكسل، أو أذن مُرتجفة، وثلج ذائب، وأخت صغيرة خائفة.

برمت باتي قرطها الذهبيين، كان الأيسر بعيداً عن مركز الوسط، كانت غلظتها، لأنها تلوّت في الدقيقة الأخيرة. ما زال الثقبان موجودين كعلامتين على حيوية المراهقين، وهي من فعلتهما مع أختها، تماماً مثلما وضعت أحمر الشفاه للمرة الأولى، أو ثبتت المشابك البلاستيكية بالمناديل النسائية الصحيّة وبالقياس المناسب، بتاريخ ما من عام 1965 بعض الأشياء لم تكن مُعدّة لتفعلها بمفردك.

سكبت سائل التنظيف في المغطس وبدأت الكشط، تحوّل لون الماء إلى أخضر حبري، ستكون دايان هنا عاجلاً. كانت تأتي دائماً في مُنتصف الأسبوع إن كانت في - سيارتها -، كانت تلك طريققتها في جعل قيادة الثلاثين ميلاً إلى المزرعة تبدو وكأنها جزء من مهامها اليومية. دايان ستسخر من حكاية بن البطولية الأخيرة، عندما كانت باتي تقلق حول المدرسة، والمعلمين، والمزرعة، وبين، وزواجها، والأطفال. المزرعة (بعد عام 1980، كانت دائماً، دائماً، دائماً، المزرعة)، كانت تلتمس دايان وكأنها مشروب مُسكر، دايان تجلس في كرسي مُخضّر في مرآبهم، تُدخّن عدّة سجائر، وتؤكد أن باتي مُغفلة، تطلبُ منها أن تُخفف عن نفسها، فالمشاكل تجدك بسهولة دون أن تطلبها. بالنسبة إلى دايان المشاكل هي كائنات مُجسّدة، مخلوقات طفيلية بكلاّبات بدل الأصابع، خُلقت للتغلب عليها مباشرة. دايان لا تقلق وذلك لأنها امرأة أقلّ انفعالاً.

لكن باتي لم تستطع أن تُخفف عن نفسها. بن أصبح مُنغزلاً جداً هذا العام الذي

شارف على الانتهاء، وحول نفسه إلى هذا الشخص الغريب، ولد متوتر حبس نفسه بين جدران غرفته، يرفس الأرض على موسيقى تهز الجدران، الكلمات النارية الصارخة تتسرب من تحت بابه، كلمات مُرعبة. في البداية لم تحتمل سماعها، الموسيقى وحدها كانت مُروعة، مسعورة، لكنها في أحد الأيام جاءت من المدينة إلى البيت مُبكرة، وكان بن يعتقد أن البيت خالٍ، وقفت خلف بابه وسمعت التالي:

أنا انتهيت

أنا مُعطل

أخذ الشيطان رُوحِي

غاب التسجيل وجاءت الترنيمة الفظة مرةً ثانية: أنا انتهيت... أنا مُعطل... أخذ الشيطان رُوحِي... أنا ابن الشيطان الآن.

ومرةً ثالثة، ثم مرة، وعرفت باتي أن بن كان يقف فوق المُسجّل تماماً يُحرّك الإبرة ويُعيد الكلمات مرات ومرات، كأنها صلاة.

دايان هي من نحتاجها هنا الآن، لو كانت دايان هنا لاستقرت على الأريكة مثل دُبّ أليف في واحد من قمصانها القديمة، تلوك حبات من علكة النيكوتين، وتتحدث عن يوم عادت فيه باتي إلى البيت بستان قصير والناس تلهج بالموضوع، وكأنه كان قضية خاسرة. (وأنت لم تكوني كذلك، هل كنتِ؟ كنتِ طفلة صغيرة تماماً، وهكذا كان هو)، وتعضّ دايان على أصابعها وكأن الأمر كان بتلك البساطة.

البنات يلعبن عند باب الحمام، يجب أن يكنّ خارجاً عندما تظهر دايان. ينتظرنها، لكنهنّ عرفن من قيام باتي بالتنظيف وتمتمتها أن الأمر أبعد من ذلك، وأن شيئاً سيئاً قد حصل، كنّ يحاولن أن يحسمن أمرهنّ فيما إذا كانت الحالة تستدعي البكاء أو الاتهام المُضاد. عندما تصرخ باتي، يكون صراخها مُتعادلاً ثابتاً على

اثنتين من بناتها على الأقل، أما حين تقع إحداهن في مشكلة فيعصف البيت كله باللوم. نساء آل داي كنّ النموذج المثالي لعقلية الرُعا. وهنا هنّ في مزرعة مع مساحة وفيرة من البيادر.

غسلت يديها المُتشققتين الحمراءوين الخشتين ونظرت إلى نفسها في المرآة لتتأكد من أن عينيها لم تكونا دامعتين. كانت في الثانية والثلاثين من عمرها لكنها تبدو أكبر من ذلك بعشر سنوات، جبينها مُتغصّن مثل مروحة طفل ورقية، تشعّ من عينيها أرجل غراب، وقد غزا الشيبُ شعرها الأحمر، كأنه خيوط مُلولة، كانت نحيفة بشكل خالٍ من الجاذبية، جسمها لا شكل له، نتوءات وأربطة، كأنها ابتلعت كل ما وُضِعَ على الرفّ من خردوات: مطارق وحُبيبات نفتلين وبضع زجاجات قديمة، هي لم تكن تبدو شخصاً من النوع الذي ترغب بضمّه، وفي الحقيقة أطفالها لم يقتربوا منها أبداً طلباً للدفء والحنان. أحبّت ميشيل أن تُمشط شعرها (بعدوانية ونفاد صبر، وهي الطريقة التي تؤدي بها معظم أعمالها)، وديب-ي مُتكنة عليها حيثما وقفنا (مُسترخية وذاهلة، كما كانت طريقتها دوماً)، المسكينة ليبي كانت تحاول ألاّ تلمسها على الإطلاق، إلاّ إذا تأدّت فعلاً، وذلك يعطي انطباعاً أيضاً.

جسد باتي كان مُستهلكاً لدرجة أن حُلمتي ثدييها وهي في منتصف العشرينات من عمرها تعقدتا، ما اضطرها إلى أن تُطعم ليبي بالرضاعة مباشرة بعد الولادة.

لم يكن في الحمام الضيق خزانة للأدوية (ماذا ستفعل عندما تصل البنات إلى المدرسة الثانوية، حمام واحد لأربع نساء، وأين سيكون بنّ؟ خطر في ذهنها سريعاً صورة بانسة له في غرفة في فندق ما، يقوم بعمل كل شيء بمفرده في فوضى صيبانية من مناشف مُلوثة وحليب فاسد)، لذا أسندت مجموعة من الصابون والمساحيق بجانب المغطس، دفع بن كل هذه المُستوعبات في زاوية واحدة - مُزِيل العرق، وبخاخ الشعر، وعلبة بودرة أطفال، هي لا تتذكر متى اشترتها، جميعها الآن مُلطخة بنفس البقع البنفسجية التي لَطّخت المغطس، مسحتها وكأنها كانت من الصين، لم تكن باتي مستعدة لمشوار آخر إلى مخزن المقاطعة، قادت سيارتها إلى

سالينا منذ شهر مضى، وكان مزاجها إيجابياً مُشرقاً، لتشتري بعض مستلزمات التجميل: مُزيل الكريم، مرطب بشرة، قلم حمرة. وكانت قد طوت قائمة بقيمة عشرين دولاراً في جيبها الأمامي خصّصتها لهذا المشوار فقط. تبذير، لكن المبلغ حرمها حرية اختيار كريمات الوجه وحدها - مرطب ومُضاد تجاعيد، واقٍ من أشعة الشمس، أربكها، يمكن أن تشتري مرطب بشرة، لكن عليها الحصول على مُزيل أيضاً وشيء ما يُدعى (تونر) هذا حتى قبل أن تكون مُستعدة لشراء الكريم، وبذلك تكون قد هدرت خمسين دولاراً. غادرت المخزن دون أن تشتري شيئاً، يُغامرها شعور بأنها مُعاقبة وغيبية.

- لديك أربعة أولاد - لا أحد يتوقّع أن تظهرى مثل الزهرة، كان هذا جواب دايان، لكنها أرادت أن تبدو كالزهرة بين حين وآخر. منذ شهور عاد رنر، كأنه وقع من السماء بوجه أسمر وعينين زرقاوين وحكايات عن قوارب الصيد في آلاسكا وسباق سيارات في فلوريدا، وقف على عتبة بيتها، هزياً في بنطال جينز قذر، دون أن ينوّه عن الحقيقة التي لم يسمعوها منه خلال ثلاث سنوات، لم يحصلوا منه على أية نقود. سأل إن كان بإمكانه البقاء معهم حتى تستقر أموره، ومن الطبيعي أنه كان مُفلساً، رغم أنه أعطى ديب.ي نصف زجاجة كولا فاترة كان يشربها وكأنها كانت هدية رائعة. أقسم رنر أنه سيُرتب أمور المزرعة وسيجعلها مثالية، إن أرادت هي. كان الوقت صيفاً، تركته ينام على الأريكة، حيث ستركض البنات إليه صباحاً وهو منبطح، كرية الرائحة، وكأنه كان ينام في صناديق مُخلّعة، ونصف خصيتيه خارجاً.

سحر البنات - كان يدعوهن: فتاتي الدمية، ذات الوجه الملائكي - وحتى بن راقبه باهتمام ينتفضُ داخلاً وخارجاً بردود فعل مثل سمكة القرش. رنر لم يستطع أن يجذبُ بن فعلاً، لكنه حاول أن يمزح معه قليلاً ليكسب صداقته، طوّق بن بذراعيه كذكر، كان ذلك جيداً، قال أشياء مثل: (ذلك عمل رجال) وغمز بن. بعد الأسبوع الثالث، عاد رنر بشاحنته ومعه أريكة قديمة قابلة للطي، كان قد وجدها في مكان ما، واقترح عليهم أن يُقيم في المرأب، بدا الأمر مقبولاً، ساعدها في غسل الصحون،

وفتح لها الأبواب وتركها تضبطه وهو ينظر إلى مؤخرتها، ثم تجرّأ على معانقتها، تبادلاً قبلة سريعة ذات ليلة بينما كانت تُسَلِّمه أغطية نظيفة، وفي الحال أصبح فوقها، رفع قميصها، ضغطها إلى الجدار، سحب رأسها إلى الورا شاداً شعرها، لكنها دفعته عنها، وقالت له أنها غير مُستعدة لذلك، وحاولت أن تبتسم فعبس وهزّ برأسه ناظراً إليها من الأعلى إلى الأسفل، بشفتين مزمومتين، عندما بدلت ثيابها للنوم، شمّت رائحة النيكوتين من حيث أمسك بها تحت ثديها.

مكثَ شهراً آخر، يتبرّم بخُبث، يبدأ أعمالاً ويتركها نصف مُنجزّة، عندما طلبت منه خلال الإفطار في أحد الصباحات أن يغادر، وصفها بالساقطة، ورمى كأساً عليها فتناثرت بقايا العصير على السقف، وبعد أن غادر اكتشفت أنه سرق منها ستين دولاراً، وزجاجتي مشروب وصندوق مجوهرات سرعان ما اكتشف أن لا شيء فيه. انتقل إلى كوخ مُتداعٍ يبعد عنها ميلاً واحداً - يتصاعدُ من مدخنته الدخان في كل الأوقات، الوسيلة الوحيدة للحرارة. كانت تسمع أحياناً أعيرة نارية من مسافة بعيدة، صوتها يدلّ على أنها أطلقت في الهواء.

كانت تلك آخر غرامياتها مع الرجل الذي كان أباً لأولادها، والآن حان الوقت لتكون أكثر واقعية. رفعت باتي شعرها الجاف والثقيل خلف أذنيها وفتحت الباب، ميشيل جلستُ أمامها تماماً، تتظاهر بأنها تدرس على لوح أرضي، وتتفحص باتي من وراء نظارة رمادية صغيرة.

- هل بن في مازق؟ سألت لماذا فعل ذلك بشعره؟

- أنا أعتقد أنها آلام مُتزايدة. قالت باتي، بينما ميشيل كانت تأخذ نفساً عميقاً، هي دائماً تبلع الهواء قبل أن تقول شيئاً، كانت جعلها مُتراصّة، حلقات سريعة من الكلمات تقولها قبل أن تتنفس ثانية

سمعتنا صوت سيارة قادمة على الطريق العام، كان الطريق طويلاً، يصل المرء إليه وبعد دقيقة أخرى تصل السيارة. في كل الأحوال باتي عرفت أنها لم تكن أختها

رغم صياح البنات دايان! دايان! وركضهن على الفور نحو النافذة ليستطلعن، ثم أطلقن تنهدات خفيفة عندما عرفن أنها لم تكن دايان، بعد ذلك كله. لقد عرفت باتي في أية حال أنه لين مُحضِر الديون، هي تتعامل معه منذ عام 1981، وقتها غادر رنر مُعلنًا أن هذه الطريقة في الحياة ليست له، يتلقت حوله وكأن المكان له وليس لها ولابائها وأجدادها.

كل ما فعله كان الزواج منها، وتدمير هذا الزواج، فقيرٌ مُخيّب للرجاء. كانت أحلام رنر في أوجها في السبعينيات، عندما كان الناس يجنون الثروات من الزراعة، (ها! صاحت بصوت عالٍ، هناك في مطبخها، لمجرد الفكرة، تخيل)، استولت هي ورنر على المزرعة من أبويها في عام 1974، كانت صفقة كبيرة، أكبر حتى من زواجها وإنجابها لطفلها الأول، لم تؤثر أية واحدة من هذه التغييرات في أبويها الهادئين الطيبين. كان رنر غارقاً في المشاكل حينها، لكنهما باركاهما ولم يقلوا أي شيء ضده أبداً، عندما أخبرتهما في عمر السابعة عشرة أنها حاملٌ وأنهما قد تزوجا، كل ما قالاه: أوه؛ وكأن ذلك كان كافياً.

لدى باتي صورة ضبابية لليوم الذي أخذ المزرعة فيه: يظهر فيها أبواها صليبين مُفعمين بالحيوية، بيتسمان للكاميرا بخجل، وهي ورنر بيتسمان ابتسامة نصرٍ عريضة، شعرٌ وافر، شباب لا يُصدّق، تحمل زجاجة شمبانيا، لم يتناول والدها الشراب من قبل أبداً، لكنهما نزلا إلى المدينة وجلبا واحدة من أجل المناسبة وتناولوا الخبز المُحمّص مع الجيليه المُعتق.

سارت الأمور على نحوٍ خاطئٍ بسرعة، ولم تستطع باتي أن تضع اللوم كله على رنر، كان الناس يعتقدون في ذلك الوقت أن قيمة الأرض تجاري غزو الفضاء - (هم ما عادوا يستفيدون منها بشيء) - فلم لا يشترون أراضي أكثر، وأفضل، كل الوقت؟ (اغرس السياج إلى جانب السياج)، كانت تلك صرخة تحفيز. كُن مُغامراً، كُن شجاعاً. رنر بأحلامه الكبيرة وعدم خبرته ساقها إلى المصرف - وقد عقد ربطة عنق بلون شراب الليمون، سميكة كالحاف، تتحنح وتلعثم للحصول على القرض، وانتهى

الأمر بهما بأن حصلا على ضعف المبلغ الذي طلباه. كان يجب ألا يأخذه، ربما، لكن دائنهما قال: لا تقلقا، إنها أوقات ازدهار.

بددتها تماماً! صرخ رنر، وكان يقصد أن كل ذلك بسبب شرائهم لجرار، فجأة، وبذارة بستة صفوف، في الوقت الذي كانت أربعة منها تكفي، وخلال السنة كان هناك مُتألق أحمر هو كروس دومينتر ومجموعة جون دير الجديدة، فيرن إيفلي، والخمسة أكر المحترمة على الطريق، وقد وُضعت علامات تشير لكل جديد في حدود ملكيتهم. دائماً وبتريقيصة من حاجبيه، اشترى رنر أراضي أكثر، وقارب صيد، وعندما كانت باتي تسأله (هل هو متأكد، هل هو متأكد؟) يقطب جبينه وينبح: كم هو مؤذٍ ألا تكون واثقة فيه، ثم تدهور كل شيء إلى جهنم في الحال، كان كل شيء كأنه مزحة، كارتر والخطر الروسي (يشاربون الشيوعية، وينسون المزارعين)، ارتفعت نسبة الفائدة إلى 18%، قفز سعر الوقود إلى الأعلى ثم قفز إلى الأعلى، أفلست البنوك، دولٌ كانت بالكاد تسمع بها - الأرجنتين - أصبحت تنافس في السوق، تتنافس مع مؤخرتها في كناكي كنساس الصغيرة. بضع سنوات سيئة وانتهى رنر، هو لم يستطع أن يتغلب على كارتر أبداً - سمعت عن كارتر معه كل الوقت، كان رنر يجلس مع الشراب يُراقب الأخبار السيئة على التلفاز ويرى أسنان الأرنب تلك تلمع فتكمد عيناه، أصبح مُفعماً بالكراهية وبدا وكأنه يعرف ذلك الرجل فعلاً.

إذن، رنر لأم كارتر، ولكن كل شخص في المدينة الحقيبة، لامها هي. فيرن إيفلي يحدث صوتاً بلسانه كلما رآها، صوتاً مُجلاً، المزارعون الذين لم يكونوا مدينين لم يتعاطفوا معها، هم ينظرون إليك وكأنك تلعب عارياً في الثلج، ثم يريدون أن يمسحوا أنفك المُحتقن. في الصيف الماضي تماماً، تعطل عند مزارع ما قرب آرك سيتي القمع الذي يُغذي الطاحون، وانهاال عليه أربعة آلاف رطلٍ من القمح، وكان طول هذا الرجل ستة أقدام، فغرق في القمح، اختنق قبل إخراجها، كمن يختنق بالرمال، حزن كل شخص في كناكي عليه كثيراً - وأسفوا كثيراً لهذا الحادث الغريب - لكنهم تفاجؤوا جميعاً حين عرّفوا أن مزرعته كانت مرهونة، قالوا: (حسناً، كان

عليه أن يكون أكثر حرصاً)، ثم أُقيمت على إثر حادثته سريعاً؛ محاضرات عن اتخاذ الحذر وإصلاح المعدّات، كي تكون بأمان. لقد مات هذا الرجل المسكين برئتين مملوءتين من محصوله.

دينغ - دونغ، وصل لين وذلك ما كانت تخشاه تماماً، ناول ميشيل قبعة الصيد الصوفية، وناول ديب-ي معطفه الضخم، ثم نفّض الثلج بعناية عن حذائه الجديد اللامع. بن لا يستحسن ذلك الصنف من الأشخاص، فكّرت، قضى بن ساعات وهو يتفحص حذائه الجديد، وطلب من أخواته أن يدسّن عليه، كلّ بدورها، وعندما طلب لين من البنات أن يقتربن منه، حملت ليب-ي إليه من أريكتها وأدارت وجهها إلى التلفاز. ليب-ي تحب دايان، وهذا الرجل لم يكن دايان، هذا الرجل خدعها بالمجيء في الوقت الذي كان يجب أن تأتي فيه دايان.

لين لم يقل مرحباً كتحيّة أبداً، هو دائماً يقول شيئاً مثل (يوديل، هـ - ا - لو)، وعلى باتي أن تتوتر لدى سماعها في كل مرة، هي تجد وقعها سخيلاً جداً، الآن قالها بصوت عالٍ ما أن دخلت إلى البهو، فتوارت في الحمام لبرهة لتلغنه فقط، ثم رسمت ابتسامة على وجهها. لين دائماً يضمّها وذلك ما كانت متأكّدة تماماً أنه لا يفعله مع غيرها من المزارعين ممّن يحتاجون خدماته، لذا فقد ذهبت إلى ذراعيه المفتوحتين وتركته يقوم بضمّته تلك التي أطالها لمدة دقيقة كاملة، يداه على كوعها وتمكّنت من الإحساس به يحدث صوت امتصاص سريع، كأنه كان يشمّها، تفوح منه رائحة النقانق والمشروب.

في بعض المراحل، كان لين يقوم بإغرائها، مُجبراً إياها على اتخاذ قرار، كانت اللعبة مُحزنة جداً، جعلتها ترغب بالبكاء، الصياد والطريدة، لكنه كان عرضاً لنفسية مريضة، كان ذنباً قزماً بثلاثة أرجل، وهي كانت تعبئة كأرنب مُنْهك، لم يكن ذلك تصرفاً سامياً، (كيف هي فتاتي المزارعة؟) قال؛ وكان بينهما مفهوم أن سعيها في المزرعة وحدها ضرب من المزاح، وهي ظنّت أنه يتحدث عن هذه النقطة.

- أوه، مُعلّقة هناك، قالت.

ذهبت ديب.ي وميشيل إلى غرفة نومهما، شخرت ليب.ي غاضبة على الأريكة. في المرة الأخيرة التي قطع فيها لين كل هذه المسافة إلى بيتهم، كان عندهم مزاد علني، بعد بضعة أسابيع، بنات داي يختلسن النظر عبر النوافذ، بينما جيرانهن يدفعون أبخس الأثمان ويشترون المعدات التي تحتاجها لتدير عمل المزرعة. ميشيل وديب.ي تضايقتا لرؤية زميلتهما في المدرسة، بنات بويلر يتراكن مع أهلهن وكأنهن في نزهة، يتقافزن حول المزرعة. لِمَ لا نستطيع الخروج؟ انتحبن، وهنّ يلوين أنفسهن تعبيراً عن رجاء غاضب، يراقبن بنات بويلر يتناوين على أرجوحتهن التي ربما بيعت لهن أيضاً. ظلّت باتي تقول: أولئك الذين في الخارج ليسوا أصدقاءنا. الناس الذين أرسلوا لها بطاقات معايدة في أعياد الميلاد يضعون أيديهم على الحفّارات والمحاريث وكل الأشياء المُتعلّقة بذلك، بطرق مأكرة، يتذمّرون لدفع نصف ثمن أي شيء وهم يعرفون أنه يستحق أكثر. أخذ فيرن إيفلي آلة البذار، تلك التي تظاهر ذات مرة بأنه يمقتها كثيراً، وقد أنزل عملياً السعر عن السعر الأول للمزاد، بلا رحمة. هي لحقت فيرن بعد أسبوع إلى مخزن للطعام، احمرّت مؤخرة رقبتة وهو يتحاشاها، تبعته وكررت ثرثرته المُخجلة وقت المزاد في أذنه تماماً.

- حسناً؛ بالتأكيد تفوح رائحة طيبة هنا، قالها بامتعاض تقريباً، رائحة وكأن أحدهم حضر فطوراً جيداً.

- فطائر مُحلاة.

هزّت برأسها وهي تقول في سرّها (أرجوك لا تجعلني أسألك لِمَ أنت هنا، أرجوك ولمرة واحدة قل لماذا أتيت).

- هل يزعجك إن جلست؟ قال وهو يحشر نفسه بجانب ليب.ي على الأريكة، يداه صارمتان. أي واحدة هذه؟ قال وهو يفحص ليب.ي. لين قابل بناتها ما يزيد عن اثنتي عشرة مرة على الأقل، لكنه لا يستطيع أن يميّز واحدة من الأخرى، ولا يتجرأ

حتى على مناداة إحداهن بالاسم، ففي إحدى المرات نادى ميشيل بسوزان.

- تلك هي ليب.ي.

- فازت بالشعر الأحمر مثل أمها.

نعم، هي كذلك، باتي لا تستطيع أن تحمل نفسها على قول التفاصيل الدقيقة علانية. كانت تشعر بأنها تزداد إعياءً كلما توانى لين في الذهاب، اضطراب جسدها كان مُروعاً، خلفية سترتها أصبحت مُخضلة بالعرق.

- الأحمر يأتي من الإيرلنديين؟ جميعكم إيرلنديون؟

- ألمان، اسمي العذري كان كراوس.

- أوه؛ غريب لأن كراوس تعني الشعر الأجدد، وليس الشعر الأحمر، أنتم جميعاً

لا تملكون الشعر الأجدد، صحيح أن شعركم مُتموج إلى حدّ ما، أنا ألماني أيضاً.

لقد دار هذا الحديث بينهما من قبل، وكان دائماً ينحو في واحد من منحيين، هذا أحدهما، أما الآخر فيقول لين فيه؛ غريب إن اسمها العذري كراوس مثل اسم شركة المعدات الزراعية، ومن المؤسف أنه ليس لها علاقة بها، هه كل نسخة من هذا الكلام تجعلها تتوتر.

- إذن استسلمت أخيراً هل من خطب في ذلك؟

بدا لين غير راضٍ. هي تضع حداً للمحادثة، عبس في وجهها وكأنه وجد تصرفها فظاً.

- حسناً، الآن أنت من فتحت الموضوع، نعم أنا أخشى أن هناك بعض الأشياء

غير المُرضية. أردت المجيء لإخبارك شخصياً، هل تريدون أن نفعل هذا على انفراد؟ وأوماً إلى ليب.ي جاحظاً عينيه.

- هل تريد الذهاب إلى غرفة النوم أو شيئاً من هذا القبيل؟ لين له بطن كبير،

كان مدوراً تماماً تحت حزامه، يشبه بداية الحمل. لم ترغب في الذهاب معه إلى غرفة النوم.

- ليب.ي، هلاً تذهبين لتري ماذا تفعل أختك؟ أحتاج أن أتكلّم مع السيد ويرنر.

تنهدت ليب.ي وانزلت عن المقعد ببطء: أنزلت قدميها ثم ساقها ثم عقبها ثم مؤخرتها وكأنها مصنوعة من مادة غروية، ضربت الأرض، تدرجت فوقها بشكل مدروس عدّة مرات، زحفت قليلاً ثم وقفت على قدميها أخيراً وانسحبت إلى البهو. تبادل لين وباتي النظر، ثم عضّ على شفته السفلى وهزّ رأسه.

- سيقومون بحبس الرهن.

تقلّصت معدة باتي، هي لن تجلس أمام هذا الرجل، لن تبكي، ماذا يمكن أن نفعل؟

- نح... ن، أنا أخشى ألا يكون أماننا خيارات، أنا أخرجتهم ستة أشهر أكثر ممّا كانوا متأخرين، وضعتُ وظيفتي على المحك يا ابنة المزرعة.

ابتسم لها ويداه تشبكان ركبتيه، أرادت أن تخرمشه. أصدرت الأسرة في الغرفة الأخرى صريراً فعرفت باتي أن ديب.ي كانت تقفز على السرير، تلك كانت لعبتها المفضّلة، القفز من سرير لآخر في غرفة البنات.

- باتي، الطريقة الوحيدة لإصلاح ذلك هي الحصول على المال، الآن إن أردتِ الحفاظ على هذا المكان، أنا أتحدّث عن الاقتراض، التسوّل، السرقة. أقول لك انتهى وقت الكبرياء، لذا: إلى أي حدّ أنت تريدين هذه المزرعة؟

نوابض الأسرة علا صوتها وأصبح أقوى، وانقلب البيض في بطن باتي وبقي لين يبتسم.

ليبي داي الآن

بعد أن تفجّر رأس أمي؛ وتقطّع جسدها إلى نصفين تقريباً، تساءل الناس في كناكي إذا كانت مؤمساً، في البداية تساءلوا، ثم زعموا، ثم أصبحت حقيقة غير دقيقة. قالوا إن سيارات شوهدت قرب البيت في أوقات غربية من الليل، وقالوا إنها كانت تنظر إلى الرجال نظرة عاهرة، وفي حالات كهذه كان فيرن إيفلي يُعلق قائلاً: لا بدّ أنها باعت آلة البذار في عام 1983، وكأن ذلك كان دليلاً على أنها باعت نفسها.

من الطبيعي أن يقع اللوم على الضحية، لكن الشائعات تحوّلت إلى حقيقة: أصبح كل شخص له صديق عنده ابن عم له صديق آخر أقام علاقة مع أمي، وكل واحد عنده نبذة عن دليل: قالوا عن شامةٍ داخل فخذها، وندبةً على ردفها الأيمن، أنا لا أعتقد أن تلك القصص يمكن أن تكون صحيحة، لكنها تلائم الكثير من طفولتي. لا يمكنني أن أكون واثقة، إلى أي حدّ يمكنك أن تتذكّر من سنّ السابعة؟ صور أمي لا تُظهر أنها امرأة لعوب، في صورتها كفتاة مراهقة كان شعرها منطلقاً من ذيل حصان يُشبه الألعاب النارية، كانت عنواناً للمظهر الحسن، كانت من النوع الذي يُذكرك بجارٍ أو مربية أحببتها دائماً. في عشريناتها، ومع واحد أو اثنين من أربعة أطفال مُتسلّقين عليها، كانت ابتسامتها أكبر لكنها مشحونة، وكانت تميل مُبتعدة عن أهدنا، أتخيلها مُحاصرة باستمرار

من قِبَلِ أولادها، تحمل حملنا كله تماماً. لم يكن لها صور كثيرة في ثلاثيناتها، وفي الصور القليلة المتبقية كانت تضحك وكأنها مُجبرة. وفي إحدى تلك الصور كانت تبسم الابتسامة المعروفة للتصوير، والتي تختفي باختفاء ضوء الكاميرا. أنا لم أنظر إلى تلك الصور لسنوات، كانت ملامحها تدلّ بشكلٍ مُطلق على أنها تبحث في عقلها الباطن عن مفتاحٍ للألغاز: يدُ من تلك التي على كتفها؟ أين هي؟ وما هي المناسبة؟ حين كنتُ في سنِّ المراهقة حرّمتُ كل تلك الصور وأبعدتها مع بقية الأشياء الأخرى.

أقف الآن أنظر إلى الصناديق وهي قابعةٌ تحت درج بيتي، نظرة اعتذار. كنتُ أتهياً لأستعيد معرفتي بعائلتي، وكنتُ قد أحضرتُ ورقة من مفكرة ميشيل إلى نادي القتل، لأنني لم أحتمل أن أفتح تلك الصناديق بالفعل، وبدلاً من ذلك عمدتُ إلى زاوية كرتونة كان رباطها محلولاً، فكانت تلك أول شيء أسحبه، لعبة ترفيهية مُحزنة، إن كنتُ فعلاً سأستمر، إن كنتُ فعلاً سأفكر بالجرائم بعد كل هذه السنين التي حرّصتُ فيها على فعل العكس تماماً، أحتاج لأن أكون قادرةً على النظر إلى المُقتنيات المنزلية الأساسية دون هلع: خفاقة البيض المعدنية التي تُصدر أصواتاً مثل أجراس عربة الجليد حين تُشغّلها بسرعة كافية، السكاكين المحنية والشوكات التي دخلت أفواه عائلتي، دفتر رسم أو اثنان مع أقلام تلوين مُحدّدة الجوانب، إن كانت لميشيل، ومحفورة بخريشات أفقية إن كانت لي، يجب أن أنظر إليها على أنها أشياء فقط، ثم أقرّر ما هو للبيع.

بالنسبة إلى أعضاء نادي القتل التافهين، المواد المطلوبة من بيت آل داي، هي على الأغلب المواد غير المُتاحة، البندقية عيار (10) التي قتلت أُمي مثلاً - بندقيتها لصيد الإوز - المحجوبة عن الأنظار في درج الأدلة الجنائية، مع الفأس أيضاً، وهما من الأدوات التي كانت في سقيفة بيتنا، (كان ذلك سبباً آخر لإدانة بن: تلك الأسلحة كانت في بيتنا فالقتلة الخارجيون لا يأتون إلى بيتٍ نائمٍ بأيدي فارغة، آملين أن يجدوا أسلحة قتل في مُتناول اليد)، أحاول أحياناً أن أتخيّل كل تلك

الأشياء: الفأس، البندقية، الأغطية التي ماتت عليها ميشيل، كلها كانت مُلَطَّخةً بالدم، مُسودَّةً من الدخان، لزجة. هل كلُّها مجموعة في صندوق كبير؟ هل تم تنظيفها؟ كيف ستكون الرائحة إذا فتحت الصندوق؟ أنا أتذكّر بدقة، بعد الجريمة بساعات فقط، كانت رائحة الأرض عَفْنَة. هل أصبحت رائحتها أسوأ الآن، بعد عدَّة سنوات من التعفّن؟

كنتُ مرة في شيكاغو، ورأيت آثار مَقْتَل لنكولن في المتحف: خصلات من شعره، شظايا رصاص، السرير الجلدي المستطيل الذي توفي عليه، الفراش الذي بقي مُرتخياً في الوسط كأنه عَلِمَ كيف يحتفظ بأثره الأخير المُميّز الذي لا تُمكن إزالته. انتهيتُ راکضةً إلى الحمام، أضغط وجهي على الباب المعدني البارد لأتفادي الإغماء. كيف سيبدو البيت الذي قُتِلَ فيه آل داي، إذا جمعنا بقايا الجريمة كلِّها، ومن سيأتي لرؤيته؟ كم عدد خصلات شعر أمي التي ستكون مُلَطَّخة بالدم في حجرة العرض؟ ماذا حدّث للجدران المُلوّثة بتلك الكلمات الكريهة، حينما انهار بيتنا؟ هل يمكننا جمع باقة من القصب المُتجمّد حيث مكثتُ لساعاتٍ عديدة؟ أم أنني سأعرض نهاية إصبعي المُنقضم بالصقيع؟ وأصابعي الثلاث المقطوعة؟

ابتعدتُ عن الصناديق - كي لا أسترسل في هذه الأفكار - وجلستُ على المقعد الذي يقوم مقام طاولة الطعام في غرفتي، جَلَبَ لي البريد طرداً فيه أشياء عشوائية: عروض شخص مجنون من بارب إيشل، شريط فيديو، بتاريخ ما من عام 1984، بعنوان "تهديدٌ للطهارة - عبادة الشيطان في أمريكا"، قُصاصات مجموعة من قصص صحفية عن الجرائم، بضغ صور فورية لبارب إيشل واقفةً خارج مبنى المحكمة حيث جرّت محاكمة بن، ورقة مطوية بشكل أذن كلب كُتِبَ عليها (إن عائلتك مسجونة: تجاوزي القُضبان!).

انتزعتُ ملقط الورق من الرزمة ووضعتَه في كأسٍ للملاقط في المطبخ (ليس على أي أحد أن يشتري ملاقط للورق، أقلاماً أو أيّاً من تلك التجهيزات المكتبية المجانية)، ثم أدخلتُ شريط الفيديو في جهازَي القديم، نقرتُ زر التشغيل، أزيز،

طنين، صور لنجوم خماسية، ورجال برؤوس ماعز، صرخات فرق الروك، وصور موتى تلمع في الشاشة، رجلٌ بلحيةٍ مُمشطة جميلة كان يمشي في مُوازة خلفية مصوِّرة، مُفسراً أن (هذا الفيديو سيُساعِدكم في التعرّف على أتباع الشيطان، راقبوا أيضاً الإشارات إذ ربما كان أولئك الذين تحبونهم كثيراً يعبثون بهذا الخطر الحقيقي)، ويُجري مقابلات مع رجال دين، وشرطة، وبعض (أتباع الشيطان الفعليين)، وقد تزيّن أقوى اثنين منهم بخطوطٍ فوق عيونهما، ووضعاً حبالاً سوداً ونجوماً خماسية حول عنقيهما، لكنهما كانا جالسين في غرفة الجلوس على أريكةٍ مُخمليةٍ رخيصة، ويظهر في الوقت نفسه داخل المطبخ، حيث على اليمين يطنُ برّادٌ أصفر على مشمّع أرضية بلون الكرز، أستطيع أن أتخيلهما بعد المُقابلة، يبحثان في البرّاد عن سلطة التونا والكولا، وعباءتهما تُعرقلان طريقهما. أطفأتُ الفيديو حينما كان المُضيف ينصح الآباء بأن يُفتشوا بدقة عُرف أطفالهم بحثاً عن أشكال عمل الشيطان أو ألواح تحضير الأرواح.

ملاقط الورق كانت بلا فائدة، وليس لديّ فكرة عما أردتني بارب إيشل أن أفعل بصورها.

جلستُ مُحبطةً، ومُتكاسلةً، كان بإمكانني الذهاب إلى المكتبة لأرى الأشياء كما ينبغي، كان بإمكانني أن أتزوّد بمدخل إنترنت منزلي منذ ثلاثة أعوام، لكن حين قرّرتُ، بدا لي أن الأمرين ليسا خياراً ممكناً في الوقت الحالي، اكتأبتُ بشكلٍ عفوي - لذا اتصلتُ بلايل، رفع السّماعَة عند الرّنة الأولى.

- هااااي، ليب.ي، كنتُ سأهاتفك، أنا حقاً أردتُ أن أعتذر عما حدث في الأسبوع الماضي، لا بدّ أنك أحسستِ بالتهجّم عليكِ، وذلك لم يكن ما يُفترض أن يحدث.

كلام لطيف.

- نعم، لكنني تجاوزته فعلاً.

- أظن أنني لم أدرك أننا كلنا، لنا نظرياتنا الخاصة، أوه، لكن ولا واحدة من هذه النظريات تتضمن إدانة بن، أنا لا أعتقد أن إدانة بن ضمنها، ولم أعلم، ولم أضع في حسابي ذلك. صحيح، أنت تعرفين هذه الإدانة حقيقةً بالنسبة إليك، أعني أنا أعرف ذلك. نحن نعرف ذلك، لكننا في الوقت نفسه لا نريد ذلك. نحن حقاً لم نرغب فيه، أنا لا أعتقد. افهمي ذلك بالمُجمل، أنت قضيتِ وقتاً طويلاً في مناقشتهم، ومجادلتهم، وأصبح... لكن، حسناً، أنا آسف.

أنا لا أريد أن أحب لاييل ريث، رغم أنني تأكدتُ للتو أنه كان مُتضايقاً، لكنني معجبةٌ باعتذاره المباشر بالطريقة نفسها التي يستمتعُ بها شخصٌ لا يفهم الأنعام، بمقطوعة موسيقية رائعة. أنا لا أستطيع فعلها، لكنني أستحسنها في الآخرين.
- حسناً... قلتُ.

- هناك بلا شك أعضاء يرغبون في اكتساب أي شيء، أنت تعرفين، تذكارات تودين بيعها، إذا كان ذلك سبب اتصالك.

- أوه؛ لا... أنا احترت بكل ما في الكلمة من معنى، فكرتُ كثيراً في القضية، كان بإمكانني القول أيضاً: إنها بائنة، بائنة، بائنة بصوتٍ مرتفع.

التقينا في بارٍ ليس بعيداً عن بيتي، مكان يُدعى محل سارة، يستوقفني دائماً كاسمٍ غريب لبار، لكنه مكانٌ لطيفٌ كفاية، فيه عددٌ لا بأس به من الأمكنة، أنا لا أحب أن يطلع الناس على حياتي. كان لاييل جالساً، لكنه وقف حين دخلت، وانحنى ليضمّني، وقد تطلّب منه هذا الفعل الكثير من الدوران والطي من جسمه الطويل، كما لكز خدي بجانب نظارته، كان مُرتدياً سُترةً أخرى من أزياء الثمانينيات - إلا أن هذه كانت من الجوخ، ومزوّدة بأزرارٍ عسكرية. (لا تشرب وتقد السيارة)، (اعمل معروفاً عشوائياً)، (هزهز أوراق القرعة)، أحدثُ قرعةً حين عاد للجلوس، كان لاييل أصغر مني بعشر سنوات، هكذا خمنت، أنا لا يمكنني أن أحكم إن كان لمظهره خلفية هزلية مُتعمّدة، أم أنه مجرد أبله. بدأ يعتذر ثانية لكنني لم أرغب بالمزيد، اكتفيت، شكرت.

- انظر، أنا حتى لا أقول إنني اقتنعتُ بفكرة أن بن بريء، أو أنني ارتكبتُ أي خطأ في شهادتي.

فتح فمه ليقول شيئاً، ثم عاد فأغلقه.

- ولكن إذا كان عليّ أن أبحث في القضية أكثر، هل سيكون النادي قادراً على تمويلي لفعل ذلك؟ هل سيدفع مقابل وقتي، بطريقة ما؟

- واو، ليب، إنها أخبارٌ عظيمة أنك مُهتمةٌ بالنظر في هذا، قال لایل. أنا أكره نبرة الطفل هذه، كأنه لا يعرف أنه يتكلم إلى شخص مهم. هو كان من ذلك النوع الذي عندما ينتهي الدرس ويكون الأطفال على رؤوس أصابعهم مُستعدين للخروج والمعلم يسأل: هل من أسئلةٍ أخرى؟ يطرح أسئلة كثيرة بالفعل.

- أعني، إن الموضوع هو؛ نحن جميعاً لدينا نظريات حول هذه القضية، لكنّ هناك أبواباً عديدة ستُفتح لكِ أنتِ، أكثر من أي شخصٍ آخر. قال ذلك لایل وساقه تهتّرٌ بعصبية تحت الطاولة. أعني أن الناس فعلاً تريد أن تتحدّث إليك

- تمام، وأشرتُ إلى إبريق الشراب الذي وضعه لایل بجانبه، سكب لي في كأسٍ بلاستيكي أغلبه رغوة، ثم ضرب أصبعه على أنفه وغطّسه في الشراب، ثم قال: الزيت يُبدد الرغوة وسكب أكثر.

- إذن، ما نوع التعويض الذي تُفكرين به؟ وأعطاني الكأس، فوضعتُه أمامي أقلب الأمر إن كنتُ سأشربه أم لا.

- أعتقد أنها ستكون مسألة تعتمد على مسألة... قلتُ مُتظاهرةً بأنني أفكر بهذا الآن وللمرة الأولى... الأمر يتعلّق بصعوبة العثور على الشخص ويتوقف على الأسئلة التي تريدونني أن أسألها

- حسناً، أعتقد أن لدينا قائمة طويلة من الأسماء التي نريد منك التحدّث إليها، أحقاً؛ ليس لديك أي اتصال مع رنر؟ رنر هو من سيكون على رأس معظم القوائم.

العجوز الطيب المضروب في رأسه رنر، اتصل بـي مرة واحدة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، كان يُغمغم بشكلٍ جنوني في سماعة الهاتف، يبكي وي وي، هي ي ي، ويطلب مني أن أرسل له مالاً، ولا شيء منذ ذلك التاريخ، إلى جهنم. من قبل أيضاً لم يكن يتصل أكثر من ذلك، ظهر بشكلٍ مُتقطع في أثناء محاكمة بن، أحياناً بربطة عنق قديمة وسترة، وغالباً بالثياب التي ينام فيها، ثمّل إلى الحدّ الذي يجعله يتمايل، في نهاية المطاف طلب منه محامي الدفاع أن يتوقف عن المجيء، لأن ذلك مُسيء.

يبدو أن الوضع أسوأ الآن، فكل واحد في نادي القتل يعتقد أنه هو القاتل. كنتُ أعرف أنه دخل السجن ثلاث مرات قبل القتل، لكنه الآن في بلدة نائية، ومازال ذلك الرجل المُثقل بديون القمار دائماً - رنر يُراهن على كل شيء - الرياضة، سباق الكلاب، ألعاب القمار، الطقس، وقد سحب الدعم المادي الذي كان مُخصّصاً لأمي من أجل رعاية الأطفال، لذا فإن قتلنا كلنا سيكون بالنسبة إليه سبيلاً جيداً ليتحرّر من تلك المسؤولية.

لكني لا أتخيل أنه قادرٌ على تحمّل المسؤولية، فهو لم يكن ذكياً كفاية. هو بالتحديد، لم يكن طموحاً كفاية، لم يستطع أن يكون أباً لطفلته الوحيدة الباقية على قيد الحياة. كان يتسلّل حول كناكي لبضع سنين بعد الجرائم، ويسعى بعيداً لأشهر من الزمن، يرسل لي صناديق على شكل أنبوب من إيداهو أو ألاباما أو وينر، داكوتا الجنوبية: في داخلها تماثيل لفتيات صغيرات بعيونٍ كبيرة يحملن مظلات أو قططاً صغيرة، كانت تتكسر مع الوقت قبل أن تصل إليّ. عرفتُ أنه عاد إلى المدينة ليس لأنه جاء لزيارتي، وإنما ليُشعل النار في كوخه على التلّة، أنشدت حينها دايان: (جاد المسكين مات)، عندما رآته في المدينة وجهه مُلطّخٌ بهُباب الدخان، كان لديها شعور مُتداخل بين الشفقة والخوف منه عليه.

قد يكون نعمة أنه اختار أن يتجنّبني، حين عاد ليعيش معنا ومع أُمي ذلك الصيف الأخير قبل النهاية، كان كل ما يفعله يُضايقني، في البداية كانت تُضايقني

نظراته الخبيثة، يلتقط أنفك على سبيل المثال - ثم أنه كان مزعجاً تماماً، جاء في أحد الأيام من صيد السمك، دخل إلى البيت، يُخفق بجزمة كبيرة مُبلّلة مُخصّصة للخوض في المياه، قرع باب الحمام حين كنتُ في المغطس، عامداً إلى القوة معي، هيا افتحي، أحضرتُ لكِ مفاجأة!، أخيراً رفس الباب ففتحه على آخره، واندفعت معه رائحة الشراب، كان يضمّ شيئاً بين ذراعيه، قذفه بقوة، رمى سمكة سللور حيّة بطول قدمين في الماء معي، كانت حماقته هي ما أفرعني، حاولتُ أن أزحف خارج المغطس، فانزلق جلد السمكة الأملس على لحمي، فمها المشورب مفتوح منذ الأزل، يُمكنني أن أدسّ قدمي فيه فتزلق السمكة إلى الأعلى مشدودة مثل جزمة.

انطويتُ فوق حافة المغطس، ألهتُ فوق السجادة، ورنر يصرخ بي لأتوقف عن بكائي الطفولي اللعين قائلاً: كل واحد من أبنائي جبان، يبول في ثيابه من الخوف.

لم نتمكن من تنظيف أنفسنا لثلاثة أيام لأن رنر تعب كثيراً ليقتل ذلك الشيء. أعتقد أنني ورثتُ كسلي عنه.

- لا أعرف أبداً أين يكون رنر، آخر ما سمعته عنه أنه كان في مكانٍ ما من أركنساس، لكن ذلك كان منذ عام مضى على الأقل.

- حسناً، ستكون فكرة حسنة أن تحاولي جلبه، بعض الناس يريدونك أن تتكلمي معه تحديداً، على الرغم من أنني لا أعتقد أن رنر هو من فعلها. قال لایل، ربما الإحساس بثقل الديون، وتاريخه الغنفي هو من جعله يفعلها.

- جنون.

- جنون؟ ابتسم لایل بوقاحة لكن، هو لا يبدو ذكياً كفاية للتخلي عن ذلك، ليس تهجماً عليه.

- لم آخذ كلامك على هذا المحمل، إذن؛ لا بأس، ما هي فكرتك؟

- أنا لست مُستعداً تماماً للمُساهمة في ذلك بعد. رَبَّتْ على كدسة ملفات إلى جانبه، سَأدعُكَ تَطَّلِعِينَ على حقائق وثيقة الصلة بالقضية أولاً.

- أوه؛ لأجل محبة بيت قَلْتُ مُستدركةً، بينما شفتاي كانتا تشدَّان على حرف الباء، تلك كانت عبارة أُمِّي (لأجل محبة بيت، دعنا نهرب، أين مفاتيحي الرنَّانة).

- إذا كان بن بريئاً حقاً، فلمَ لا يحاول الخروج؟ سألتُ، وعلا صوتي، مُلْحاً في هذا المقطع الأخير، كأنين طفل: لكن لِمَ لا يمكنني الحصول على الحلاوة؟ عَرِفْتُ أنني كنتُ أَمَلُ في سَرِّي أن يكون بن بريئاً، وأن يعود إليّ، بن الذي عرفته، قبل أن أخاف منه، سمحتُ لنفسِي بلمحاتٍ خطيرة عنه خارج السجن، صاعداً إلى بيتي، يداهُ في جيبِيهِ (ذكرى أخرى عادت إليّ، وفجأةً تركتُ نفسي للتفكير ثانية: بن بيديه المُخبَّأتين دائماً في عمق جيبِيهِ، مُرتبك على الدوام)، تخيلتُ بن جالساً إلى طاولة عَشَائِي، هذا إن كان عندي طاولة للعشاء، سعيداً، مُتسامحاً، لم يؤذِ أحداً، كل ذلك كان ممكناً لو كان بريئاً.

(لو كانت... لو ولكن... حلويات ومُكسرات، لصار عيد الميلاد عندنا سعيداً جداً)، سمعتُ خالتي دايان تهدرُ في رأسي، هذه الكلمات كانت لعنة من أيام الطفولة، كانت تذكيراً متواصلًا بأن لا شيء ينتهي إلى الوضع الصحيح، ليس معي أنا فقط بل مع أيّ كان، ذلك هو سبب تلفيق أحدهم لقول كهذا، لذا علينا جميعاً أن نفهم أننا لن نحصل أبداً على ما نحتاجه.

الآن - أذكر، أذكر، أذكر، طفل آل داي - بن كان في البيت تلك الليلة، عندما نزلتُ من السرير لأذهب إلى غرفة أُمِّي، رأيتُ بابه المغلق والنور من تحته، دمدماتٌ في الداخل، هو كان هناك.

- يمكنكُ أن تذهب بي وتساليه، لتكن تلك خطوتك الأولى، اذهب بي وقابلي بن.

بن في السجن، قضيتُ العشرين سنة ونيّف الأخيرة رافضةً أن أتخيل المكان، والآن أتخيل أخي هناك، وراء الأسلاك، وراء الإسمنت المُسلَّح، في الأسفل بهو

رمادي ضيق وطويل، وهو داخل زنزانه، هل لديه صور للعائلة في أي مكان؟ بل هل يُسمح له بشيء كهذا؟ أدركتُ ثانيةً أنني لا أعرفُ شيئاً عن حياة بن، أنا حتى لا أعرف كيف تكون الزنزانه إلا ممّا شاهدته في أفلام السينما.

- لا، ليس بن. ليس بعد.

- هل هي مشكلة المال؟ سندفع لك مقابل ذلك.

- إنها مجموعة من الأشياء. قلتُ مُتذمّرة.

- حسناً... تُريدون أن تبحتني عن رنر إذن؟ أو... ماذا؟

جلسنا صامتين لا يعرف أحدنا ماذا يفعل بيديه، ولا يتمكّن أحدنا من النظر في عيني الآخر، حينما كنتُ طفلة، كانوا يُرسلونني باستمرار مع أطفال آخرين للعب في أيام العطل، وكانت التقلّصات تنتابني لشعوري بأنني أتعامل مع عُصبة، وذلك ما كان عليه لِقائي مع لائل: تلك الدقائق العشر الحرّة المرعبة، عندما يُغادر الكبار، لا يعرف أحد من الأطفال ماذا يريد الآخر، لذا فإنك تقف هناك إلى جانب التلفاز، وهم يُحذرونك ألاّ تعبت بالهوائي.

انتقيتُ حبات بقشرها من الفول السوداني من صحن الضيافة، هشة ومملوءة بالهواء كقشور الخنافس، ألقيتُ بضعاً منها في كأس الشراب طلباً للملح، لكزتها، تمايلت، مشروعني بالكامل بدا طفولياً ولافتاً للنظر. هل سأذهب حقاً وأتحدّث إلى الناس الذين ربما كانوا هم من قتلوا عائلتي؟ هل سأحاول حقاً أن أحلّ شيئاً ما؟ أن أقوم بأي عملٍ لمجرّد رغبتني في الاقتناع بأن بن كان بريئاً؟ أفلا أكون أكبر زديقة في التاريخ إذا كان بريئاً؟ حين أصبحتُ على وشك أن أستسلم للخطة انتابني شعورٌ غامرٌ بذلك الهجوم الكبير من الفراغ، عَلِمْتُ أن خبطني العبقريّة طارت، وأنا لا أملك المقدرة العقلية والقوة لتثبيتها.

لم يكن خياراً صحيحاً أن أعود إلى السرير وأنسى الموضوع برؤمته. عندي إيجازٌ

مُستحق، وسأحتاج مالاً للطعام في القريب العاجل. أستطيع الذهاب إلى المنظمة الاجتماعية لتحسين أحوال المواطنين، لكن ذلك يعني أن أستخرج توصيفاً لحالتي، وأنا أعرف كيف يذهبون إليها، ومن المُحتمل أن يكون موتي جوعاً أسرع من التعامل بالأوراق المطلوبة.

- أنا سأذهب وأتحدّث مع بن تمتت مُتذمّرة، سأبدأ من هناك، لكنني أحتاج إلى 300 دولارٍ. قلتُ ذلك وظننتُ أنني لن أحصل عليها فعلاً، لكن لاييل تناول حقيبة يد نايلون قديمة، حملها مع غليون، وعدّ 300 دولار، ولم يظهر عليه أنه غير سعيد.

- من أين حصلتَ على كل هذا المال، يا لاييل؟

ازداد قوة عند ذلك، جلس قبّالتي في كرسية.

- أنا أمين صندوق نادي القتل، لديّ مبلغ مُحدّد من الموارد المالية أصرفه وفقاً لما أراه مُناسباً، وهذا هو المشروع الذي اخترته لاستخدام هذا المبلغ.

واحمرّت أذنا لاييل مثل الأجنّة الغاضبة.

- أنت تختلس... وفجأةً أحببته أكثر.

بن داي

2 كانون الثاني 1985

10:18 صباحاً

المسافة من المزرعة إلى كناكي تستغرق ساعة قيادة على الدراجة الهوائية، ساعة على الأقل، وبالسرعة المعقولة، عندما لا يحول البرد رئتيك إلى صفيح أحمر، ولا يقطر الدم من وجنتيك. خطّط بن ليكون عمله في المدرسة في أوقات تكون فيها خالية تقريباً؛ هو لا يذهب إليها في يوم السبت مثلاً، لأن فريق المصارعة يشغل المبنى في أيام السبت، فيكون موقفه ضعيفاً جداً وهو يحمل ممسحةً بينما أولئك ذوو الأجسام الممتلئة، والعضلات المفتولة، الشباب المبهرجون يتبخثرون حوله، يبصقون العلكة على الأرض التي نظفتها للتوّ وينظرون إليك نصف مُذنبين ونصف مُتحدّين، إن تفتح فمك وتقول شيئاً.

اليوم هو الأربعاء، وما زلنا في عطلة عيد الميلاد، لذا يجب أن يكون المكان في حالة مُرضية بشكلٍ عام، غرفة الأثقال مشغولة دائماً، يصدر منها ذلك الصوت الذي يشبه ضربات قلب فولاذي ضخم، الوقت كان باكراً، الوقت المُبكر هو الأفضل دائماً، هو عادةً يذهب من الساعة الثامنة صباحاً ويظلّ حتى الظهر، يمسح ويقوم ويُلمّع مثل القرد النشيط، ويُنتهي ذلك العمل المقيت قبل أن يراه أحد. كان بن يشعر أحياناً أنه مثل قزم ساحر في حكايات الجنّيات، ينسلّ إلى الداخل ويترك كل شيء نظيفاً

العصرية تماماً، الجميع يعرفونها ولا يعرفونها في آن. عاشت حياتها بالطول والعرض، قضت معظمها في تكساس، كانت تكساس معيارها، فهي حين تفعل شيئاً يُمكن أن يغضبك، تقول: (هكذا يفعلونه في تكساس)، لا يهمها إن كان ما فعلته جيداً أو سيئاً لأنهم هكذا يفعلونه في تكساس.

قبل ديوندر، كان بن صيباً هائماً: مسكيناً، ابن مزرعة فعلاً، يتسكّع مع المزارعين الآخرين في زاوية مهملة من المدرسة، لم يكونوا ساذجين لدرجة أن يشتمهم الآخرون، فهم لا يضايقون أحداً. كانوا الصوت الخلفي للمدرسة الثانوية، كان ذلك بالنسبة إليه أسوأ من أن يكون ذليلاً، حسناً؛ ربما لا، ثم التقى الشاب ذا النظارة المُزدوجة الكبيرة، ولدٌ عرفه مذ كانا في روضة الأطفال، وقد كان عاثر الحظ دوماً. في الأسبوع الأول من المدرسة الثانوية تدعكل سرواله الداخلي - وتنوعت الحكايات عن كيفية حدوث ذلك، قال أحدهم أنه شاهد كتلاً من الغائط تسقط خارجة من سرواله وهو يتسلّق الحبل أثناء التمرين، وقال آخر أنه رآه يتخلّص من حملة في غرفة التفتقد، وهناك حكاية ثالثة ورابعة وخامسة. أهم ما في الموضوع، أنه اتسم بالسراويل الملوثة، كان يمشي خافضاً رأسه بين الحصص، وتلك النظارة التي بحجم القمر تتجه إلى الأرض، والنكات تنهال على رأسه: أنت يا ذا اللباس الملوث! يتابع مشيته، وعلى وجهه ابتسامة مُتجهمة، كأنه يتجاهل أنه هو المقصود بالنكتة. ثم نعم، كان هنالك أشياء أسوأ من أن تكون مهملًا، لكن بن لم يحبها، هو لا يرغب في أن يكون الولد اللطيف الهادئ ذا الشعر الأحمر، فهو منذ المرحلة الابتدائية، تافه مُمل.

إذاً الشكر الكبير لديوندر لأنها على الأقل دعت به بشكل خاص، هي في الحقيقة صدمته بسيارتها، وذلك كان السبب في لقائهما. كان الوقت صيفاً - حين تعارف الطلاب المُبتدئون إلى الطلاب الجُدد، كانت ثلاث ساعات مُزعجة، وفوق ذلك، انحرفت نحوه وصدمته، بينما كان يمشي عبر مرأب سيارات المدرسة، فطار أعلى من قبعتها تماماً، خرجت تصرخ عليه: ماذا بك، ما الذي يحصل معك؟ تفوح أنفاسها

برائحة الشراب المثلج، والزجاجات تفرقع عند قدميها في السيارة CRX، حينما اعتذر بن - هو اعتذر لها - عرفت ديوندرأ أنه لن يغضب عليها، فأصبحت لطيفة جداً، عرضت عليه أن توصله إلى البيت، لكنهما بدلاً من ذلك ذهبا خارج المدينة، ركنت السيارة وشربا الشراب المثلج أيضاً. قالت له ديوندرأ أن اسمها أليكسيس، لكنها بعد قليل أخبرته أنها كذبت عليه، وأن اسمها ديوندرأ، فأخبرها بن بأنه ما كان عليها أن تكذب في اسم جميل كهذا، وذلك ما جعلها سعيدة، وبعد فترة أطول بقليل قالت ديوندرأ: هل تعرف أن لك وجهاً جميلاً حقاً، ثم وبعد لحظات، قالت: أتريد أن تفعل شيئاً أم ماذا؟ ثم غرقا في ممارسة الجنس، تلك لم تكن المرة الأولى بالنسبة له، بل كانت الثانية فقط. بعد ساعة، كان على ديوندرأ الذهاب، لكنها قالت له إنه مستمع ممتاز، وإنه من الجيد أن يظل مستمعاً رائعاً. بعد ذلك كله لم يكن لديها الوقت لتوصله إلى البيت، فرمته في المكان نفسه حيث صدمته.

وهكذا بدأ يتواعدان، لم يعرف بن أصدقاءها في الواقع، ولم يرافقها في المدرسة. كانت ديوندرأ تثب داخل وخارج المدرسة مثل الطير الطنان، أحياناً تظهر وأحياناً لا. كان يكفيه أن يراها في عطلة نهاية الأسبوع، وفي مكانهما الخاص حيث لا تهمهما المدرسة، وجوده معها كان يُخفّف عنه، كان يشعر بأنه أكبر قدراً هناك.

أثناء الوقت الذي قاد فيه بن دراجته إلى كناكي، ركنت مجموعة من الشاحنات الكبيرة والصغيرة وسيارات رياضية قديمة في مرأب المدرسة، وركن لاعبو كرة السلة والمصارعون سياراتهم هناك أيضاً. هو يعرف سائق كل سيارة، فكر في أن يتملّص بسرعة، لكن ديوندرأ لن تعود إلى بيتها قبل ساعات، ولا يملك المال الكافي ليمضي وقته في استراحة الهمبرغر. صاحبها ذو الوجه الأحمر كان يجنّ جنونه من الأولاد الذين يتجمعون هناك دون أن يشتروا شيئاً، بالإضافة إلى أن الجلوس بمفردك إلى طاولة عشاء خلال عطلة الميلاد كان أسوأ من العمل فعلاً. شتم أمه لأنها وضعت في هذه الحالة الضاغطة. والدة ديوندرأ وأبوها لا يكثران لما تفعله.. يقضيان نصف وقتها خارج المدينة في عملهما في تكساس، حتى عندما طُردت ديوندرأ من

المدرسة بسبب غيابها أسبوعين كاملين الشهر الماضي، ضحكت أمها وقالت: (عندما تغيب القطط، هه، حبيبتي؟ حاولي أن تحلي بعض الوظائف المنزلية على الأقل).

المدخل الخلفي للمدرسة مغلق بسلاسل، لذا عليه أن يذهب من خلال غرفة تبديل الملابس، أزعجته رائحة الأجساد وبخاخات القدم حين دخوله، ضربات فوقية من ملعب كرة السلة، وقعقة من غرفة رفع الأثقال أكدت له أن غرف تبديل الملابس، على الأقل، ستكون فارغة. خارجاً في الممر، سمع صراخاً فردياً طويلاً - كووووبر! توقف! - كان الصدى ينعكس على الأرضية الرخامية مثل صراخ معركة، أحذية التنس تُصدر سحجات على أرضية القاعة، يفتح باب معدني مُحدثاً ضجة، ثم أصبح كل شيء هادئاً. مجرد جلبية في غرفتي التمرين والأثقال: ضربات، قعقة.

بين رياضيي المدرسة شيء اسمه الثقة، دلالة على عملهم كفريق، فهم لم يضعوا أقفالاً على خزائنهم، هم ربطوا بإنشوطات أحذيتهم الحلقات حيث يمر القفل بدلاً من ذلك، هناك على الأقل اثنتا عشرة أنشودة بيضاء معلقة على الخزائن، وبين يتردد كالعادة في النظر إلى داخل إحداها. بحق الجحيم، ماذا يحتاج هؤلاء الشباب في جميع الأحوال؟ إذا كان لديهم خزائن مدرسية للكتب، ماذا سيكون داخل صناديق التمرين هذه؟ هل يوجد مُزيل تعرق أو عطور أو نوع من الملابس الداخلية التي يفتقدها هو؟ هل هم جميعاً يلبسون النوع نفسه من الحمالات التي يضعها الرياضيون؟ ضربة - ضربة - قعقة - ضربة، أحد الأربطة معلق بشكل رخو، غير معقود، نتره سريعة فقط وتكون الخزانة مفتوحة، قبل أن يُراجع نفسه ويُقلع عن ذلك، سحب الرباط وبقوة وهدوء فتح المزلاج، لم يكن داخل الخزانة شيء ذو فائدة: بعض شورتات التمرين مُكبلة في الأسفل، لفّة من المجلات الرياضية، حقيبة رياضية مُعلقة تتدلى من خطاف، بدت الحقيبة كأنها تحوي عدّة أشياء، لذا انحنى بن إلى الداخل وفتح صاحبها.

- هيه!

التفت بن حوله، تَأرجحت الحقيبة بقوة، على الخطاف ووقعت في أسفل الخزانة، السيد كروجر، مُدرب المصارعة، كان واقفاً وبيده جريدة، وجهه المُبقع الخشن ملوياً إلى الأعلى.

- ماذا، بحقّ الجحيم، تعتقد أنك فاعلٌ في تلك الخزانة؟

- أنا؛ آه، كانت مفتوحة.

- ماذا؟

- كانت، أنا رأيتها مفتوحة. قال بن وأغلقها بهدوءٍ قدر المُستطاع، وهو يقول في نفسه: رجاءً، اللّعة، اللّعة، اللّعة، فقط لا تدع أيّاً من الفريق يرجع الآن، وفكّر بن، مُتخيلاً كل الوجوه غاضبة ومُصوّبة نحوه، والشتائم تنهال عليه.

- كانت مفتوحة؟ هل كنت بداخلها؟ ترك كروجر السؤال مُعلّقاً، ولم يتحرك، لم يُلَمَح إلى ما سيفعله، ولا إلى أي مستوى من المشاكل تنتمي هذه المشكلة. بن حاول التحديق في الأرض فقط، مُنتظراً العقوبة.

- قلتُ، لماذا كنت داخل الخزانة؟ وطوّح كروجر الصحيفة بيده السمينية.

- لا أعرف.

بقي الرجل العجوز واقفاً هناك، وبين يُفكّر طول الوقت، ليته يصرخ فقط ويدع المشكلة تمرّ.

- هل كنت ستأخذ شيئاً؟

- لا.

- إذن لماذا كنت في داخلها؟

- كنتُ فقط... انسحب بن قليلاً إلى الوراء اعتقدتُ أنني رأيتُ شيئاً ما.

- اعتقدت أنك رأيت شيئاً ما؟ ماذا؟

خطر في ذهن بن أشياء ممنوعة: حيوانات أليفة، مخدرات، مجلات إباحية، تخيل
مُفرقات نارية، وفكر للحظة أنه سيقول إن الخزانة كانت تحترق، فيصبح بطلاً.

- أوه؛ عيدان ثقاب.

- فكّرت أنك رأيت عيدان ثقاب؟ تحرك الدم في وجه كروجر من وجنتيه مباشرة
إلى اللحم تحت سوائفه المُجعدة.

- أردتُ سيجارة.

- أنت الفتى البوّاب، صحيح؟ شيء ما داي؟

لفظ كروجر الاسم بطريقة مُضحكة، بنّاتية. وتفحصت عيناه قصّة الشعر على
جبين بن، ثم تابع نظره رأساً إلى شعره.

- أنت صبغت شعرك؟

وقف بن تحت سقفه القشّيّ الأسود وشعر بنفسه مُصنّفاً منبوذاً، منسوباً إلى
مجموعة الخاسرين، متعاطي المخدرات، المنحلّين، المدخنين، كان مُتأكّداً أنه سمع
تلك الكلمات تُرمجر في عقل المُدرّب. تقلّصت شفة المُدرّب العليا.

- أخرج من هنا، اذهب ونظّف في مكانٍ آخر، ولا تعد إلى هنا حتى نذهب، أنت

غير مُرحب بك هنا، هل تفهم؟

هزّ بن برأسه.

- لم لا تقولها بصوتٍ مرتفع ونكون واضحين تماماً.

- أنا غير مُرحب بـبي هنا. تتم بن.

- اذهب الآن. قالها، وكان بن صبيّ في الخامسة من عمره يُعيدونه إلى أمه.

ذهب بن.

في أعلى الدرج وفي حجرة الحارس الرطبة، كانت قطرات العرق تتصبّب على ظهره، لم يكن بن يتنفس، نسي أن يتنفس لشدة غضبه، أخرج دلوّاً كبير الحجم ووضعه في الحوض، فتح عليه الماء الساخن، وسكب فيه السائل المزيل للون البول، تبخّر الأمونيا ألهب عينيه، ثم رفعه من حمّالته وكان ثقيلاً جداً، فمال وهو يحاول وضعه على حافة الحوض، وتدفّق ما يُقارب نصف جالون من الماء عليه من الأمام، فتبلّل حوضه وساقاه بشكلٍ مُزعج، بدا وكأنه بالّ على نفسه. الصببي الحاجب داي. التصقّ بنطاله بردفيه، وأصبح صلباً، أمامه ثلاث ساعات من العمل المُضني بساقين رطبتين وبنطال جينز كالكرتون.

- عليك اللّعة، أيّها النذل. تتمم بهدوء. رفس الجدار بحذاء العمل، ناثرًا الجصّ، وضربه بيده بعنف وهو يجار (اللّعة)، وعلا صوته إلى أبعد حدّ، فقبع في الحجرة كالجبان، قلقاً من أن يكون كروجر قد سمع الصرخة وقرّر أن يزيد من عقوبته.

لم يحدث شيء، ولم يكن لأحد أن يكثرث بما يحصل في حجرة الحارس.

كان من المُفترض أن يقوم بالتنظيف قبل أسبوع، لكن ديوندرًا بقيت تلحّ عليه أن يترك التنظيف في عطلة عيد الميلاد الرسمية، لذا كانت قاذورات الكافيتريا تملأ المكان وغلب الصودا القديمة والسوائل تسيلُ منها، لفافات السندويتش مُغطاة بسلطة الدجاج، والمُساعدات المُتعبنة من الغداء الخاصّ الأخير لعام 1984، أوعية الهمبرغر بصلصة البندورة الحلوة، جميعها تعفّنت، تلوّثت سترته وبنطاله بقليل من كل شيء، بالإضافة إلى الأمونيا وB.O، أصبحت رائحته مثل رائحة طعام قديم، لا يستطيع الذهاب إلى ديوندرًا بهذا الشكل. كم كان أحق ليضع خطّته بهذا الشكل، فيجعل مكان العمل الأول في المدرسة.

عليه أن يركب درّاجته إلى المنزل، يتجادل مع والدته - وتكون محاضرة لثلاثين دقيقة ليس أكثر - ثم حمّام، ويعود على درّاجته إلى مكان ديوندرًا، هذا إن لم تطرحه أمه أرضاً وتثبّته، ويتمكّن من المغادرة. إنه لا يعرف لماذا تفعل أمه ذلك، ذلك هو

جسده، وشعره، شعره الأسود المُحرّم اللعين.

مسح الأرض، ثم جمع أكياس الزبالة من عُرف المدرسين - هذا عمله اليومي المُفضّل لأنه يبدو كبيراً، إلّا أنه ليس إلّا جمع أكوام من الورق المُمزّق، خفيفة كأوراق الشجر، واجبه الأخير كان مسح القاعة المُوصلة بين المدرسة الثانوية والمدرسة الابتدائية (التي لها حارس أطفال مُعقد خاصّ بها)، الممر كان مُزوّداً بملاحظات تُشير إلى ملعب كرة القدم، وحلبة السباق، ونادي المسرح في الجانب المُخصّص للمدرسة الثانوية، ثم يُفسي بأناة إلى المكان المُخصّص للأطفال. الجدران مُغطاة بأحرف الأبجدية، وخطابات مُختزلة عن جورج واشنطن، أبواب زرق لامعة موسومة في مدخل المدرسة، لكنها كانت رسمية، حتى أنها كانت بلا أقفال. مسح آثار خطواته من المدرسة الثانوية إلى حديقة الأطفال، ورمى الممسحة في الدلو، ثم ركل الأشياء برُمّتها بعيداً عنه، تدرج الدلو بهدوء على الأرض الإسمنتية ثم ارتطم بالجدار واندلقت منه المياه بخجل.

من الحضانة حتى الصفّ الثامن، كان بن يذهب إلى مدرسة كناكي الابتدائية، صلته بذلك الجانب من المبنى أكبر من صلته بجانب المدرسة الثانوية، حيث يقف الآن، نماذج من مُلصقاتها المُهملة تعود إليه. خطر بباله أن يفتح الباب ويتجوّل عبر الصمت في الجانب الآخر، ثم كان هذا ما فعله، فقط ليقول مرحباً للمكان القديم. سمع بن الباب يُغلق خلفه، فشر براحة أكبر، الجدران هنا كانت بلون الليمون الأصفر، مع رسومات أكثر خارج كل صفّ. كناكي كانت صغيرة لدرجة أن لكلّ صفّ حجرة واحدة فقط، أمّا المدرسة الثانوية فكانت أكبر منها بمرتين، لأن بقية المُدن تُرسل طلابها إليها، لكن المدرسة الابتدائية كانت دائماً لطيفة وحميمية. على الجدار؛ اكتشف رسماً لشمسٍ ضاحكة، كُتبَ على أحد جوانبه ميشيل. د. العمر 10 سنوات، وهنا كان رسمٌ لقطّةٍ في احتفال، تنتعل حذاءً بكعب عالٍ - أو ربما كان كعباها عاليين - هي كانت في كل حال تبتم وتُسلم هدية لفأرٍ يحمل كعكة عيد ميلاد، ليب.ي. د. الصفّ الأول. بحث لكنه لم يجد شيئاً لديب.ي لم يكن متأكّداً من

أن الطفلة تستطيع الرسم، أخذ يُفكّر فيها، هي حاولت أن تساعد أمها في خبز الفطائر في إحدى المرات، كانت تتنفس بصعوبة وتُفسد الطبخة، ثم تأكل من الكعكة أكثر ممّا طبخت. ديب.بي لم تكن من ذلك النوع من الأطفال الذين لديهم أي شيء يمكن أن يوضع على الجدار.

كان هناك على طول الممر صفوف من صناديق صفراء، حيث يحتفظ الطلاب بأشياءهم الشخصية، كان اسم كل طفل مكتوب على صفحة معدنية موضوعة على صندوقه، فتح صندوق ليب.بي فوجد حبة سكاكر بطعم النعناع، امتصتها جزئياً، وملقط ورق، ديب.بي كان في صندوقها حقيبة غداء تفوح منها رائحة نتنة، أمّا صندوق ميشيل ففيه علبة أقلام تلوين ناشفة، بحث في بضعة صناديق أخرى فقط ليستمتع بوقتته، ويعرف كم يمتلكون من أدوات: أربع وستون علبة أقلام تلوين ماركة كرايولا، لعبة تعمل على البطارية، سيارات ودُمى، كمية كبيرة من الورق المقوى، حمّالات مفاتيح ومُلصقات كتب، وحقائب من غُلب الحلوى. شيء مُحزن، هذا ما تحصل عليه عندما يكون لك أطفال أكثر ممّا تستطيع أن ترعى، فكّر. كان ذلك ما تقوله له ديوندر دائماً عندما يذكر لها ظروف بيتهم الصعبة: (حسناً، لم يكن على أمك أن تُنجب هذا العدد من الأولاد إذاً)، ديوندر كانت طفلة وحيدة.

بدأ بن بالسير إلى جانب المدرسة الثانوية، ووجد نفسه يُمعن النظر في صناديق الصفّ الخامس، حيث كانت الفتاة الصغيرة كريسي والافتتان بادٍ عليه، كتبت اسمها بحروفٍ خضراء لامعة، ورسمت زهرة مرغريت بجانبه، جذابة، الفتاة كانت رمزاً للجاذبية، كأنها صورة في دعاية تجارية للحبوب: شعرٌ أشقر، عيان زرقاوان، اعتنى أبواها بتربيتها عنايةً فائقة، لا تُشبه أخواته، مقاس بنطالها مناسب، وكان دائماً نظيفاً ومكويماً، ألوان قمصانها تُلائم لون جواربها وملاقط شعرها، أو أي شيء تلبسه. ليس لها رائحة فم مثل ديب.بي ولا ندوب على يديها مثل ليب.بي، مثلهم جميعاً، أظفار يديها كانت دائماً مطلية باللون الوردى اللامع، يمكنك القول إن أمها قد طلّتها لها. راهن بن على أن صندوقها مملوء بكعك صغير على شكل دُمى وله رائحة التوت

والعاب أخرى تفوح منها رائحة طيبة.

حتى اسمها كان مناسباً - كريسي كيتس - كان اسماً طبيعياً وهادئاً تماماً، عندما ستصبح في المدرسة الثانوية، ستكون مُشجّعة. ذلك الشعر الأشقر الطويل ينساب على ظهرها، ومن المُحتمل أن تنسى أنها يوماً ما جنّ جنونها بهذا الصب.ي الكبير المُسمّى بن، وكم سيكون عمره حينها، عشرون؟ من المُحتمل أن يأتي من ويشيتا يوماً مع ديوندرًا لحضور لعبة كرة قدم، وتتنظر هي إلى الأعلى في منتصف قفزة وتراه، فتقطع عن الرقص لتبتسم ابتسامة بريئة وكبيرة، ثم تقوم بتلويحةٍ مثيرة، فتطلق ديوندرًا ضحكته هي ي ي ي - هاوووو وتقول له: (ألا يكفيك أن نصف المرأة التي في ويشيتا تحبك، أنت "تُصبص" على بنات المدرسة الثانوية الصغيرات المسكينات أيضاً؟).

قد لا يُقابل بن كريسي - كانت تسبق ميشيل بصفٍ واحد - لكنه رافقها يوماً ما في بداية العام الدراسي. السيدة ناجل، التي أحبّته دوماً، أبقتة ليساعدها كمرشدٍ في درس الفنون بعد المدرسة، ليومٍ واحدٍ فقط، لأن المرشد المُعتاد لم يظهر يومها. كان واجبه أن يعود إلى البيت، لكنه عَرَفَ أن أمه لن تستفيد منه في رعاية الصغيرات - هي كانت تضغط عليه ليساعد الصغيرات في البيت - فمزج الألوان كان في نظره عذاباً أكبر من جمع السماد. كانت كريسي واحدةً من هذا الصف، لكنها بدت غير مستمتعة بالرسم، كانت تحرك الألوان بفرشاتها حتى تحوّلت الورقة كلّها إلى اللون البني.

- تعرفين ماذا يُشبه ذلك.. قال لها.

- لظمة.. قالت وبدأت تضحك.

كانت عابثة، حتى وهي طفلة، يمكنك أن تقول إنها خلقت جذابة، ومن المفروض أن يحبّها الناس. حسناً، هو أحبها، تبادلًا الحديث بين فترات الصمت الطويلة.

- إذاً أين تعيشين؟

سكبت، مزجت، ومسحت ثم رمت الفرشاة في الماء وأجابت: - قرب سألينا.
- وأنتِ تجتازين كل هذا الطريق إلى هنا من أجل المدرسة؟
- لم ينتهوا من بناء مدرستنا حتى الآن، العام القادم سأذهب إليها فهي قريبة من بيتي.

- إنها مسافة طويلة بالسيارة.

صريز في المقعد، ترهل في الكتف.

- يوووب، أنا أكرهها، عليّ أن أنتظر لساعات بعد المدرسة حتى يأتي أبي ويأخذني.

- حسناً، الفن شيء جيد.

- أعتقد أنني أحب رقص الباليه أكثر، وذلك ما أفعله في عطلة نهاية الأسبوع.

قالت باليه في عطلة نهاية الأسبوع، هذا كثير، قد تكون واحدة من أولئك الأطفال ممن لديهم مسبح في فناء بيتهم، أما إن لم يكن مسبحاً، فمنصة ألعاب بهلوانية (ترامبولين)، فكر أن يقول لها أن لديهم أبقاراً في بيته، ويرى إن كانت تحب الحيوانات. لكنه شعر بأنه سيكون عنيفاً معها إن قال ذلك، فهي طفلة، لا بد أن كلامه سيجعلها تتأثر وتتخيل.

تطوع بالمساعدة في درس الفنون لبقية ذلك الشهر، كان يؤنب كريسي على رسوماتها السيئة (ماذا يُفترض أن تكون هذه، سلحفاة؟) فتقول: (لا، أنت أيها الأحمق الكبير، إنها سيارة أ.بي B.M.W)، ويتركها تسترسل في حديثها عن الباليه. في أحد الأيام تسللت فتاة كالعاصفة إلى المدرسة الثانوية في الجانب الآخر من المبنى، وكانت تنتظر عند خزائنه في بنطال جينز بفرشات لامعة على الجيب وقميص وردي برز منه قرصا شمع حيث يجب أن يكون ثدياها. لم يضايقها أحد، ما عدا فتاة من قريبات أمها حاولت أن تعيدها إلى الجانب الصحيح من المبنى.

- أنا بخير قالت لها، ثم قلبت شعرها، واستدارت نحو بن: أردتُ فقط أن أعطيك هذه. سلّمته ورقة مطوية على شكل مثلث، كان اسمه مكتوباً بحروف نافرة على الورقة من الأمام، ثم هزلت مُبتعدة. نصف عدد الطلاب الإجمالي كان حولها، لكن يبدو أنهم لم يلاحظوها.

ذات مرة كنتُ في درس الفنون، وقابلتُ صبياً
يُدعى بن
كان له قلبٌ، عَرَفْتُ أنني سأكسبه
له شعرٌ أحمر وبشرة ناعمة حقاً
هل أنت معي؟

في أسفل الورقة كان هناك حرف L كبير، مع - أونفر - إيتز - آتر، مكتوبة على طول حافة الورقة. هو رأى أصدقاء لأصدقاء معهم أوراق مثلها، لكنه لم يحصل على ورقة كهذه لنفسه من قبل. في شباط الماضي، حصل على ثلاث هدايا في عيد الحب، واحدة من المعلمة، وذلك أمر عادي، وواحدة من الفتاة الجميلة التي أعطت واحدة لكل شخص، وواحدة من فتاة الطوارئ السمينة التي تبدو دائماً على حافة البكاء.

الآن، ديوندرًا تكتب له أحياناً، لكن رسائلها لم تكن جذابة، كانت قذرة وغاضبة، أشياء تخريشها كرسالة من سجين، لم تكتب له إحداهن قصيدة أبداً، حتى أنها بدت أكثر جاذبية لأنها لم تهتم بأنه كان كبيراً عليها، كانت قصيدة حب من فتاة ليس عندها فكرة عن الجنس أو العادة السرية (أو متى يبدأ الأطفال الطبيعيون بممارسة

العادة السرية؟).

في اليوم التالي انتظرته خارج درس الفنون، وسألته إن كان سيجلس معها في بيت الدرج، وبعد دقيقة تماماً أجابها بنعم، تداعبا لساعة كاملة على تلك الدرجات الظليلة، وفي موقف ما أمسكت ذراعه وأسندتها على كتفها واندست فيه، كان يعرف أنه يجب أن يقول لها ألا تفعل، لكن ذلك جعله يشعر شعوراً حلواً وغير اعتيادي بالمرّة، رائع إلى أبعد حدّ. إنها ليست مثل ديوندر مهووسة جنس تخدم وتصرخ، وليست مثل أخواته يتدخلن في ما لا يعنيهن ويثرن الفوضى في المنزل. لكنها حلوة كما يجب أن تكون الفتاة. وضعت أحمر شفاه له رائحة العلكة، في الوقت الذي لا يملك فيه ثمن علكة - كم كان ذلك صعباً - العلكة تجعل فمه رطباً.

بقيا على هذا الحال في الشهور الأخيرة، يجلسان في بيت الدرج، ينتظران والدها، لم يتحدثا أبداً عن عطلة نهاية الأسبوع، وفي بعض الأحيان كانت تنسى حتى أن تنتظره، وهو واقف في بيت الدرج مثل البوليس السري، مُمسكاً برزمة من القناني الدافئة التي وجدها وهو ينظف الكافيتيريا. كريسي كانت تحب الأشياء الحلوة، أخواته كنّ يحببن الحلوى أيضاً، هن يبحثن عن السكر مثل الخنافس، عاد في إحدى المرات إلى البيت ليجد ليببي تأكل الجيلييه مباشرة من المرطبان.

ديوندر لم تعرف أبداً ما يحصل مع كريسي، فهي عندما تأتي إلى المدرسة تعود مباشرة إلى البيت الساعة 3:16 لتتابع مسلسل سويس آندو نابو، (هي عادةً تفعل ذلك بينما تأكل خبطة الكعك مباشرة من الخلاط، ما هو سرّ البنات مع السكر؟). لم يكن في الأمر أي خطأ حتى لو عرفت ديوندر، هو كان بمثابة مرشد ومستشار، شاباً أكبر سناً يرشد فتاة كيف تحلّ وظائفها، ويحدثها عن المدرسة الثانوية، ربما هو سيدرس علم نفس، أو يصبح معلماً، أبوه كان أكبر من أمه بخمس سنوات.

الشيء الوحيد المشكوك فيه بينه وبين كريسي حدث قبل عيد الميلاد تماماً، ولن يحدث ثانية. كانا جالسين في بيت الدرج - يشرب كلّ منهما عصير تفاح أخضر

جولي رانشرز وجوستلينغ، وفجأة كانت أقرب إليه من المعتاد، أحسّ بنكزة خفيفة من حلمة ثدي على ساعده، وكانت رائحة التفاح لاهبة على عنقه، وهي مُتشبّهة به تماماً، ولا تقول شيئاً، فقط كانت تتنفس، هو يشعر بضربات قلبها مثل هرة صغيرة على عضلات ذراعه، وأصابعها تتلوى تحت إبطيه، ثم فجأة أصبحت شفاتها على أذنه تماماً، رطب ذلك النفس أذنه، كانت لثته تنكمش من لذعة الحلاوة، ثم انسابت الشفتان إلى خده فأحدثتا رعشات في ساعديه، ولم يعرف أيّ منهما ما الذي يحصل، أصبح وجهها أمام وجهه، شفاتها تضغطان شفتيه، جمداً فعلاً، بقيا كذلك تماماً وضربات قلبيهما مُتطابقة، جسدها الآن كلياً بين ساقيه، ويداه مُثبتتان على جنبيه، تصبباً عرقاً، ثم قام بحركة صغيرة من شفتيه، فتحة صغيرة فقط وكان لسانها داخل فمه لزجاً، يلحق ويتذوق كلاهما التفاح الأخضر، انتصب قضيبه وحسب أنه سينفجر في سرواله، فوضع يده على خصرها، أمسكها لبرهة ثم أبعدا عنه وركض على الدرج إلى حمام الصبيان وهو يصيح؛ آسف آسف وراء الباب. فعلها في المبولة في وقتها بالضبط، اهتزّ مرتين فقط، وانتهى كل شيء فوق يديه.

ليبي داي الآن

إذن سأقابل أخي، وقد كبرنا. بعد أن تناولت الشراب مع لایل، ذهبت إلى البيت بالفعل، واطّلتُ على كتاب برب إيشيل المعنون "عائلتك في السجن: تجاوزي القضبان!". وبعد قراءة بضعة فصول مشوشة حول الإدارة في نظام السجن في ولاية فلوريدا، قلبتُ الصفحات المصفّرة بحثاً عن عام النشر: 1985، قد يكون مفيداً. تضايقتُ من استلام رزمة تافهة من برب: نشراتٌ عن حدائق آلاباما الميتة نتيجة انزلاق المياه، بحوث موجزة عن نفايات فنادق لاس فيغاس، تحذيرات عن جراثمة Y2K.

انتهيتُ إلى أن أسلم لایل أمور الترتيبات، أخبرته بأنني عاجزةٌ عن الوصول إلى الشخص المناسب، وأنه هو على دراية أكثر مني بكل هذه الأمور، لكن الحقيقة كانت أنني أنا لم أكن أرغب بفعلها. لم تكن لديّ القدرة: أطلب أرقاماً، وأنتظر على الخط، أتكلّم، أنتظر، ثم أكون شاكرة جداً لامرأة ثرثارة، لديها ثلاثة أولاد تنتظر نتائجهم السنوية للذهاب إلى الكلية. بعض النساء يتذبذبن على أمل أن تعطين سبباً لينفجرن فيك. صحيح إنهن عاهرات، لكنك لا تستطيع تسميتهن بذلك وإلا ستفاجأ بأنك ما زلت في مكانك. بل تهوي وتنزلق إلى البداية، وهذا ما يفرض عليك أن تكون لطيفاً أكثر عندما تردّ على الهاتف. ليقم لایل بهذه المهمة.

يقع سجن بن مباشرة خارج كناكي، وقد تمّ بناؤه في عام 1997، بعد سلسلة أخرى من الاندماجات الزراعية. كناكي تقع تقريباً في وسط كنساس، هي ليست بعيدة عن حدود نبراسكا، وقد صادف ذات مرة أن تكون المركز الجغرافي لثمان وأربعين ولاية متحدة. هي بمثابة القلب لأمریکا، كان لها شأنٌ كبير في الثمانينيات، عندما كنا جميعاً وطنيين، انتزعت المدن الأخرى اللقب من كناكي، لكن الكناكيين تجاهلوا بعناد وفخر، كانت هي الوحيدة ذات الشأن بين تلك المدن. باعت الغرفة التجارية ملصقات تجارية وقمصاناً مكتوباً عليها اسم المدينة داخل قلب. كانت دايان تشتري لكلّ منا، نحن الفتيات، قمصاناً جديدة منها في كل عام. أولاً؛ لأننا نحب أي شيء على شكل قلب، وثانياً؛ لأن كناكي هي كلمة هندية قديمة، معناها المرأة الصغيرة الفاتنة. حاولت دايان دائماً أن تجعلنا نبدو أكثر أنوثة، سخرت أمي من ذلك لأنها هي تفتقد الكثير من الأنوثة، وتلك كانت البداية. أنا لا أذكرها تتحدث عن هذا الشيء، لكني أذكر دايان، مُتحررة وغازبة كما كانت دائماً بعد الجرائم، تُدخّن سيجارة في مقطورتها، وتشرب الشاي المُثلج في كأس بلاستيكي مطبوع على جانبه اسمها بأحرفٍ كبيرة وتحكي القصة لي.

النتيجة بعد ذلك كله أننا جميعاً مخطئون. مدينة لبنان في كنساس، هي المركز الرئيسي للولايات المتحدة، أما أن تكون كناكي هي المركز فمعلومة خاطئة.

حَسِبْتُ أن شهوراً ستمضي قبل الحصول على إذن لرؤية بن، لكن يبدو أن سجن كناكي في ولاية كنساس سريع في منح أدونات للزائرين (إنه اعتقادنا بأن التفاعل مع العائلة والأصدقاء هو نشاط مفيد لنزلاء السجن، فهو يساعدهم في البقاء على ارتباط بالمجتمع)، أعمالٌ ورقية وأشياءٌ أخرى ثم قضيتُ الأيام المُعترضة القليلة أطلّغ على ملفات لایل، أقرأ سجل محاكمة بن، الذي لم تكن عندي الجرأة الكافية من قبل لقراءته.

جعلني السجل أتصّبب عرقاً، شهادتي كانت خطأً مُتعرجاً من ذكريات مختلطة لطفلة (أعتقد أن بن أحضر ساحرة إلى البيت وهي قتلتنا، أجب النائب العام على

هذه الجملة التي قلتها مميم فقط، الآن دعينا نتكلم حول ما حدث فعلاً)، وبحماس أكثر مما ينبغي قلتُ الحوار الذي تدرّبت عليه (رأيت بن واقفاً إلى جانب غرفة أمي، كان يهدّد أمي ببندقيتنا)، أما محامي الدفاع عن بن فلو كان بوسعه للفني بمناديل ورقية ووضعني على سريرٍ من ريش، كان لطيفاً جداً معي، قال: (ربما كنتِ مشوشة قليلاً حول ما رأيته، ليب.بي؟ هل أنت متأكدة، متأكدة أنه كان أخوك يا ليب.بي؟ ربما كنتِ تخبريننا ما تعتقدين أننا نودّ سماعه؟) كان ذلك ما أجبتُ عليه: (لا، نعم، لا)، وفي آخر النهار كنتُ أجيبُ ب.: أنا أظن، على كل سؤال طُرح عليّ، وبطريقة تعني أنني فعلت.

شدّد محامي الدفاع عن بن علي تلك البقعة من الدم التي كانت على شرف ميشيل، والحذاء الغامض الذي ترك طبعةً في دم عائلتي، لكنه لم يصل إلى فكرة بديلة مقنعة، ربما كان هناك شخصٌ آخر، لكن ليس هناك آثار أقدام، ولا وجود لآثار خطوات خارج البيت لتثبت تلك الفكرة. فقد جلبَ صباح الثالث من كانون الثاني ارتفاعاً في درجات الحرارة إلى العشرين مئوية، فأذابت الثلج وكل آثاره، وأصبح كتلج أيام الربيع.

إلى جانب شهادتي، كان عند بن شيء ضده: خرمشات أظفار على وجهه، لم يستطع تبريرها، وقصة عن رجل ذي شعر كثيف هو أساساً مُتهم بقتل أي كان - تلك قصة قالها بن بسرعة بدلاً عن (كنتُ خارجاً كل الليل، لا أعرف أي شيء)، الدفاع يقول - كانت هناك خصلة شعر كبيرة من شعر ميشيل وجدت على أرض غرفة بن، وكذلك سلوكه العام الجنوني في ذلك اليوم، صبغه لشعره باللون الأسود، وهذا ما اعتبره الجميع أمراً مريباً، كما أنه شوهد مُتسللاً حول المدرسة، هذا ما شهد به عددٌ من الأساتذة، وقالوا أنهم تساءلوا إن كان يحاول استرداد بعض من بقايا حيوان كان قد احتفظ بها في خزانته. ثم يذهب في وقت متأخر من النهار إلى مكانٍ مُفضل مألوف ويتباهى بتضحياته للشيطان.

بن لم يساعد نفسه أيضاً: لم يقدم أي ادعاء يُثبت فيه أنه كان في مكانٍ آخر

حين وقوع الجريمة، أضف إلى ذلك أن لديه مفتاحاً للمنزل، ولم يكن في الباب مفتاح مكسور، في ذلك الصباح تشاجر مع أمي، كل ذلك كان نوعاً من الخراء. حين أعلن النائب العام أن بن كان قاتلاً من أتباع الشيطان، أجابه بن بتلاوة حماسية لشعائر عبادة الشيطان، أغانٍ خاصةً أحبها وهي تذكره بالعالم السفلي، والقوة العظيمة لعبادة الشيطان. (أنا أشجعك لتفعل ما تشعر بأنه جيد، لأننا أساساً، نحن جميعاً، حيوانات)، قال النائب العام في أحد المواقع لبن: (توقف عن اللعب بشعرك وكن جدياً، ألا تفهم أن هذا أمر جدي؟).

- أنا أدرك أنك تعتبره جدياً... أجابه بن.

أنا حتى لم أسمع وقتها بن الذي أذكره، بن الهادئ، الأخ الشقيق لي. أرفق لاييل بضع صور من المحاكمة: بن بشعره الأسود، وقد ربطه على شكل ذيل حصان (لماذا لم يُجبره محاميه على قصّه؟)، كان منحشراً في بدلة لا تناسب مقاسه، وكان دائماً إمّا مبتسماً وإمّا غير متأثر على الإطلاق.

إذن بن لم يساعد نفسه، لكن حيثيات المحاكمة جعلتني أحمرّ خجلاً، ثم إن الموضوع بأكمله جعلني أشعر بشيء من التحسّن، أن وجود بن في السجن لم يكن كلّه بسبب غلظتي (إن كان بن بريئاً حقاً) لا، بل كان نتيجة خطأ علينا.

بعد أسبوع من السماح لي بمقابلة بن، ذهبتُ لمقابلته، كنت أقود سيارتي عائداً إلى مدينتي التي لم أزرها منذ اثني عشر عاماً على الأقل، والتي تحوّلت إلى مدينة سجن دون إذني. الأمر برؤمته كان سريعاً جداً، منحني شحنات عاطفية. السبب الوحيد الذي مكّني من دخول السيارة، هو التأكيد لنفسي أنني لن أدخل كناكي مئة بالمئة، ولن أذهب على ذلك الطريق الطويل القذر المؤدي إلى المنزل، لا فذلك لم يعد بيتي. اشتري شخص ما الملكية منذ سنوات، دمرّ البيت على الفور وسوّاه بالأرض، مُدمراًً بذلك الجدران التي زيّنتها أمي بمُلصقات رخيصة من الأزهار، ومحطماً النوافذ التي تنفسنا عليها بينما كنا ننتظر لنرى من القادم إلينا، ومكسراً

إطار الباب الخشبي حيث حدّدت أُمي بقلم الرصاص أطوال بن وأخواتي وتعبت كثيراً لتسجّل طولي (كان لي قيدٌ واحد فقط: لبيبي 3، 2... ثلاث أقدام وإنشان).

قدتُ سيارتي لمدة ثلاث ساعات داخل كنساس، أتجول صاعدةً هابطةً تلال الصوّان (فلينت هيلز)، ثم طرقت الأراضي المنبسطة. يافطات تدعوني لزيارة كري هوند هول أوف فيم، متحف تيليفونوي، لارجست بول أوف توين، شعرتُ باندفاع من الولاء مرة ثانية: عليّ أن أذهب إلى هذه الأماكن كلها، ليتني أقبل مسامير الطريق المعدنية فقط. أخيراً تحوّلت عن الطريق العام، مُتجهةً شمالاً وغرباً وشمالاً وغرباً، على طرقٍ خلفيةٍ مُتشابكة، الحقول الزراعية مُنقطة بالأخضر والأصفر والبني، لوحة تنقيطية ريفية، ثبتتُ مقود السيارة وشعرتُ بمشاعر متناغمة بين الريف الحزين والأساس المسيحي، والضبابية.

تعمل شمس آذار المكافحة على تدفئة السيارة، وتُلهب مفرق شعري الأحمر الخيالي، الحرارة واللون جعلاني أفكر ثانية بالدم، في المقعد الخلفي للسيارة توجد زجاجة شراب صغيرة وحيدة، نويتُ أن أشربها عندما أصل إلى السجن، جرعة من الخدر كعلاج نفسي، تعطيك كمية غير محددة من قوة الإرادة، خلافاً لما يحدث لو شربتها عند القيادة: يدٌ على المقود، وحلقٌ طافح.

في الوقت الذي كنتُ أفكر فيه تماماً بأنني اقتربتُ الآن، ظهرتُ شاخصةً في الأفق المُنبسط البعيد مثل خدعة سحرية، أعرف ما الذي تقوله بالضبط، أهلاً بكم في كناكي: قلب أمريكا! تأسست في عام 1950، اللافتة مكتوبة بأحرف متصلة، هي كذلك، ويمكنني أن أبحث عن ثقوب طلاقات نارية مفتوحة في الزاوية اليسرى من الأسفل، كان رنر قد أطلقها من شاحنته قبل عقود. ثم اقتربتُ وعرفتُ أنني كنتُ أتخيّل فتحات الطلاقات، فقد كانت هذه شاخصة جديدة وأنيقة وعليها الكتابة القديمة نفسها: أهلاً بكم في كناكي، قلب أمريكا!، ما زالت المدينة متعلّقة بالكذبة، أحببتها، ما أن تجاوزتها حتى وصلت شاخصة أخرى: سجن كناكي، ولاية كنساس، يليها يساراً. اتبعتُ الإرشادات، أقود غرباً فوق أرض كانت مزرعة إيفلي ذات مرة، (الطريق

إلى اليمين تؤدي إلى مزرعة إيفلي) ففكرت، لكنني لا أتذكر لماذا كان الإيفليون سيئين، تذكرت فقط أنهم كذلك.

تمهلتُ عند منعطفٍ وأنا أقود السيارة على هذه الطريق الجديدة، بعيداً عند حدود المدينة الخارجية، كناكي لم تكن مدينةً مزدهرة، بل كانت عبارة عن مزارع مُتصارعة غالباً، وقصور خشبية تفاؤلية خلاصة ازدهار النفط بشكلٍ يفوق الخيال. الآن هي أسوأ مشروع بناء. السجن فيها لم ينقذ المدينة، كانت الدكاكين المُسترهنة والبيوت المُتهالكة تُشكّل صفّاً على طول الشارع، عمرها بالكاد عشر سنين، قد بدأت تتهاك. أطفال ذاهلون وقفوا وسط ساحاتها القذرة، وقد تجمّعت النفايات في كل مكان، لُفافات طعام، مصاصات شراب، أعقاب سجائر، علبة وجبة سريعة كاملة من الفلين، شوكة بلاستيكية، كأس من الفلين موضوعة على الحاجز الحجري عند حافة الطريق، تركها من كان يتناول الوجبة، بقايا من المقالي المُغطّسة بالكاتشب مُلّقة في البالوعة القريبة، حتى الأشجار كانت بائسة: عجفاء، متقرّمة، رافضة بعناد أن تزهر. في نهاية المباني، جلس في البرد شابان بدينان على مقعد الديرى كوين، يراقبان حركة المرور كأنهما يشاهدان التلفاز.

على عمود الهاتف القريب خفقت صورة مُكشّرة لمراهقة غير مبتسمة، مفقودة منذ تشرين الأول 2007، بعد عمارتين رأيتُ ما حسبت أنه نسخة من الصورة نفسها، لكنها في الواقع كانت صورة فتاة أخرى مفقودة، اختفت في حزيران 2008، كلتا الفتاتين كانت شعناء، هذا ما يفسّر بالتأكيد لماذا لم تُعاملا كما حصل مع ليزيت ستيفنز. قلتُ في سرّي: يجب أن أتصوّر صورة جميلة مبتسمة تبقى بعدي في حالة اختفائي إلى الأبد.

بضع دقائق، وظهر السجن بوضوح تحت أشعة الشمس الحارقة. إنه أقل مهابةً ممّا تخيلت في المرات القليلة التي تخيلته فيها، إذا نظرت إليه تجده امتداداً للضاحية، وقد تخطى بينه وبين مكاتب محلية لشركة التبريد، أو ربما المربعات الإدارية للاتصالات، لولا الشريط الشائك المُلتفّ حول الجدران، الشريط الملولب

ذَكَرني بشريط الهاتف الذي كانت أمي وين يتشاجران بسببه دائماً قرب النهاية، والذي كنا نتعثر به. جثة ديب.ي أحرقت وعلى معصمها أثرٌ بسيطٌ لندبة بسبب ذلك الشريط اللعين. سعلتُ بقوة، فقط لأسمع شيئاً.

دخلتُ المرأب، الأرض المصقولة بالقطران ناعمة بشكلٍ رائع بعد ساعة من القيادة في الحُفر، ركنتُ السيارة وجلستُ أتأمل سيارتي كانت تُخشخش من السواعة. من داخل السجن جاءت دمدمات الرجال وصرخاتهم فقط، يأخذون استراحتهم، ابتلعتُ الشراب وشعرتُ بلذعة دواء، مضغتُ علكة من مادة دهنية مُقسّاة مرة، مرتين، ثم بصقتها في غلاف لفافة ورقي، شعرتُ أن أدنيّ تسخان من الثمل، ثم مددتُ يدي من تحت السترة وخلعتُ حمالة صدري، فشعرتُ بثديي يتهدلان، أصختُ السمع، في الخلفية ضجة القتلة وهم يلعبون بالأطواق، ذلك شيءٌ نصحني به لایل، قال لي وهو يُتمتم بتأنٍ ويقتصد في كلماته: لديكِ فرصة واحدة لتمرّي من كشّاف المعادن، إنه ليس كما في المطار. هنا يوجد شيءٌ كالصولجان، لذا عليكِ أن تتركي كل شيء معدني في السيارة. فكرت في معدن ربطة الحمالة، تلك ستكون مشكلة.

جميل، إذاً، وضعتُ حمّالتي في محفظة القفازات وتركتُ ثديي يتأرجحان حرّين.

في المدخل إلى السجن، كان للحراس تصرفات معينة، كأنهم شاهدوا أفلام فيديو إرشادية كثيرة: نعم سيدتي، من هنا سيدتي. نظرتهم كانت من دون عمق، كأنما انعكست الصورة عليّ، وكأنني بطاطا ساخنة.. تفتيش، أسئلة، نعم سيدتي، ويطول الانتظار. أبوابٌ تُفتح وتُغلق، تُفتح وتُغلق، بينما كنتُ أمشي خلال سلسلة منها، كلّ ينسحب بالحجم المطلوب، تُشبهه بلاد عجائب معدنية، تفوح من الأرضيات رائحة المواد المستخدمة لتبييض الغسيل، والهواء له رائحة رطبة. في مكانٍ قريبٍ يُفترض أن يكون غرفة الطعام، عانيتُ من موجة مقرفة من الحنين، تخيلتُنا، نحن أولاد داي، ووجباتنا من المُساعدات المدرسيّة: نساءٌ قوياتٌ عامرات الصدور، يصرخن الغداء المجاني!، يقفن مقابل ماكينة تسجيل المدفوعات، كنا نمرّ بها ومعنا نفاية من شرائح رقيقة مطهوهة بالصلصة وحليب بدرجة حرارة الغرفة.

كان توقيت بن دقيقاً، هذا ما فكرتُ به في تلك الأثناء: اختفاء وظهور عقوبة الإعدام في محاكم كنساس، لقد كان ذلك القرار مُعلقاً عندما حدثت الجرائم، (هنا توقفتُ عند لفظي تعبيراً ذهنياً جديداً، عندما حدثت الجرائم كمقابل لتعبير عندما قتل بن الجميع)، حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة، لكن على الأقل لم يُقتل. أنا الآن أقف خارج باب الغوّاصة المعدني الأملس لغرفة الزائرين، وقفتُ طويلاً. أحتاج لأن أتوقف عن التفكير بأفكار العائلة، الحارس معي، رجلٌ أشقر صلب باداني حديثاً قصيراً، اقترح عليّ مثلاً: من بعدك.

تركتُ الباب مفتوحاً ودفعتُ بنفسني إلى الداخل. خمس كوى جثمت على نسقي واحد، شغلتُ إحداها امرأة رصينة من الهنود الأصليين، كانت تحدث ولدها النزيل. شعر المرأة الأسود مُسدل على كتفيها، تبدو شديدة الانفعال، كانت تُتمتم ببطء للشاب، وهو يهزّ رأسه بشكلٍ متوالٍ، السَّماعة مُلتصقة بأذنه وعيناه إلى الأرض.

جلستُ بعيداً عنهما بكوتين، كنتُ أستعدُّ وألتقطُ أنفاسي، حين انطلق بن من خلال الباب، مثل قطّ كان يأخذ استراحة لينطلق إلى الخارج، كان ضئيلاً، ربما خمس أقدام وستة إنشات، وقد تحوّل لون شعره إلى صديّ غامق، تركه طويلاً، يكُنسُ كتفيه، ورفعته وراء أذنيه مثل البنات، يلبس نظارات وبدلة رياضية برتقالية، بدا مثل طالب ميكانيك، الغرفة كانت صغيرة، لذا فقد وصل إليّ بخطواتٍ ثلاث. كل هذه الفترة كان يبتسم هادئاً، مشرقاً، جلس ووضع يده على الزجاج، مُشيراً إليّ أن أفعل مثله، لكنني لم أستطع فعلها. لم أستطع أن أضغط راحة يدي مقابل يده، عيناه دامعتان قُبالة النافذة مثل حام (أصغر أبناء نوح)، ابتسمتُ له بوداعة بدلاً من ذلك، ورفعْتُ السَّماعة.

في الجانب الآخر من الزجاج، حمل السَّماعة بيده، تنحج، ثم نظر إلى الأسفل، بدأ يقول شيئاً ما، ثم توقف. بقيت أنظر إلى التاج الذي على رأسه لما يُقارب الدقيقة، وعندما رفع نظره، كان يبكي، انهمرت دمعتان من كلتا عينيه على وجهه، مسحهما بقفا يده، ثم ابتسم، وشفتهُ ترتجفان.

- يا إلهي، تبدين كأني تماماً. قالها دفعةً واحدة، أطلقها وسعل، ماسحاً دموعاً أكثر، أنا لم أعرف ذلك، عيناه تتنقلان بين وجهي وبيدي، أوه؛ يا إلهي، كيف حالك؟
تتحننُ وقلتُ: أظن أنني بخير، أنا فكّرتُ فقط أن الوقت قد حان لآتي وأراك. (نظرتُ إليه نظرة أم)، فكّرتُ، أنا أفعل، ثم فكّرتُ (أخي الكبير)، وشعرتُ بغرور الفخر نفسه الذي كنتُ أشعر به وأنا طفلة. بدا كأنه لم يتغيّر، وجةً شاحب، عقدة أنف آل داي، حتى أنه لم يكبر كثيراً منذ الجرائم، كأن كلينا توقف عن النمو منذ تلك الليلة، إنه أخي الكبير، وكان سعيداً بروّيتي (هو يعرف كيف يُلاعبك)، حدّرتُ نفسي، ثم أبعدتُ الفكرة جانباً.

- أنا سعيد، أنا سعيد. قال بن وبقي ينظر مُشيحاً ببصره. فكّرتُ بكِ كثيراً طول هذه السنين، كنتُ أتساءل عنكِ والآن هذا ما تفعلينه هنا... أفكّر وأتساءل في كل مرة فيما إذا كان سيكتب لي عنكِ أحدًا ما، لكن ذلك لم يحدث.

- لا. وافقتُ على كلامه، وسألته: هل يعاملونك بشكلٍ جيد؟ والتمعت عيناوي بغباء، وفجأةً صرتُ أبكي، وكل ما أردتُ قوله كان: آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة. لم أقل شيئاً غير ذلك. كنتُ أنظر فقط إلى مجموعةٍ من حب الشباب منتشرة حول زاوية واحدة من شفّتي بن.

- أنا على ما يُرام ليب.ي، ليب.ي، انظري إليّ. عيناوي في عينيه. أنا بخير، حقاً أنا بخير. حصلتُ على الشهادة الثانوية هنا، وهي أكبر من أي نجاح كنتُ سأحصل عليه في الخارج، وأنا الآن أتابع للحصول على درجة جامعية في اللغة الإنكليزية، أقرأ شكسبير اللعين. أخرج صوته من حلقه كما كان دائماً يفعل لينتهي بالضحك، حقاً أيها التافه.

لم أفهم ماذا يعني المقطع الأخير من كلامه، لكنني ابتسمتُ لأنه كان ينتظر مني أن أبتسم.

- ليب.ي، أريد أن أسمعك فقط، أنت لا تدريين كم هو رائع أن أراك. اللعنة، أنا

آسف، أنتِ تبدين تماماً مثل أمي، هل أخبركِ أحدٌ بهذا طول الوقت؟

- من سيقول لي ذلك؟ لا يوجد أحد. رنر ذهب، لا أعرف إلى أين، وأنا ودايان لا نتحدث. أردته أن يشعر بالأسى عليّ، بهذا سيكون صعباً عليه لومي. دموعي تنهمر، الآن تركتها تماماً. بعد كرسيين مني، كانت المرأة الهندية تودّع ابنها، كان بكائها عميقاً كصوتها.

- اعتنِ بنفسكِ هه؟ ذلك ليس جيداً، يجب أن يعتنوا بكِ أكثر.

- ما أنتِ، هل ولدت من جديد؟ قلتها من دون شعور، وجهي كان رطباً. تجهم بن، لم يفهم ما قلت هل هذا كل شيء؟ هل سامحتني أنتِ؟ لم يكن من المفترض أن تكون لطيفاً معي قلتها متوسلةً لأنني ربما أشعر براحةٍ أحتاجها كالحاجة إلى طبق ساخن في البرد.

- لا، أنا لست ذلك اللطيف. قال. أنا أشعر بالغضب على كثيرٍ من الناس، وأنتِ لستِ منهم بالتأكيد.

- لكن... قلتُ وغصصتُ بالبكاء كطفل. لكن شهادتي، أعتقد، أنا ربما، لا أعرف، لا أعرف...، (لا بدّ أنه يؤثر فيّ) حذرتُ نفسي ثانيةً.

- أوه تلك... قال وكأنها كانت عقبة ثانوية وغير خطيرة، مثل بعض حروق الشمس السطحية في عطلة صيفية، نسيانها أفضل. أنتِ لم تقرئي رسائلي هه؟

حاولتُ أن أشرح له الأمر بهزّة غير وافية من كتفي.

- حسناً، شهادتكِ... ما فاجأني فقط هو أن الناس صدّقوكِ، لم يفاجئني ما قلته أنتِ، كنتِ في حالة جنون تماماً، وكنتِ كذوبة صغيرة. ضحك ثانية وضحكتُ أنا أيضاً، ضحكات متناخمة سريعة وكأننا أصبنا بالعدوى. لا، هل حقيقةً، صدّقوكِ بشكلٍ جدّي؟ هم أرادوني أن أكون هنا، كنتُ سأدخل إلى هنا، وشهادتكِ أثبتت ذلك. صغيرة بعمر السبع سنوات، كنتِ صغيرة جداً... عيناه استدارتا إلى اليمين، أحلام يقظة، ثم

استعاد نفسه. أتعرفين بماذا فكّرتُ في اليوم التالي، لا أعرف لماذا، فكّرتُ بذلك الأرنب الخزفي اللعين، الذي كانت أمي تُجبرنا على وضعه فوق كرسي التواليت.

هزرتُ رأسي، ليس عندي حلّ للغز الذي كان يتحدث عنه.

- ألا تذكرين ذلك، الأرنب الصغير؟ لأن التواليت لم يكن يعمل بشكل صحيح، إن استخدمناه مرتين في الساعة الواحدة يتوقف عن التسليك، لذا كان على أحدنا إن فعلها في الوقت الذي يكون فيه مُعطّلاً، أن يُغلق الغطاء ويضع الأرنوب فوقه، وهكذا لن يفتح أحدٌ آخر الغطاء ويرى التواليت مملوءاً بالقذارة، لأنكن أنتن الصغيرات قد ترعقن. أنا لا أصدق أنك لا تذكرين ذلك، كان عملاً غيبياً جداً، أوصلني إلى الجنون. كنتُ أجنّ من أنه عليّ أن أشترك في الحمام معن جميعاً، كنتُ أجنّ من أنني أعيش في بيتٍ ليس فيه سوى تواليت واحد وهو لا يعمل، كنتُ أجنّ من الأرنوب - وانفجر بضحكته المكبوتة - كنتُ أخالُ أن الأرنوب يحترقني أو شيء من هذا القبيل، يستهين برجولتي، أخذتها على محملٍ شخصي كأنه كان على أمي أن تجد مُجسّم سيارة أو بندقية من أجلي للاستخدام، شغلني كثيراً ذلك الموضوع، كنتُ أقف بجانب التواليت وأفكّر، أنا لن أضع ذلك الأرنوب، ثم استعدّ كي أغادر وأفكّر، اللعنة، عليّ أن أضعه وإلاّ ستدخل إحداهن إلى هنا وتبدأ الصراخ، أنتن الصغيرات كنتن صيّاحات، وبصوت عالٍ إي ي ي يه! وأنا لا أريد أن أكون سبباً في ذلك، لذا من الجيد أن هذا الأرنوب اللعين هنا في حمامك اللعين! ضحك ثانية، لكن الذكرى هزّته، توهج وجهه وتعرق أنفه، ذلك النوع من الأشياء هو ما تفكرين به هنا، أشياء غير اعتيادية.

حاولتُ أن أجد ذلك الأرنوب في ذاكرتي، حاولت استدعاء صورة الحمام والأشياء التي كانت فيه، لكنني لم أصل إلى شيء. ما وصلتُ إليه فقط يدٌ مملوءةٌ بالماء.

- آسف، ليب.بي، تلك ذكريات غريب أن ألقها عليك.

وضعتُ رأس أصبعٍ واحد من أصابعي قريباً من أسفل زجاج النافذة وقلت: ذلك جيد. جلسنا صامتين لوقتٍ قليل، نزعن أننا نستمع إلى ضجّة لم تكن موجودةً

بالأصل. نحن بدأنا للتوّ، لكن الزيارة انتهت تقريباً. بن، هل أستطيع أن أسألك شيئاً؟

- أعتقد أن ذلك شحب وجهه، وهو يُعدّ نفسه للسؤال.

- ألا تريد أن تخرج من هنا؟

- بالتأكيد.

- لماذا لا تعطي الشرطة تبرير غيابك لتلك الليلة؟ لا بدّ أنك كنت نائماً في

مخزن الحبوب.

- ليس لديّ تبرير مقنع تماماً، ليبي، فقط ليس لدي... يحدث ذلك.

- لأنها كانت تمثل نقطة البداية للخروج، أنا أتذكّر، فركتُ نصف أصبعي تحت

الطاولة، ولويتُ أصبعي قدمي اليمنى.

- أعرف، أعرف. لا يمكنك أن تتخيّلي... وأشاح بوجهه عني. لا يمكنك أن

تتخيّلي كم من الأسابيع، السنوات، قضيتها هنا مُتمنياً لو أنني قمتُ بكل تلك الأشياء

بشكل مختلف، لما ماتت أمي وميشيل وديبي، لو أنني فقط... كنتُ رجلاً، وليس

ولداً غيباً مختبئاً في مخزن حبوب، حانقاً على أمه. وسقطت دمعة على سماعة

الهاتف، اعتقدتُ أنني سمعتها، طق! أنا مرتاح لأنني عوقبتُ لأجل تلك الليلة...

أشعر أنني... بخير.

- لكن، أنا لا أفهم، لماذا كنتُ كذلك... غير متعاون مع الشرطة؟

هزّ بن كتفيه ومرة ثانية علا قناع الموت وجهه.

- أوه؛ يا إلهي. أنا فقط، أنا كنتُ ولداً غير واثقٍ من نفسه، أعني كنتُ في

الخامسة عشرة، ليبي، الخامسة عشرة. لم أكن أعرف ما معنى أن تكون رجلاً،

أعني؛ رنر لم يكن مساعداً بالتأكيد، كنتُ هذا الولد الذي لم ينبّهه أحد إلى هذه

الوجهة أو تلك. وهنا وعلى نحوٍ مفاجئ، كان الناس يعاملونني وكأنني أخيفهم،

أعني؛ بريستو، تشانغو، كنتُ هذا الرجل ذا الشأن العظيم.

- رجلٌ عظيمٌ متهمٌ بقتل عائلته.

- تريدين تسميتي بالغبي اللعين، ليب.ي، رجاءً، ادخلي في الموضوع، بالنسبة إليّ، كان الأمر سهلاً: قلتُ: أنا لم أفعلها، أنا أعرف أنني لم أفعلها، و... أنا لا أعرف، هل كانت آليّة الدفاع؟ - أنا لم أتخذها بشكلٍ جدّي كما كان يجب، لو كانت ردّ فعلي كما توقعها الجميع مني، كان من المُحتمل ألاّ أكون هنا. في الليل صرختُ في قلب المخدّة، صرختُ بغُنف يُمكن أن يُسمع أي شخص، هذا ما حصل، صدّقيني أنا أعرف ذلك. لكن ليس عليكِ وضع فتى بعمر الخامسة عشرة على منصة الشهود في قاعة محكمة تغصّ بحشدٍ من أناسٍ يعرفهم ويتوقع الكثير من الدموع، أفكارٍ كانت تؤكّد لي أنني سأحصل على البراءة طبعاً، ثم سأكون موضع إعجاب في المدرسة لكوني حماراً كبيراً، أعني؛ حلمت بذلك الشيء الهراء حلم يقظة، لم يخطر في بالي أبداً أنني كنتُ في خطر... وأن نهايتي ستكون هكذا. كان يبكي الآن، ويمسح خدّه للمرة الثانية. أنا بكل تأكيد لم يعد يهتمني إن رآني الناس أبكي.

- نحتاج لإثبات هذا قلتُ أخيراً.

- لا يمكننا إثبات شيء، ليب.ي، إلاّ إذا وجدوا من فعلها.

- حسناً، أنت تحتاج بعض المحامين الجُدد، للعمل على القضية. قلتُ، أشرح له الأمر. كل المواد الآن يمكن أن تخضع لتحليل الحمض النووي... الحمض النووي بالنسبة إليّ كان نوعاً من العناصر السحرية، مادة لزجة وهّاجة تُخرج الناس من السجن دائماً.

ضحك بن من خلال شفّتين مُطبقتين بالطريقة التي كان يفعلها حينما كنا صغاراً، تلك الضحكة التي لا تدعك تفرح بها.

- أنت تتكلّمين مثل رنر. كل سنتين تقريباً تصلني رسالة منه. الحمض النووي!

نحتاج للحصول على بعض من ذلك الحمض النووي. كأنني أملك خزنة منه ولا أريد أن يقاسمني أحد هذا D.N.A. قالها ثانية، مُقلِّداً انحناءة رأس رنر وعينيه المجنونتين. هل تعرفين أين هو الآن؟

- الرسالة الأخيرة كانت مرسلَةً من بيرت نولان كروب هوم للرجال. في مكانٍ ما في أوكلاهوما، طلب مني أن أرسل له خمسمئة دولار، لهذا هو يتابع بحثه عني ليتمكن الانتفاع مني. كائناً من كان بيرت نولان هذا، فقد انهار في اليوم الذي سمح لرنر اللعين بدخول بيته. حكَّ بن ذراعه رافعاً كَمَّه بشكلٍ كافٍ كي أرى وشماً لاسم امرأة ينتهي بـ. أولي أو آلي وتأكدتُ أنه رأني ألاحظ ذلك.

- أوه؛ هذه؟ محبوبة قديمة بدأنا كأصدقاء بالمراسلة، حسبت أنني أحبها، وفكرتُ أن أتزوجها، لكنها غيرت رأيها فهي في الواقع لا تريد أن ترتبط بشاب محكوم بالسجن مدى الحياة. تمنيتُ لو أنها أخبرتني بذلك قبل أن أضع الوشم.

- لا بدّ أنه مؤلم.

- لا يشعرِك بوخز.

- قصدتُ إزالته.

- أوه، ذلك يترك أثراً أيضاً.

أعطانا الحارس إشارة مفادها أن الوقت المُتبقي ثلاث دقائق فقط، وأدار بن عينيه: من الصعب أن تقرر ما الذي يمكن قوله في ثلاث دقائق، دقيقتان لتبدأ في التخطيط لزيارة أخرى، وخمس دقائق لإنهاء مُحادثتك، ثلاث دقائق؟ قلبَ شفتيه مُعترضاً. أنا آمل حقاً أن تأتي مرةً ثانية، ليبـي، أنسيتني كم كنتُ أحنّ إلى الأسرة، أنتِ تبدين مثلها تماماً.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

11:31 صباحاً

انسحبت باتي إلى الحمام بعد مغادرة لين، ابتسامته المبتذلة ظلت تبعث شيئاً بغيضاً أخلاقياً، نوعاً من المساعدة هي تعرف أنها لا تريده. خرجت الفتيات من غرفتهن حالما سمعن الباب يُغلق، وبعد نقاش هامس سريع خارج باب الحمام، قررن تركها وحدها، وعدن لمشاهدة التلفاز.

باتي كانت تدلك بطنها المشحّم، وقد برد عرقها. مزرعة أبويها، طارت. شعرت بألم في المعدة نتيجة إحساسها بالذنب. إن ما جعلها دائماً فتاة طيبة إلى هذه الدرجة، هو الخوف المتواصل من خيبة أمل أهلها بها. رجاءً، رجاءً يا الله لا تدعهم يكتشفون ذلك. لقد عهدوا إليها بهذا المكان، ولم تكن كفواً لذلك. تخيلتهما في السماء بين الغيوم، ذراع والداها تلتف حول أمها وهما ينظران إليها، ويهزان رأسيهما، ما الذي تلبسك في العالم لتفعلي شيئاً كهذا؟ كان ذلك توبيخ أمها المفضل.

بات عليهم الانتقال كلياً إلى مدينة مختلفة. الكناكيون لا يقيمون في شقق، وهم سينحشرون في شقة ريثما تجد عملاً في مكتب ما. هذا إن وجدت. كانت دائماً تشعر بالأسى على الناس الذين يسكنون الشقق، ملتصقين بعضهم ببعض، يستمعون إلى تجشؤ جيرانهم ونقاشهم. اضطربت ساقاها وفجأة وجدت باتي نفسها تجلس على

الأرض. ليس لديها القدرة الكافية لترك المزرعة. فقد استنفدت آخر ما لديها من قدرة خلال السنوات القليلة الماضية. لم تكن تستطيع النهوض من سريرها في بعض الصباحات. لم تكن قادرة جسدياً على سحب ساقيها من تحت الأغطية. كانت الفتيات يسحبنها، ويجذبنها لتقف على كعبيها. كانت في الوقت الذي تعدّ فيه الإفطار وتجهز ما يحتاجونه في المدرسة، تحلم بموت سريع، سكتة قلبية في الليل. أو حادث سير مفاجئ. أم لأربعة أطفال، دهسها باص، الأطفال تتبناهم داين، وهي لن تتركهم يقضون النهار في بيجاماتهم، وستأكد من زيارتهم للطبيب في حال مرضوا. تتابعهم حتى ينهوا أعمالهم اليومية. باتي كانت مزقة امرأة، مترددة وضعيفة، سرعان ما تتفائل، لكنها تنكمش بسهولة أكثر. داين هي من كان يجب أن يرث المزرعة. لكنها لم ترغب بشيء منها، غادرتها وهي في الثامنة عشرة، فرقة طبول متنقلة مرحة حطّت بها للعمل كموظفة استقبال في عيادة طبيب تبعد ثلاثين ميلاً عن التقاطع الحدودي مع شيبرتون.

تلقى والداها نبأ مغادرة داين برزانة، وكأنه كان دائماً جزءاً من الخطة. يمكن لباتي أن تعود بذاكرتها إلى أيام المدرسة الثانوية، حين أتوا جميعاً لرؤيتها تشاركه بلعبة مرحة في إحدى ليالي تشرين الأول الماطرة. كانت تبعد عنهم ثلاث ساعات في السيارة، في عمق كنساس، تقريباً في ولاية كولورادو، كان المطر خفيفاً لكنه استمر طوال اللعبة. وعندما انتهت كان أبواها الأشيبان وأختها، هناك في الحقول، ثلاثة أشكال بيضوية، ملتحفة بمعاطف صوفية سميقة، هرعوا إليها مبتسمين بفخر واعتزاز ما يجعلك تعتقد أنها شفيت من مرض السرطان. عيونهم متغضنة خلف ثلاث نظارات مرقشة بماء المطر.

الآن إد وأن داي ماتا، ماتا مبكراً، لكن ذلك كان متوقعاً، ودايان أصبحت مديرة مكتب الطبيب نفسه، تعيش في بيت متنقل، مقطورة أنيقة محاطة بالأزهار.

كانت داين تردد دائماً، هذه الحياة جيدة كفاية بالنسبة إليّ، ولا أتخيل أنني أريد شيئاً مختلفاً عن ذلك.

تلك كانت دايان، القادرة. كانت الوحيدة التي تتذكر التفاصيل الصغيرة التي تحبها الفتيات، هي لم تنسَ أن تشتري لهن سنوياً قمصان كناكي، قلب أميركا! دايان كذبت على الفتيات زاعمة أن تلك الكلمات تعني بالهندية المرأة الصغيرة الساحرة، ففرحن بها، أما باتي فلم تستطع أن تحمل نفسها على إخبارهن بأن معناها كان صخرة أو غراباً، أو أي شيء آخر.

اقتحم بوق سيارة دايان تخيلاتها باحتفاليته المعهودة: هونك هونك هونك!

دايان! صاحت ديب.بي وسمعت باتي الفتيات الثلاث يتسابقن نحو الباب الرئيسي، وتخلت عدد الضفائر والمؤخرات المدورة، ثم تخيلتهن يركضن، مباشرة إلى السيارة، وأن دايان تبتعد معهن تاركة إياها في البيت حيث ستنهي كل شيء بصمت.

سحبت نفسها عن الأرض، ومسحت وجهها بقطعة غسيل متعفنة. وجهها كان أحمر دائماً، وعيناها محمرتان على الدوام، لذا كان من المستحيل أن تعرف إن كانت تبكي، الميزة الوحيدة لها إنها كانت تبدو كفأر مسلوخ. حين فتحت باب الحمام كانت أختها تفرغ ثلاث عبوات بقالة من الطعام المعب وتُرسل البنات إلى السيارة لجلب البقية. جاءت باتي لتشارك دايان رائحة أكياس الورق البنية. دايان كانت تحضر لهم الطعام منذ فترة طويلة. وذلك كان المثال الصارخ للحياة المعوزة التي عاشتها باتي. هي عاشت في مزرعة ولم تكن تجد ما يكفي لتأكل.

- أعطيهن واحداً من ألبومات الملصقات تلك. قالت دايان، وهي تقذفها على الطاولة.

- أوه، أنت تدللينهن يا دايان.

- حسناً، أعطيهن واحداً فقط، لذا عليهن أن يتشاركن فيه. وذلك سيكون جيداً،

صحيح؟

ضحكت دايان وبدأت تحضر القهوة.

- هل تمانعين؟

- طبعاً لا، كان عليّ أن أضعها. وتوجهت باتي إلى الخزانة لتجد فنجان دايان - هي كانت تفضل كوباً ضخماً بحجم رأسها كان لأبيهما من قبل. سمعت باتي الصغير المتقطع، التفتت، دقت على الغلاية التي انفجرت ذات مرة؛ الغلاية كانت عادة تتوقف بعد ثالث دفقة من القهوة.

عادت الفتيات ورمين الأكياس على طاولة المطبخ، وبتشجيع من دايان بدأن بفتحها.

- أين بن؟ سألت دايان.

- امممم، قالت باتي وهي تفرغ ثلاث ملاعق سكر في فنجان دايان. وأشارت إلى الصغير اللواتي أبطن في تخزين العلب، يحدقن في زوايا مختلفة ويتظاهرن بعدم المبالاة.

- هو في ورطة. انفجرت ميشيل، بمرح. للمرة الثانية.

لكزت ديب.ي أختها قائلة: أخبريها عن مشكلته، أنت تعرفين ما هي.

التفتت دايان إلى باتي مكشرة، من الواضح أنها كانت تتوقع حكاية عن خلل في الأعضاء التناسلية أو تشوه ما.

- يا بنات، الخالة دايان جلبت لكن ألبوم ملصقات..

- اذهبن للعب به في غرفتك لأتمكن من التحدّث إلى أمكن.

دايان دائماً تتكلم مع البنات بخشونة أكثر مما تفعل باتي. دايان هي من انتحلت شخصية والدهما الفظة إداي الذي كان يتدمر ويدمدم عليهما بعصبية مبالغ فيها. وهما تعرفان، حتى وهما صغيرتان، أنه يفعل ذلك عادة لمضايقتهما. أضافت باتي إلى كلام دايان نظرة متوسلة نحو ميشيل.

- أوه يا ولد، ألبوم ملصقات! قالت ميشيل بحماس مفتعل فاتر. دائماً تكون ميشيل سعيدة بالمشاركة في أية خطة للكبار. وفي كل مرة كانت تتذرع بأنها تريد شيئاً ما، أما ليب.ي فكانت متسخة الأسنان ويدها ملوثتان. ليب.ي كانت مولودة في عيد الميلاد، وهذا يعني أنها لم تنل العدد الكافي من الهدايا. كانت باتي تخبئ هدية إضافية جانباً - وعيد ميلاد سعيد يا ليب.ي! - لكنهم جميعاً عرفوا الحقيقة، ليب.ي لها معاملة خاصة. وباتي نادراً ما أحست أنها لا تستحق ذلك. - كانت تعرف هذه الأشياء عن بناتها، لكنها كانت دائماً تتساءل عن الخطأ فيها، حتى تلك الأشياء الصغيرة في شخصيات أطفالها كانت دائماً تذهلها؟

- هل نذهب إلى المرأب؟ سألت دايان، وهي تربت على سجائرها في جيبها المخفي.

- أوه. كان هذا كل ما أجابت به باتي. دايان تقلع عن التدخين وتعود إليه مرتين على الأقل في العام مذ كانت في الثلاثين. هي الآن في السابعة والثلاثين (وتبدو أسوأ مما عليه باتي، جلد وجهها أصبح على شكل معينات مثل جلد أفعى) وقد تعلمت باتي منذ زمن طويل أنه من الأفضل أن تسكت فقط وتجلسها في المرأب. تماماً كما كانت تفعل أمهما مع أبيهما. طبعاً. هو مات بسبب سرطان الرئة بعد أن تجاوز الخمسين سنة بقليل.

تبعث باتي أختها، وهي تلتقط أنفاسها، تستعد لإخبار دايان أن المزرعة ضاعت، وتنتظر لترى إن كانت ستصرخ. إن إسراف رنر المتهور وسماحها له بالتبديد الطائش هو السبب، أو أنها ستبقى هادئة تماماً، وتهز رأسها فقط.

- إذاً ماذا جرى مع بن؟ هل تعلمين ماذا؟ سألت دايان وهي تجلس على كرسيها المخضّر المخلّع، وقد انكسرت فيه دعامتان وتدلينا على الأرض. أشعلت سيجارة، وفوراً أبعدت الدخان بيدها عن باتي.

- أوه، إنها ليست ورطة، إنها ليست أمراً غير اعتيادي. أعني غريباً، لكن.. هو

صبغ شعره. ماذا يعني ذلك؟

انتظرت أن تضحك دايان عليها، لكن دايان جلست صامتة.

- كيف يتصرف بن، باتي؟ في العموم كيف يبدو؟

- أوه، لا أعرف. إنه مزاجي.

- هو دائماً مزاجي. حتى عندما كان طفلاً كان مثل قطة. يتودد إليك للحظة ثم

في اللحظة الأخرى، ينظر إليك وكأنه لا يملك فكرة عمّن تكونين.

كان ذلك صحيحاً. بن في الثانية من عمره كان شيئاً مدهشاً. يطالب بالمحبة من دون تحفظ، يتلمس الصدر أو الذراع، لكن حالما يحصل على الحب الكافي، وذلك يأتي سريعاً، يصبح رخواً تماماً ويستमित إلى أن تتركه يذهب. أخذته مرة إلى الطبيب، فجلس بن صارماً مطبق الشفتين، ولد طيع كسلحفاة عارية، لديه قدرة مقلقة على كبح جماح نفسه. حتى الطبيب بدا خائفاً منه، قدم له الكراميل الرخيصة وطلب منها أن تعود بعد ستة أشهر إن بقي على هذه الحال. هو كان دائماً على هذه الحال.

- حسناً، المزاجية ليست جريمة قالت باتي. رنر كان مزاجياً.

- رنر كان فتحة مؤخرة، ليس مثله. كان بن دائماً بيدي تلك النزعة لأبيه.

- حسناً هو في الخامسة عشرة، بدأت باتي الحديث ثم انسحبت. لمحت عيناها

مرطبان المسامير القديمة على الرف، تشك في أنه قد تحرك منذ زمن أبيهما. كلمة مسامير مكتوبة بخط اليد على شريط لاصق من أعلاه إلى الأسفل.

أرض المرأب إسمنتية مشحمة وهذا ما جعلها أبرد حتى من الهواء. في إحدى زواياه، برميل ماء قديم تحول إلى جليد، فتشقت وصلاته البلاستيكية. أنفاسهما معلقة مثقلة بدخان سيجارة دايان. إنها ما زالت، وبشكل غريب راضية بهذا المكان، بين كل هذه الأدوات القديمة يمكنها أن تتخيل يدي والدها: يرمي شوكات محنية،

فؤوساً من جميع الأطوال. الرفوف مرصوفة بمربطانات مملوءة بالبراغي والمسامير والعزقات. حتى البراد المعدني القديم كانت قواعده ملطخة ببقع الصدأ، حيث كان أبوهما يحفظ الشراب بارداً بينما يستمع إلى مباريات كرة القدم التي ينقلها المذياع.

تأثرت باتي لأن دايان كانت تقول القليل عموماً، فهي تعرف أن دايان تحب أن تبدي آراءها، حتى لو لم يكن لديها أي رأي. وما أفقدها شجاعتها الآن هو أن دايان كانت قابعة دون حراك. لم تجد خطة، أو أي شيء لتعدل وترتب الأمور، فدايان هي من كانت تفعل، لم تكن أبداً لتجلس وتتكلم فقط.

- باتي، عليّ أن أخبرك شيئاً سمعته. كنت أنوي ألا أقول شيئاً، لأن ذلك في الواقع غير صحيح. لكنك أم، يجب أن تعرفي، و.. يا للجحيم، لا أعرف، عليك فقط أن تعرفي.

- لا بأس.

- هل قام بن بمداعبة البنات بطريقة يمكن لأي شخص أن يشتبه بها؟

حملت باتي فقط.

- بطريقة تمكّن الناس من اتخاذ فكرة خاطئة عنه من الناحية الجنسية؟

كانت باتي مصعوقة تماماً. بن يكره البنات! كانت مذهولة من الارتياح الذي شعرت به.

- هو لا يحتك بهن إلا قليلاً.

أشعلت دايان سيجارة أخرى وهزت رأسها بتوتر.

- حسناً، لا بأس، جيد... لكن هناك أكثر من ذلك. أخبرتني إحدى صديقاتي إشاعة تقول إن هناك شكوى على بن في المدرسة، وأن بضع فتيات، من عمر ميشيل تقريباً، يتحدثن عن تقبيله لهن أو ربما ملامستهن أو شيء من هذا القبيل، وربما أسوأ، الشيء الذي سمعته كان أسوأ.

- بن؟ أنت تعرفين أن ذلك كله جنون.

وقفت باتي، عاجزة عن أن تقرر ماذا يمكن أن تفعل بيديها أو ساقها. التفتت إلى اليمين ثم إلى اليسار بسرعة شديدة، مثل كلب مخبول. ثم عادت وجلست، فانكسرت عضادة في كرسيها.

- أنا أعرف أنه جنون، أو بعض سوء فهم.

تلك كانت أسوأ كلمة يمكن لدايان أن تقولها. وحالما قالتها، عرفت باتي أنها كانت بالضبط تخاف ذلك. ذلك الإقحام في الاحتمالية - سوء فهم - يمكن أن يتحول إلى شيء آخر. تربيطة على الرأس يمكن أن تكون تربيطة على الظهر ويمكن أن تكون قبلة على الشفاه أو تكون انهيار سقف بكامله.

- سوء فهم؟ بن لن يسيء فهم قبلة، أو لمسة. وليس مع فتاة صغيرة. هو ليس منحرفاً، هو ولد غريب لكنه ليس مريضاً، هو ليس مجنوناً.

قضت باتي حياتها وهي تحلف أن بن لم يكن شاذاً، وأنه ولد عادي تماماً. لكنها الآن حسمت الأمر بأنه غريب الأطوار.

هذا الإدراك ظهر فجأة، رجّة عاصفة، مثل طيران الشعر على الوجه أثناء القيادة.

- حسناً، هل أخبرتهم أن بن لا يفعل ذلك؟ سألت باتي، وانهمرت دموعها في الحال، وفجأة تبلل خذاها.

- يمكنني أن أخبر كل شخص في كناكي، كل شخص في ولاية كنساس أنه لا يفعل ذلك، ولن تكون تلك نهاية المسألة. أنا لا أعرف، لا أعرف. أنا فقط سمعت ذلك بعد ظهر أمس، ولكن يبدو أن الشائعة تنتشر.. وتكبر. أنا جئت إلى هنا. ثم قضيت بقية الليل أقتع نفسي أن ذلك لم يكن أي شيء. ثم استيقظت هذا الصباح وتأكدت منه.

باتي تعرف ذلك الشعور. إنه حلم معلق، كما يحصل معها حين تقفز من النوم

مذعورة في الثانية صباحاً وتحاول أن تقول لنفسها إن وضع المزرعة لا بأس به،
وإنها ستنتشلها هذا العام، ثم تشعر بكل اليأس عندما تستيقظ على صوت المنبه.
بعد بضع ساعات يملكها الإحساس بالذنب وبشكل مضاعف. كم هو مدهل أن
تقضي ساعات في منتصف الليل تزعم أن الأمور لا بأس بها، وخلال ثلاثين ثانية
من ضوء النهار تعرف ببساطة أن كل ما حلمت به لم يكن كذلك.

- إذن أتيت بالبقالة وألبوم الملصقات، وكل هذه المسافة وأنت تحملين هذه
الحكاية عن بن لتخبريني بها.

- مثلما قلت لك. هزت دايان كتفيها تعاطفاً، وبسطة أصابعها ما عدا التي
تمسك بها السيجارة.

- حسناً، ماذا سيحدث الآن؟ هل تعرفين أسماء البنات؟ هل ستتصل إحداهن
ب.بي أو تتحدث إليّ أو إلى بن؟ أحتاج أن أجده.

- أين هو؟

- لا أعرف. تجادلنا حول شعره، وانطلق على دراجته.

- إذا ما هي الحكاية مع شعره؟

- لا اعرف، دايان! ماذا بحق الإله تعني حكاية شعره الآن؟

- حسناً، لا أظن أنها حاجة ملحة - قالت دايان بهدوء - لا أظن أننا نحتاج
لإحضاره إلى البيت فوراً إلا إذا كنت تريدينه أن يعود إلى البيت الآن حالاً.

- أنا أريده في البيت الآن.

- لا بأس، حسناً لنبدأ اتصالاتنا مع الناس إذاً، يمكنك إعطائي قائمة بأسماء
رفاقه، وسأبدأ الاتصال بهم.

- أنا حتى لم أعد أعرف أي صديق منهم. كان يتحدث مع أحدهم هذا الصباح،

لكنه لم يقل مع مَنْ.

- لنضغط زر الإعادة.

نخرت دايان، وسحقت سيجارتها بحدائها، وسحبت باتي من مقعدها، وقادتها إلى الداخل. دايان صرخت بالبناات ليبقين في غرفتهن حين قرع باب غرفة النوم. واتجهت إلى الهاتف، عازمة على ضغط زر الإعادة بإصبع ضخم. سينغ سونغ نغمة الأرقام تصدر من السماعة - بيبي - بيبي - بيبي - وقبل حتى أن يرن توقفت دايان.

- إنه رقمي.

- أوه، نعم. أنا اتصلت بك بعد الإفطار لأرى متى ستأتين.

جلست الأختان على الطاولة، وصبت دايان المزيد من القهوة. انعكس لمعان الثلج في المطبخ على شكل ضوء المخروط.
- علينا إحضار بن إلى البيت. قالت باتي.

ليبي داي الآن

ذاهلة كطفلة في المدرسة الابتدائية، قدت سيارتي إلى البيت وأنا أفكر في بن. أتخيل بن وأنا في السابعة من عمري، في البيت المسكون نفسه: بن، شعره أسود، ووجهه صقيل، يداه مشبوكتان على فأس. يهاجم ديب.ي في الردهة، ضجيج همهمة صادر من بين شفتيه المزمومتين. وجهه مرشوش بالدم، وصوت الولاويل، والبندقية تعلقو كتفه. نسيت أنه كان ذات مرة بن، الخجول والجدّي، وأن تلك هبات مشوشة غريبة ناتجة عن نزوة. صحيح أن بن أخي، لا يمكن أن يكون قد فعل ما قالوه عنه، وما قلته أنا.

عند إشارة المرور، كان دمي يفور، ومن وراء مقعدي أمسكت بظرف لفاتورة قديمة. فوق نافذة المقعد الشفافة، كتبت: مشتبه بهم: رنر. توقفت. أهنالك أحد ما حاقد على رنر؟ ثم كتبت: أحد ما، رنر مدين له بمال؟ رن. ن. ن. ر. عادت المسألة إلى رنر. ذلك الصوت الذكوري، الذي هدر في بيتنا تلك الليلة، يمكن أن يكون صوت رنر أو صوت عدو لرنر، وبالسهولة نفسها يمكن أن يكون صوت بن. أحتاج لأن يكون هذا حقيقة وبالذليل القاطع. اجتاحتني موجة رعب: لا أستطيع العيش مع كل هذا، بن في السجن، وهذه الجريمة المفتوحة. أحتاج أن أنهيها. أحتاج أن أعرف. أنا، أنا. أنا ما زلت أنانية على ما يبدو.

تجاوزت المنعطف إلى مزرعتنا، ورفضت النظر إليها.

توقفت في استراحة على مشارف مدينة كنساس تقريباً، تزودت بالوقود، اشترت لفافة مرتديلا، وكولا، وخبزاً أبيض، وطعاماً للقط العجوز الجائع. ثم اتجهت إلى بيتي في (أوفر هيل ذات واي) انحدرت عن التلة، ركنت السيارة وخرجت منها، تفرست في السيدتين العجوزين عبر الشارع اللتين لم تنظرا إلي. كانتا جالستين على الشرفة موجّهتين كالعادة، رغم البرد، رأسيهما إلى الأعلى كي لا أعكر عليهما المشهد. وقفت ويدي على ردي، في أعلى مؤخرتي، وانتظرت حتى استسلمت إحداها أخيراً. ثم لوحت لها تلويحة مهيبية، من صنف معسكر الغرب القديم. فأومات المرأة الشائبة لي، دخلت وأطعمت المسكين باك، كنت أحس بنشوة النصر.

بما أنني ما زلت أحتفظ ببعض الطاقة، دهنت خردلاً أصفر لامعاً على خبزتي البيضاء بسكين، قطعت قطعاً سميكة من مرتديلا فلفيتا فوقها، وأكلت لفاتي أثناء تفاوضي مع ثلاث عاملات هاتف مختلفات لكنهن مضجرات بالتساوي، لأصل إلى مجموعة بيرت نولان لبيوت الرجال. ذلك عمل آخر يضاف إلى قائمة الأعمال التي يمكنني القيام بها وتقديمها لجيم جيفريز: عاملة هاتف، حين كنت طفلة، كان ذلك عملاً ترغب الفتيات الصغيرات أن يمارسنه عندما يكبرن، عاملة مقسم، لكني لا أتذكر لماذا.

التصقت طبقة رقيقة من الخبز في سقف حلقي، وصلت أخيراً إلى صوت من بيت بيرت نولان، وفوجئت بأن أجد أنه بيرت نولان نفسه. كنت أحسب أن أي شخص يسمي بيت على اسمه يفترض أن يكون ميتاً. أخبرته أنني كنت أحاول أن أجد رنر داي فسكت، توقف قليلاً...

- حسناً، هو كان هنا وغادر، في الغالب هو غادر الشهر الماضي. لكني سأكون سعيداً لأن أعطيه رسالة، قال بيرت نولان بصوت مثل سيارة قديمة. أعطيته اسمي - لم يهتم للجزء الأخير منه - وبدأت أعطيه رقم الهاتف حين قاطعني نولان:

- أوه، هو لن يكون قادراً على إجراء مكالمات لمسافات بعيدة، أنا أخبرك بذلك من الآن. الرجال هنا يميلون لأن يكونوا مراسلين كباراً. في البريد، أتعرفين؟ يرون الخمسين سنتاً ثمن طابع بريدي أفضل من القلق والانتظار بالدور من أجل الاتصال. هل تريد ترك عنوانك؟

لم أفعل. هزّنتي فكرة أن يصعد رنر دراجتي بجزمته المهترئة من كثرة الاستخدام، ويده المتسختان حول خصره النحيل، مكشراً وكأنه انتصر عليّ في اللعبة.

- إن أردت، يمكنني أخذ أي رسالة منك وتستطيعين إعطائي أنا شخصياً عنوانك - قال بيرت نولان بعقلانية - وحين ينهي رنر رسالته، أرسلها لك بالبريد بدلاً منه ولن يعرف أبداً رمزك البريدي. الكثير من أفراد العائلات يعتمدون هذه الطريقة. إنه أمر محزن لكنه ضروري. سمعت في الخلفية صوت جهاز الصودا يلفظ عبوة منها، وأحدهم ما يسأل نولان إن كان يرغب بواحدة، فيجيبه لا، شكراً محاولاً العودة للحديث معي بصوت لطيف كأنه طبيب المدينة: أتريدين فعل ذلك يا آنسة؟ وإلا سيكون من الصعب الوصول إليه. مثلما قلت لك، هو في الواقع ليس ممن يجلسون إلى جانب الهاتف وينتظرون الرد.

- و.. ألا يوجد بريد إلكتروني؟

نخر بيرت نولان: لا، لا يوجد بريد إلكتروني، أخشى ذلك.

لم أعهد رنر يكتب الرسائل كثيراً، لكنه كان دائماً يكتب أكثر مما يتصل، لذا فكرت أن محاولتي الأفضل لإيجاده هي الذهاب إلى أوكلاهوما والانتظار عند أحد أكواخ بيرت نولان. هل يمكنك إخباره أنني أود التحدث إليه عن بن وتلك الليلة؟ أستطيع القدوم إن حدّد لي بالضبط يوماً لرؤيته.

- لا بأس.. قلت، بن وتلك الليلة؟

- نعم، هذا ما قلته.

أنا أعرف أن لاييل سيعتد بنفسه جراء تحولي المحتمل إلى جانب بن. أتخيله يخاطب جماعات نادي القتل مرتدياً إحدى ستراته المشدودة الغريبة، يشرح لهم كيف أقنعني بالذهاب لرؤية بن: في الواقع هي في البداية رفضت، أظنها كانت خائفة مما ستكتشفه حول بن.. وحول نفسها. وكل تلك الوجوه متطلعة إليه، مسرورة مما فعل، وقد أغضبني ذلك.

من أريد التحدث إليه كان الخالة دايان. دايان التي اعتنت بي لسبع من سنواتي الإحدى عشرة كيتيمة تحت سن الرشد. كانت أول من احتضنتني، أخذتني إلى بيتها المتنقل مع حقيبة أمتعتي، وثياب بي، وكتاب بي المفضل. لكن من دون ألعاب، لأن ميشيل اختزنت كل الألعاب معها في الليل، كانت تسمي ذلك حفلة الهجوع، وقد بالت عليها حين كانت تُخفق. ما زلت أذكر ألبوم الملصقات الذي أعطتنا إياه دايان يوم الجريمة - أزهار، وحيد قرن وقطط صغيرة - ودائماً أتساءل إن كان ذلك الألبوم داخل تلك الكومة المحطمة.

لم تكن دايان قادرة على شراء مكان جديد. كل المال الخاص بتأمين والدتي على الحياة ذهب لتوكيل محام محترم من أجل بن. قالت دايان إن أمي ستكون راضية بذلك، لكنها قالتها بوجه من تُنفذ وصية، وكأنها تتحدث عن أمي حديثاً طيباً قدر المستطاع. لذا نحن لا مال لدينا. كنت ضئيلة، لذا كان بإمكانني النوم في المكان المخصص للغسالة النشافة. وقد طلته دايان لأجلي.

كانت تعمل عملاً إضافياً. تنقلني ذهاباً وإياباً إلى توبيكا للعلاج، حاولت أن تكون حنونة معي. حتى بالرغم من أنها تتأذى وهي تضمني، لأن هذا يذكرها بمقتل أختها. كانت تطوقني بذراعيها مثل دولاب الهيلاهوب، وكأن عليها أن تجعلهما يحيطان بي ولا يلمسانني ما أمكن. لكنها في كل صباح كانت تقول لي إنها تحبني.

خلال السنوات العشر الأخيرة، عطلت سيارتها كلياً مرتين، كسرت أنفها مرتين، سرقت لها بطاقة الائتمان وبعثتها، وقتلت كلبتها. مقتل الكلبة هدها في نهاية

المطاف. اقتنت الكلبة المهجنة كريشيا ذات الشعر الكثيف، بعد الجريمة بفترة قصيرة. كانت كثيرة النباح وحجمها كبير يصل حتى ساعد دايان وكانت دايان تحبها أكثر مني. أو ربما تهاياً لي ذلك. كنت أغار من تلك الكلبة لسنين. أراقب دايان وهي تمشط شعرها، يداها الكبيرتان كيدي رجل تلتفان حول مشط بلاستيكي وردي، وأنتبه لمشابكها تزين فرو كريشيا، أراقب احتفاظها بصورة كريشيا في محفظتها، بدلاً من صورتي. كانت الكلبة تتضايق من قدمي المصابة، ذات الإصبعين فقط. الإصبع الثانية والخنصر، وعقد جلدية. كانت كريشيا تشمها دائماً، وكأنها تعلم أن فيها خطأ ما، وذلك ما لم يحببها فيّ.

خطت لفعل شيء ما، في الصيف ما بين السنة الثانية وما قبل الأخيرة، بينما كانت دايان في العمل، جلست في المقطورة الحارة. أزداد غضباً على غضب من تلك الكلبة، والكلبة تتكلبن أكثر فأكثر. رفضت أن آخذها في نزهة. لذا لجأت إلى الركض في حلقات مسعورة من الصوفا إلى المطبخ ثم إلى الخزانة، وهي تنبح كل الوقت. بينما كنت ألتفت، لأمتص غضبي، أظهار بأنني أشاهد أوبرا عبثية، كي أريح وأنشط ذهني، توقفت كريشيا في إحدى لفاتها وعضت الخنصر في قدمي المصابة. انقضت عليها بأنيابها وهزتها. أذكر أنني فكرت حينها أن هذه الكلبة أخذت واحداً من أصابعي المتبقية، ثم اشتد غضبي، كم سأكون مضحكة: وفي يدي اليسرى قرمة إصبع لن يتمكن أي رجل أن يضع خاتم زواج فيها، وقدمي اليمنى غير المحتملة تمنحني مشية متموجة دائماً كمشية بحار في بحيرة محاطة بالأرض. البنات في المدرسة قلن عن إصبعي إنها كوز ذرة غير تامة النمو. كان ذلك سيئاً جداً، لأنه بدا طريفاً وغريباً في آن. شيئاً يجعلك تضحك وتشيح بنظرك عنه سريعاً. أخبرني طبيب جراح مؤخراً أن عملية البتر لم تكن ضرورية، (مجرد طبيب دولة أكثر من طموح) قبضت على كريشيا من وسطها، أحسست بقفصها الصدري، بذلك الارتعاش الرهيب ينبعث من شيء صغير. الارتعاف وحده أثار غضبي. دفعته فجأة بعيداً عن إصبعي - قضمت اللحم معها - ورميتها بكل قوتي نحو المطبخ. اصطدمت بحافة

الطاولة الحادة. وانهارت في كومة مرتعشة، تنزف فوق مشمع الأرضية كله.

لم أكن أقصد قتلها، لكنها ماتت، ليس بالسرعة التي تمنيتها، لكن خلال عشر دقائق بينما كنت أذرع المكان جيئةً وذهاباً حول المقطورة أحاول أن أتصوّر ماذا عليّ أن أفعل.

حين عادت دايان إلى البيت، حاملة وجبة من الدجاج المقلي، كانت كريشيا ما زالت متمددة على الأرض، وكل ما استطعت قوله: لقد عضتني.

حاولت قول المزيد، أن أشرح لماذا لم تكن غلظتي. لكن دايان التزمت الانفراد بنفسها.

هزّت إصبعها قائلة: لا تقولي شيئاً. اتصلت بصديقتها المفضلة، فاليريا، امرأة رقيقة وحنونة في حين أن دايان كانت ضخمة وجلفة. وقفت دايان محنية الظهر فوق المغطس، تمد نظرها عبر النافذة بينما كانت فاليريا تلف كريشيا في بطانية خاصة، ثم تشاورتا خلف باب غرفة النوم المغلق، وظهرتا، فاليريا تقف صامتة وراء دايان، تبكي وتفرك يديها، ودايان تطلب مني أن أجمع أشيائي. حين أستعيد الأحداث الماضية وأتأمل فيها، أفترض أن فاليريا لا بد أنها كانت خلية دايان - كل ليلة، تستلقي دايان في سريرها وتتحدث إليها على الهاتف حتى تغفو. هما تتباحثان في كل شيء معاً، حتى أن قصة الشعر المستعار عندهما متماثلة. وفي الوقت نفسه أنا لا أهتم من كانت هي بالنسبة إلى دايان.

في السنتين الأخيرتين من المدرسة الثانوية عشت مع فتاتين مهابتين في أبليني، غيرتا، وبشكل مضاعف، أشياء كثيرة فيّ، وهما الوحيدتان اللتان تجعلانني أتصرف مكرهة بطريقة عاقلة. منذ ذلك الوقت، أصبحت دايان، تتصل بي كل بضعة أشهر. كنت أجلس معها على الخط، أسمع كل التشويش في خط الهاتف وتنفس دايان الثقيل بفعل التدخين في سماعة الهاتف. أتخيل النصف السفلي من فمها معلقاً هناك، والزغب على ذقنها وتلك الشامة الكائنة قرب شفتها السفلى، وهناك بقعة

ملونة في لحمها أخبرتني ذات مرة، ضاحكة، أنني إذا فركتها ستتحقق أمنيّاتي. أسمع صريراً في الخلفية، فأعرف أن دايان كانت تفتح الخزانة الوسطى في مطبخ مقطورتها. أعرف ذلك المكان أكثر مما أعرف بيت المزرعة. كنا أنا ودايان نثير ضجة غير ضرورية. كنا نعطس ونسعل، ثم تقول دايان، توقفي يا ليب.ي، أما إذا لم نفعل فإن فاليريا التي تكون هناك عادة، تتحدث مع دايان. فاليريا تتحدث بلطف ودايان تهدر. ثم تمنحني دايان ما يقارب العشرين ثانية تتحدث فيها إلي وتعتذر لتذهب.

توقفت عن تلقي مكالماتي حين صدر كتاب.ي (يوم جديد كلياً) كلماتها الوحيدة التي قالتها كانت: (ما الذي حدا بك كي تقومي بفعل شيء كهذا؟) كان ذلك تعصباً من دايان، لكنه مؤذٍ أكثر من عشرات الأشياء.

أنا أعرف أن دايان ستكون على الرقم نفسه. هي لم تنتقل أبداً - كانت المقطورة ملازمة لها مثل الصدفة. أمضيت عشرين دقيقة أنقب بين الأكوام في بيتي، بحثاً عن دفتر عناوين قديم لي، دفتر كان عندي منذ المرحلة الابتدائية، على غلافه صورة فتاة بشعر أحمر عقصته على شكل ذيل حصان ظن كل من رآها أنها أنا. ما عدا الضحكة.

رقم دايان مكتوب في الصفحة الأولى، واسمها مكتوب بقلم حبر أرجواني ويخطي المائل. أي نغمة سأعتمدها، وما هو تعليق مكالمتي؟ أولاً: أردت فقط سماع صفير تنفسها في السماع، صوتها يعصف في أذني مثل صفارة مدرب كرة قدم، ستقول: لماذا تأخرت كل هذه المدة الطويلة لتعودي وتتصلي؟ وثانياً لأنني أريد أن أسمع منها بماذا فكرت هي فعلاً حول بن. هي لم تلم بن أمامي، وكانت دائماً حريصة على الحديث عنه، وهذا شيء آخر أدين لها بالشكر عليه بمفعول رجعي.

طلبت الرقم. انشد كتفاي إلى أذني، وجف حلقي. أمسكت نَفسي ولم أطلقه حتى الرنة الثالثة عندما تحول الاتصال إلى المجيب الآلي فتنهدت فجأة.

كان صوت فاليريا على المجيب الآلي يطالبني بترك رسالة لها أو لدايان.

مرحباً، هذه أنا ليب.ي. أردت فقط أن أسلم عليكم وأخبركما أنني ما زلت على قيد الحياة .. أقلت السماعه، ثم أعدت الاتصال: الرجاء تجاهل الرسالة السابقة. أنا ليب.ي اتصلت لأقول أنا آسفة، لأجل أشياء كثيرة. وأحببت أن أتحدث.. تابعت. في حال كان أحد يختبرني، ثم تركت رقمي، أقلت الخط، جلست على حافة سريري، توازنت لأنهض لكني لم أجد سبباً لذلك.

نهضت. لقد عملت في هذا اليوم أكثر مما قمت به في العام الماضي، وبما أنني ما زلت ممسكة بالهاتف. اتصلت بلايل، آملة بصوت بريدي، وكالعادة، التقطته قبل أن يزعجني، أخبرته أن اللقاء مع بن كان رائعاً وأني جاهزة لأسمع منه اسم من يعتقد أنه كان القاتل. قلت هذا باختصار شديد. كأنني أقتّر المعلومات في ملعقة قياس.

عرفت أنك ستحبينه، وعرفت أنك ستأتين قريباً. صاح مبتهجاً، ضبطت نفسي مرة ثانية لنلا أغلق الخط في وجهه.

لم أقل ذلك، يا لايل، قلت إنني جاهزة لمهمة أخرى، إن أردت.

تقابلنا ثانية في مطعم مشويات تيم كلاركس، المكان غائم بالدخان المنبعث من الشواء. نادلة عجوز أخرى، قد تكون هي نفسها بشعر أحمر مستعار، تنتعل حذاء تنس لين، وتجول بخشونة، تنورتها القصيرة تلفت حولها، فتبدو ك لاعبة تنس قديمة. وبدلاً من الرجل البدين المعجب بزهريته الجديدة. كان هناك ثلة من الرجال المتأنقين في السبعينات من العمر يلعبون الورق ويهزؤون من الشعر الكث عند النساء. كان لايل جالساً إلى الطاولة التي تليهم. انقلب كرسيه بطريقة مريكة. جلست معه، وسكبت الشراب من إبريقه.

- إذن كان بن كما توقعت؟ ماذا قال؟ بدأ لايل الحديث، وساقه تهتز.

أخبرته بكل شيء، ما عدا الجزء المتعلق بأرنوب الخزف، فعلق قائلاً: - رأيت ما

عنته ماجده بقولها إنه كان يائساً؟

- رأيت. وأعتقد أنه تصالح مع عقوبة السجن. شاركت لاييل في التبصر فقط لأن الرجل أعطاني 300 دولار وأريد المزيد. هو يعتقد أنه يدفع الثمن لأنه لم يكن ليحمينا أو شيئاً من هذا القبيل. لا أعرف. اعتقدت حين أخبرته عن شهادتي، وعن كونها.. مبالغاً فيها، أنه سيهاجمني عليها، لكن.. لا شيء.

- قانونياً قد لا تكون شهادتك مفيدة بعد هذه الفترة الطويلة، قال لاييل. ماجدة تقول إن كنت تريدين مساعدة بن، علينا جمع أدلة أكثر، ويمكنك سحب شهادتك حين ننقح أمراً قضائياً للتحقيق في قانونية سجنه ونقدم ذلك كله كمجموعة كاملة. بذلك سيكون الخبر مدوياً. وعند هذه النقطة يكون سياسياً أكثر منه قانونياً. كثير من الناس أحرزوا نجاحات ملحوظة في تلك الحالة.

- يبدو أن ماجدة تعرف الكثير.

- هي تترأس مجموعة تُدعى (جمعية تحرير داي) كل ما تفعله هذه الجمعية يدور حول إخراج بن من السجن. أنا أذهب أحياناً إلى اجتماعاتها، لكنها تبدو في الغالب من أجل.. أوه.. إنهن نصيرات من النساء فقط.

- هل سمعت في زمانك أن لبن صديقة جادة؟ هل بين أولئك النساء، نصيرات تحرير داي، واحدة اسمها مولي أو سالي أو بولي؟ على يد بن وشم بهذا الاسم.

- لا سالي. بولي يبدو كاسم حيوان أليف - ابنة عمي لديها كلبة اسمها بولي، وأخرى اسمها مولي. لكنها في السبعين من عمرها أو نحو ذلك.

ظهر طبق من المقالي أمامه. النادلات يختلفن تماماً عن سابقاتهن. أعمارهن نفسها فقط، لكن هؤلاء ودودات أكثر. أحب النادلات اللواتي يدعوني بحبيبتي أو حلوتي، وهذه نادنتي بهذا.

أكل لاييل المقالي في مدة قصيرة، كان يعصر الكاتشاب على جانب الطبق، ثم

يرش الملح والبهار عليه، ويغمس كل قطعة بمفردها ويضعها في فمه بطريقة أنثوية.

- حسناً، إذًا، أخبرني من تعتقد أنه فعلها. قلت برفق أخيراً.

- مَنْ ماذا؟

جلت بعيني ووضعت رأسي بين يدي، وكأنه كان كثيراً علي، وكان كذلك تقريباً.

- أوه، صحيح، أنا أعتقد أنه ليو كيتس، والد كريسي كيتس، فعلها. انحنى إلى

الخلف في مقعده بارتياح، وكأنه ربح لعبة ألغاز للتو.

كريسي كيتس، الاسم يثير شيئاً ما. حاولت أن أوهم لایل، لكن هذا لم ينفع.

- أنت تعرفين من تكون كريسي كيتس، صحيح؟ وعندما لم أقل شيئاً، تابع وقد

أصبحت نبرة صوته دمثة ومتعاونة: كريسي كيتس كانت في الصف الخامس في

مدرستك، في مدرسة بن. وفي اليوم الذي قتلت فيه عائلتك، كانت الشرطة تبحث عن

بن لاستجوابه، هي اتهمته بالتحرش بها.

- ماذا؟

- نعم.

حرق كل منا إلى الآخر بازدياء، نظرات تماثل قول أحدهم: أنت مجنون. هز لایل

رأسه لي.

- حين تقولين أن الناس لا يتكلمون معك حول هذه الأشياء، أنت لا تمزحين.

- هي لم تشهد ضد بن.. بدأت الحديث.

- لا، لا. كان التصرف الذكي الذي فعله دفاع بن، أنه لم يربط بين قضية

التحرش وقضية القتل واعتبر القضيتين منفصلتين قانونياً. لكن هيئة المحلفين كانت

متأكدة من تلفيق هذه الحكاية ضده. كل شخص في المنطقة سمع أن بن تحرش

بهذه الفتاة الصغيرة الجميلة ابنة العائلة المحترمة، وذلك من المحتمل أن يكون هو

ما أدى إلى (جرائمه الشيطانية) أنت تعرفين كيف تنتشر الشائعات.

- إذن، هل عُرض موضوع كريس كيتس للمحاكمة؟ وهل أثبتوا أن بن ارتكب خطأ معها؟

- هذا موضوع لم يتطور أبداً، لم تأخذ الشرطة بالاتهامات. قال لایل. عائلة كيتس قامت بتسوية سريعة للموضوع مع إدارة المدرسة ثم انتقلت إلى مكان آخر. لكن أتعلمين بماذا أفكر؟ أعتقد أن ليو كيتس ذهب في تلك الليلة ليسأل بن. أعتقد أن ليو كيتس، الذي كان من الرجال الأقوياء البنية، ذهب إلى البيت للحصول على بعض الأجوبة، ومن ثم..

- انتابته نوبة غضب فقرر أن يقتل العائلة كلها؟ ذلك غير معقول على الإطلاق.

- هذا الرجل أمضى في السجن ثلاث سنوات لقتله رجلاً حين كان شاباً. هذا ما اكتشفته، قذف كرة ماء بسرعة قصوى على الرجل، أدت إلى قتله. إن له طبعاً عنيفاً. أستطيع أن أتخيل غضبه حين عرف أن ابنته تعرضت للتحرش، فقتل الجميع. ثم رسم النجوم الخماسية والرموز لإبعاد الشبهة عنه.

- ممم، غير معقول. وأنا في الواقع أردته أن يكون معقولاً.

- أن يكون أخوك من فعلها غير معقول. إنه جنون، جرائم جنونية، جزء كبير منها غير معقول. ذلك ما حير الناس في هذه الجرائم. فلو كانت معقولة، لما كانت ألغازاً فعلاً، صحيح؟

لم أقل شيئاً. كان ذلك صحيحاً. بدأت أتأمل من هزات مرشة الملح والبهار، التي كانت ترش بشكل مدهش.

- أعني، ألا تعتقدين أنها تستحق النظر فيها على الأقل؟ هل تفجّر هذا الادعاء المرعب الضخم في اليوم الذي قُتلت فيه عائلتك؟

- أظن. أنت الرئيس.

- إذن، أنا أرى أن تفكري إلى أن تجدي رنر، بالعثور على أحد من عائلة كيتس ليتحدث إليك. خمسمئة دولار إن كانت كريسي أو ليو. أنا أريد فقط أن أتأكد ما إذا كانا لا يزالان يحكيان القصة نفسها عن بن، إن كانا يستطيعان العيش مع نفسيهما. أتعرفين؟ أعني إنها لا تتعدى أن تكون كذبة. صحيح؟

شعرت بالقشعريرة ثانية. ثقتي ليست موضع اختبار الآن. ما زلت أتشبث بجزء غير اعتيادي من الثقة بالنفس: بن لم يتحرش بي. إن كان ممن يتحرشون بالأطفال، لم لم يبدأ مع طفلة صغيرة معه في البيت؟

- صحيح؟

- صحيح. أعادها لاييل ثانية.

- لكنني لست متأكدة من أنني سأموت محظوظة أكثر منك، أقصد أنا أخت الشاب الذي يقولون إنه تحرش بها.

- حسناً، حاولت ولم أصل إلى نتيجة. هز لاييل كتفيه أنا لا أنفع في تلك الأمور.

- أي نوع منها؟

- الدهاء

- أوه، حسناً هذا بالتحديد اختصاصي أنا.

- رائع، وإن تمكنت من إجراء المقابلة، أود الانضمام إليكما.

هزرت كتفي بصمت، ووقفت، أخطط لتركه مع فاتورة الحساب. لكنه رنم اسمي بصوت عالٍ قبل أن أخطو ثلاث خطوات.

- ليب.ي، هل تعلمين أن مرشّة الملح والبهار في جيبك؟

توقفت للحظة، تظاهرت بأني دائخة. أوه يا إلهي، أنا شاردة الذهن تماماً. وبدلاً

من الاستجابة، فقط أومأت له وأسرعت خارج الأبواب، فأنا أحتاجها.

تعقب لایل والدة كريسي كيتس في إيمبوري، كنساس، حيث تعيش مع زوجها الثاني، الذي أنجبت منه ابنتها الثانية بعد عشرين سنة تقريباً من ابنتها الأولى. ترك لها لایل عدة رسائل في السنة الماضية، لكنها لم تجب على اتصالاته. كان هذا أقصى ما فعله.

لا تترك رسائل لشخص أنت فعلاً تريد أن تصل إليه. لا، استمر في الاتصال والاتصال إلى أن يرفع السماعة - مدفوعاً بالغضب أو الفضول أو الخوف - عندها قل ما شئت من الكلمات التي ستبقيه على الخط.

- اتصلت بوالدة كريسي اثنتي عشرة مرة قبل أن ترفع السماعة، ثم، وبسرعة بالغة، قلت: أنا ليب.ي داي، شقيقة بن داي الصغرى، هل تذكرين بن داي؟

- سمعت صوت شفاه ندية الجانبين وصوتاً متحشرجاً، ثم صوتاً نحيلاً يدمدم. نعم، أنا أذكر بن داي. لماذا تتصلين، لو سمحت؟ وكأنني كنت مروجة بضائع.

- أود التحدث إليك أو إلى أحد أفراد عائلتك حول التهم التي وجهتها ابنتك كريسي ضد بن.

- نحن لا نتحدث عن ذلك.. ما اسمك، ليزي؟ أنا تزوجت، واتصالاتي بعائلتي السابقة قليلة جداً.

- هل تعرفين كيف يمكنني الوصول إلى ليو أو كريسي كيتس؟

- أطلقت زفرة كأنها نفثة دخان سيجارة. ليو يمكن أن يكون في أحد البارات في مكان ما من ولاية كنساس، كما أظن. كريسي؟ اتجهي غرباً على الطريق 1-70، تجاوزي كولومبيا. انعطفي يساراً داخل أي من نوادي التعري تلك. لا تتصلي مرة أخرى.

بن داي

2 كانون الثاني 1985

12:51 ظهراً

أخذ قصاصة ورق أشغال وردية من صندوق كريسي، طواها طيتين، وكتب عليها: إنها عطلة عيد الميلاد وأنا أفكر فيك. خمني من أكون؟ وكتب حرف ب في الأسفل. كريسي ستشنّ هجوماً من خلالها. فكر أن يأخذ شيئاً من صندوق كريسي وينقله إلى صندوق ليب.ي لكنه قرر ألا يفعل، لأن ظهور ليب.ي مع شيء جميل سيكون مشبوهاً. تساءل كم هي مسخرة كبيرة أن يكون هو وأخواته الثلاث في مدرسة. الفتيات الثلاث يتقاسمن خزانة ونصف لثيابهن، ميشيل تجول في ستراته القديمة، ديب.ي تلبس ما تختلسه من ميشيل، وليب.ي تلبس ما كانتا تتركانه: بنطال جينز أزرق صبياني مرّقع، قمصان رياضية قديمة ومتسخة، فساتين صوفية رخيصة توسّعت من كرش ديب.ي. ذلك هو ما يجعلهن مختلفات عن كريسي. ثيابها كلها عليها صور ماركات.

ديوندر، أيضاً ببنطالها الجينز المثالي. إذا كان بنطال ديوندر باهتاً، فذلك لأنه آخر تقليعة، وإن كان عليه بقع بيضاء فسبب ذلك هو أنها اشترته مبقعاً بالأبيض. ديوندر لديها مخصصات كبيرة، اصطحبته معها للتسوق بضع مرات، ودعمته بالثياب كأنه طفل، تطلب منه أن يبتسم. تقول له إنه يمكنه أن يتوقف عن الابتسام: اغمز

بعينك، يغمز. هو لم يكن متأكداً مما إذا كان على الشباب أن يتركوا البنات تشتري لهم ثيابهم، لم يكن واثقاً إن كان ذلك صفاقة أو لا. السيد أو - موللي، المعلم الذي يتفقدهم كل صباح، يسخر دائماً من قمصانه الجديدة التي تلبسه إياها زوجته. لكن السيد أو - موللي كان متزوجاً على كل حال. ديوندر تحبه باللباس الأسود وهو لا يملك المال ليشتري أي شيء. اللعينة ديوندر لها أسلوب خاص كالعادة.

هنالك تفسير آخر للصفاقة يتعلق بكريسي. هي زعمت أنه وقح لأنه كان في الخامسة عشرة، فبالنسبة إليها ابن الخامسة عشرة يبدو ناضجاً إلى أبعد حد. هي لم تكن مثل ديوندر، التي تضحك عليه في لحظات حرجة. يسألها ما المضحك في الأمر؟ تفهقه فقط وتدمدم وفمها مطبق: لا شيء، إنك بارع.

- هاي بن، ماذا تفعل هنا؟ ابتسمت. كانت ترتدي بنطال جينز وسترة، وحذاء رخيصاً، مشت بخطا قصيرة نحوه، تحمل لوحة إعلانات وقطعة من الريبان المنقش.

استدار مبتعداً عنها، واتجه إلى الباب عائداً إلى المدرسة الثانوية.

- أوه، لا شيء، أردت فقط أن أضع شيئاً في صندوق أختي.

- حسناً، لا تهرب، تعال وضمني على الأقل، لم أعد أراك أبداً لأنك كبرت الآن، أصبحت رجلاً في المدرسة الثانوية.

تابعت التقدم نحوه، يتردد وقع حذائها على الأرض الإسمنتية، وتنتشر تلك التكشيرة الوردية الكبيرة على وجهها، وينسدل شعر غزتها المقصوص بشكل مستقيم فوق جبينها. اصطدم بها كالطفل، نظر إلى تلك الأهداب الجارحة من الشعر الأسود. استدار كلياً بعيداً عنها ومضى يعرج نحو الباب. لكنه تأكد وهو يلتفت أنها عرفت ما كان يجري. سحبت تلك الابتسامة وبدا عليها الاشمزاز وعلت وجهها تكشيرة مرتبكة. حتى أنها لم تقل أي شيء آخر، من ذلك عرف أنها رأته. كانت تنظر إلى الصندوق الذي كان يقف أمامه - كريسي كيتس - وليس صندوق أخته.

شعر وكأنه حيوان يترنح مبتعداً. حيوان جريح بحاجة لطلقة رحمة. تمر في ذهنه ومضات لبنادق في بعض الأحيان، ماسورة بندقية موجهة إلى صدغه. كتب في واحدة من مذكراته مقولة لنيته، كان قد وجدها أثناء تجوله بين المقاعد ذات يوم، منتظراً أن يغادر لاعبو كرة القدم المبنى ليتمكن من التنظيف: التفكير بالانتحار تعزية دائمة؛

هذا ما يتوصل إليه واحد من بين كثيرين في ليلة بائسة.

في الواقع، هو لن يقتل نفسه أبداً. فهو لا يريد أن يصبح شخصاً استثنائياً مأساوياً يبكي البنات خبر موته. حتى وإن كن لم يتكلمن معه في حياته. شيء ما يبدو أكثر عاطفية من حياته الحالية. مع ذلك، في الليل، حين تسوء الأمور ويشعر بأنه محاصر ومحبط. تكون فكرة جيدة، أن يدخل خزانة أمه للأسلحة التي كُتب عليها (اتحاد 5/12/1969) ذكرى زواج والديه، التي أصبحت طرفة الآن، ويأخذ ذلك الحمل المعدني الرائع بين يديه، يدس بعض الطلقات في حجرة القذيفة فتزلق بسهولة كمعجون أسنان تماماً، يضغطها على صدغه، ويطلق الرصاص حالاً. عليك أن تطلق فوراً، البندقية على الصدغ، الإصبع على الزناد، أو أنك ستكلم نفسك وتُلغي الفكرة. يجب أن تكون حركة واحدة، ثم ترتمي على الأرض مثلما ترتمي الثياب عن العلاقة. فقط.. سوووش. وعلى الأرض، وتصبح مشكلته مشكلة شخص آخر.

نزل الدرج واتجه إلى الباب الخلفي بينما كانت مجموعة من رجال الطبقة الراقية تجتازه نحو المرأب. شعر بسخونة في رأسه تحت الشعر الأسود. ثرى بم كانوا يفكرون - إنه أخرق تماماً مثل المدرب - هم لم يقولوا شيئاً، حتى أنهم لم ينظروا إليه. بعدهم بثلاثين ثانية تماماً، فتح الأبواب بعنف، تنعكس أشعة الشمس على الثلج بياضاً مروعاً.

لو كان هذا شريط فيديو، لكان الغيتار يتوهج الآن، البار الجالب للنحاس...

بويبير .

في الخارج، كان الشباب يتكّومون في شاحنة ويتجردون من ملابسهم بحرية. ثم يتحلقون بشكل رائع في المرأب. كان يفك سلسلة دراجته، رأسه يرتجف، وتسقط نقطة دم على مقود الدراجة يمسحها برأس إصبعه، ثم يمسح السيلان الخفيف على جبهته، ومن دون تفكير، يضع إصبعه في فمه، وكأنه يلحق جليليه.

يحتاج لبعض الراحة، وربما قطعة لحم، كان يُعزي نفسه بعض الشيء. المكان الوحيد الذي يمكنه المحاولة فيه كان استراحة تري. هي لم تكن في الواقع منزل تري، وهم لم يقولوا أين يعيش تري. لكن عندما لا يكون تري في بيت ديونдра فهو، على الأرجح يكون في المجمع.

في نهاية طريق موحلة طويلة، متفرّعة من الطريق الرئيسية 41، محاطة بسياج من أشجار التفاح على الجانبين، ثم تمر بأرض مقطوعة الأشجار، يوجد فيها مستودع من التنك القاسي، يقرقع كله بفعل الريح. في الشتاء، يهدر بداخله مولد كهرباء وهو مصدر طاقة كهربائية تكفي لتشغيل مجموعة تدفئة وتلفاز ذي استقبال ضعيف. عشرات من عينات السجاد مستقرة في الضوء، رقع كريهة الرائحة على الأرض المتسخة وبضع آرائك قديمة بشعة جلبها الأهالي. يتجمع الناس حول المدافئ يدخنون فتبدو كأنها مواقد نار فعلية. الشراب مع كل منهم - فقط يضعون العلب في الجليد خارج الباب - ومع كل منهم قطعة لحم. عادة تكون هناك تجاوزات في بعض المناسبات، من كان مقتدراً منهم يأتي بعشرات الأطباق المكسيكية، بعضها مسخن بالميكروويف، وبعضها لا يزال مجمداً. إن زاد عن حاجتهم، دسّوه في الثلج إلى جانب الشراب.

بن لم يذهب إلى هناك من دون ديونдра، فذلك كان تجمّعها، لكن إلى أي مكان آخر يمكنه أن يذهب الآن؟ يظهر بجبهته المعطوبة وهو متأكد أنهم سيشيرون إليه بتذمر ويحتقرونه. يمكن ألا يكونوا ودودين - تري لم يكن ودوداً - ولكن لم يكن في

نظامهم استبعاد لأحد. بن كان متأكداً أنه الأصغر فيهم. على الرغم من حضور الأصغر: ظهر ذات مرة زوجان وطفل صغير، كان عارياً تماماً إلا من بنطال جينز. في الوقت الذي كان فيه كل شخص يرتدي ثياباً سميقة. جلس الطفل على الصوفا صامتاً يمص إصبعه. محققاً إلى بن. كانت أعمار الموجودين تتراوح بين العشرين، والواحد والعشرين أو الثاني والعشرين، كانوا في سن دخول الجامعة، هذا إن لم يكونوا راسبين في الثانوية. توقف بن جانباً على الطريق، من المحتمل أن يحبوه، وتتوقف ديوندر عن مناداته تاغ تصغيراً لكلمة تاغالونغ الفيليبيني، كما كانت تفعل.

في كل مرة تصطحبه فيها إلى هناك. على الأقل قد يتركونه يجلس في الزاوية ويشرب الشراب لساعات عدة.

ربما كان ذلك أشد إيلاماً من الذهاب إلى البيت، لكن لعن الله ذلك.

كان المستودع يقرقع حين وصل بن على دراجته أخيراً. هزات جوانبه التنكية تنسجم مع نغمات الغيتار في الداخل. كان الشباب يحضرون معهم أحياناً مكبرات للصوت، تُهَيِّجُ البار المنحوس حتى تتقلص آذان الموجودين من الألم. كان العازف ماهراً؛ يعزف بعض الأغاني الحاقدة المناسبة لمزاجه. رامادوم دو مرام! كانت الموسيقى تشبه ضجة دخول مجموعة الفرسان الغانمين. المتوهجين، تشبه صوت اختلاط بعضهم ببعض.

ترك دراجته تقع على الثلج، أسبل يديه، طقطق رقبتة. رأسه يؤلمه الآن، إنه نوع من الألم يشبه الدوي، ليس من السهل تجاهله كآلم عادي في الرأس، وكان يتضور جوعاً. امتطى دراجته واتجه إلى الطريق الرئيسي، وهو يحاول أن يقنع نفسه بالعودة إلى المستودع. عليه أن يختلق قصة من أجل الجرح في وجهه، شيئاً لا يجعله تافهاً، كأن يقولوا (أوه، طفل يقع عن دراجته) هو يتمنى الآن أن تسحبه ديوندر أو تري في الوقت المناسب تماماً، ويصطحبه إلى الداخل، ليس كرجل مهم، يبتسم له الجميع ويرفعون كؤوسهم حين يدخل من الباب.

لكنه الآن يجب أن يدخل بمفرده، يمكنه أن يرى من بعد أميال عبر ذلك الثلج المنبسط كله، أن ليس من سيارات قادمة. دفع الباب بحذائه وانسل داخلاً. صوت نقرات الغيتار المرتدّ عن الجدران يشبه صوت حيوان محاصر. الشاب الذي يعزف على الغيتار، رآه بن من قبل. ادّعى أنه عازف في فرق البوب، وبالتحديد من فرقة فان هالن، لكنه افتقر إلى تفاصيل كيفية العمل مع فرقة كهذه، لاحظ الشاب مرور بن لكنه لم يهتم به، عيناه تعومان في حشد خيالي. أربعة شباب وفتاة، جميعهم بشعر مفتول بطريقة بارعة، وكلهم أكبر من بن، تجولوا في المكان، مشوا حول زوايا السجادة، وبالكاد نظروا إليه. الشاب الأبلشع فيهم يضع يديه على وركي الفتاة، وهي تتمطى بينهما مثل قطة. أنفها أفطس ووجهها أحمر طافح بحب الشباب وتبدو كأنها رُجمت بالحجارة رجماً شديداً.

مشى بن عبر الفراغ - كانت هناك فجوة كبيرة بين الباب ومربعات السجاد - جلس على رقعة سجاد خضراء رفيعة على بعد أربع أقدام من المجموعة. أبقى عينيه عليهم بشكل جانبي وبهذا يمكنه أن يومئ لهم. لم يكن أحد يتناول الطعام، ولم يكن هناك طعام لينا له بن. لو كان تري مكانه، لhez رأسه قائلاً: إليّ ببعض من ذلك، هيا... ولكان دخّن معهم على الأقل.

عازف الغيتار أليكس، كان محترماً جداً بالفعل، الغيتار كان شيئاً آخر أراد به بن. في إحدى المرات حام حول آلة عزف (فلوريد روز ترتمبولو) في كنساس سيتي حين دخل مع ديوندر إلى متجر آلات موسيقية، وكان الأمر يبدو مناسباً، وكأنه شيء يمكن تحقيقه. فهو على الأقل يتعلم أن يعزف بعض الأغاني جيداً، ثم يعود إلى هنا ليجعل المستودع كله يهتز. فقد كان لدى كل الذين عرفهم شيء يجيدونه. حتى وإن كان ما يجيدونه هو تبذير المال فقط. أما ديوندر فقد كانت كلما أخبرها بأشياء يريد أن يتعلمها، أشياء يحب أن يفعلها، تضحك وتقول: كل ما تحتاجه هو الحصول على شيك محترم قابل للصرف.

المواد التموينية تكلف مالاً، الكهرباء تكلف مالاً، أنت لا تدرك... هذا ما كانت

ستقوله ديوندرًا. هي دفعت عدة فواتير عن بيتها، بما أن والديها يسافران كثيراً، وقد كان ذلك بالفعل، لكنها دفعتها من مال أبويها النتن. بن لم يكن واثقاً أن بإمكانه أن يحرر شيئاً. فقد كان ذلك شيئاً مذهلاً بالنسبة إليه. تساءل في أي زمن سيكون ذلك وتمنى لو أنه يذهب إلى بيتها فقط وينتظر. الآن عليه أن يبقى هنا لساعة أو أكثر، وهم لن يفكروا بأنه سيغادر لأن لا أحد منهم يتكلم معه. سرواله ما زال رطباً من انسكاب الدلو عليه. ويستطيع أن يشم رائحة التوننا القديمة على صدر قميصه.

- هيه، قالت الفتاة. هيه يا ولد.

رفع نظره إليها، الشعر الأسود على عينيه.

- ألا يفترض أن تكون في المدرسة؟ قالت كلماتها بتعالٍ بليد. لماذا أنت هنا؟

- أنا في عطلة.

- يقول إنه في عطلة. قالت لصديقتها. الشاب الأجرى، الفائز الخدين، مع خط

من الشوارب، حدق إليه آنذاك.

- هل تعرف أحداً هنا؟ سأله الصديق.

أشار بن نحو أليكس قائلاً أعرفه هو.

- مرحباً أليكس، هل تعرف هذا الولد؟

أوقف أليكس العزف، ووقف مباعداً بين ساقيه وقفة استعراضية ونظر إلى بن،

انحنى على الأرض. هز رأسه وقال: لا يا رجل، أنا لا أتسكع مع طلاب المدرسة المتوسطة.

هذا هو نوع الهراء الذي يفعلونه معه دائماً. اعتقد بن أن الشعر الأسود الجديد

سيساعده. لكنه جعله يبدو أقل عمراً. غير أن الشباب يحبون أن يداعبوه فقط، أو أن يتجاهلوه.

كان شيء ما يتعلق بتركيبته، أو أسلوب مشيته، أو شيء ما في دمه. كان دائماً يُنتقى الثالث قبل الأخير في أي فريق رياضي؛ اللاعب الاحتياطي المُبعد مباشرة وقبل أن تبدأ اللعبة. بدا أن الشباب يعرفون ذلك عنه فور رؤيته. هم يغازلون ديوندا أمامه طوال الوقت. كأنهم يعرفون أنه شبه عنين. حسناً، لعنهم الله، فقد كان مريضاً بذلك.

تمتم بن: خسئت.

- وههههههه! الولد الصغير بال في ثيابه.

- يبدو وكأنه كان في عراك. قالت الفتاة.

قال أليكس: أنتم أيها المتأنقون، هل أنتم تتعاركون؟ توقفت الموسيقى نهائياً الآن.

أسند أليكس غيتاره إلى جدار متجدد ووقف يدخن مع البقية، مكشراً وهو يهز رأسه، ارتفعت أصواتهم إلى السقف وتردد صداها، كأنها ألعاب نارية.

هز بن رأسه.

- نعم، مع من تريد أن تتعارك؟

- لا أحد، أنت تعرف.

- آه، أنا أعرف كل واحد تماماً. جريني. من كان ذلك، أخوك الصغير؟ هل

تعرضت لركلة من أخيك الصغير؟

- تري تيبانو.

- أنت تكذب، قال أليكس. تري يركلك على قفاك.

- تعاركت مع ذلك المجنون ابن الزانية الهندية؟ أليس تري نصف هندي؟ قال

الصديق متجاهلاً أليكس الآن.

- ما العمل الذي يمكن فعله مع أي شيء، مايك؟ سأل أحد أصدقائهم. وهو يمتص بعض المخدر من عقب سيجارة مثبت بمشبك شعر، توهج العقب الوردي اللامع في البرد. أطفأته الفتاة، وانتزعت المشبك من عقب السيجارة وأعادته داخل شعرها الملفوف على شكل فأر خارج بشكل معقوف من رأسها.

- سمعت أنه في ورطة كبيرة تشبه استحضار الشيطان، قال مايك.

كان تري لغزاً، أكثر مما يقول عنه بن. تحدث بن عن لقاءات منتصف الليل الخاصة في ويلشيتا حيث تراق دماءً في طقوس مختلفة، وأن تري ظهر ذات ليلة من شهر تشرين الأول في بيت ديوندر، متلويًا ومن دون قميص، ملطخاً بالدم، وأقسم أنه وبعض الأصدقاء قتلوا قطعاً خارج لورنس. وقال إنهم فكروا بدخول الحرم الجامعي، لاختطاف طالب وتقديمه قرباناً أيضاً، لكنهم ضلّوا الطريق. ربما كان يقول الحقيقة في ذلك الموضوع. لأن الخبر شاع في اليوم التالي ونشرته وسائل الإعلام. ذبحت أربع بقرات بالسواطير وسُحبت أحشاؤها. رأى بن الصور: جميع الأبقار ملقاة على جوانبها، أجساد كبيرة مكومة وأرجل معقودة محزنة. من الصعب أن تقتل بقرة. هناك سبب لقتلها، تصنيع الجلد الجيد طبعاً. تري يعمل عدة ساعات يومياً في المعادن، يضح ويضغط، يشتم ويجدف على الله.

رأى بن هذا العمل الرتيب. كان تري يتباهى، بجلد مجموعة أشخاص، ويحتمل أن يكون قادراً على قتل بقرة بساطور. كما يحتمل أن يكون معتوهاً كفاية لأن يفعل ذلك من أجل المرح، لكن أن يكون ذلك من أجل الشيطان؟!.. بن يعتقد أن الشيطان يريد شيئاً أكثر منفعة من أحشاء بقرة؛ ذهب، وربما طفل، لإثبات الولاء. فالعصابات تأمر العضو الجديد أن يقتل شخصاً ما، مثلاً.

- هو كذلك. نحن دخلنا في ظلام مطبق، قال بن.

- حسبتك قلت للتو إنك كنت في عراك معه، قال مايك. أخيراً مد يده إلى براد وراهه وناول بن علبة شراب (أوليمبيا جولد) مثلجة. فتحها بن فأحدثت صوتاً قوياً،

ومد يده ليأخذ واحدة أخرى، وتفاجأ لحصوله بالفعل على علبة شراب ثانية بدلاً من حمل من الخراء.

- نحن نتشاجر، عندما نفعل شيئاً من الأشياء التي نفعلها نحن، وستنتهي أنت في العراك. بدا ذلك غامضاً مثل قصص أليكس والعازفين.

- هل كنت من الشباب الذين قتلوا تلك الأبقار؟ سألت الفتاة.

- كان علينا فعل ذلك. كان أمراً، قال بن.

- أمر عجيب يا رجل، قال شاب هادئ في الزاوية. تلك كانت شطيرتي من الهمبرغر.

ضحكوا، ضحك كل واحد فيهم، وحاول بن أن يبدو لطيفاً ولكن صارماً، هز شعره أمام عينيه وشعر بأن الشراب يصيبه بالقشعريرة. علبتا شراب على السريع، وعلى بطن فارغ ثم أصبح ثملاً. لكنه لا يريد أن ينتهي كشخص ضئيل المقدرة.

- إذا لماذا تقتلون الأبقار؟ سألت الفتاة.

- نشعر بالراحة، إشباعاً لبعض الحاجات، وتنفيذاً لبعض الشروط الأساسية. لا يمكنك فقط أن تكوني في النادي، عليك فعلاً القيام بعمل.

اصطاد بن كثيراً، اصطحبه أبوه مرة، ثم أصرت والدته أن يذهب معها. كان أمراً ملزماً. أنت لا تعرف كم هو محرج أن تذهب للصيد مع والدتك. لكنها كانت أمه هي من جعلت منه صياداً ماهراً. علمته كيف يعالج أمر تراجع السلاح عند الإطلاق، متى يسحب الزناد، وكيف يكون صبوراً وينتظر لساعات مختبئاً. بن أطلق النار وقتل عشرات الحيوانات، من الأرانب حتى الغزلان.

إنه الآن يفكر بالجرذان، بالطريقة التي انتزعت قطة المخزن عند أمه جحر الفئران، والتهمت فأرين أو ثلاثة فئران طرية حديثة الولادة قبل أن ترمي نصف دزينة على الدرجات الخلفية. رنر غادر للتو - كان ذلك في المرة الثانية - لذا كان على

بن أن يخرجها من البؤس، كانت تتلوى بصمت، تفتل مثل سمك الإنجليس الوردى، عيونها مغلقة وكأنها مغرّة، وفي الوقت الذي قضاه وهو يركض جيئةً وذهاباً إلى المخزن مرتين، محاولاً أن يتصور ماذا يفعل، كان النمل قد تسلق عليها. تناول رفساً، أخيراً، وضربها على الأرض، تطايرت نتف منها على ذراعيه، فاشتد غضبه، كانت كل ضربة ضائعة من الرفش تغيظه أكثر.

(تظن أنني فتاة، رنر، أنت تعتقد أنني مجرد فتاة!) في ذلك الوقت كان كل شيء قد انتهى، بقعة لزجة فقط بقيت على الأرض، كان متعرقاً، وعندما رفع نظره، كانت أمه تراقبه من خلف الشبك، كانت هادئة على العشاء تلك الليلة. أدارت نحوه ذلك الوجه المرهق، والعينين الحزینتين، أراد أن يلتفت إليها ويقول: من الجيد أحياناً أن تتغلب على الأشياء بدلاً من تركها تتغلب عليك.

- مثل ماذا؟ وكزته الفتاة.

- مثل.. حسناً، أحياناً على الأشياء أن تموت. علينا قتلها. تماماً كما يحتاج المسيح لقربان طيب، وهكذا يفعل الشيطان.

الشيطان، قالها كأنه يذكر اسم أحد الشباب، هو لا يشعر أنك مزيف ولا يشعر أنك مروع. يشعر أنك طبيعي، كأنه يعرف بالفعل عما يتكلم. الشيطان يمكنه أن يشكّل نفسه هنا تقريباً، شاباً طويل الوجه والقرنين، بعينين كعيني التيس المفتوحتين.

- هل حقاً تؤمن بهذا الهراء. ما اسمك ثانية؟

- بن داي.

- بن غاي؟ لم أسمع بذلك الاسم.

تناول بن علبة شراب أخرى من البراد، دون أن يسأل أحداً، ترنح حين بدأوا الحديث. ولأن الإسراف في الشراب أثمّله، كان ما قاله، كل الهراء الذي تدحرج من

فمه، أمراً لا يمكن نكرانه. هو سيصبح مشهوراً، هو يرى ذلك، حتى بذلك التبجح الأخير. كيف يمكن لذلك التافه أن يعرف أن مزحته ستقوم وتقع.

قاموا بشواء قطعة لحم أخرى. سحبت الفتاة مشبك الشعر من شعرها ثانية. الحمقاء، بحركة لطيفة فقط ينسدل شعرها في مكانه الطبيعي. لا يكون مظهرها جميلاً من دونه.

استرد بن أنفاسه، أخذ قسطاً وافياً. لكن - لا تسعل، لا تسعل - ليس إلى الحد الذي تشعر فيه ببذور في حلقك. كانت هذه أشياء يجب أن يتخلص منها، إنها من ذلك النوع الذي يجعلك تتسخ تماماً. يجعلك ثرثاراً وتشعر بالاضطهاد، بدلاً من أن يبهجك. كان لدى بن فكرة مفادها أن كل النفايات الكيماوية من كل المزارع تتغلغل في الأرض، تمتصها النباتات العطشى بطريقة أو بأخرى، فتؤثر فيها. تلك المبيدات الحشرية والأسمدة الطبيعية الخضراء اللامعة تستقر في تجاويف الرئتين والدماغ.

كانت الفتاة تنظر إليه الآن، تلك النظرة الدائخة التي تنظرها ديب-ي بعد جلسة طويلة أمام التلفاز. كأنها تريد أن تقول شيئاً لكنها متكاسلة جداً لذا لا تحرك فمها. أما هو فأراد شيئاً ليأكله.

الشیطان لا يجوع. هذا ما فكر فيه حينها، خارج اللامكان، الكلمات في ذهنه كأنها صلاة. عاد أليكس ينقر على غيتاره ثانية، بعض معزوفات فان هالين، بعض DC/AC، أغانٍ للبيتلز، ثم عزف فجأة أوه يا مدينة بيت لحم الصغيرة.. الأوتار الرنانة جعلت رأس بن يزداد ألماً.

- هيه، لا أغانٍ للميلاد، بن لا يحب ذلك، صاح مايك.

- اللعنة، إنه ينزف! قالت الفتاة.

الجرح في جبهته انفتح، وبدأ يقطر دماً بغزارة على وجهه وبنطاله، حاولت الفتاة سده بمنديل طاولة طعام، لكنه أبعداها، ملوثاً وجهه بالدم كطلاع الحرب عند الهنود الحمر.

توقف أليكس عن عزف الأغاني، وجميعهم حدقوا إلى بن. ابتسامات مصطنعة، وأكتاف متيبسة. وقفوا متكئين باستخفاف بعيداً عنه. حمل مايك قطعة اللحم مثل القربان، على رؤوس أصابعه ليتفادى اللمس. لم يرغب بن بها، لكنه تنفس بعمق ثانية، الدخان الفاسد يحرق نسيج رئتيه أكثر.

ما حدث عند ذلك أن الباب اصطفق وأعطى نغمته المتماوجة، ودخل تري طاوياً ذراعيه، منتصب القامة، يتهادى في مشيته، ويجول بعينيه في أرجاء المكان ثم يهز رأسه إلى الخلف وكأن بن كان سمكة نافقة.

- ماذا تفعل هنا؟ هل ديوندرنا هنا؟

- هي في ساليينا، فكرت فقط أن أتوقف هنا، أضيع بعض الوقت. هم كانوا يستضيفونني.

- سمعنا عن معركتك، قالت الفتاة. ابتسم الجميع خفية، شفتاها كانتا رقيقتين ومقوستين وأشياء سيئة أخرى.

تري ذو شعر أسود طويل وأملس، ووجه منحوت، لا يُفسر. نظر إلى المجموعة على الأرض، وإلى بن الجاثم معهم، ولوهلة بدا غير واثق بقدرته على تدبّر الوضع.

- نعم، ماذا كان يقول؟ أبقى عينيه على بن والتقط علبه الشراب من الفتاة دون أن ينظر إليها. تساءل بن في سره إن كانا قد ناما معاً. لدى تري ذلك الازدراء نفسه الذي رآه بن ذات مرة مباشرة لدى صديقة قديمة: أنا لست غاضباً أو حزيناً أو سعيداً لرؤيتك. لا يمكنني التغوّل عليك، أنت لست حتى بولة.

- بعض الهراء عن الشيطان وما فعلتم أنتم الشباب ل... لمساعدته، قالت الفتاة. عندها تقلصت تكشيرة تري. جلس قبالة بن.. بن تحاشى لقاء العينين.

- هيه تري، أنت هندي أليس كذلك؟ قال أليكس.

- نعم، تريدني أن أسلخ فروة رأسك؟

- مع ذلك، عرفك ليس صافياً، صحيح؟ قالت الفتاة دون وعي.

- أمي بيضاء. ولا أواعد فتيات هنديات.

- ولم لا؟ سألت، وهي تمرر نصل مشبك الشعر داخل وخارج شعرها، أسنان المشبك المعدنية تتشابك مع تموجات شعرها.

- لأن الشيطان يحب فتاة بيضاء. ابتسم ومال برأسه إليها. بدأت تقهقه، لكن تعابير وجهه بقيت نفسها فسكتت. صديقها البشع يضع ذراعه على وركها.

هم أحبوا ثرثرة بن، إلا أن تري كان مخيفاً، جلس هناك مصالباً ساقيه تقريباً، يرمقهم بطريقة تبدو في الظاهر ودودة، لكنها كانت دون دفء كلياً. وبينما كان جسده مثنياً بشكل غير مقصود. كان كل عضو فيه متوتراً، ومشدوداً في زوايا حادة. كان هناك شيء قاس، مبهم حوله. لم يتبرع أحد لأن يمرر اللحم ثانية.

جلس الجميع بهدوء لعدة دقائق، مزاج تري أثار أعصاب الجميع. هو عادة الصاخب، العنيف، مدمن الشراب، وهو من يبدأ العراك، لكن عندما ينزعج كأنه يرسل مئات الأصابع الشديدة غير المرئية لتدفع كل واحد من أكتافه، وتغرقه.

- إذاً، هل تريد أن تذهب؟ سأل تري بن فجأة. جلبت شاحنتي، ومعى مفاتيح بيت ديوندر. نستطيع الذهاب إلى مكانها حين تعود إلى البيت. عندها شبكة اتصالات. ذلك أفضل من أن نتجمد في هذا البرد.

هز بن رأسه ولوح تلويحة شديدة العصبية للمجموعة، وتبع تري الذي صار في الخارج الآن، يعبّ الشراب على الثلج. كان بن قد تغير بشكل واضح. تكتلت الكلمات في خلفية حلقه. وبينما كان يصعد إلى داخل سيارة الجيمس حاول أن يتمم بعض الاعتذارات لتري. تري حمى نفسه تماماً، لأسباب غير واضحة. لماذا كان هو من يملك مفاتيح بيت ديوندر؟ محتمل أن يكون طلبها منها. بن لم يفكر في طلب ذلك.

- أمل أن تكون جاهزاً لإعادة ذلك الهراء الذي كنت تقوله هناك، قال تري. ركب

ناقل الحركة على وضعية الرجوع. كانت الجيمس صهريجاً، قادها مباشرة عبر الأراضي الزراعية، يتخبط فوق سيقان الذرة وقنوات الري. مجبراً بن على التمسك بالمقبض ليتفادى أن يعض لسانه. ألقى تري نظرة ذات معنى على يدي بن المسكتين بالمقبض.

- نعم، طبعاً.

- يحتمل أن تصبح رجلاً هذه الليلة.

نقر تري المسجلة. العذراء الحديدية، أغنية رائجة، نعم للجحيم، كلمات الأغاني تهمس لبن: 666.. الشيطان.. قربان.

بن وقد اشتعلت الموسيقى في رأسه. أژ دماغه، وشعر بغضب مسعور، بالطريقة نفسها التي يفعلها دائماً بطبعه، مداعبة أوتار لا تتوقف، تزيده توتراً أكثر فأكثر، يخبط رأسه إلى الأعلى والأسفل، قرع الطبول يصيب عموده الفقري، الأمر بأكمله هو نوبة من الجنون، لا تدعه يفكر بشكل صحيح، وأبقه في حالة إثارة شديدة. يشعر بأن جسده كله مثل قبضة منكمشة جاهزة للانطلاق.

ليبي داي الآن

كان الطريق من 1-70 بين كنساس سيتي وسانت لويس يستغرق ساعات وساعات من القيادة العسيرة. طريق منبسط، أصفر باهت، ولوحات الإعلانات مبعثرة على جانبيه: جنين ملفوف مثل هرة (أوقف الإجهاض ضربات قلبه)، غرفة معيشة تحول لونها إلى الأحمر جراء انعكاس أضواء سيارة إسعاف كُتب عليها (انتبه. موقع جريمة - اختصاصي رفع الآثار). امرأة قبيحة لافتة للنظر رمقتني بنظرة ازدراء لتجاوزي الدراجين (نادي هوت جيمي للشباب). يافطات توصي بمحبة المسيح بشكل ينذر بالسوء كانت موجهة لأولئك اللواتي يتخلصن من حملهن اللاشعري، وإشارات لمطاعم محلية استخدمت علامات الترقيم بشكل خاطئ ومتناغم مثل: غداء هيرب على الطريق العام - الوجبة الأفضل في المدينة، بيت أضلاع جولين - ادخل لتناول أضلاع ظهر طفل لذيذة.

كان لايل في وضع المسافر، يفكر في سلبيات وإيجابيات مرافقتي في هذه الرحلة (يحتمل أن أكون بمفردي أكثر ألفة مع كريسي، لأننا امرأتان، ومن جانب آخر هو يعرف هذا الجزء من القضية أفضل مني. ولكن يحتمل أيضاً، أن يفعل كثيراً عندها، ويسألها أسئلة كثيرة جداً ثم يفجر الأمر. فهو يخرج عن طوره أحياناً. فعيبه، إن وُجد له عيب، هو أنه يخرج أحياناً عن طوره. ثم وللمرة الثانية 500 دولار كانت مبلغاً كبيراً يُشعره أنه مسؤول إلى حد ما، وليس هناك من إزعاج في أن يأتي معي) أخيراً

أجبتة بكلمات لاذعة على الهاتف، سأكون عند حانة سارة خلال ثلاثين دقيقة، إن كان واقفاً أمام الحانة، يمكنه أن يأتي معي. طنّ، فأغلقت السماعة. الآن هو يُثير جلبة بجانب بي في السيارة، ينقر على الباب بأصابعه، يرفع القفل وينزله. يعبث بالمذياع، يقرأ كل شارة بصوت عالٍ، كأنه يحاول أن يؤكد لنفسه شيئاً ما. اجتزنا مخزن ألعاب نارية بحجم كاتدرائية، وثلاث مجموعات على الأقل من شواهد قبور لضحايا الكوارث: صلبان بيضاء صغيرة، وأزهار بلاستيكية تستقطب الغبار إلى جانب الطريق. محطات وقود عرّفت عن نفسها بإشارات مطبوعة على سكاكر معلقة على ارتفاع أعلى من الطواحين الهوائية في المزارع المجاورة.

على إحدى التلال توجد يافطة لوجه مألوف: ليزيت ستيفنس، بتلك التكمشيرة المرحّة، تحت الصورة. هناك رقم هاتف لإعطاء معلومات عن اختفائها. تساءلت في سري كم ستطول الفترة إلى أن يزيلوها ويتلاشى الأمل أو المال لدى الباحثين عنها.

- أوه، يا إلهي. قال لایل حين مررنا بليزيت. انتصب شعر رأسي، لكن مشاعري كانت شبيهة بمشاعره. من المحتمل تقريباً أن أطلب منك بعد فترة أن تتأسف على من ماتوا فعلاً. باستثناء عائلتي.

- إذاً، يا لایل، هل يمكنني أن أسألك، ما هو الشيء الذي يجعلك تهجس ب... هذه القضية؟ أثناء قلبي ذلك، ادلهمت السماء بالظلام بشكل استدعى إنارة مصابيح الطريق وكانت جميعها في نسق يمتد في الأفق، التمعت ببيضاء، وكان سؤالي أثار حفيظتها.

كان لایل يحدّق إلى ساقه، مصغياً إلي وهو يدير جنبه كما يفعل عادة. فهو عادة يوجّه أذنه إلى المتحدث. ثم ينتظر لثوانٍ، وكأنه يترجم ما قيل إلى لغة أخرى.

- إنها مجرد قصة عن جريمة لا يُعرف من قام بها حتى النهاية. هناك عدة احتمالات ممكنة، لذا من المهم أن نتكلم عنها. قال، وهو لا يزال مشيحاً بنظره عني. وها أنت وكريسي.. الطفلتان اللتان.. تسببتا بشيء ما، وأنا مهتم بذلك.

- طفلتان تسببتا بشيء ما؟

- أمر ما يحدث. أمر ما يكبر أكثر مما كان عليه، أمور لها عواقب خطيرة غير متعمدة. تقلبات، ذلك ما يهمني.

- لماذا؟

توقف برهة وقال: تهمني فقط.

كنا نحن الاثنين غير مرغوب فينا لاستدراج معلومات عن أحد ما. نُعيق البشر الذين يرتبكون في كل مرة نحاول فيها أن نقحم نفسينا. أنا فعلاً لا يهمني إن حصلنا على الكثير من المعلومات من كريسي، أكثر مما تهمني نظرية لائل، فهي تبدو لي مثل مصدر رزق.

بعد أربعين دقيقة أخرى من قيادة السيارة، بدأت نوادي التعري تظهر: موحشة، كئيبة، مبانٍ ذليلة من الإسمنت، معظمها دون اسم حقيقي. فقط إشارات مصابيح النيون تعلن عن فتيات متوهجات. فتيات متوهجات. وما ارتأيته أن بيع الفتيات لخاصية فيهن أفضل من أن يكن ميات. تخيلت كريسي تدخل المرأب المفروش بالحصى مرات كثيرة. تستعد لخلع ملابسها في نادٍ للتعري وهذا ما كان مثيراً للغاية. هناك شيء مقلق غير انتقاء الاسم. كلما رأيت الأخبار أسمع قصصاً عن أطفال قتلوا بيد آبائهم، وأفكر كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ هم اهتموا كثيراً لإيجاد اسم لهذا الطفل، وكان لديهم لحظة - على الأقل لحظة - حين كانوا يبحثون في كل الاحتمالات لينتقوا اسماً واحداً معيناً لطفلهم، ويقررون ماذا سيسمونه. كيف يمكن أن تقتل طفلاً تعبت ما فيه الكفاية لتسميته؟

- هذا سيكون أول نادٍ للتعري أزوره. قال لائل وابتسم ابتسامته الأنيقة.

انسحبت من الطريق العام، إلى اليسار، كما دلّنتي والدّة كريسي - وعندما اتصلت بالنادي الوحيد في القائمة، أخبرني رجل بدين أنه يعتقد أن كريسي في

الجوار - تدرجنا داخل مرأب بحجم مرعى، مقسم على ثلاثة نوادٍ للتعري، كلها كانت في نسق واحد. محطة وقود ومرأب للشاحنات، كانا عند آخر المساحة: في لمعان الوهج الأبيض رأيت خيالات لنساء يهرولن مثل القطط بين السيارات، أبواب تفتح وتغلق، سيقان عارية تركل إلى الخارج وهن ينحنين إلى الداخل لإصلاح مكياجهن. افترضت أن معظم راقصات التعري توقفن عن العمل كسائقات شاحنات حالما تعاقدن مع النوادي.

خرجت من السيارة وبحثت في الملاحظات التي أعطانيها لایل، قائمة أسئلة مرقّمة، وأنيقة كي أطرحها على كريسبي، إن وجدناها. (رقم 1): هل ما زلت تؤكدين أن بن داي تحرش بك عندما كنت طفلة؟ إن كان كذلك، اشرحي لنا كيف حدث ذلك الأمر، رجاء). وبدأت بمراجعة بقية الأسئلة عندها استرعت انتباهي حركة على يميني. بعيداً في مرأب الشاحنات، خيال صغير أخفى نفسه إلى جانب شاحنة ثم اتجه نحوي بخط مباشر وبشكل انفعالي، مثل مشيتك حين تكون قد أضعت شيئاً وتحاول ألا تجده. يمكنني رؤية الكتفين مندفعتين إلى الأمام، تسبقان الجسد، وكأن الفتاة لا خيار لديها سوى التحرك نحوي منذ أن بدأت تمشي. وكانت فتاة. رأيت حينما وصلت إلى الجانب الآخر من سيارتي، وجهاً واسعاً كوجه دمية لمع في ضوء الشارع، وشعراً خرنوبياً مسحوباً على شكل ذيل حصان في قمة رأسها.

- هيه، هل معك سيجارة، أكاد أنفجر؟ قالت ورأسها يهتز مثل مريض الباركنسون.

- هل أنت على ما يرام؟ سألتها، وأنا أحاول أن أتمعن بها، أقدر عمرها، خمسة عشر أو ستة عشر عاماً. كانت ترتعش في قميص قطني رقيق فوق تنورة قصيرة وحذاء طويل، كان من المفترض أن تبدو مثيرة لكنها بمنظرها الطفولي، بدت طفلة في الروضة تلعب دور راعية بقر.

- هل معك سيجارة؟ كررت سؤالاها، متألة، بعينين دامعتين. قفزت على كعبيها

تقلب النظر بيني وبين لائل، الذي كان يراقب الرصيف.

لدي علبة سجائر في مكان ما في صندوق سيارتي، لذا انحنيت أفتش فيه بين حافظات وجبات سريعة قديمة، تشكيلة أكياس شاي سرقتها من مطعم. (شيء آخر يجب ألا يشتريه أحد: أكياس الشاي) وكومة من ملاعق معدنية رخيصة (ديتو)، علبة السجائر فيها ثلاث سجائر، إحداها مكسورة. استعنت بالاثنتين الأخريين. نقرت القداحة، فانحنت الفتاة بطريقة ملتوية، ثم وصلت أخيراً إلى الشعلة، (آسفة أنا لا أرى شيئاً من دون نظارتي) أشعلت سيجارتي. وبدأ رأسي يقوم بتموجات ساخنة راقصة بعد السحبة الأولى من النيكوتين.

- أنا كولين قالت، وهي تمتص السيجارة. انخفضت درجات الحرارة بسرعة مع غروب الشمس فوقفنا متقابلتين نقفز إلى الأعلى والأسفل لندفأ.

كولين كان اسماً حلواً جداً كأنه اسم لمركب عتيق، كان لأحد ما ذات مرة.

- كم عمرك كولين؟

ألقت نظرة سريعة على مرأب الشاحنات وابتسمت، ثم انحنت بكتفيها وقالت: أوه، لا تقلقي، أنا لا أعمل هنا. أعمل هناك وأشارت إلى النادي الأوسط للتعري بإصبعها الوسطى. أنا قانونية. أنا لا أحتاج إلى.. وأشارت إلى الخلف نحو صف الشاحنات، جميعها ثابتة، بالرغم مما كان يحدث في داخلها. نحن فقط نسهر على راحة بعض الفتيات اللواتي يقمن بهذا العمل، شيء من الأخوة. هل أنت جديدة هنا؟

ارتديت (بلوزة قطع) بلا رقبة ولا أكمام، مفترضة أنها ستجعل كريسي مرتاحة أكثر حين أجدها. إشارة إلى أنني غير محتشمة.

- أوه، لا. نحن نبحث عن صديقة. كريسي كيتس؟ هل تعرفينها؟

- قد تكون لها كنية مختلفة الآن. قال لائل ثم أشاح بنظره نحو الطريق.

- أنا أعرف واحدة باسم كريسي كيتس، هل هي أكبر مني؟

- في أواسط الثلاثينات تقريباً. كان جسم كولين يرتعش، افترضت أنها مدمنة مخدرات، أو أنها قد تكون بردانة فقط.

- حسناً قالت وقد أنهت سيجارتها بسحبة قوية. هي تكسب رزقها في ورديات النهار في نادي مايك بعض الأحيان وأشارت إلى أبعادٍ حيث تضيء أنوار النيون حروف G.R.S فقط.

- ذلك لا يبدو جيداً.

- لا، أبدأً. لكنك تتنازلين قليلاً في بعض الأحيان، صحيح؟ وما زال مجدياً معها، لأنني أعتقد أنها صرفت مبلغاً من المال على عمليات نفخ الثديين، غير أن مايك لم يضع في حسبانها أنها لن تكون في الذروة بعد الآن. غير أن الاشتغال بالثديين غير خاضع للضريبة قالت كولين كل هذا بغرور مراهقة من دون ندم، فهي تعلم أن لديها عشرات السنين قبل أن يمسه نل كهذا.

- إذن، هل علينا أن نعود خلال وردية النهار؟ سأل لاييل.

- إمممم. يمكنك الانتظار هنا، قالت بصوت طفولي. يجب أن تكون قد أنهت عملها الآن. وأشارت نحو صف الشاحنات. عليّ أن أستعد للعمل، شكراً على السجارة.

هرولت، بتينك الكتفين المندفعتين إلى الأمام ثانية، نحو المبنى الأوسط المظلم، دفعت الباب على مصراعيه، واختفت في الداخل.

- أعتقد أنه علينا الذهاب. يبدو أن هذا الطريق مسدود، قال لاييل. كنت سأطبق عليه لأنه حشر نفسه. قلت له أن ينتظرنني في السيارة فقط. حينها لاح خيال آخر يقفز من شاحنة بعيدة في الصف، ويتوجه إلى المرأب. كل النساء هنا يمشين وكأنهن يواجهن ريحاً عاتية. تقلصت معدتي لأنني تخيلت نفسي مأسورة هنا أو في أي مكان آخر يشبهه. ولم أكن مختلفة عنهن لهذه الدرجة. لأنني امرأة بلا عائلة ولا

مال ولا مهارات. امرأة ذات استشراف مؤدٍ معين للأموال. أنا أعرف أن فتح ساقى لرجال لطفاء سيكون جيداً لبضعة أشهر من أجل تأمين وجبات مجانية. سأفعل ذلك دون الشعور بالذنب، ترى كم سيستغرق من الوقت العثور عليّ هنا؟ أحسست بأن حنجرتي تضيق لل لحظة، ثم انفجرت. لديّ مال آت الآن.

الشكل كله كان خيالياً: أستطيع أن أُميّز شعراً منفوشاً، والحواف الناتئة من شورت قصير. محفظة كبيرة الحجم. ساقين ثخينتين قويتين، هي قدمت من الظلام، لتظهر وجهاً أسمر بعينين متقاربتين بعض الشيء. جميلة لكنها كالثعلب. وكزني لايل وهو ينظر نظرة اختبار لأرى إن كنت سأتعرف إليها. لم أفعل، لكنني قمت بتلوحة سريعة فقط فتوقفت تهتز. سألتها إن كانت كريسي كيتس.

- أنا هي، قالت. وجهها الثعلبي متلف بشكل مدهش، متعاون، كأنها توقعت أن شيئاً جيداً سيحدث. كان تعبيراً غريباً، إن أخذنا المكان الذي أتت منه بعين الاعتبار.

- كنت آمل أن أتحدث إليك.

- لا بأس، هزت كتفيها. عن ماذا؟ لم تستطع أن تميزني: لا شرطية، ولا باحثة اجتماعية، ولا راقصة تعري، ولا معلمة لابنها إن اعتبرنا أن لها ولداً. ألق نظرة فقط على لايل، بينما كان يحدق فيها فاغراً فاه ويستدير كلياً مبتعداً عنها. سألت: - هل تريدان التعرف إلى العمل هنا؟ هل أنت صحفية؟

- حسناً، كي أكون صريحة معك. إنه حول بن داي.

- أوه، حسناً، نستطيع الدخول إلى نادي مايك، أيمكنك أن تشتري لي مشروباً؟

- هل أنت متزوجة؟ هل مازال اسمك كريسي كيتس؟ قال لايل من دون تفكير.

عبست كريسي في وجهه، ثم نظرت إليّ للتوضيح، فتحت عينيّ واسعاً، وكشّرت: النظرة التي تتبادلها النسوة حين يكن محرجات من الرجال الذين يرافقتهم. تزوجت

ذات مرة قالت. الاسم الأخير كوانتو الآن. ولأنني كسولة جداً فقط، لم أبدله. هل تعرفين كم هو مؤلم ذلك؟

ابتسمت وكأني فعلت. ثم فجأة كنت أتبعها عبر المرأب، أحاول الابتعاد عن طريق الحقيبة الجلدية العملاقة التي ترتطم بردفيها. نظرت إلى ليل كي يللم نفسه. قبل أن نصل إلى الباب، توارت إلى جانب النادي وهي تتمتم: هل تمانعين؟ واستنشقت شيئاً ما من كتلة صغيرة في رقاقة سحبتها من جيبها. ثم أدارت ظهرها لي كلياً وأصدرت غرغرة. لا بد أنه مؤذ.

استدارت كريسبي نحوي، على وجهها ابتسامة عريضة.. كانت تغني، لكنها توقفت بين الكلمات، بدت وكأنها نسيت لحن الأغنية. نشقت أنفها، الذي كان مكتنزاً جداً، ذكرني بسرة البطن التي تظهر عند النساء الحوامل.

- مايك. نازي يستخدم قوته بشكل وحشي في هذه الأمور، قالت ودفعت الباب لتفتحه.

ذهبت إلى نواد للتعري سابقاً - قديماً في التسعينيات حين كانت ممنوعة وتعتبر صفيقة. قديماً حين كانت النساء مهزومات كفاية ليفكرن بأن الجنس هو المخلص.

يعملن على التظاهر بأنهن مثيرات للنساء لأن الرجال يعتقدون أنك مثيرة إن اجتذبت النساء. مع ذلك، أظن أنني لم أذهب إلى واحد في هذا المستوى من الانحدار. كان النادي صغيراً وغائماً. بدت الأرضية والجدران مطلية جيداً. على خشبة مسرح وضيعة كانت فتاة شابة ترقص بشكل سمج، تمشي في المكان. في الواقع. خصرها ملتف بسير جلدي صغير جداً. كانت جاحظة العينين... في المقابل، الرجال - كان هناك ثلاثة منهم فقط، جميعهم في قمصان داخلية، منكبين فوق الشراب على طاولات منفصلة - ينخرون أو يومنون. وكان هناك مرافق ضخم يتفحص نفسه في مرآة حائطية، ضجراً.

جلسنا ثلاثتنا على نسق واحد إلى البار، أنا في الوسط. لف ليل ذراعيه ويديه

تحت إبطيه، محاولاً ألا يلمس شيئاً. ينظر إلى كل شيء مثلما كان ينظر إلى الراقصة دون النظر إليها بالفعل. ابتعدت عن المسرح وفركت أنفي.

- أعرف، صحيح؟ قالت كريسي. اللعنة على المكان. هذا على حسابك، صحيح؟ لأنني لا أملك مالاً. وقبل حتى أن أوافق طلبت لنفسها الشراب والتوت البري، فطلبت الشيء نفسه تماماً لي. يسجل لایل ذلك على البطاقة، وبينما كان يعرض بطاقته على النادل بدأ النادل يقوم بتصرفات غير مريحة. صوته كان يشبه صوت البطة، وعلى وجهه ابتسامة غير اعتيادية. لم ينظر إلى أعيننا مباشرة، ولم يعط أية إشارة على أنه كان يمثل شخص أحد. حدق النادل إليه، فقال لایل: (الإجازة هل رأيتها؟) إلا أن الشاب استدار مبتعداً.

وهكذا فعلت أنا.

- إذن، ماذا تريدان أن تعرفي؟ ابتسمت كريسي، ومالت نحوي. فكرت إذا كنت سأخبرها من أكون. لكنها بدت لامبالية فقررت أن أحمي نفسي من المشاكل. كانت امرأة تريد صحبة فقط...

أحببنيهما؟ سقسقت كريسي ونهزتهما. هما نصف جديدين. حسناً، أعتقد أن عمرهما قارب السنة الآن. عليّ أن أحتفل بعيد ميلادهما. ليس لأنهما ساعداني هنا، اللعين مايك كلّفني بالورديات. مع ذلك، لا بأس، لطالما رغبت بثديين كبيرين، والآن هما لدي. لو أنني أستطيع التخلص منهما. هذا ما أحتاجه: أن أتخلص منهما. أمسكت كتلة شحم، مدّعية أنها الآن أسوأ مما كانت عليه. تحتها تماماً، بدا التآلق الأبيض من أثر جرح عملية قيصرية متلوياً إلى الخارج.

- إذن بن داي، ابن الزنا ذو الشعر الأحمر. هو حقاً من أفسد حياتي كلها.

- إذن أنت تؤكدين أنه تحرش بك؟ قال لایل، وهو يطل برأسه من خلفي مثل سنجاب. استدرت لأحملك إليه غاضبة. لكن كريسي لم يبدُ عليها الاهتمام. كانت غافلة من تأثير المخدر وتابعت التحدث إليّ فقط.

- نعم، نعم. كان كل ذلك جزءاً من عمله الشيطاني. أعتقد أنه كان سيضحى بي. أعتقد أن تلك كانت هي الخطة. كان سيقتلني لو لم يقبضوا عليه، أنت تعرفين، ماذا فعل بعائلته. الناس دائماً يريدون عيبتهم من الجرائم. تماماً كما لو أن كل واحد في كناكي كان يعرف شخصاً مارس الجنس مع أمي. كل شخص تعرض لنزاع مع بن. هو هدد بقتلهم، رفس كلبهم، نظر إليهم بشكل مرعب حقاً ذات يوم. هو ينزف حين يسمع أغنية عيد الميلاد. يريهم علامة الشيطان، موشومة وراء أذنه، ويطلب منهم الانضمام إلى زمرته.

لدى كريسي ذلك الحماس، كانت معبأة بتلك الأمور قبل أن تبدأ بالكلام.

- إن ما الذي حدث بالضبط؟ سألتها.

- هل تريدين نسخة PG أم نسخة R وطلبت جولة أخرى من الشراب والتوت

البري.

ثم صرخت طالبة ثلاث جرعات من نوع سليبيري نيبال. صبها النادل مجهّزة، في إبريق بلاستيكي، رافعاً حاجبيه لي. وسألنا إن كنا نريد أن نبدأ بجدولة الحساب.

- لا بأس، كيفن، صديقتي ستتكفل بالدفع، قالت كريسي. بأية حال ما هو

اسمك؟

تجنبت سؤالها بسؤال النادل كم يترتب عليّ أن أدفع. دفعت من رزمة عشرينات من الدولارات نشرتها على شكل مروحة وبهذا عرفت كريسي أنني أملك الكثير من المال. (تشرب على حساب.ي لتعرف كم في حسابي).

- ستحبينها، كأنك تشربين حلوى.. نخبك، ورفعت الكأس وتحت تأثير السكر

أومأت نحو نافذة مظلمة في نهاية النادي، حيث توقعت أن مايك كان يجلس هناك. شربنا، فأحرقنا الجرعة حلقي. أما لاييل فقد صرخ: وووو كأنها جرعة ويسكي.

بعد عدة جرعات، عدّلت كريسي من وضع ثدييها ثم سحبت نفساً عميقاً من

الهواء.

- إذاً، نعم كنت في الحادية عشرة، أما بن فقد كان في الخامسة عشرة. بدأ يحوم حولي بعد الدوام في المدرسة. كان يراقبني فقط. لاحظت ذلك دوماً. وكنت دائماً طفلة جذابة، أنا لا أتباهى، كنت كذلك تماماً. وكان لدينا مال كثير. أبي - هنا لاحظت وميضاً من الألم في عينيها، وتغضناً سريعاً في شفتها كشف عن سن واحدة - كان رجلاً عصامياً. انخرط في صناعة أشربة الفيديو منذ نشوئها، كان أكبر تاجر أشربة فيديو في الغرب الأوسط.

- مثل أفلام السينما.

- لا، أشربة فارغة ليسجل الناس عليها أشياء، هل تذكرين؟ حسناً ربما كنت صغيرة جداً.

لم أكن صغيرة.

- في أية حال، إذاً يحتمل أنني كنت نوعاً من الهدف السهل. لم أكن طفلة مدركة أو أي شيء، لأن أمي لم تولني العناية الكافية طوال الوقت، على ما أعتقد. في هذه المرة كانت نظرة المرارة أكثر وضوحاً في عينيها.

- انتظري، من جديد لماذا أنت هنا؟ سألت.

- أنا أبحث في القضية.

تهدل فمها من زاويتيهِ. أوه، ظننت لبرهة أن أمي قد أرسلتك. أنا أعلم أنها تعرف أنني هنا.

نقرت بأظفارها المطلية بالأرجواني مطولاً على طاولة البار وأخفيت أنا يدي اليسرى بإصبعها المبتور، تحت نظارتي الشمسية. كنت أعرف أنه عليّ مراعاة حياة كريسي الخاصة، لكني لم أفعل. حسناً. حرصت كفاية على ألا أخبرها أن أمها لن تبحث عنها أبداً.

واحد من الزبائن الدائمين على إحدى الطاولات البلاستيكية كان يسترق النظر إلينا طيلة الوقت، ينظر من فوق كتفه وهو مطلقاً من السكر. أردت أن أخرج من هناك، وأترك كريسبي وقضاياها ورأيي.

بدأت كريسبي الحديث ثانية: كان بن حقيراً معي. كان مثل.. أتريدين بعض رقائق البطاطا؟ إنها لذيذة هنا.

رقائق البطاطا كانت معلقة في أكياس وجبات سريعة رخيصة وراء البار (رقائق البطاطا حقاً لذيذة هنا) عليّ أن أحب المرأة لمعاملتها لي بهذه الجديّة. أوامات لها بنعم، وعلى الفور كانت دموع كريسبي تسقط داخل الكيس، الرائحة النتنة من الكريم المتخمر والبصل جعلت فمي رطباً على الرغم من طعمها الطيب. علكة صفراء منكهة من كريسبي تفي بالغرض.

- في كل حال. هكذا كسب بن ثقتي ثم بدأ يتحرش بي.

- كيف كسب ثقتك؟

- تعرفين.. علكة، حلوى، قول أشياء جميلة لي.

- وكيف تحرش بك؟

- اصطحبني إلى غرفة الحارس حيث يحتفظ بأشيائه. كان يعمل بواباً في المدرسة. أنا أذكر أن رائحته كانت دائماً مرعبة، مثل ممسحة قدرة... ثم قام هو بتمثيل ذلك عليّ وجعلني أقسم بالولاء للشيطان. كنت خائفة جداً. قال لي، تعرفين، أنه سيؤدي والديّ إن تكلمت بذلك.

- كيف جعلك تدخلين الغرفة؟ سأل لايل إن كان ذلك في المدرسة؟

أحنت كريسبي رقبتها، كان ذلك تعبير الغضب نفسه الذي أفعله دائماً عندما يسألني أحد عن إفادتي حول بن.

- مضبوط، تماماً. أنت تعرف أنه يهددني. لديه مذبح مخفي هناك، أخرجه،

وكان صليباً مقلوباً رأساً على عقب. وأعتقد أيضاً أنه كان هناك بعض حيوانات ميتة كان قد قتلها كنوع من القرابين. ذلك ما دفعني للتفكير بأنه يخطط لقتلي. لكنه قتل عائلته بدلاً مني. العائلة كلها كانت. ذلك ما سمعته، العائلة كلها كانت تعبد الشيطان وكانوا من أتباعه.

لعتت كسرة بطاطا عن أظفارها البلاستيكية السمكية.

- أشك في ذلك، تمتمت.

- حسناً، كيف تعرفين؟ زعقت كريسي، أنا عشت ذلك الشيء، تمام؟

بقيت أنتظر لتكتشف من أكون، لتتوقف عند وجهي - فهو ليس مختلفاً عن وجه بن - لتطوف في ذاكرتها، لتلاحظ مفرق شعري العريض من جذور الشعر الحمر النابتة في رأسي.

- إذاً، كم مرة تحرش بن بك؟

- لا تعد ولا تحصى هزت رأسها بكآبة.

- كيف كان رد فعل أبيك حين أخبرته بما فعل بن بك؟ سأل لایل.

- أوه يا إلهي. كان يحميني، خرج عن طوره، أصبح نيرانياً تماماً. جال المدينة كلها في سيارته بحثاً عن بن في ذلك اليوم. اليوم الذي حدثت فيه الجرائم، أنا أفكر دائماً لو أنه فقط وجد بن، لقتله، ومن ثم كانت عائلة بن ستبقى على قيد الحياة. أليس ذلك محزناً؟

تقلصت أحشائي عند ذلك ثم تفجّر غضب.ي.

- عائلة بن، عبدة الشيطان المرعبين.

- حسناً، يحتمل أنني أبالغ في الأمر. أمالت رأسها، بالطريقة التي يفعلها كبار

السن حين يحاولون أن يسترضوا طفلاً. أنا متأكدة أنهم كانوا مسيحيين صالحين.

فكري فقط، لو أن أبي وجد بن مع ذلك..

- فكري فقط لو أن أباك لم يجد بن وبدلاً من ذلك وجد عائلتي، وجد بندقية، وجد فأساً، لمسحنا من الوجود. هو تقريباً مسحنا من الوجود.
- هل عاد أبوك إلى البيت في تلك الليلة؟ سأل لایل. هل رأيته بعد منتصف الليل؟

أرخت كريسي ذقنها ثانية، رفعت حاجبها إليّ. وأضفت للتأكيد أكثر: أعني، كيف عرفت أنه لم يحتك أبداً مع أحد من آل داي.

- لأنني جادة، كان سيسبب أذى خطيراً. لأنني كنت مثل التفاحة في نظره. وذلك الموضوع قتله، ما حدث لي قتله.

- هل هو يعيش في الجوار؟ سأل لایل بصوت عالٍ، حدته كانت تشبه جهاز تضخيم الترددات.

- أوه، نحن فقدنا الصلة. قالت، وهي الآن تنظر حول البار من أجل العرض التالي.

- أعتقد أن ذلك كان كثيراً جداً عليه.

- عائلتك ادّعت على المدرسة، ألم يفعلوا ذلك؟ قال لایل منحنياً يريد التماذي.

حرّكت مقعدي وبهذا أغلقت عليه الطريق قليلاً، آملة أن يفهم عليّ وتصله الفكرة.

- إلى جهنم. هم يستحقون أن يكونوا مستهدفين. لسماحهم لواحد مثل ذلك بأن يعمل هناك ولتركهم طفلة صغيرة تتعرض للتحرش تحت أنوفهم تماماً. أنا انحدرت من أسرة صالحة - قاطعها لایل هل تمنعين إن سألت، في التسوية.. كيف انتهت، أوه، هنا؟

الآن استدار الزبون الجالس إلى الطاولة كلياً في كرسيه، يراقبنا، وكأنه يشترك معنا في الحديث اشتراكاً.

- تعرضت عائلتي لبعض التراجعات في العمل. فقدنا المال لفترة طويلة. إن الأمر لا يبدو سيئاً، أن أعمل هنا. الناس يعتقدون ذلك دائماً. لكنه ليس كذلك. إنه مقوٍ، إنه ممتع، يجعل الناس سعداء. كم من الناس يمكنهم قول ذلك عن أعمالهم؟ إنه ليس مثل أن أكون عاهرة.

عبست قبل أن أتمكن من مساعدة نفسي، نظرت في اتجاه مرأب الشاحنات.
- أهو ذلك؟

- أجابت كريسي بهمس واهن كنت أحصل على شيء ما لهذه الليلة. لم أكن.. أو يا إلهي. لا. بعض الفتيات يفعلن ذلك. لكن أنا لا. هناك فتاة مسكينة في السادسة عشرة من العمر تقوم بذلك مع أمها. حاولت أن أرهاها وأعتني بها. كولين. أظن أفكر أنه هل عليّ أن أستدعي جمعية رعاية الطفل لها أو شيئاً من هذا القبيل. بمن تتصلين من أجل شيء كهذا؟

سألت كريسي هذه الأسئلة وبكل اهتمام.

- هل يمكننا أخذ عنوان والدك؟ سأل لايل.

وقفت كريسي، بعد ما يقارب العشرين دقيقة مما كنت سأفعل: أخبرتك أننا لسنا على تواصل، قالت.

بدأ لايل يقول شيئاً ما حين التفت إليه، سددت إصبعاً نحو صدره وغمغمت اخرس. فتح فمه، أغلقته...

كان الوقت متأخراً جداً، ورغم ذلك، كانت كريسي تقول الآن أنه عليها الذهاب لمقابلة أحد ما. وبينما كنت أحاسب النادل سألتني إن كانت تستطيع أن تقترض مني عشرين دولاراً.

- سأشتري بعض الغذاء لكولين. كانت تكذب. ثم وبسرعة غيرت المبلغ من عشرين إلى خمسين دولاراً قائلة: لم أصرف الشيك لقاء عملي بعد. سأعيد لك كل ما دفعته ثم قامت بدور متقن في الحصول على قصاصة ورق وقلم من أجلي، طلبت مني أن أدون عنواني وأنها سترسل لي النقود كاملة. من دون وعي وضعت النقود على مقعد لایل، ووجهتها إلى كريسبي، كانت تعدّها أمامي وكأنني أنقصت لها المبلغ. ثم فتحت جيباً كبيراً في حقبيتها فتدحرج كوب أطفال منها على الأرض.

- اتركه، لوحت لي حين انحنيت لألتقطه، فتركته.

ثم أخذت الورقة الملطخة بالزيت ودونت عنواني واسمي. لیب-ی دای. اسمی لیب-ی دای. أنت كاذبة عاهرة.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

1:50 بعد الظهر

تساءلت باتي كم عدد الساعات التي قضتها هي ودايان تتجولان بسيارتيهما معاً: ألف؟ ألفان؟ قد تعادل إذا جمعتها كلها، مجموع ما قضتاه في قيادة السيارة لسنتين. حسبته بالطريقة نفسها التي تقوم بها شركات صناعة الفرشات دائماً: أنت تقضي ثلث حياتك في النوم، لماذا لا تقضيه على فرشاة مريحة كومفورت كوش؟ هم يقولون: ثماني سنوات تقضيها وقوفاً على الدور. ست سنوات وأنت تبول. الخراء مثل ذلك، الحياة مقبلة. سنتان من الانتظار في عيادة الطبيب. لكن بالنسبة إليها: ثلاث ساعات تقضيها في مراقبة ديب.ي على الإفطار وهي تضحك حتى يسيل الحليب على ذقنها. أسبوعان من تناول فطيرة مائة صنعتها لها بناتها وقد بقي وسطها رائباً بخليط الحليب والبيض. ساعة واحدة فقط في التحديق بذهول حين يثبت بن قبعة البيسبول خلف أذنيه بالاشعور بشكل مطابق تماماً لما كان يفعله جده. وقد توفي جده حين كان طفلاً صغيراً جداً. ست سنوات في جمع السماد، أضف إلى ذلك، ثلاث سنوات في التهرب من جباة الضرائب. ربما شهر في ممارسة الجنس ومن المحتمل يوم واحد فقط في ممارسة الجنس بسعادة.

هي عاشت ثلاثة رجال في حياتها. صديقها اللطيف في المدرسة الثانوية. ورنر

العامل البارع الذي سرقها من صديقها اللطيف في المدرسة الثانوية وتركها مع أربعة أطفال رائعين. ثم شاب واعدته لعدة شهور في مكان ما في السنوات التي تركها رنر فيها. نأما معاً ثلاث مرات بوجود الأطفال في البيت. كانت تنتهي دائماً بشكل مربك. بن في عمر الحادية عشرة متجهم ونزاع إلى التملك. يبيت في المطبخ وبهذا يمكنه أن يحدق إليهما بانشداه وهما يغادران غرفة نومها في الصباح. كانت باتي ترتبك من مني الرجل عليها برائحته الواخزة وهي تحضن أطفالها وهم ما زالوا في بيجاماتهم. كان واضحاً منذ البداية أنه ليس عليها فعل ذلك، ولم تعد لديها الشجاعة للمحاولة ثانية. ليبني ستتخرج من الثانوية بعد أحد عشر عاماً، في ذلك الوقت قد يكون الأمر محتملاً. هي ستكون في الثالثة والأربعين، وهو العمر الذي يفترض أن تكون النساء فيه في ذروة الرغبة الجنسية فعلاً. ربما كان ذلك هو سن اليأس.

- هل سنذهب رأساً إلى المدرسة؟ سألت دايان، فاستفاقت باتي من شرودها لثلاث لحظات وتذكرت مهمتها الفظيعة، مهمتها: إيجاد ولدها و.. ماذا بعد؟ هل تخبئه إلى أن تنتهي العاصفة؟ أم تأخذه إلى بيت الفتاة الصغيرة وتسوي المسألة كلها؟ في الأفلام العائلية، الأم دائماً تضبط ابنها وهو يسرق فتجره عائدة به إلى المخزن وتجبره على تسليم الحلوى براحة يد راعشة، وعلى أن يطلب السماح. هي تعلم أن بن سرق من المحلات بعض الأشياء قبل أن يبدأ بإغلاق باب غرفته، كانت تجد في بعض المناسبات مواد غريبة بحجم الجيب في غرفته: شمعة، بطاريات، كيس ألعاب فيه جنود بلاستيكية. لم تكن تقول أي شيء، كان ذلك رهيباً، فهي من جهة ترغب في البحث في المسألة - أن تقود سيارتها كل الطريق إلى المدينة وتسال الولد عن سر تدني الأجر الذي دفعه وتهتم بالطريقة التي فعل فيها ذلك، ومن جهة أخرى (سيئة أيضاً) تتساءل لم بحق الجحيم لا يحق للولد أن يملك القليل من المال، لم لا يدعي أن ذلك شيء أعطاه إياه صديق له؟ دعيه يمتلك هذه الأشياء التافهة المسروقة. إنها نقرة حصوة في مخطط الأعمال الخاطئة الكبير.

- هو لن يذهب إلى المدرسة. هو يعمل فقط في أيام الآحاد.

- حسناً، إذاً أين؟

وصلنا إلى إشارة ضوئية، تتأرجح على سلك وكأنها غسيل منشور. الطريق مسدود بمنتجع لعائلة إقطاعية تعيش في كولورادو. استدارنا إلى اليمين واتجهنا إلى كيناكي الحقيقية المدينة والمدرسة. ثم إلى اليسار وذهبنا إلى عمق كيناكي. كلها أراضٍ زراعية، حيث يعيش اثنان من أصدقاء بن. مزارعا المستقبل في أمريكا، الخجولان، اللذان لا يجروان على السؤال عن بن حين ترفع هي سماعة الهاتف.

- خذي اليسار، سنذهب لنرى آل ميوهلر.

- هل ما زال يتسكع معهما؟ هذا جيد. لا أحد يمكن أن يفكر بأن ذينك الصبيين يفعلان أي شيء.. غريب.

- أوه. وكان بن يمكن أن يفعل؟

تنهدت دايان وانعطفت إلى اليسار.

- أنا إلى جانبك، يا باتي.

يلبس الأخوان ميوهلر لباس مزارعين في عيد القديسين من كل عام منذ ولادتهما، يأخذهما أبواهما إلى كيناكي في الشاحنة العريضة نفسها، للهو أو للمتعة في بولهارد آفنيو مرتديين قبعتي البيسبول (جون دير) الصغيرتين وبدلتي العمل أثناء تناول والديهما القهوة على العشاء. الأخوان ميوهلر مثل أبويهما، يتحدثان عن البرسيم والقمح والطقس، يذهبان إلى الكنيسة في أيام الآحاد، حيث يصليان من أجل أشياء ربما تتعلق بالمحاصيل.

آل ميوهلر أناس طيبون، ليس عندهم دهاء، شخصيات مرتبطة جداً بالأرض. حتى جلدهم بدا وكأنه اتخذ صفة تلال كنساس وحقولها.

- أعرف. حاولت باتي أن تضع يدها على يد دايان في الوقت الذي غيرت دايان فيه ناقل الحركة، فبقيت يدها في الهواء معلقة فوق يد أختها ثم أعادتها إلى حجرها.

- أوه، أنت أحمق للغاية! قالت دايان لسائق سيارة كانت تسبقها، تمشي عشرين ميلاً في الساعة وتتباطأ عمداً حين تقترب دايان بمقدمة سيارتها. انحرفت لتتجاوزها. وحدقت باتي بازدياء إلى الأمام. مع ذلك شعرت أن وجه السائق كان مصوباً عليها، قمر مظلم في هالته. من يكون هذا الشخص؟ هل سمعوا الأخبار؟ هل ذلك هو سبب تحديقهم؟ ربما أيضاً يشيرون إليها (تلك المرأة التي أنشأت ذلك الولد) ابن آل داي، مئات الهواتف رنّت هذا الصباح، إن كانت دايان قد سمعت الليلة الماضية. ففي البيت بناتها الثلاث اللواتي ربما كن جالسات أمام التلفاز، يتركن أفلام الكارتون ويتحولن إلى الهواتف المدوي، الذي قيل لهن أن يرفعهن في حال اتصل بن، غير راغبات في اتباع التعليمات: كن متوترات من الخوف منذ الصباح. لو مرّ أي واحد بهن، لوجد ثلاث طفلات باكيات ولا مرافق معهن، أعمارهن من العاشرة فما دون، جاثمات على أرض غرفة المعيشة، ينكمشن حين حدوث أية ضجة.

- ربما كان على إحدانا أن تبقى في البيت.. في حال قالت باتي.

- لن تذهب بي إلى أي مكان بمفردك مادام هذا الأمر مستمراً. وأنا لا اعرف أين أذهب، هذا هو العمل الصحيح. ميشيل فتاة كبيرة. راقبتك حين كنت أصغر منها.

- لكن ذلك كان في الماضي حين كان الناس يفعلون ذلك. فكرت باتي، في الماضي حين كان الناس يخرجون لليلة كاملة ويتركون أطفالهم في بيوتهم ولا يشغل بهم شيء. في الخمسينيات والستينيات في بيراري القديمة الهادئة تلك حيث لم يحدث شيء.

الآن لا يُفترض بالفتيات الصغيرات أن يركبن الدراجات بمفردهن أو يذهبن في مجموعات أقل من ثلاث.

اتبعت باتي وصفة طرحتها إحدى زميلات دايان في العمل، تشبه استخدام أواني حفظ الطعام، المملوءة بثقل الغنّب والتوابل المستخرجة من قشرة جوزة الطيب بدلاً من المستوعبات البلاستيكية الصحية. وسخرت من أي صنف من المجانين سيقود كل

الطريق إلى كناكي ليهاجم أحداً ما. امرأة شقراء قابلتها للتو رفعت نظرها عن مرشّتها الجديدة والمربوطة بسلسلة مقفلة وقالت: أحد أصدقائي تعرض للسرقة ذات مرة، اشترت باتي عدة علب من توابل جوزة الطيب دون شعور بالذنب.

لا أحد يعتقد أنك أم سيئة. أنت أم مثالية بقدر ما أنا متورطة: حافظت على تسيير المزرعة. توصلين أربعة أطفال إلى المدرسة يومياً، فتشملين دون أن تشربي جالوناً من الشراب.

فكرت باتي على الفور بذلك الصباح القارس البارد منذ أسبوعين، حين بكت تقريباً من الإنهاك. إلباس البنات ثيابهن وتوصيلهن إلى المدرسة بدا في الواقع احتمالاً ضئيلاً كلياً. لذا تركتهن جميعهن معها في البيت يشاهدن عشر ساعات من الأوبرا الصابونية وعروض الألعاب. وتركت بن المسكين يركب دراجته، طردته من الباب ووعدهم أنها ستقدم التماساً للمرة الثانية كي يأتيهم باص المدرسة في العام القادم.

- أنا لست أماً صالحة.

- هس.

كان بيت آل ميوهلر على مساحة وافرة من الأرض، أربعمئة آكر على الأقل. البيت كان صغيراً ويشبه زهرة الباتركاب، بقعة صفراء تقابل أميلاً من الحنطة الشتوية الخضراء والثلج. كان الجو عاصفاً بل أقسى من أي وقت مضى. الأرصاد الجوية قالت إنها ستثلج خلال الليل، ثم سيتبع ذلك درجات حرارة ربيعية مفاجئة. ذلك الوعد كان عالقاً في ذهنها. درجات حرارة ربيعية مفاجئة.

صعدت السيارة المسافة الصعبة الطويلة والضيقة من طريق يؤدي إلى البيت، تجاوزتا فلاحاً يجلس داخل الحظيرة تماماً كأنه حيوان. عظامه المعقوفة ألفت ظلال مخالب على الأرض. أطلقت دايان صوتاً أجوف تلجأ إليه دائماً حين تكون غير مرتاحة، ثم تنحنت نحنة زائفة لتكسر الصمت. لم تنظر إحداها إلى الأخرى وهما

تنزلان من السيارة. طيور يقظة سوداء الريش حطت على الأشجار، سيئة الطبع، تنعب بشكل متواصل. طيور مزعجة، طار أحدها عابراً. يرفرف بذيل فضي من زينة عيد الميلاد متديلاً من منقاره. لكن من ناحية أخرى، المكان كان جامداً، لا وجود لمحركات من أي نوع كان. ولا بوابات تصطف مغلقة، ليس فيه تلفاز، ولا شيء سوى صمت أرض ارتصت تحت الثلج.

- أنا لا أرى دراجة بن، كان كل ما قالته دايان وهما تدقان سقطة الباب.

- يمكن أن تكون في الخلفية.

ردّ إد على قرع الباب. جيم، إد، وبين كانوا جميعاً في الصف نفسه. إلا أن الأخوين لم يكونا توأمين، واحد منهما رسب مرة على الأقل، وربما مرتين. هي تعتقد أنه إد. حملق إليها لبرهة، ولد قصير طوله أربع أو خمس أقدام أو هكذا تقريباً، لكنه في بنية رجل رياضي. دس يديه في جيبه والتفت وراعه.

- حسناً، مرحباً سيدة داي.

- مرحباً إد، آسفة لإزعاجكم في عطلة عيد الميلاد.

- لا مشكلة.

- أنا أبحث عن بن. هل هو هنا؟ هل رأيته؟

- ب... ن؟ قالها في مقطعين، كأنه يتحايل على الفكرة آه، لا، نحن لم نر بن عندنا.. حسناً. لا أعتقد أننا رأيناه كل هذا العام بالإضافة إلى أنه في المدرسة، يتسكع مع مجموعة مختلفة هذه الأيام.

- (ما هذه المجموعة؟) سألت دايان، ونظر إليها إد للمرة الأولى.

- آه، حس... ناً.

تمكنت من رؤية ظل جيم يقترب من الباب. الإضاءة الآتية من خلفه تُظهر

الصورة على زجاج نافذة في المطبخ. كان يتحرك بتثاقل نحوهم، هو أكبر وأعرض من أخيه.

- هل يمكننا مساعدتك سيدة داي؟ أطل بوجهه، ثم بجذعه، مبعداً أخاه إلى الجانب بهدوء. وقوف الاثنين على الباب أغلق الممر بشكل تام، ما جعل باتي ترغب بمد رقبتها حولهما لتختلس النظر إلى الداخل.

- كنت فقط أسأل إد، إن كنتما قد رأيتما بن اليوم. وهو قال أنكما لم ترياه كثيراً في هذا العام الدراسي كله.

- ممم، لا، ليتك اتصلت، كنت وفرت على نفسك بعض الوقت.

نحتاج أن نجده فوراً. عندك أية فكرة أين يمكن أن نجده، إنها حالة عائلية طارئة، قاطعت دايان.

- ممم، لا، قال جيم ثانية. نتمنى أن نتمكن من المساعدة.

- هل يمكنك أن تعطينا مباشرة اسماً لمن يقضي الوقت معه؟ لا بد أنك تعرفه بالتأكيد.

في هذا الوقت أدار إد وجهه إلى الخلف وكأن خيالاً ناداه من غرفة المعيشة.

- قل لها أن تتصل على 1-1-800 الشياطين هم نحن، قالها وهو يضحك بصوت متقطع.

- ماذا؟

- لا شيء نظر جيم إلى مقبض الباب في يده متردداً في البدء في إغلاقه.

- جيم، هل يمكنك مساعدتنا رجاءً؟ تمتت باتي رجاءً؟

عبس الولد مثبتاً رأس حذاء راعي البقر الذي يلبسه على الأرض مثل راقصة باليه، رافضاً أن يرفع عينيه.

- هو يتردد إلى مكان ما يشبه زمرة الشياطين.

- ماذا يعني ذلك؟

- يترأسها شاب أكبر سنًا. لا أعرف ما اسمه. هم يتناولون قدرًا من المخدرات (بايوت) أو ما شابه، يقتلون الأبقار وحيوانات أخرى، هذا ما سمعته فقط. هم لا يذهبون إلى مدرستنا، فيها أطفال. ماعدا بن، على ما أظن.

- حسنًا، لا بد أنك تعرف اسم أحدهم تملقت له باتي.

- حقًا أنا لا اعرف سيدة داي. نحن نتجنب تلك الأشياء. أنا آسف، حاولنا أن نبقى أصدقاء مع بن، لكن، نحن هنا نذهب إلى الكنيسة، والداي يديران سفينة محكمة. إررررر.. أنا فعلاً آسف.

نظر إلى الأرض، وتوقفت عن الكلام، ولم يخطر في بال باتي أي شيء آخر لتسأل عنه.

- لا بأس، يا جيم، شكرًا.

أغلق الباب وقبل أن تستديرا، سمعنا صراخاً من داخل الباب: اللعنة، لماذا قلت لها ذلك! تبعه خبطة قوية على الجدار.

ليبي داي الآن

في طريق العودة ونحن في السيارة، قال لایل ثلاث كلمات فقط: يا لهذا الكابوس. وكرّد عليه قلت: مممم. ذكرتني كريسسي بحالي: طماعة وقلقة، دائماً أكّس الأشياء جانباً لاستخدامها في المستقبل. كيس البطاطا ذلك مثلاً. نحن لصوص نحب أكياس الطعام دائماً لأن الناس يعطونها بسهولة.

قدنا السيارة، أنا ولايل مدة عشرين دقيقة دون أن نتكلم كثيراً. إلى أن قال أخيراً وبصوت مذيع أخبار، معبراً عن رأيه: من الواضح جداً أنها تكذب في ما قالت عن تحرش بن بها. وأعتقد أنها كذبت على أبيها أيضاً. أعتقد أن ليو كيتس أصبح مخبولاً، قتل عائلتك، ثم اكتشف مؤخراً أنها كذبت عليه. قتل عائلة بريئة من أجل لا شيء. لهذا السبب تفككت عائلته. ليو كيتس اختفى، وبدأ يسكر.

- ألهذا السبب؟

- إنها نظرية صائبة، ألا تعتقدين ذلك؟

- أعتقد أن عليك ألا تأتي معي ثانية لأي من هذه المقابلات. إنه شيء محرج.

- ليبي، أنا أقود كل هذا الأمر.

- حسناً، أنت لا تفيد.

- آسف، قال. ثم توقفنا عن الكلام. وعندما أنارت أضواء مدينة كنساس السماء، بدت كبرتقالة ذابلة في المدى، قال لايل دون النظر إلي: إنها فكرة سيّدة، صحيح؟

- كل شيء هو نظرية، ذلك يجعلها لغزاً! استهزأت به... لغز كبير تماماً، من قتل آل داي؟ صرّحت بشكل مرح. بعد بضع دقائق، قلت متدمرة: أعتقد أنها فكرة لا بأس بها، وأعتقد أن علينا البحث عن رنر أيضاً.

- جيد من ناحيتي. مع أنني ما زلت أتعقب ليو كيتس.

- كن ضيفي.

أنزلته خلف محل سارة، لم أعرض عليه إيصاله إلى بيته. وقف لايل عند الحاجز مثل طفل حيّره أن والديه يحتمل فعلاً أن يتركاه في مخيم. وصلت إلى البيت متأخرة ونزقة ومتهلّفة لعدّ نقودي. حصلت على ألف دولار حتى الآن من نادي القتل. مع الخمسمئة الأخرى التي يدين بها لايل لي من أجل كريسي بالرغم من أنه كان واضحاً أن كريسي ستتحدث لأي كان. لكن حتى لو فكرت بذلك، وأنا أعرف أنه لم يكن صحيحاً. لا أحد من أولئك الأعضاء في نادي القتل غير المنسجمين يمكنه فعل ما فعلته أنا مع كريسي. فكرت؛ إنها تحدثت إلي لأننا نملك المواد الكيماوية نفسها في دمننا: الخجل، والغضب، والجشع، والحنين الجائر إلى الماضي.

فكرت؛ أنا مستاءة من دون سبب فقد كسبت مالي. وكان لايل دقيقاً تماماً في الدفع لي. ذلك ما فعلته، ولكنني رغم ذلك غاضبة، حوارات دفاعية في رأسي. يجن جنوني بسبب أشياء لم تحدث بعد، لم تحدث بعد.

كسبت مالي (أنا الآن أشعر بأني أهدأ) وإذا سمعت عن رنر، إن تكلمت مع رنر، فسأكسب مالاً أكثر وتستقر حالتي أربعة شهور طيبة. إذا عشت ضمن الإمكانيات.

حين وصلت إلى البيت جعلت المدة خمسة شهور، لأن لايل في ذلك الحين كان

قد ترك لي رسالة تقول إن بعض المنتسبين المحليين إلى نادي القتل يريدون عقد اجتماع مقايضة، يشتركون بعضاً من أشياء عائلتي الجديرة بالتذكر. ماجدة ستكون المضيفة، إن كنت مهتمة بالموضوع. ماجدة قرمة الكهف التي رسمت قرون شيطان على رأسي (نعم، ماجدة: أنا أحب أن أكون ضيفة في بيتك، بالمناسبة، أين تحتفظين بفضياتك؟).

أغلقت جهاز الرد الآلي، الذي سرقته من شريكة لي في السكن قبل أن أبدأ سكني مرتين. فكرت في كريسي وعرفت أنه من المحتمل أن يكون بيتها مملوءاً بأشياء أناس آخرين أيضاً. لدي جهاز آلي مسروق، ومجموعة كاملة تقريباً من أدوات المطاعم الفضية ونصف دزينة من مرشّات الملح والبهار، من ضمنها الزوج الجديد من مطعم تيم كلاركس الذي لم أستطع تدبير أمر انتقاله عن طاولة الصالة إلى المطبخ. في إحدى زوايا غرفة الجلوس وبجانب التلفاز القديم، يوجد صندوق فيه ما يفوق المئة من زجاجات العطر الصغيرة التي سرقتها. أحتفظ بها لأنني أحب أن أنظر إلى العطور مجتمعة، الوردية، والأرجوانية، والأخضر. أعرف أن ذلك يبدو جنوناً لأي شخص يأتي إلى بيتي. لكن لا أحد يأتي، وأنا أحبها كثيراً فكيف لي أن أتخلص منها.

يدا أمي كانتا دائماً خشنيتين وجافتين، كانت تدهنهما بالزيت باستمرار، ولكن من دون نتيجة. كانت إحدى طرفنا لإزعاجها قولنا لها: أوه، ماما، لا تلمسينا، يداك مثل حراشف السمك. في الكنيسة التي كنا نذهب إليها بشكل متقطع يحفظون العطر في غرفة النساء التي كما يُقال، تفوح منها رائحة الورد: كنا، كل بدورها، نبخ من هذه العطور ونشم أيدينا. كنا نجامل بعضنا بعضاً بعطرنا النسائي.

لا اتصال من دايان. الآن وصلتها رسالتي، ولم تتصل، بدا ذلك غريباً. دايان دائماً تتقبل اعتذاري بسهولة. حتى بعد الجولة الأخيرة من التعامل الصامت لمدة ست سنوات. أظن أنه كان عليّ أن أهديها كتابي موقعاً بخط يدي.

التفت إلى المجموعة الأخرى من الصناديق، الصناديق الموجودة تحت الدرج التي يتزايد شؤمها كلما استرسلت في التفكير بالجرائم. إنها مجرد أشياء، قلت لنفسي، ولا يمكنها إيذائي. حين كنت في الرابعة عشرة، فكرت كثيراً في قتل نفسي - إنها هواية الآن، لكن في عمر الرابعة عشرة كانت موهبة. ذات صباح من أيلول، بعد بدء المدرسة تماماً، أخذت مسدس دايان ماغنوم 44 حملته، مثل طفل صغير، في حجري لساعات. كم ستكون المهلة، كي أفجر رأسي، وتختفي كل أحزاني المزعجة بطلقة مسدس. مثل انتشار الهمدباء البرية كثيرة البذور إلى أجزاء. لكني فكرت بدايان، ومجيئها إلى البيت لتجد جذعي الصغير وجداراً أحمر، فلم أستطع أن أفعلها. يحتمل أن يكون هذا هو سبب كراهيتي لها، فقد منعتني من فعل ما رغبت فيه أكثر من أي شيء آخر.

لم أستطع أن أقتل نفسي لأجلها. وعلى هذا الأساس اتفقت مع نفسي: إن بقيت أشعر بهذا السوء حتى بداية شباط سأقتل نفسي، وقد بقيت أشعر بالسوء نفسه في بداية شباط، لكني أعدت الاتفاق مرة ثانية: إن استمر السوء حتى أيار، سأفعلها. وهكذا دواليك وما زلت ها هنا.

نظرت إلى الصناديق وعاهدت نفسي بهدوء: إن لم أستطع تحمل فعل هذا الشيء لعشرين دقيقة سأحرق المجموعة كلها.

تفكك الصندوق الأول بسهولة، انهارت إحدى جهاته حالما سحبت الشريط. في الداخل، وعلى رأس الكومة، قميص مخطط من قمصان الشرطة كان لأمي. مبقع بالطعام وناعم جداً.

ثماني عشرة دقيقة.

تحت ذلك كانت مجموعة من دفاتر المذكرات مربوطة بمطاط. جميعها لديب.ي. قلبت الصفحات عشوائياً.

هاري س الرئيس الثالث والثلاثون لأميركا
وهو من ميسوري.

القلب هو مضخة الجسم وهو يدفع الدم إلى
جميع أنحاء الجسم.

تحت ذلك كان هناك كومة من أوراق الملاحظات. من ميشيل إليّ، مني إلى
ديبي، من ديبي إلى ميشيل. أثناء الغربة فيها، سحبت بطاقة عيد ميلاد على
واجهتها حبة بوظة مزينة بحبات كرز مصنعة من الترتير الأحمر.

عزيزتي ديبي، كتبت أمي بخط يدها الذي تصعب قراءته، نحن محظوظون لأن
يكون عندنا فتاة متعاونة، لطيفة وحلوة مثلك في عائلتنا. أنت كرزتي التي في
الأعلى! مام.

هي لم تكتب، مامي، فكرت، نحن لم ننادها بذلك حتى عندما كنا صغاراً. (أريد
مامي) فكرت، نحن لم نكن نقول ذلك أبداً بل (أريد مام). شعرت بفقدان شيء ما فيّ،
ما كان يجب أن أفقده. كأنها قطبة وانفلتت.

أربع عشرة دقيقة.

بحثت في أوراق ملاحظات أخرى. وضعت الممّلة التافهة منها جانباً كي أبيعها
في نادي القتل. افتقدت أختي وأنا أفتش فيها، ضحكت على بعض منها، الهموم
الغريبة التي عشناها، الرسائل المشفرة، الرسومات البدائية، قوائم بأسماء الناس
الذين أحببناهم والذين لم نكن نحبههم. نسيت أننا كنا متمسكات ببعضنا ببعض، بنات
آل داي. أنا لم أكن أقول نحن كنا، لكنني الآن وأنا أقرأ كتاباتنا مثل باحثة عانس في

علم الإنسان، تأكدت من صحة ذلك.

إحدى عشرة دقيقة.

هنا كانت مفكرات ميشيل، كلها مربوطة بالمطاط معاً في رزمة جلدية محلولة. كانت تحصل على اثنتين منها في عيد الميلاد من كل عام - تحتاج الضعف منها مثل الكثير من البنات الطبيعيات. وتبدأ دائماً بالمفكرة الجديدة مباشرة ونحن لا نزال تحت شجرة عيد الميلاد، كانت توثق كل هدية حصل عليها كل منا، محافظة على الترتيب.

فتحت واحدة من عام 1983 وقلبت فيها وتذكرت أية فضولية بغیضة كانت ميشيل، حتى وهي في التاسعة من عمرها. في تدوين أحداث اليوم تحدثت كيف سمعت معلمتها المفضلة آنسة بيردال، تقول أشياء قذرة لرجل على الهاتف في استراحة المدرسين، والآنسة بيردال لم تكن حتى متزوجة. وتساءلت ميشيل إن كانت ستواجهها بذلك، ربما تحضر الآنسة بيردال لها شيئاً لذيذاً للغداء (ظاهرياً الآنسة بيردال أعطت ميشيل ذات مرة نصف حصتها من الجيليه وهذا ما جعل ميشيل تركّز انتباهها على الآنسة بيردال بشكل دائم وحقيبتها البنية لحمل الأوراق. المدرسون عادة يعولون على نصف سندويشة أو قطعة من الفاكهة إن حدثت إليهم مطولاً. ولا تستطيع فعل ذلك كثيراً وإلا ستحصل على مذكرة بإرسالك إلى البيت وتبكي أمك).

مفكرة ميشيل مليئة بالمآسي وتلميحات من الصنف نفسه: في الفرصة، كان السيد مكناني يدخل خارج غرفة تبديل ملابس الأولاد، ثم يستخدم بخاخاً لتلطيف رائحة فمه (وضعت عدة خطوط تحت كلمة بخاخ) وهكذا لا أحد يعرف أنه كان يدخل. السيدة جيوكيب من الكنيسة كانت تسكر في سيارتها.. وعندما سألتها ميشيل إن كانت مريضة بالإنفلونزا، وإلا فلماذا تشرب من تلك الزجاجات. ضحكت السيدة جيوكيب وأعطتها عشرين دولاراً مكافأة لبنت الكشافة، رغم أن ميشيل لم تكن من بنات الكشافة.

يا للجحيم. هي كتبت أشياء حتى عني: هي تعرف، مثلاً، أنني كذبت على أمي حول معاقبة جيسكا - أودونيل. ملاحظتها كانت صحيحة، فقد ضربت الفتاة المسكينة فتسببت بكدمة على عينيها، لكني أقسمت لأمي أنها وقعت من الأرجوحة. (أخبرتني ليب-بي أن الشيطان هو من أوعز لها بفعل ذلك) كتبت ميشيل (أتعتقد أنه عليّ أن أخبر أمي؟).

أغلقت مفكرة 1983، وتصفححت مفكرة 1982 و1984. مفكرة النصف الثاني من 1984 قرأتها بعناية، متوقعة أن تكون ميشيل قد كتبت أي شيء يسترعي الانتباه عن بن. هي لم تكتب الكثير، ما عدا ادعاءات متكررة بأنه كان أحرق كبيراً ولا أحد يحبه. تساءلت أنا إن كان لدى الشرطة الفكرة نفسها عن بن. تخيلت أحد المجندين المبتدئين المساكين، يأكل الطعام الصيني في منتصف الليل وهو يقرأ كيف أن أتراب ميشيل المفضلين مازالوا أحياء.

تسع دقائق. المزيد من بطاقات أعياد الميلاد ورسائل، نبشت ملاحظة طويت بعناية أكثر من البقية، ملفوفة بشكل بدت فيه وكأنها قضيب تقريباً، هذا ما افترضته كان القصد، بما أن كلمة (زير نساء) كانت مكتوبة في الأعلى. فتحتها، وقرأت الكتابة البناتية المدورة.

11/5/1984

عزيزي زير النساء.

أنا في درس علم الأحياء وأمارس بإصبعي تحت المقعد. أنا أتحرق إليك. هل تتخيل..؟ إنه ما يزال ناعماً ومحمرّاً بسببك. تعال إلى بيتي بعد المدرسة اليوم. اتفقنا؟ أرغب في أن

أعتلي عظامك!!! أنا منتشية جداً الآن تماماً.
أتمنى أن تعيش معي حين يغادر أبواي. لن
تعرف أمك. هي مخدّرة تماماً! لماذا ستبقى
في البيت بينما تستطيع أن تكون معي؟!
اجلب معك بعض الكرات وقل لأمك أن تذهب
إلى الجحيم. أكره أن تأتي لتزورني يوماً ما
وتجدني أقوم بعمل ما في مكان آخر. JK! أوه
أريد أن.. بشدّة. قابلني عند سيارتي بعد
المدرسة، سأركنّها في شارع باسيل.

أراك قريباً جداً

ديوندرًا

ليس لدى بن خلية، لا ليس لديه. ولا شخص واحد بمن فيهم بن، ذكر ذلك.
حتى أن الاسم لا يبدو مألوفاً. في أسفل الصندوق توجد كدسة من كتبنا المدرسية
من عام 1975، حين دخل بن المدرسة، إلى عام 1990. حين أبعثتي دايان للمرة
الأولى.

فتحت سجل الدوام المدرسي للعام 1984/1985 وبحثت في أسماء الطلاب في
صف بن فلم أجد اسم ديوندرًا. لكنني وجدت صورة مؤلمة لبن: أكتاف هزيلة، حليق
الشعر في مقدمة وجانب.ي رأسه وطويله من الخلف. يرتدي قميص أوكسفورد كان
يلبسه دائماً في مناسبات خاصة.

تخيلته في البيت، يلبسه ليتصور صورته اليوم. يعاين في المرآة كيف سيبتسم.
في أيلول 1984 كان لا يزال يلبس قمصاناً تشتريها أمي له، وفي كانون الثاني كان

ولداً غضوباً بشعر أسود متهماً بجريمة. مررت بسرعة على قوائم أسماء الصف الأعلى من صف بن، أرتعش بين الفينة والأخرى لأنني عثرت على اسم ديانيس وديناس، لكني لم أجد ديوندرًا. ثم إلى الصف الأعلى وكنت قد يئست حينها تقريباً من البحث، حين وجدتها. ديوندرًا ويرتزر. أسوأ اسم سمعت به. مررت بإصبعي على النسق، متوقعة أن أجد اسم السيدة التي تقدم الغداء للأطفال في المدرسة بين الأسماء. كانت سيدة خشنة ولها شوارب. ولكني بدلاً من ذلك، وجدت اسم فتاة جميلة، خداها ورديان، شعرها معقوص على شكل نافورة ملولبة سوداء. قسّمت وجهها منمنمة صغيرة تلاعبت بها في المكياج بشكل مبالغ فيه حتى أنها بدت في الصورة وكأنها ستخرج فجأة. هناك شيء ما في أعماق عينيها. جسارة، وشفّتها منفرجتان يمكنك رؤية أسنانها المستدقة كأسنان جرو.

تصفحت السجل الدراسي للسنة التي قبلها، فلم أجدها.

تصفحت السجل الدراسي للسنة التي بعدها، فإذا بها قد غادرت؟

بن داي

2 كانون الثاني

3:10 بعد الظهر

تفوح من شاحنة تري رائحة سجائر وجوارب رطبة وخمر مثلج يحتمل أن تكون ديوندراد قد سفحته. توشك ديوندراد أن يُغمر عليها وهي تحمل زجاجة مشروب في يدها. تلك كانت طريقته المفضلة في الشرب. تشربها حتى الثمالة، حتى الرشفة الأخيرة. كانت الشاحنة مفروشة بأغلفة وجبات سريعة قديمة، وحسك سمك، كأنها شقة ملحقة بمبنى: على بساط مكعبل عند قدمي بن هناك صندوق من اللعب الكرتونية عليه لصاغة مكتوب فيها (الحبوب المكسيكية الوثابة) وعلى كل علبه في هذا الصندوق رسم كاريكاتوري لحة صغيرة ترتدي قبعة السومبريرو المكسيكية، قافزة على قدميها لتبدو نشيطة.

- جرب واحدة، قال تري مشيراً إليها.

- لا. أليس من المفترض أن تكون هذه للخبل أو لشيء مشابه؟

- نعم، إنها مثل يرقات الخنافس قال تري وأطلق ضحكته الشبيهة بصوت حفارة

الصخور.

- عظيم، شكراً، هكذا ممتاز.

- أوه، اللعنة، كنت أمازحك فقط يا رجل، إنه يبهج.

انسحبا إلى داخل استراحة، لَوَح تري للشاب المكسيكي الجالس وراء طاولة المحاسبة قائلاً: (حالياً يوجد حبوب لك) وحملها لبن وكأنه يضعها على ظهر حيوان. حمل تري في يده طبقاً مكسيكياً فيه فطيرة مزينة بالحبوب، مسخنة في الميكرويف وهي ما تلحّ عليها ديوندرًا دائماً، وكمية من اللحم المقدد مثل باقة زهر.

ابتسم الشاب لتري مطلقاً ولولة كما في الحروب الهندية. صالبا تري ذراعيه أمام صدره وتظاهر برفع القبعة قائلاً: اتصل ب.بي جوزيه، ولم يقل الشاب شيئاً. ترك له تري بقية النقود التي كانت ثلاثة دولارات. بقي بن يفكر في ذلك طول الطريق إلى بيت ديوندرًا. الجزء الأكبر من هذا العالم مليء بأناس مثل تري، الذي يترك وراءه ثلاثة دولارات تماماً دون حتى أن يفكر بها، مثل ديوندرًا. منذ بضعة أشهر، في نهاية شهر أيلول الحارة جداً قررت ديوندرًا أن ترعى اثنين من أبناء عمومتها أو أبناء أبناء عمومتها. أخذتهما هي وبن إلى حديقة مائية قريبة من حدود نبراسكا. كانت تقود سيارة أمها (موستانج) منذ شهر (لأنها ملّت من سيارتها). المقعد الخلفي كان مملوءاً بأشياء اشتروها؛ أشياء لن يخطر في بال بن أن يشتريها أبداً: ثلاثة أنواع مختلفة من واقي الشمس، مناشف بحر، بخاخات، أطواف، إطارات منفوخة، كرات للشاطئ، دلاء. الطفلان كانا صغيرين في السادسة أو السابعة من العمر. كانا محشورين في المقعد الخلفي مع كل تلك الأشياء. الأطواف المنفوخة كانت تصدر صوتاً (هوجي - ووجي) كلما تحركت، في مكان ما قرب مدينة لبنان. أنزل الطفلان زجاج النافذة وهما يقهقهان، ضجيج الأطواف أصبح أكبر فأكبر، كأنهما كانا يزيدانها بإطلاق ريح متزامن معها وعرف بن على ماذا كان الطفلان يضحكان. كانا يجمعان كل القطع النقدية الصغيرة التي تركتها ديوندرًا في المقعد الخلفي، على أرضية السيارة، في الشقوق - هي فقط ترمي أية قطعة نقدية صغيرة في الخلف هناك - الطفلان كانا يرميانها بملء أيديهما من النافذة ويراقبانها تتبعثر كالوميض. ليس فقط (البنسات) كان الكثير منها أرباع دولارات.

فكر بن، بذلك يمكنك معرفة الفارق بين معظم الناس. القضية لا تكمن في أنك شخص كلب، أو أنك شخص كالقطة أو أنك مؤيد للرئيس أو أنك خيال الجواد القزم. القضية تكمن في كونك تهتم بأرباع الدولارات أو لا تهتم. المبلغ من أرباع الدولارات الذي رماه الولدان من النافذة في ذلك اليوم يمكنه أن يشتري به نصف بنطال جينز. ألح في الطلب إلى الولدين أن يتوقفا قائلاً لهما إن في ذلك خطراً عليهما وأن ذلك مخالف للقانون وأن الشرطة ستخالفهما على فعل ذلك، وطلب منهما الجلوس ووجهاهما إلى الأمام. ضحك الولدان وصرخت ديوندر: بن لن يحصل على نصيبه هذا الأسبوع إن تابعتما رمي نقوده. عرف بن أن أمره انكشف، فهو لم يكن خفيف اليد كما كان يظن: ديوندر عرفت أنه يجمع القطع المعدنية بعد مغادرتها. شعر مثل فتاة طار فستانها في الهواء. تساءل بن ماذا سيقال عنها إن رأى أحد صديقها يبحث عن القطع النقدية الصغيرة وهي لا تقول له أي شيء. هل ذلك سيرفع من شأنها؟ أم يذلها.

انطلق تري بأقصى سرعة للسيارة إلى بيت ديوندر، على بابها صندوق بريد عملاق ذون لون قشدي، محاط بسياج من السلاسل لمنع الكلاب من قتل ساعي البريد. لديها ثلاثة كلاب، أحدها كتلة بيضاء من العضلات. له خصيتان ضخمتان وعينان مليئتان بالجنون.

بن يكرهه أكثر من الاثنين الآخرين. جلبتها ديوندر إلى البيت حين غادر أبواها، تقفز الكلاب على الطاولة وتتغوط فوق الأرض كلها، ولا تنظفها ديوندر، هي فقط ترش من معطر جو الحمام فوق الروث المتغلغل في نسيج السجادة. تلك السجادة الزرقاء الجميلة في غرفة الاستقبال - تحول لونها إلى بنفسجي بفعل الغبار، تسميها ديوندر منجم القذارة. يحاول بن ألا يهتم بهذا الأمر حين تنبهه ديوندر إليه، فهو لم يكن يعنيه.

كان الباب الخلفي مفتوحاً، وبالرغم من الجو الثلجي، كانت الكلاب تتراكم داخله خارجة مثل فعل السحر. هي ليست كلباً أليفاً، كلباً واحداً، بل كلبان في

الساحة! ثلاثة! ثلاثة كلاب في الساحة تقفز مرحاً في دوائر عشوائية، ثم تنطلق إلى الداخل، تبدو محلقة كالطيور المتزاحمة، يسبق أحدها الآخر في التشكيل.

- أكره هذه الكلاب اللعينة. قال تري متأففاً وأوقف السيارة.

- هي تدللها.

اندفعت الكلاب في نباح هجومي متواصل حين مشى تري وبن نحو بوابة البيت. كانت تتعقبهما بشكل متلازم على طول السياج، خطومها وقوائمها تضرب بفتحات السياج، تنبح وتنبح وتنبح.

كان الباب الأمامي مفتوحاً، أيضاً، تنبعث منه الحرارة إلى الخارج. عبر المدخل المزيّن بورق جدران وردي - عجز بن عن مقاومة إغلاق الباب خلفه، توفيراً للطاقة - وفي الطابق السفلي، الذي كان مخصصاً لديوندر. حيث كانت هي في غرفة الاستقبال، ترقص، نصف عارية بجورب وردي دافئ من القياس الكبير. بلا بنطال، وسترة تتسع لاثنتين معاً بحمالات ضخمة ذكّرت بن بشيء يلبسه صياد سمك، وليس فتاة. وذكرته أيضاً، بأن جميع الفتيات في المدرسة يرتدين قمصاناً كبيرة يسمونها قمصان الصديق، أو قمصان بابا. ديوندر طبعاً اعتادت أن تلبسها أكبر بكثير وتلبس أشياء تحتها مثل: قميص قطني يتدلى إلى الأسفل، أو قميص مفتوح من الأعلى، أو قميص بقبة مقلمة لامعة. قدم لها بن ذات مرة واحدة من كنزاته السود الكبيرة ليكون لديها كنزة صديق، لكنها غضنت أنفها إلى الأعلى وأعلنت أن هذه ليست النوعية المطلوبة، وهناك ثقب فيها وكأن الثقب في قميص أسوأ من روث كلب على طول سجادتك وعرضها. لم يكن بن واثقاً إن كانت ديوندر تعرف كل أنواع العلاقات السرية، الاتفاقات الخصوصية، أو إن كانت تقوم بكل هذا الهراء لتجعله يشعر أنه مجرد أداة.

كانت تتواشج هنا وهناك قبالة الطريق العام إلى جهنم، وموقد النار يطلق السنة الذهب خلفها. تمسك سيجارتها بعيداً عن ألبستها الجديدة. اشترت ما يقارب اثني

عشر قطعة كلها في أكياس بلاستيكية أو على علاقات أو في حقائب لأمعة عليها ورقة شفافة تتلألأ في أعلاها مثل النار. واشترت أيضاً زوجين من علب الأحذية وعلباً صغيرة عرف بن أنها تحوي مجوهرات. عندما رفعت نظرها إليه ورأت شعره الأسود، ابتسمت ابتسامة عريضة جداً ورفعت له إبهامها استحساناً وقالت: رهيب. شعر بن بأنه أفضل نوعاً ما، وليس كالغبي. قلت لك ستبدو أفضل يا بنجي، وكان ذلك.

- ماذا اشتريت يا ديو؟ سأل تري وهو يفتش في الحقائب. أخذ مجة من سيجارتها حين كانت ما تزال تحملها في يدها. ضبطت ديوندرنا نظرة بن إليها في الوقت الذي كانت فيه من دون بنطال...

- هل هذا جيد، أيها الغبي - أووو اتكأت فوقه وقبلته، رائحة بخاخ الشعر العنبية ورائحة السجائر التي فاحت منها صدمته، هدأته. حملها بلطف، كما يفعل الآن، بيدين مرخيتين وعندما شعر بلسانها يلامس لسانه انتفض.

- يا إلهي، رجاء، أقلعي عن هذا الجانب النجس فيّ يا ديوندرنا.

ردت عليه بحدة: إلا إذا كنت كبيرة جداً عليك.

ضحك بن قائلاً:

- أنت في السابعة عشرة.

- إن كنت تسمع ما أسمع. غنت ديوندرنا وفقاً للحن سيلفر بل، بصوت غاضب، بصوت من يتهيج بكل ما في الكلمة من معنى.

- ماذا يعني ذلك؟

- يعني أن السبعة عشر عاماً قد تكون كبيرة جداً لما يناسب مزاجك.

بن لا يعرف ماذا يقول، أو يفعل مع ديوندرنا حين تكون في هذا المزاج المبهم.

إنها تكون مستعدة فقط لاستخدام سلسلة من العبارات غير الوافية: مثل: لا، إنها لا شيء. وسأخبرك لاحقاً. أو لا تقلق سأتولى أمرها. سحبت شعرها المجدد إلى الوراء ورقصت لهما، الآن ظهرت زجاجة المشروب من خلف علبة حذاء.

كانت النتيجة زحف من العلقات على حنجرتها، بنية وزرقاء وهي منهمكة مع بن إلى أن ضبط تري محققاً إليهما.

- أوه، لا، أخفقت كلياً. قالت بطريقة مزعجة وسخيفة. أخيراً لاحظت رأسه المشقوق. لعقت إصبعاً وبدأت تمسح الدم. أحدهم نال منك.

- الطفل وقع عن دراجته، قال تري مكشراً. لم يخبره بن أنه وقع عن دراجته، أحس بموجة من الغضب على تري لمحاولته أن يجعل منه أضحوكة وهو يقول الحقيقة تماماً.

- اللعنة عليك يا تري.

- هي. - ي، قال تري مصوباً يديه وكأنه يطلق النار، وعيناه تقدحان.

- هل دفعك أحد ما عن دراجتك حبيب.ي؟ هل حاول أحد ما إيذاءك؟

ربت ديوندرًا عليه.

- هل اشتريت أي شيء للصب.ي بيني، كي لا يضطر لأن يلبس بناطيل الجينز القذرة تلك لشهر آخر؟ سألت تري.

- طبعاً فعلت. ابتسمت ابتسامة عريضة متناسية جرح بن، الذي تخيله سيأخذ وقتاً أطول. قفزت إلى حقيبة حمراء ضخمة وسحبت منها بنطالاً جلدياً أسود، سميكاً كأنه يخبي بقرة، وقميصاً مقلماً، وسترة جوخ سوداء بأزرار براقية.

- ووه، بنطال من الجلد. هل تعتقدين أنك تواعدين ديفيد لي روث؟ قهقهه تري.

- سيبدو جميلاً. اذهب وجربيه. غضنت أنفها عالياً نحوه بينما كان يحاول جذبها

إليه.

- ألم تسمع من قبل بالحمام يا بن؟ رائحتك مثل الكافيتيريا. دفعت الملابس بين يدي بن وجرتة إلى غرفة النوم. إنها هدية يا بن، وصرخت وراءه: عليك أن تقول لي شكراً في وقت ما.

- شكراً، رد عليها.

- خذ حماماً قبل أن تلبسها، لأجل المسيح. كانت جدية إلى حد بعيد فعلاً، هو نتن ويعرف أنه نتن، لكنه تمنى ألا يشمه أحد آخر. دخل إلى الحمام من خلال غرفة نوم ديوندر - هي عندها حمامها الخاص، وأبواها عندهما حمامهما الخاص الكبير وفيه مغطسان. كور ثيابه القذرة وربماها على سجادة وردية زاهية، ولم يزل ما بين رجليه رطباً من انسكاب الدلو عليه في المدرسة، الحمام يُشعر بالتحسن، يُشعر بالراحة.

مارس هو وديوندر الجنس مرات عديدة في هذا الحمام، الرغبة والدفء والصابون كانت دائماً هناك، لم تكن مجبراً أن تستحم بشامبو الأطفال لأن أمك لم تستطع الوصول إلى مخزن.

جفّف جسمه وعاد ولبس سرواله الداخلي. كان يلبس سراويل اشترتها له ديوندر أيضاً. في المرة الأولى التي تعرّيا فيها، ضحكت على خصيتيه المشدودتين حتى تكبت غيظها بالفعل. حاول أن يحشر سرواله الداخلي تحت بنطال الجلد النظيف: الكبسات والسحابات والكلابات. كان يتلوى لحملها كلها فوق مؤخرته، التي قالت عنها ديوندر إنها أفضل ميزة فيه. كانت المشكلة في السراويل الداخلية، إنها تنتفخ حول خصره، حين يلبس البنطال تاركاً الانتفاخات في كل الأماكن الخاطئة. عاد وخلع بنطاله وركل شورته الداخلي فوق كومة ملابس القديمة.

اقشعرّ بدنه حين سمع تري وديوندر يتهامسان ويقهقهان في الغرفة الأخرى. لبس البنطال من دون شيء تحته فالتصق به مثل بدلة غطس جلدية. كان حاراً.

وفي الحال بدأت مؤخرته تتعرق.

- تعال واعرض علينا، أيها الفحل، قالت ديوندر.

وضع القميص عليه، ومشى عبر غرفة نومها ليتفقد شكله في المرآة. راقصو الروك الذين تحبهم ديوندر احدثوا إليه من البوسترات التي على الجدران، وحتى على السقف فوق سريرها.

شعرهم المدبب الخرافي وأجسادهم المشدودة بإحكام بالجدد والبكلات والأحزمة مثل مخلوقات آلية فضائية. لم يعتقد بن أنه يبدو سيئاً. بدا جميلاً كما هو مطلوب. حين عاد إلى غرفة الجلوس. أطلقت ديوندر صرخة حادة وطويلة ثم ركضت إليه وقفزت بين ذراعيه.

- عرفت ذلك، عرفت ذلك، أنت فحل. ردت إلى الخلف شعره الذي كان يصل إلى ذقنه كثاً وبشعاً. عليك أن تكبر هذا، لكن بكل الأحوال أنت فحل.

نظر بن إلى تري، الذي هز كتفيه استهجاناً وقال: أنا لست من سينام معك الليلة، لا تنظر إليّ.

على الأرض كانت كومة من نفايات، طويلة، لفافات تشبه الأصابع من مركز سليم جيمس وعلبة بلاستيكية مربعة فيها بضع شرحات جبن وكسرات من بقايا الفطائر.

- هل أكلتم كل شيء للتو؟ سأل بن.

- الآن جاء دورك، أيها الهمام. فاض شعور ديوندر، وهي تسحب يدها من شعر بن.

حمل تري قميصاً مكتوباً عليه (فحول الميغال) اشترته له ديوندر (لماذا يحصل تري على أي شيء، فكر بن) انسل بن عائداً إلى غرفة النوم لينال حصته من عرض الأزياء واران الصمت في القاعة، ثم فرقة الشراب، وتلاها ضحك دمعت له عيونهما

وسقطا من شدته على الأرض.

- ديوندر، تعالي إلى هنا. قال تري.

كانت ديوندر تضحك حتى الآن وهي تركز عائدة إلى تري. تُرك بن واقفاً، ينضح عرقاً في بنطاله المشدود الجديد. وعلى الفور بدأت تعوي أيضاً، ثم ظهر، وقد غمر المرح وجهيهما، تري كان من دون قميص، يحمل سروال بن الداخلي.

- أيها المتأنق، هل تلبس حمالة الخصيتين تلك وأنت عار؟ قال تري من بين الضحكات وعيناه جاحظتان بشكل جنوني.

- هل تعلم كم عدد المتأنقين الذين ضغطوا أشياءهم داخل هذا السروال قبل أن تحصل عليه؟ أنت، حتى الآن كسبت عرق خصي ثمانية شبان... ضحكا ثانية، وأطلقت ديوندر صوتاً على صاحبها المسكين بن: أوووو هـ. هـ. هـ. الـ.

- أظن أن هذا بعض لطخات براز أيضاً يا ديوندر. قال تري، وهو يلقي نظرة داخل السروال.

- من الأفضل أن تنتبهي لهذا أيتها المرأة الصغيرة.

التقطته ديوندر بإصبعيها، ومشت عبر غرفة الجلوس، ثم رمته في النار، حيث أُر لكنه لم يشتعل.

- حتى النار لا تستطيع تدمير تلك الأشياء. صفر تري: مم يكون هذا السروال يا بن، هل هو من البولبيستر؟

ارتميا على الأريكة، جثمت ديوندر على جنبها لتنتهي ضحكتها، وضغط تري على وركها.

ضحكت وهي مغمضة العينين ووجهها مضغوط. ثم انحنت إلى الوراء، ترفرف بعين واحدة زرقاء لامعة مفتوحة. خمنت ماذا يمكن أن يفعل بن. كان على وشك أن يعود إلى الحمام ليبدل ثيابه ويرتدي بنطاله الجينز، حين وثبت ديوندر وأمسكته من

يده.

- أوه، حبيبتي، لا تكن مجنوناً، أنت تبدو عظيماً. أنت حقاً كذلك. تجاهلنا نحن.

- إنه ممتاز، أيها المتأنق، صحيح؟ قال تري وبدأ بالضحك ثانية. لكن عندما لم تنضم إليه ديوندرًا ذهب إلى الثلجة وجلب علبة شراب أخرى. لم يرتد تري القميص الجديد. بدا وكأنه أحب التجول من دون قميص. قليل من شعر صدر أسود وحلمتان داكنتان بحجم قطعة الخمسين سنتاً. عضلات تبرز من كل مكان. بن شاحب وضئيل وبرأس أحمر، لن يصبح مثله قبل خمس سنوات، ولا قبل عشر سنوات من الآن. نظر إلى تري، رغب في أن يطيل النظر. لكنه يعرف أنها فكرة سيئة.

- تعال يا بن، دعنا من الشجار، قالت ديوندرًا وهي تسحبه إلى الأريكة. بعد كل الهراء الذي سمعته عنك اليوم، كان عليّ أن أكون واحدة مجنونة.

- أترين؟ ماذا يعني ذلك الآن؟ قال بن. كأنك تتكلمين بالرموز أو ما شابه. كان يوم سيئاً ولست في مزاج حسن.

هذا ما فعله ديوندرًا؛ تغويك، قرص وعضّ هنا وهناك إلى أن تصبح نصف مجنون، عندها كل ما تقوله لك: لماذا أنت مضطرب هكذا؟

- أوووووه، همست في أذنه. دعنا لا نتشاجر. نحن معاً، دعنا لا نتشاجر، تعال إلى غرفتي ولنفعلها.

- تري موجود هنا قال بن.

- تري لا يهتم لذلك، قالت ثم رفعت صوتها قائلة: شاهد فيلماً ما لبعض الوقت يا تري.

همهم تري: إم م م. لم ينظر إليهما وتمدد على الصوفا، والشراب يفور مثل نافورة في يده.

- ديوندرأ، مآ هذآ بحق الجحيم؟ أصبح لديه الآن ندبة أخرى في وجهه ولم يكثرث بها. اخدشي خدود الطفل الكبير هذه، افعليها. خطت ديوندرأ إلى الوراء للحظة، فتحت فمها، سحبته نحوها حتى سقطا معاً على سريرها.

مارس بن الجنس اثنتين وعشرين مرة حتى الآن. كان واعياً للتسلسل، جميعها مع ديوندرأ. وقد شاهد ما يكفي على التلفاز ليعرف أن الرجال ينامون بسلام مباشرة بعد ممارسة الجنس. أهذا هو أعظم شيء في الحياة؟ أهذا هو الشيء الذي يقتل الرجال من أجله؟ ها هو ذا ينتهي في بضع دقائق. تاركاً إياك تَلْفاً ومكتئباً. لا يمكنه أبداً أن يقول أن ديوندرأ أحببت ذلك أم لا، شعرت بالنشوة أم لا...

- إذاً أنا رأيت بعض الفتيات في المجمع اليوم، قالت ديوندرأ وهي إلى جانبه. هن يقلن إنك تمارس الجنس مع فتاة صغيرة في المدرسة، بعمر العشر سنوات تقريباً.

- عمّ تتكلمين؟ قال بن وهو لا يزال دائخاً.

- هل تعرف فتاة صغيرة اسمها كريسي كيتس؟

حاول بن ضبط نفسه من أثر المفاجأة. وضع ذراعه وراء رأسه، أعادها إلى جنبه، ثم وضعها فوق صدره.

- آه، نعم، أعتقد أنها في صف الفنون ذلك الذي ساعدتها فيه بعد المدرسة.

- لم تخبرني أبداً عن صف الفنون، قالت ديوندرأ.

- لم يكن في ذلك ما يستحق أن أخبرك به. لقد فعلت ذلك بضع مرات فقط.

- ماذا فعلت بضع مرات؟

- درس الفنون، قال بن. ساعدت الأطفال فقط. إحدى معلماتي القديمات طلبت

مني أن أفعل.

- هن قلن إن الشرطة تريد استجوابك. لأنك فعلت أشياء خاطئة مع بعض تلك الفتيات. الفتيات اللواتي في عمر أخواتك، لامستهن للمتعة، الجميع يدعونك المهووس جنسياً.

اعتدل بن في جلسته، وقد تبادرت إلى ذهنه صورة فريق كرة السلة وهم يسخرون من شعره الأسود وهوسه بالجنس.

- هل تعتقدن أنني يمكن أن أكون شاذاً؟

- لا أعرف.

- ألا تعرفين؟ لماذا مارست الجنس معي للتو إن كنت تعتقدن أنني يمكن أن

أكون شاذاً؟

- أردت أن أرى إن كنت تستطيع أن تثار معي. إن كنت لا تزال تشعر بالنشوة

قليلاً. استدارت مبتعدة عنه ثانية وقد رفعت ساقيها إلى صدرها.

- حسناً، كانت لذيذة، يا ديوندر.

هي لم تقل شيئاً. إذن هل تريدن أن تسمعيني أقولها: أنا لم أفعل أي شيء مع

أي فتاة. لم أفعل أي شيء مع أي واحدة غيرك منذ أن بدأنا نخرج معاً. أحبك. أنا لا

أريد ممارسة الجنس مع أي فتيات صغيرات، هل فهمت؟

أدارت ديوندر جانباً من وجهها نحوه. ركزت عليه تلك العين الزرقاء الوحيدة دون

مشاعر: - هس س، الجنين يرفس.

ليبي داي الآن

كان لاييل منقبضاً وصامتاً أثناء توجهننا للاجتماع عند ماجدة. تساءلت إن كان ينتقدني أنا وما في جعبتي من المذكرات التي أنوي بيعها. لا شيء مما قررت أن أتخلى عنه كان مشوقاً. جلبت خمس بطاقات أعياد ميلاد كانت أمي قد أعطتها لميشيل وديب-ي، وقد خربشت في أسفلها ملاحظات سريعة ومرحة. ولديّ بطاقة عيد ميلاد كتبته أمي لبن، أعتقد أنها ستجلب مبلغاً محترماً. شعرت بالذنب تجاهها كلها. إنه تصرف سيئ للغاية، لكنني خفت أن أحتاج مالاً، خشيت أن أصبح مفلسة حقاً، وقد حدث ذلك قبل أن أكون ودودة. قرأت الملاحظة الموجهة لبن، في داخل بطاقة عيد ميلاده الثاني عشر: (أنت تكبر أمام عيني وأعرف سلفاً أنك ستكون مناضلاً لبلوغ هدفك!) بعد أن قرأتها قلبت وجهها إلى الأسفل وأبعدتها لأن أمي ستكون ميتة قبل أن يتعلم بن أن يسيّر أموره، وقبل أن يصبح في السجن، لن يتعلم أبداً كيف ينشط.

في كل حال.

انطلقنا إلى الجانب الآخر من نهر ميسوري، المياه لم يزعجها أن تتلأأ في شمس ما بعد الظهر. ما أردته كان مراقبة هؤلاء الناس وهم يقرأون الملاحظات، كان هناك شيء ما جوهرى حول ذلك، من المحتمل أن أغادر بينما هم ينظرون إليها،

يقيّمونها مثل شمعدانات في ساحة بيع.

قادني لاييل إلى بيت ماجدة. وسط مناطق الطبقة الوسطى حيث في كل مجموعة منازل يموج السوسن البري والورود البرية الزاهية في عيد سانت باتريك. أشعر بتفاهة لاييل إلى جانب.ي؛ ينتفض كالعادة، ثم يستدير نحوي، ركبته تضرعان ناقل الحركة تقريباً.

- إذا قال لاييل.

- إذا، قلت.

- هذا اللقاء، كما هي الحالة غالباً مع ماجدة، سيتحوّل إلى شيء مغاير قليلاً لما خُطط له.

- ماذا يعني ذلك؟

- أنت تعرفين أنها في تلك المجموعة، مجموعة تحرير داي، لإخراج بن من السجن. لذا فهي دعت بعض النساء.

- أوه، لا. قلت وتحتيت بالسيارة إلى جانب الطريق.

- مهلاً، مهلاً، قلت إنك تريدان أن تبحتي في موضوع رنر، حسناً. هذا هو المطلوب. سيدفعون لنا - لك - لتجديه وتساليه بعض الأسئلة، من أب لابنته.

- من ابنة لأبيها؟

- تماماً، انظري، لقد نفذت نقودي، لذا سيكون هذا مصدر تمويلنا التالي.

- إذاً، هل عليّ أن أجلس هنا وأدعهم يتواقحون معي؟ مثل المرة الأخيرة؟

- لا، لا. يمكنهم تزويدك بتفاصيل ضرورية للبحث عن رنر، تسرع عملك،

أقصد. أنت الآن تعتقدان أن بن بريء، صحيح؟

لمعت في ذهني صورة لبن وهو يشاهد التلفاز، وأمي تمسح على شعره بيد واحدة

وهي تمر بجانبه وعلى وركها حمل من الغسيل. بيتسم دون أن يلتفت إليها وينتظر مغادرتها ليمشط شعره كما كان.

- لن أتأخر في ذلك كثيراً.

تدلت مفاتيحي من مكان تشغيل السيارة، قلبت محطات الراديو بحثاً عن أغنية لبيلي جويل لتضييع الوقت.

- جميل، لنذهب، قلت.

تقدمت بالسيارة بضعة مبانٍ أخرى. الحي الذي تسكنه ماجدة كان رخيصاً مثل الحي الذي أسكنه أنا، لكنه أفضل. كل بيت فيه بُني بشكل رديء، لكن المالكين مازال لديهم كبرياء كافٍ لطلائه بين فترة وأخرى، هم يعلقون الأعلام، يزرعون بعض الزهور. البيوت ذكرتني بالفتيات القبيحات اللواتي يأملن بقضاء ليلة جمعة فيرتدين المقاهي بألبسة مرصعة. حشود منهن حيث يفترض أن تكون واحدة من بينهن على الأقل جميلة، لكنها لا تكون، ولن تكون أبداً. وهنا كان بيت ماجدة، الفتاة الأشبع والأكثر ابتذالاً في زينتها. الباحة الأمامية كانت مزودة بزينات مرجية: أقزام خرافية تتواهب على أرجل سلكية، طيور مائية على نوابض، بطات بأجنحة بلاستيكية تدور عند هبوب الريح، لوحٌ منسيّ. أيائل الكرسمس تجثم متكاسلة في الحديقة الأمامية، التي كان معظمها موحلاً، رقع مكسوة بعشب قصير يمتد من جانب إلى آخر بشكل متقطع. أطفأت محرك السيارة، وحدّق كلانا في الباحة وساكنيها المتوتري الأعصاب.

التفت لایل نحوي وأصابه ممتدة مثل مدرب يُسدي نصيحة في لعبة صعبة: إذاً لا تقلقي. أظن أن الشيء الوحيد الذي علينا تذكره هو أن تكوني حذرة في حديثك عن بن. هؤلاء الناس يمكن أن يغضبوا كثيراً حين نصل إليه.

- ماذا تعني بالغضب الشديد؟

- هل سبق أن ذهبت إلى كنيسة مثلاً؟

- عندما كنت طفلة.

- إذا سيكون شيئاً مثل أن يدخل أناس إلى كنيستك ويقولون إنهم لا يؤمنون.

أشعرتني بيت ماجدة أني في كنيسة أو ربما في احتفال بعيد شفيع الكنيسة. كثير من القهوة، عشرات الناس يدممون وهم يرتدون ملابس صوفية داكنة، ابتسامات مفعمة بالأسى، الجو كان مزرقاً بدخان السجائر. فكرت أنني قلما رأيت ذلك، بعد أن نشأت في مقطورة دايان الغائمة بالدخان وتنفست عميقاً منه.

طرقنا الباب المفتوح عدة مرات، وحين لم يسمع أحد. دخلنا، ووقفنا هناك أنا ولايل، طراز أمريكي فظ. توقفنا لما يقارب الخمس ثوانٍ بينما توقفت المحادثة وبدأ الناس يحدقون إلينا. امرأة مسنة بشعر ملفوف ومثبت بمشابك، نظرت إليّ بعينين نصف مفتوحتين، مدفوعة من أحد ما يعطيها رمزاً سرياً، ابتسامة كبيرة باردة على وجهها. سمراء في أوائل عشريناتها ذات جمال أخاذ، رفعت نظرها عن مربى الخوخ الذي سكبته في فم طفلها الصغير ومنحتني ابتسامة مترقبة. امرأة عجوز في بنية رجل تلج، زمت شفيتها وتلمست الرمز الديني المعلق في رقبتها. لكن كان واضحاً أن كل شخص آخر يتبع التعليمات: كونوا لطفاء.

كن جميعهن نساءً، أكثر من دزينة، وكن جميعهن من البيض. معظمهن بدون أنيقات لكن القليلات منهن متألقات. لهن مظهر امرأة من الطبقة الراقية تقضي ساعة كاملة أمام المرآة. هكذا تميزهن. ليس بثيابهن أو بسياراتهن، إنما باللمسات الإضافية مثلاً: بروش قديم (السيدات الثريات لديهن بروشات قديمة) أو محدد شفاه ممزوج بنسب صحيحة. ربما أتين من/ميثن هيلز/فهن يشعرن برحابة صدر حين يطان شمالي النهر.

لم يكن هناك أي رجل، ذلك ما تدعوه دايان حفلة دجاجات (يصدر عنهن ذلك الصوت الأجوف المستكرر) أتساءل كيف وجدن بن. هو قابع في السجن كما كان، وماذا جذبهن إليه. هل يجلسن في أسرتهن المنكوشة ليلاً مع أزواجهن الهلاميين

يشخرون إلى جانبهن ويحلمن في العيش مع بن حين يحررنه؟ أم أنهن يفكرن به كولد مسكين بحاجة لغيريتهن؟ مسألة تستحق التفكير.

خرجت ماجدة من المطبخ تتراقص. طولها ست أقدام، وشعرها المجعد مفرد على عرضه. لم أكن قادرة على فصلها عن مقابلة نادي القتل، حيث كان وجه كل شخص فيه يشوه سمعة ذاكرتي بضروب من الاتهامات، صورة اتُخذت عني مسبقاً. لبست ماجدة كنزة قطنية بياقة ضيقة عالية، وكمية غير متناسقة من المجوهرات: أقراط ذهبية مدلاة، سلسلة ذهبية غليظة، وخواتم في أصابعها كلها تقريباً ما عدا إصبع الزواج. كل تلك الخواتم شوشتني. إنها مثل حيوانات بحرية من هدايات الأرجل علقت حيث يجب ألا تعلق.

في كل حال. صافحت يد ماجدة الممتدة نحوي. دافئة وجافة. أصدرت صوتاً مثل إم م م اه وسحبتي وضممتني، ثدياها الكبيران يبتعدان ويطبقان عليّ مثل موجة بحر. تيبّست في مكاني ثم انسحبت، إلا أن ماجدة تمسّكت بيدي قائلة: - عفا الله عما سلف. أهلاً بك في بيتي.

- أهلاً.

صاحت المرأة من ورائها، بنغمة الصوت نفسها.

- أنت مرحّب بك هنا، عادت وأكّدت ماجدة.

- لا بأس، بصراحة طالما أنني دُعيت، أريد أن أتحدث.

- هذه، ليب-ي داي، شقيقة بن داي الصغرى، قالت ماجدة.

- شقيقة بن الوحيدة، أضفت.

أومأت لي امرأة بوقار.

- وذلك جزء من سبب وجودنا هنا اليوم، خاطبت ماجدة الحضور. لنساعد في

جلب السلام لتلك الحالة، ونساعد في إعادة بن إلى البيت!

ألقيت نظرة على لاييل الذي كان قد غضن أنفه باهتمام. وراء غرفة المعيشة، كان هناك صبي في الخامسة عشرة تقريباً. بدين بشكل جذاب، أكثر من والدته. نزل على الدرجات المفروشة بالسجاد، يرتدي الخاكي وياقة مثبتة بأزرار من أجل المناسبة، جال بنظره في الغرفة دون أن ينظر إلى عيني أحد. يحرك إبهامه في أعلى الحزام.

شاهدت ماجدة الولد ولكن لم تعرفنا إليه. بل قالت بدلاً من ذلك: نيد، اذهب إلى المطبخ وحضر المزيد من القهوة. مشى الولد من بين حلقة النساء دون أن يحرك كتفيه. محققاً في نقطة على الجدار لا يمكن لأحد آخر أن يراها.

شدتني ماجدة إلى داخل الغرفة، افتعلت سعالاً كي أستطيع تحرير يدي. أجلسني في وسط الصوفا، امرأة إلى كل جانب مني. أنا لا أحب الجلوس في الوسط، حيث تلامس الأذرع ذراعي برفق وتحتك الركب بساقي. توازنت على ردف واحد، ثم على الآخر، محاولة ألا أغوص إلى داخل الأريكة، لكنني ضئيلة جداً، وأنا في النتيجة ما زلت أبدو مثل طفل في أفلام الكارتون يجلس في كرسي محشو بالأغراض.

- ليب.ي، أنا كاترين. أنا آسفة جداً لفقدانك عائلتك.

قالت واحدة من السيدات الثريات تجلس إلى جانب.ي، تنظر في وجهي، عطرها فتح منخري.

- هاي كاترين. تساءلت متى ينقضي الوقت المحدد للتعبير عن الحزن لموت شخص غريب. أظن أنه لا ينقضي أبداً.

- إنه كات - رين قالت بحلاوة، البروش الذهبي على شكل زهرة يتأرجح في مشبكه. هناك طريقة أخرى لتمييز النساء الثريات: هن يصححن في الحال كيف تُلَفظ أسماؤهن؛ أليسيا وليس أليشا، ديبورا وليس ديبيرا. لم أقل شيئاً في الرد عليها.

كان لاييل يتحدث بشكل وثيق مع امرأة كبيرة في السن في الجانب الآخر من الغرفة. تخيلت أنفاسها الحارة تشق نفقاً داخل قوقعة أذنه الصغيرة. بقي الجميع

يتكلمون وينظرون إليّ. يتهايمسون وينظرون إليّ.

- حسناً، هل تردن أن نبدأ العرض؟ قلت وصفقت لمرة واحدة. كان ذلك عملاً فظاً مني، لكنني لا أحتاج للتشويق.

- حسناً، ليب.بي.. تيد، هلاً أحضرت تلك القهوة إلى هنا؟ قالت ماجدة. نحن هنا نتحدث معك عن أبيك لأنه المشتبه به الرئيس في ارتكاب الجرائم التي أُدين بها أخوك خطأ.

- تمام. جرائم قتل عائلتي.

سحبت ماجدة نفساً بنفاد صبر، تضايقت لأنني أكدت على حقوقي الشخصية تجاه عائلتي.

- لكن قبل أن نعمل على ذلك، تابعت ماجدة، نريد أن نتشارك معك بعض قصصنا حول أخيك، الذي نحبه جميعاً.

وقفت سيدة نحيفة في الخمسينات تقريباً ذات شعر مستعار كأنها من أعضاء الحكومة وقالت: - اسمي كلاديس، قابلت بن منذ ثلاث سنوات، خلال عملي الطوعي وقالت: هو غير حياتي. أنا أكتب العديد من السجناء.

في هذا الوقت قمت بحركة ساخرة وقد لاحظت المرأة ذلك، لكنها تابعت: - أكتب للسجناء، لأن ذلك بالنسبة إليّ هو العمل المسيحي الجوهري، محبة غير المحبوبين عادة. أنا واثقة أن كل شخص هناك مدرك أنه (ميت يمشي). لكنني بدأت الكتابة لبن فشعت طهارته من خلال رسائله. إنه نعمة إلهية تحت نار، وقد أحببت أنه كان قادراً على إضحائي - جعلني أضحك، في الوقت الذي يُفترض أن أكون أنا من يساعده - على الظروف التعيسة التي يعاني منها يومياً.

أضافت كل واحدة ملاحظة مثل: إنه عجيب جداً.. تلك مثالية بالغة.. إنه مذهل بذلك الأمر. ظهر تيد بركوة القهوة وبدأ بتعبئة اثني عشر فنجاناً بلاستيكيّاً مستعملاً،

والسيدات يُشرن إليه بأيديهن كي يتوقف عن السكب حتى دون النظر إليه.

وقفت صبية بعمر لایل تقريباً، ترتجف.

- أنا أليسون. قابلت بن بسبب أمي العاجزة عن الحضور اليوم..

همست كاترين: علاج كيماوي، سرطان مبيض.

.. كلانا نشعر بالشيء نفسه، هو أن عملها في هذه الدنيا لن يتم حتى يكون بن رجلاً حراً - كان هناك تصفيق متقطع على ذلك - وذلك صائب، إنه صحيح.. وهنا تحول ارتجاف الفتاة إلى دموع، إنه طيب جداً! وكل ما جرى له خطأ فادح. أنا لا أستطيع أن أصدق تماماً أننا نعيش في عالم فيه شخص طيب مثل بن.. يكون في قفص، ودون سبب وجيه.

ثبتت فكي عندئذ، لأنني أحسست أنه يهبط.

- أنا أفكر تماماً بأنه عليك تصحيح ذلك كله، قالت امرأة الثلج التي كانت تبدو الأقل ودية. لم تكلف نفسها بالوقوف، واكتفت أنها مالت إلى جانب عدد من النساء. "عليك تصحيح أخطائك، تماماً مثل أي شخص آخر، وأنا آسفة حقاً لفقدانك عائلتك، وآسفة حقاً لما عانيت. لكنك الآن يجب أن تكوني عاقلة وأن تصحيحها".

لم أتمكن من تحديد أي شخص يومئذ بالموافقة على ذلك الخطاب القصير، لكن الغرفة كلها كانت تضح بالموافقة وبشكل قوي. موافقة لها صوت امممم - همممم لم أستطع تتبعها. مثل مهمة السكة الحديدية حين يكون القطار لا يزال بعيداً بأميال لكنه يتحرك نحوك. ألقيت نظرة على لایل وكان يتجول بعينيه بحذر.

انتقلت ماجدة إلى منتصف المدخل مفعمة بالغرور مثل خطيب أحمر الأنف واقف على المنبر.

- ليب.ي، نحن سامحناك لاشتراكك في هذا الإخفاق التام. نحن نعتقد أن والدك ارتكب هذه الجرائم المروعة. نحن لدينا دافع، ولدينا فرصة.. حقائق مهمة وكثيرة.

قالت عاجزة عن استنباط مفردات قانونية أكثر. الدافع: قبل الجرائم بأسبوعين أمك، باتريشيا داي، رفعت شكوى ضد أببك متعلقة بنفقة الأطفال، وللمرة الأولى رولاند رنر داي كان سيقع قانونياً في الشرك من أجل عائلته. وكان أيضاً واقعاً تحت رهن بعدة آلاف من الدولارات كديون ميسر. إزاحة عائلتك، من وجهة النظر هذه، ستساعد في تأمين موارده المالية بشكل هائل. إنه يدعي أنه كان يخضع لإرادة أمك حين ذهب إلى هناك في تلك الليلة، عندما انقلبت الأمور. بن لم يكن في البيت حين وصوله وأنت هربت، وقُتل الآخرون.

تخيلت رنر يتنفس بصعوبة، يجول في البيت بخطى واسعة، حاملاً تلك البندقية، قالباً قبعته إلى الوراء وهو يستهدف أمي بالعبارات العشرة. سمعت الصراخ الذي يتردد في رأسي دائماً كلما تذكرت تلك الليلة، حاولت أن أتخيل ذلك الخوار يخرج من فم رنر.

- قطع نسيج من بيتك وُجدت في كوخ رنر، مع أن النظر في هذا كان مرفوضاً باستمرار لأن رنر كان يدخل إلى بيتك ويخرج منه في ذلك الصيف. لكنه ما زال حقيقة قابلة للبحث فيها. لم يوجد أي أثر من دم الضحايا على بن، رغم أن جهة الادعاء عوّلت كثيراً على الحقيقة التي تقول إن دم بن وُجد في البيت.

- مرحب. ااا؟ وكأنه غير مسموح لك أن تجرح نفسك أثناء الحلاقة؟ قالت المرأة.

ضحكت النساء على العبارة الرمزية.

- أخيراً، الجزء الذي حمّسني كثيراً، يا ليببي، هو منحك فرصة للتصحيح. أنت تعلمين أن إحدى صديقات والدك شهدت لصالحه في ذلك الوقت، إنها الآنسة بيجي بانيون. أنا أقول لك فقط لتعرفي أنه ليس هناك عيب في تصحيح الخطأ، إن بيجي مدعوة في الوقت الحاضر للمثول أمام القضاء لسحب ذلك الادعاء. حتى لو حُكم عليها بسجن قد يصل إلى خمس سنوات.

- حسناً، هي لن تسجن، هتفت كاترين. لن نسمح بحدوث ذلك.

صفت الأخریات، بينما وقفت سيدة نحيلة في بنطال جينز مطاوي، وضعت شعراً مستعاراً قصيراً، الجزء العلوي منه ملفوف ومثبت. عيناها صغيرتان ورقیقتان مثل عملة ورقية احتفظ بها أحدهم في مفكرته وقتاً طويلاً. نظرت إليّ، ثم أشاحت بنظرها عني. عبثت بخززة زرقاء كبيرة وضعتها في سلسال يتماشى مع خط أزرق على قميصها. تخيلتها في البيت أمام مرآة ملوثة بالماء، وهي مستمتعة بالقدر التافه من السعادة بسبب انسجام العقد مع القميص.

حملت إلى صديقة والدي - ضيفة ماجدة الخاصة - وتماكت نفسي كي لا أنظر إليها باندهاش.

- أنا أريد فقط أن أشكركم جميعاً لدعمكم لي خلال هذه الأشهر الأخيرة. بدأت بصوت مثل المزمار - استخدمني رنر داي مثلما استخدم الجميع، أنا واثقة أنك تعرفن... مرت ثوانٍ قبل أن أدرك أنها تخاطبني. أومأت لها ثم تمنيت لو أنني لم أفعل.

- شاركينا قصتك لو سمحت يا بيبي، قالت ماجدة. يمكنني أن أقول إن ماجدة شاهدت عدة عروض أوبرا. لديها الإيقاع لكن من دون حماسة.

- ((حقيقة القصة هي أنه في مساء اليوم الثاني من كانون الثاني، أعدت العشاء لرنر في كابينته. كان العشاء لهماً وخضاراً مفرومة معه وأرز. وطبعاً كان مع رنر كثير من الشراب. شرب ذلك الشراب المسمى (مكي بيغ ماوئذ) الذي عليك أن تنزع عنه السدادة. لكن كان للسدادة زوايا حادة، تبدو مثل مخالب غراب وكان رنر يجرح يده دائماً فيها. هل تذكرين ذلك يا ليبي؟ كانت يداه تنزف دائماً بسببها)).

- ماذا حدث بعد العشاء؟ قاطع لایل. انتظرته كي ينظر إليّ بابتسامة تقدير، لكنه لم يفعل.

- نحن، آه، قمنا بممارسة الجنس. ثم نفذ الشراب. لذا غادر لجلب المزيد. أعتقد أن هذا كان قرابة الساعة الثامنة مساءً. لأنني كنت أشاهد مسلسل (ضحية

الخداع) مع أنه كان كما أذكر إعادة بث للحلقة، وكان ذلك مثيراً للإحباط.

- شاهدت مسلسل ضحية الخداع؟ صفرت ماجدة، أليس ذلك مثار سخرية؟

- في كل حال، غادر رنر ولم يعد، أنتِ تعرفين، إنه فصل الشتاء، لهذا فقد نمت باكراً. استيقظت عليه عائداً إلى البيت. لكن ليس في مسكنه ساعة حائط، لذا فأنا لم أعرف كم كانت الساعة، لكن الوقت كان بالتأكيد بعد منتصف الليل، كان بالتأكيد وقتاً متأخراً لأنني بقيت صاحية. أخيراً قمت لأبول وكانت الشمس قد بدأت بالشروق وذلك لا يمكن أن يكون بعد أكثر من بضع ساعات.

فكرت عندما كانت هذه المرأة تبول، وتبحث عن مناديل تواليت ومن المحتمل أنها لم تجد مناديل تواليت، ثم تابعت طريقها عائدة إلى السرير بين المحركات وشفرات المحاريت وقطع التبديل لأجهزة التلفاز التي يدعي رنر دائماً أنه يعمل على إصلاحها. إنها أشياء قد تصدم إصبع القدم، شعرت بالكآبة، تذكرت كيف كنت أزحف في الثلج نحو بيتي الغارق بالدم. وعائلتي الميتة، اعتبرت ذلك نقطة ضدها.

- كان الله في عوني، أتت الشرطة في الصباح، سألوا رنر أين كان بين الساعة الثانية عشرة والخامسة صباحاً، وسألوني أين كان رنر. كان هو طول الوقت يصرّ على: عدت مبكراً إلى البيت، كنت في طريقي إلى البيت قبل منتصف الليل، ولا أعتقد ذلك، لكنني جاريته في ذلك، جاريته تماماً.

- لا بأس أن قمت بذلك، أيتها الفتاة. قالت السمراء التي كانت تطعم الطفل.

- أنا حتى لم أسمع عنه منذ سنة.

- حسناً أكثر مني، قلت وأسفت لذلك. تساءلت إن كانت هذه المرأة ستحتفظ بسرها لو بقي رنر يتواصل معها، وإن بدرجة أقل، كأن يتصل بها كل ثلاثة أشهر بدلاً من كل ثمانية. تابعت بيحي: - وكما قلت لكم كانت تلك الخدشات على كل يديه، لكنني غير متأكدة من أنها لم تكن من سدادات الشراب تلك. لا أذكر تماماً إن كان قد

خدش يده قبل أن يغادر في تلك الليلة، أو أن شخصاً آخر خدشه.

- ضحية واحدة فقط، ميشيل داي، هي الوحيدة التي وجدوا تحت أظفارها جلدًا ما، وذلك منطقي بما أنها خُنقت. إذ كانت جسدياً قريبة من القاتل، قال لایل. جلسنا كلنا صامتين للحظة. ارتجف صوت الرضيع عالياً وتحول إلى صراخ. ولسوء الحظ قطعة الجلد تلك ضاعت في مكان ما قبل وصولها إلى المخبر.

تخيلت رنر ينظر نظرة واسعة من عينيه الخبيثتين، مطبقاً على ميشيل بثقله يدفعها إلى داخل الفراش وميشيل تناضل لتتنفس، وتحاول أن تدفع يديه بعيداً عنها، وقد تمكنت من خدشه، خرمشته على قفا يديه الصغيرتين الملطختين بالزيت حين كانتا تطوقان بإحكام رقبتها.

- وتلك كانت قصتي. قالت بيجي مع حركة يديها المفتوحتين، مثل حركة ممثل هزلي يسأل ماذا يمكنني أن أفعل؟

- تيد، نحن على استعداد لتناول الحلوى، صرخت ماجدة باتجاه المطبخ. ودخل تيد مسرعاً، كتفاه قريبتان من أذنيه، وفتات على شفته السفلى بينما يحمل صحناً ناقصاً من الكعك الجاف في وسطه جل جامد.

- يا إلهي. تيد، توقف عن أكل أشياءي! قالت متذمرة وهي تحملق إلى الصحن.

- أكلت اثنتين فقط.

- كلام فارغ، أكلت اثنتين. أشعلت ماجدة سيجارة من علبة مرطبة. اذهب إلى المخزن. أحتاج سجائر ومزيداً من الحلوى.

- السيارة مع جينا.

- امشِ إذن، سيكون ذلك مفيداً لك.

كانت النسوة يخططن بشكل واضح لقضاء سهرة، لكني لن أبقى. اتخذت ركناً

قريباً من الباب أعين صحن ضيافة منقوشاً يبدو أنه محبب جداً لماجدة. دسسته في جيبـي وأنا أراقب تدريب لایل على برنامج العمل، ماجدة تقول (هل ستفعلها؟ هل ضايقته؟ هل هي حقاً تعتقد؟) وبينما كانت تقلب دفتر شيكاتها عابثة به، كنت في كل مرة أرف بعيني. كانت يبجي تتقدم شيئاً فشيئاً إليّ كأنها حجر شطرنج في مفارقة مضحكة. وقبل أن تسنح لي فرصة للذهاب إلى الحمام، كانت هناك عند مرفقي.

- لا تشبهين رنر على الإطلاق. قالت وعيناها نصف مغمضتين. ربما الأنف.

- أنا أشبه أـمي.

بدت يبجي مصدومة.

- هل عشت معه فترة طويلة؟ عرضت الحديث عليها.

- بين فترة وأخرى، أظن، نعم. أقصد كان لدي أصدقاء بين بين. لكن لديه طريقة في العودة، يشعرك بأنك كنت جزءاً من الخطة. تقريباً مثل، مثل أن تكوني قد رتبت أمرك على أنه اختفى لكنه يعود وتعود الأمور إلى مجاريها كما كانت من قبل. أنا لا أعرف. تمنيت لو أنني قابلت محاسباً أو شيئاً من هذا القبيل. لا أعرف أبداً أين أذهب لأقابل رجالاً لطفاء. في حياتي كلها. أقصد، أين أجدهم؟

بدت وكأنها تسأل عن مكان جغرافي، كأنها تقول هناك مدينة خاصة حيث حُفظ فيها كل المحاسبين وخبراء التأمين.

- هل ما زلت في كيناكي؟

أومأت برأسها وقالت: سأغادرها، من أجل بداية جديدة.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

3:10 بعد الظهر

اندفعت باتي إلى مقعد القيادة في سيارة دايان، عيناها على المفاتيح المتدلّية من فتحة التشغيل. اخرجي من هنا، الآن، اخرجي. وثبت دايان إلى المقعد في الجانب الآخر بينما كانت باتي تدير المحرك. أقلعت بعنف فأحدثت الإطارات ضجة. عندها أطلقت باتي صرخة طويلة وحادة وهي تبتعد عن بيت آل ميوهلر، الجزء الخلفي من السيارة يتأرجح خلفها. جميع الأشياء في صندوق سيارة دايان؛ كرات البيسبول ومعدات الحديقة وألعاب البنات، تدرجت ودوّت مثل دويّ انقلاب عربة ركاب وتحطمها. كانت هي ودايان تتخبطان على طول الطريق المفروش بالحصى، يتطاير الغبار، تنزلق السيارة نحو الأشجار إلى اليسار ثم تنحرف نحو قناة الري إلى اليمين، أخيراً امتدت يد دايان القوية وحطت بلطف على المقود وقالت: هوني عليك.

قرّعت السيارة على طول الطريق إلى أن خرجت من أملاك آل ميوهلر، جنحت باتي يساراً وانسحبت إلى جانب الطريق وبكت، أصابعها متشبّثة بالمقود ورأسها على محوره وهي تطلق صيحة إخفاق.

- ماذا يجري بحق الجحيم! صرخت. كانت صرخة طفل هستيرية، مبلّلة بالدموع، ساخطة ومحتارة.

- أمور غريبة، قالت دايان وهي تربت على ظهرها. دعينا نذهب إلى بيتك.

- لا أريد الذهاب إلى البيت، أريد أن أجد ابني.

كلمة ابني فجرت دموعها ثانية فتركها تنهمر، خاصة بنشيجها والأفكار تخزها مثل الإبر. بن يحتاج إلى محام. إنهم لا يملكون مالاً لتوكيل محام. سيضطرون لتوكيل شاب من أبناء الريف للدفاع عنه، ويمكن أن يخسروا القضية ويذهب بن إلى السجن. ماذا ستقول للبنات؟ كم ستطول غيبته من أجل شيء كهذا؟ خمس سنوات؟ عشر؟ يمكنها رؤية باحة سجن كبيرة، البوابات مفتوحة، ابنها يخرج بحيوية، في عمر الخمس والعشرين سنة. يخاف الأماكن المفتوحة. عيناه تتضيقان تجاه الضوء، يقترب منها، ذراعاها مفتوحان، يبصق عليها لأنها لم تتقده، كيف تعيشين مع عجزك عن إنقاذ ابنك؟ هل تستطيع إبعاده؟ كم من المال يمكنها أن تعطيه؟ في كانون الأول أغمي عليها من شدة الإنهاك. باعت بندقية والدها العسكرية عيار 45 لليندا بويلر. هي تتخيل ديف بويلر الذي لم تحبه يستخدمها صبيحة عيد الميلاد. هو لا يستحق هذه البندقية. بذلك أصبح لدى باتي 300 دولار تقريباً. خبأتها جانباً في البيت. كان كل ما تكسبه للآخرين. خططت لتقوم بجولاتها لبداية هذا الشهر اليوم. لكن ذلك لن يحدث الآن، إضافة إلى أن 300 دولار ستكفي بن مصروفاً لبضعة أشهر فقط.

- بن سيعود متى انتهى فائض الطاقة عنده، قالت دايان. كم يمكنه الابتعاد

على دراجته في كانون الثاني؟

- وماذا لو وجدوه هم أولاً؟

- حبيبتي، ليس هناك من عصابة تلاحقه. أنت سمعت أن أولاد ميوهلر لا

يعرفون حتى عن.. الاتهام. كانوا يتحدثون حول شائعات أخرى. نحن بحاجة لنتحدث مع بن لنقوم الأمر. إن كل ما عرفناه يؤكد أنه يمكن أن يكون في البيت الآن.

- من هي العائلة التي تقول إنه فعل هذا؟

- لم يذكرها أحد.

- مع ذلك أنت يمكنك إيجادها. هم لا يمكنهم قول أشياء مثل هذه ويتوقعون أن نقبل بالهزيمة ونسلم بها. صحيح؟ يمكنك إيجادها. نحن لنا الحق بمعرفة من يقول ذلك. بن له الحق أن يواجه من اتهمه وأنا لي الحق أيضاً.

- جيد، دعينا نعد إلى البيت، تفقدي أنت البنات وأنا سأجري بعض الاتصالات. هل تتركيني الآن أتولى القيادة؟

دخلنا وسط ضجة عارمة. ميشيل كانت تحاول أن تقلي شرائح السلامي في المقلاة. تصرخ على ديب.ي كي تبتعد. وقد بدت على إحدى ذراعي ليب.ي وخدها حروق وردية لامعة سببها تطاير الدهون الحامية. كانت تجلس على الأرض، فاتحة فمها وتبكي بالطريقة نفسها مثلما كانت باتي تبكي في السيارة. كأنه لم يعد هناك أي أمل، وحتى لو كان هناك أمل، فهي لم تكن على مستوى التحدي.

تحركت باتي ودايان وكأنهما كانتا ترقصان الباليه في زمن الألمان، حين كان الرجال والنساء العشاق يرقصون داخلين خارجين. دخلت دايان إلى المطبخ بثلاث خطوات واسعة وسحبت ميشيل بعيداً عن الفرن. سحبتها بيد واحدة، مثل دمىة إلى غرفة المعيشة، وضعتها على الصوفا وصفعتها بعنف على فمها. تجاوزتها باتي واقتلعت ليب.ي، التي لفتت نفسها حول أمها مثل قرد وتابعت البكاء عند رقبتها.

التفتت باتي إلى ميشيل التي كانت تذرف دموعاً حرى بصمت وقالت: لقد نبهتكم، يمكنك استخدام الفرن لتسخين الشوربة فقط. كنت ستشعلين النار في المكان كله.

نظرت ميشيل إلى المطبخ الكئيب وغرفة المعيشة كأنها تشك إن كان ذلك خسارة.

- كنا جائعات، غمغت ميشيل. وقد طال غيابكما.

- وهل يعني ذلك أنك بحاجة إلى لفافة سلامي مقلية، وقد حذرتك أمك ألا تفعل!

ذلك؟ صرخت دايان وأكملت القلي، وضعت اللحم في صحن. أمك بحاجة لأن تكن فتيات صالحات في هذا الوقت بالذات.

- هي أردتنا دائماً أن نكون فتيات صالحات تمتت ديب.ي وهي تمرغ أنفها بلعبة الباندا الوردية التي ربحها بن من سوق المزارعين الموسمية (كلاود كاونتي) منذ سنوات، حيث استطاع في مسابقة أن يسقط مجموعة من قناني الحليب أرضاً. كان ذلك أثناء نمو عضلات ما قبل المراهقة. حينها احتفلت البنات وكأنه ربح ميدالية الشرف. آل داي لم يربحوا أي شيء على الإطلاق. هكذا هم يقولون دائماً، رائع، متى حصلوا على جزء بسيط من الحظ: (نحن لم نربح أي شيء!) كان ذلك شعار العائلة.

- وهل من الصعب جداً أن تكن صالحات؟ قالت دايان وربتت على ذقن ديب.ي بلطف. أخفضت ديب.ي نظرها قليلاً ثم أكثر حين بدأت تضحك، وقالت: أعتقد لا.

قالت دايان إنها ستقوم باتصالات هاتفية وهي تنتزع هاتف المطبخ وتسحبه كل الطريق إلى الصالة ولأبعد نقطة يمكن أن يصل إليها، وفيما هي تبتعد طلبت من باتي أن تطعم بناتها الملعونات. الكلمات التي كدرت باتي، كأنها كانت متهاونة وغالباً ما تنسى الوجبات. هي تصنع شوربة البندورة من الكاتشاب وحليب البودرة، نعم. تحمص الخبز القديم وتضيف إليه بخة خردل وتسمي ذلك سندويتشاً، نعم. ذلك يحدث في أسوأ الأيام، نعم. لكنها لم تنس أبداً أن الأطفال كانوا على برنامج التغذية المجانية، لذا فهم يحصلون على شيء ما من هناك على الأقل. حتى وهي تفكر على هذا النحو، شعرت بالسوء، لأن باتي ارتادت المدرسة نفسها عندما كانت طفلة ولم يكن نصف غداء أو غداء مجاني يفي بالغرض. تقلصت معدتها الآن حين تذكرت أبناء الغداء المجاني وابتساماتها المراعية لهم وهم يقدمون بطاقتهم المطوية على شكل أذن كلب، وسيدات الكافيتيريا المشبعة بالبخار ينادين بصوت عالٍ: الغداء المجاني! والصب.ي الواقف إلى جانبها وشعره الأجعد، كان صديقاً حميماً يهمس

ببلادة: لا شيء مثل غداء مجاني. تذكرت كل ذلك وشعرت بالأسف على الأولاد، لكن ليس بالطريقة التي جعلها تطلب المساعدة، بل بطريقة جعلها لا ترغب بالنظر إليهم بعد الآن.

ما زالت ليبي تنشج وتبكي بين ذراعيها، وقد تعرقت رقبتها من أنفاس الطفلة الحارة وبعد أن طلبت مرتين من ليبي أن تنظر إليها، رفّت الفتاة عينيها أخيراً وأدارت وجهها نحو أمها وقالت: - أنا احترقت ثم بدأت البكاء ثانية.

- حبيبتي، حبيبتي. إنها بضع نقاط مؤلمة بسيطة تماماً، لن يطول هذا الألم، هل هذا كل ما يزعجك؟ إنها مجرد نقاط وردية قليلة، حتى أنك لن تتذكرها في الأسبوع القادم.

- سيحدث شيء ما سيئ.

كانت ليبي نذيرها بالأشياء السيئة. فقد خرجت من الرحم حذرة وبقيت على هذا المنوال. كانت فتاة الكوابيس الباعثة للقلق. كانت حملاً من لا مكان، لا باتي ولا رنر كانا سعيدين بقدمها. هما لم يزعجا نفسيهما بتحميمها. كانت عائلتهما مشمئزتين من ذلك الإنجاب لأن الحمل كان مربكاً كلياً. لا بد أن تكون ليبي قد انتفعت في حمض بطن مثير للقلق لمدة تسعة أشهر فامتصت ذلك القلق كله. تدريبها على استخدام مبولة الأطفال كان يفوق الواقع. كانت تصرخ حين ترى ما يخرج منها وتركض عارية وشديدة الاهتياج. توصيلها إلى المدرسة كان دائماً نوعاً من التخلي عنها كلياً. كأنها تُترك مع المارد. عيناها دامعتان، ووجهها مضغوط على الزجاج. بينما معلمة الروضة تحاول تهدئتها. في الصيف الماضي رفضت أن تأكل لمدة أسبوع، شحبت وأصبحت مثل الشبح. ثم أخيراً أخيراً باحت لباتي عن مجموعة ثآليل نمت بسرعة على ركبة واحدة وهي مطرقة، عيناها إلى الأرض وبجمل بطيئة استخلصتها منها باتي بعد أكثر من ساعة، أوضحت لها ليبي أنها اعتقدت أن الثآليل يمكن أن تكون مثل اللبلاب المتعرش السام الذي يمكن أن يغطي جسمها

و(نشجت!) فلا أحد سوف يرى وجهها بعد الآن، وحين سألتها باتي لماذا. لماذا استثنيتها من كل هذا العالم ولم تخبرها بتلك الأشياء المقلقة قبل الآن؟ نظرت ليبي إليها وكأنها تنظر إلى مجنونة.

كانت ليبي حين تسنح لها الفرصة تتنّب بالكوارث. باتي تعرف ذلك. لكن الكلمات ما زالت تجعلها منقبضة. حدث شيء سيئ للتو، لكنه سيزداد سوءاً. جلست مع ليبي على الأريكة تمسح على شعرها وترت على ظهرها، وديبي وميشيل حامتا بقربهما، تجلبان المناديل الورقية لليبي وتهتمان بها أكثر مما ينبغي، وبقيتا على هذا المنوال على مدى ساعة. حاولت ديبي أن تجعل دمىة الباندا تحاكي ليبي وتخبرها أنها بخير، لكن ليبي دفعتها عنها بعنف وأدارت رأسها، وسألت ميشيل إن كان بإمكانها أن تطبخ الشورية لكل منهن. هم يأكلون الشورية في الشتاء. باتي تحتفظ بكمية هائلة منها في حجرة لخزن الأطعمة المثلجة في الكراج. هم يستنفدونها عادة في نهاية شباط تقريباً. شباط كان أسوأ شهر في السنة.

كانت ميشيل تلقي قطعة لحم بقري مجمدة كبيرة وخضراوات في وعاء للطهي، وتكشط عنها الثلج متجاهلة صحن السلامي، عندما عادت دايان وفمها مشدود في تكشيرة ألم. أشعلت سيجارة وقالت: - ثقي بي، أحتاج لثقتك - وجلست على الصوفا، فأزاح ثقلها باتي وليبي وكأنهما في لعبة الميزان. أرسلت البنات إلى المطبخ مع ميشيل فلم يعترضن، بل انصعن للأمر على مضض.

- حسناً، إذاً. إنها هذه العائلة المدعوة كيتس، هي من بدأت هذه المشكلة - هم يعيشون في منتصف الطريق من هنا إلى ساليينا. يرسلون ابنتهم إلى كيناكي لأن المدرسة الرسمية في مقاطعتهم لم يكتمل بناؤها. وهكذا بدأت القصة لأن بن كان يعمل بعد دوام المدرسة عملاً تطوعياً مع ابنة آل كيتس. هل كنت تعلمين بأنه كان يعمل عملاً تطوعياً؟ هزت باتي رأسها.

- عمل تطوعي؟

قلبت دايان شفيتها فهي لم تخدعها بالكلام بل قالت لها الحقيقة.

- حسناً، لأي سبب كان. هو كان يتطوع للعمل مع هؤلاء الأطفال الصغار في المدرسة الابتدائية، ووالدا الفتاة يقولان إن أشياء خاطئة حدثت بينهما، وهكذا قال الآخرون. آل هينكل، آل باتشز، وآل كاهيلز.

- ماذا؟

- هم جميعاً يقارنون الملاحظات، وجميعهم تحدثوا إلى المدرسة كما سمعت، وقد تدخلت الشرطة الآن. يجب أن تتوقعي أن يحضر أحد رجال الشرطة اليوم ليتحدث إليك عن بن. هذا ما وصلت إليه الأمور. لا يعرف كل من في المدرسة بالقصة - نحن محظوظون إذ حدث هذا في عطلة الميلاد - لكني أظن أن الوضع لن يكون كذلك بعد اليوم. أظن أن المدرسة ستتكلم مع أبوي أي طفل ممن ساعدهم بن بعد المدرسة وهكذا، عشر عائلات تقريباً.

- ماذا عليّ أن أفعل؟ وضعت باتي رأسها بين ركبتيها. شعرت بالضحك في داخلها، كان كل ذلك مثاراً للسخرية (أنا أتساءل إن كنت أنهار عقلياً) فكرت باتي (ربما أنهار عقلياً وعندها لن يكون عليّ أن أتكلم مع أي كان). غرفة بيضاء آمنة. ويدخل الطعام لباتي مثل طفل صغير، من الإفطار إلى الغداء إلى العشاء، يعاملها الناس وهم يهمسون بلطف، وباتي تجر قدميها مثل شخص يحتضر.

- أظن أن الجميع في جوار آل كيتس يتحدثون الآن قالت دايان لقد حصلت على العنوان باتي حملت فقط.

- أعتقد أنه علينا أن نذهب إلى هناك، قالت دايان.

- نذهب إلى هناك؟ حسبت أنك قلت أن أحداً ما سيأتي إلى هنا.

- الهاتف يرن في مكانه الثابت، قالت ميشيل. مع أن ميشيل كانت في المطبخ ويجب أن لا تكون قد سمعت أي شيء من هذا القبيل.

باتي ودايان التفتا معاً إلى الهاتف، تنتظرانه كي يتوقف عن الرنين.
- حسناً، لماذا لم تردي عليه كما طلبنا منك يا ميشيل؟ قالت دايان.
هزت ميشيل كتفها وقالت: نسيت إن كنا مكلفين بأن نردّ أو لا نردّ.
- بما أنه علينا الانتظار. هنا قالت باتي:

- باتي، تلك العائلات اجتمعت هناك وهم يتكلمون.. اللعنة على ابنك. من يعرف ما هو لبّ الحقيقة. قد يكون هناك شيء أو لا يكون. لكن ألا ترغبين بالذهاب لتتكلمي من أجله؟ ألا ترغبين سماع ما يقولون، أن تجعلهم يقولون كلامهم في وجهنا؟

لا، لا ترغب، أرادت لهذه القصص أن تختفي بهدوء وتزحف لتغيب في طي النسيان. لم ترغب في سماع ما يقوله الناس في مدينتها - ماجي هنكل كانت زميلتها في المدرسة الثانوية - يا إلهي - لقد كانوا يتحدثون عن بن، ثم إنها كانت خائفة من أن تنهار أمام كل تلك الوجوه الغاضبة عليها. سوف تبكي وترجو السماح. كل ما أرادته الآن هو غفرانهم، فهم في نظرها لم يرتكبوا أي غلط.

- دعيني أردي ملابس أفضل من هذه.

وجدت كنزة من دون شقوق تحت الإبطين وبنطالاً خاكياً. مشطت شعرها، بدلت أقراطها الذهبية بزوج من الأقراط الشبيهة باللؤلؤ وتتماشى مع الطوق. لا يمكن معرفة إن كانت مزيفة حقاً، حتى إنها تبدو ثقيلة.

فيما كانت، هي ودايان، ذاهبتين باتجاه الباب الأمامي - قامتا بتذكير البنات مرة أخرى حول استخدام الفرن، وطلبت منهن إطفاء التلفاز وأن يتعاون في بعض الأعمال - بدأت ليببي تولول ثانية، راكضة نحوهما وهي ترفرف بذراعيها. صالبت ميشيل ذراعيها فوق قميصها المبقّع وركلت الأرض بقدمها.

- أنا لا أتمكن من التعامل معها حين تكون في هذه الحالة قالت ذلك مقلدة باتي

تماماً هذا كثير جداً، كثير جداً عليّ.

أخذت باتي نفساً، فكرت بإقناع ميشيل، وفكرت بتهديدها، لكن صياح ليب.بي كان يعلو مثل حيوان ينبج، تصرخ قائلة: أريد الذهاب معك، أريد الذهاب معك، قوّست ميشيل حاجبيها. تخيلت باتي أن يظهر شرطي هنا بينما تكون هي بعيدة، ويجد طفلة بوجه محروق، باكية مستلقية على الأرض ولا أحد يواسيها. هل عليها أن تأخذ بناتها الثلاث معها إذن؟ لكن يجب أن يبقى أحد ما هنا ليجيب على الهاتف، أن يكون هنا، وعلى الأرجح كان بقاء ميشيل وديب.بي معاً هنا أفضل من..

- ليب.بي اذهب.بي وانتعلي حذاءك. أمرت دايان ميشيل: أنت تتولين المسؤولية، ردي على الهاتف ولا تردي على طرق الباب، وإن كان بن فهو لديه مفتاح. أما إن كان أحداً آخر، فلا تجيب.بي، لا نريد أن نقلقاً بشأنه، هل فهمت يا ميشيل؟
- ماذا يجري؟ قالت ميشيل.

- ميشيل، أنا لا أتعامل معك بخشونة، ميشيل؟

- تمام.

- تمام، قالت دايان. وتلك حرفياً كانت الكلمة الأخيرة.

وقفت باتي في الردهة، محبطة، تراقب ليب.بي وهي تنتعل حذاءها وزوجاً من القفازات موسخاً بالكعك، أمسكت باتي يدها وقادتها نحو السيارة. قد يكون مفيداً على أية حال، إن تذكر الناس أن بن لديه أخوات صغيرات يحببهن.

ليب.بي، لم تكن ثرثرة، يبدو أن ميشيل وديب.بي أخذتا نصيبها من الكلمات. هي تنطق ببعض الآراء مثل: أنا أحب الخيل، أكره السباغيتي، أكرهكم. مثل أمها، ليس لديها وجه معبر ولا مزاج معبر. الأسلم أن تكون معها هناك. حين لا تكون غاضبة أو حزينة، لا تقول الكثير. الآن هي جالسة ومربوطة بحزام في المقعد الخلفي، ذاهبة في رحلة. جلست صامتة، وجهها المبقع بالوردي متجه إلى خارج النافذة. إصبعها

قبالة الزجاج، تتبع قمم الأشجار في الخارج.

لا باتي تكلمت ولا دايان أيضاً، وبقي الراديو مقفلاً. حاولت باتي أن تتخيل الزيارة (زيارة؟ هل يمكنك حقاً تسمية هذا الشيء الكريه زيارة؟)، كل ما استطاعت تخيله كان صراخها: اتركوا ولدي وشأنه. لم تكن هي وماجي هينكل صديقتين، لكنهما كانتا دائماً تتبادلان الحديث في القبالة، أما عائلة بوتشي فقد عرفتھا من الكنيسة. هؤلاء لم يكونوا أناساً فظين، لذا فهم لن يكونوا قساة معها. أما بالنسبة إلى والدي الفتاة الأولى كريسي كيتس، فليس لدى باتي أية فكرة عنهما. تخيلت أن آل كيتس شقر ومن الطبقة الأرستقراطية. وكل شيء يتماشى مع البيت الأصيل الذي تفوح منه رائحة الأصالة. وتساءلت إن كانت السيدة كيتس ستلحظ مجوهراتها المزيفة.

قادتھا دايان من الطريق الرئيسية إلى داخل المنطقة. تجاوزتا يافطة زرقاء كبيرة لمخططات الوحدات السكنية في (إيلكود بارك)، وليس بعيداً عنها كان هناك مجرد كتل وكتل من الهياكل الخشبية، كل واحد منها هو مخطط تمهيدي لبيت. وكل واحد يسمح لك برؤية المخطط الذي يليه وما بعده. في الطابق الثاني من أحد هذه الهياكل، جلست مراهقة تدخن سيجارة. بدت مثل امرأة عجائبية في طائرتها الخفية. جالسة في المخطط التمهيدي لغرفة نوم، وهي تنفض سيجارتها، ويتطاير الرماد إلى غرفة الطعام.

كل البيوت غير المنجزة لم تثر أعصاب باتي. من الممكن تمييزهم ولكن لا علاقة لهم بالقضية. كلمة عادية فجأة تنسيك إنقاذ حياتك.

- جميلة هه؟ قالت دايان وهي تهز إصبعها مشيرة إلى المنطقة المجاورة.

منعطفان اثنان وكانت هناك، مجمع من بيوت أنيقة، بيوت حقيقية، مجموعة من السيارات تقف أمام أحدها.

- يبدو كأنه احتفال، تنخعت دايان. أنزلت زجاج النافذة وبصقت إلى الخارج. ساد الصمت في السيارة لعدة ثوان، ما عدا خرخرة حنجرة دايان.

- تضامن، قالت دايان. لا تقلقي فأسوأ شيء يمكن أن يفعله هو الصراخ.

- ربما عليهما البقاء هنا مع ليب.ي، قالت باتي. لا أريد الصراخ أمامها.

- لا، قالت دايان. لن يبقى أحد في السيارة. نستطيع فعل هذا. أليس كذلك يا ليب.ي؟ أنت فتاة صغيرة وقوية، صحيح؟ استدارت بجسدها الضخم نحو ليب.ي في المقعد الخلفي، تصدر سترتها الرياضية حفيفاً. ثم عادت إلى باتي. سيكون مفيداً أن يروها، ويعرفوا أن له أختاً صغيرة بجواره وتحبه. امتلكت باتي جرعة من الثقة بالنفس جعلتها تفكر بالشيء نفسه.

خرجت دايان من السيارة عندها، على الجانب الآخر وقفت تحلّ حزام ليب.ي وتفتح لها الباب على عرضه لتخرجها، ومشين ثلاثتهن على الرصيف. شعرت باتي بالاضطراب في الحال. هدأت قرحة معدتها لفترة. لكن أمعاءها تشتعل الآن. هبط فكها وارتخى. وقفن عند عتبة الباب، باتي ودايان في المقدمة وليب.ي وراء أمها تماماً. يتلفتن إلى الورا. تخيلت باتي لو أن أحد الأغرب يمر بسيارته فيحسبهن صديقات يشاركن في الاحتفالات. ما زالت زينة عيد الميلاد على الباب. فكرت باتي (هن أمضين عيداً سعيداً والآن هن مرتعبات وغاضبات. لكنني أراهن أنهن سيبقين يفكرن بأنهن أمضين عيد ميلاد سعيد). كان البيت كأنه صورة في كاتالوج وهناك سيارتا (ب. م) في الموقف، وإن هؤلاء لم يكونوا من الناس الذين اعتادوا على حدوث الأشياء السيئة.

- لا أريد أن أفعل هذا، لا أعتقد أنه علينا فعل هذا. تمتت باتي.

دقت دايان جرس الباب ورمقتها بنظرة كأنها مصوبة من عيني أبيهما، النظرة الثابتة الهادئة التي يرمي بها من يتردد في فعل شيء، ثم قالت بالضبط ما كان والدهما دائماً يقوله حين ينظر تلك النظرة (لا شيء فيها لكن افعلها).

ردت السيدة كيتس على رنين جرس الباب، شقراء بوجه صبوح، عيناها حمراوان من كثرة البكاء ومازالت تحمل منديلاً.

- أهلاً. هل يمكنني مساعدتك؟

- أنا. هل أنت.. والدة كيسي كيتس؟ بدأت باتي الحديث وشرعت تبكي.

- أنا هي، قالت المرأة وهي تتلمس مجوهراتها. عيناها تنتقلان من باتي إلى دايان ثم إلى ليب.بي في الأسفل. أوه، ابنتك الصغيرة.. هل آذى ابنتك الصغيرة أيضاً؟

- لا، قالت باتي. أنا والدة بن، أنا والدة بن داي ومسحت دموعها بظاهر يدها ثم بكمت سترتها.

- أوه يا إلهي، أوه يا إلهي، ليوووو تعال إلى هنا. أسرع. ارتفع صوت السيدة كيتس عالياً ومرتعشاً مثل صوت طائرة وهي تهبط. أطلت وجوه عدة لم تتعرف إليها باتي من زاوية غرفة المعيشة. تجاوزهم رجل خارج من المطبخ حاملاً صينية من عبوات الصودا ووقفت في الممر فتاة واحدة. شقراء جميلة، ترتدي بنطال جينز مزهراً.

- زفقت الفتاة من هناك؟

- اذهب.ي وأحضري أباك. تحركت السيدة كيتس لتملاً الممر، تكاد تدفعهن بدنياً من على عتبة الباب (ليوووو..). صاحت ملتفتة إلى الوراء، إلى داخل المنزل. ظهر رجل خلفها، طويل كاللوح، طوله ست أقدام وخمسة إنشات على الأقل. صلب. رافع ذقنه إلى الأعلى بأسلوب ذكّر باتي بالناس الذين يحصلون على ما يريدون.

- هذه هي والدة بن داي. قالتها المرأة باشمئزاز جعل باتي تشعر برحمتها يجفل.

- من الأفضل أن تدخلني قال الرجل، وعندما تبادلت باتي ودايان النظر، قال بنزق: ادخلن، ادخلن وكأنهن حيوانات منزلية مزعجة.

دخلن إلى البيت، إلى غرفة صغيرة غائرة، ولاح لهن مشهد حفلة عيد ميلاد للأطفال. أربع فتيات كن في أوضاع مختلفة من تمثيلية. وضعن نجومات زينة على وجوههن وأيديهن، من نوع اللصاقات التي تستخدمها المعلمات لتمييز الطلاب الجيدين. بعض الفتيات كن جالسات مع آبائهن، يأكلن الحلويات. بدت الفتيات

شهرات، وبدا الآباء والأمهات مرتعبين خلف وجوه شجاعة. ألقت كريسي كيتس بنفسها على الأرض وأخذت تلعب الدمى مع شاب ضخم ذي شعر أسود داكن جلس متربعاً أمامها، معجباً بنفسه. كانت تلك الدمى الإسفنجية البشعة التي رأتها باتي في أفلام الأسبوع - مع ميريديث باكستر بيرني. أو باتي ديوك آستن، عندما فصلن في مسألة أمهات أو محاميات. كانت الدمى هي ما استخدمتها الطفلات ليشرحن كيف تمت الإساءة إليهن. كريسي خلعت الثياب عن كلا الدميتين، ووضعت الدمية الذكر فوق الدمية الأنثى وأخذت تحركها صعوداً وهبوطاً، وهي تنشد كلمات تافهة. كان هناك فتاة سمراء تراقبها من حضن أمها، وهي تأكل بقايا سكر الحلويات من تحت أظفارها. بدت كبيرة جداً على الجلوس في حضن أمها، مثل ذلك قالت كريسي وهي تختتم اللعبة ضجرة وغاضبة ورمت اللعبة جانباً. الشاب معالج نفسي، مصلح اجتماعي، شخص يرتدي سترة شتيلاند وقميص مربعات تحتها، شخص انتسب إلى الكلية، التقط اللعبة عن الأرض وحاول أن يلفت انتباه كريسي.

- كريسي، دعينا.. قال وهو يمسك الدمية الذكر بعناية من ركبة واحدة، فوقع عضو الدمية الذكري إلى الأرض.

- من تكون تلك؟ قالت كريسي مشيرة إلى باتي.

مشت باتي بخطوات واسعة متجاهلة كل الآباء والأمهات، الذين بدأوا يقفون، مرتعشين مثل أوتار الآلات الموسيقية.

- كريسي، قالت باتي وجثمت على الأرض متذلة. اسمي باتي، أنا والدة بن داي. اتسعت عينا كريسي، وارتجفت شفتاها، ثم انطلقت مبتعدة عن باتي، وسادت لحظة صمت. كأن انهياراً بطيئاً قد حدث. تبادلت كريسي وباتي التحديق ثم أمالت رأسها إلى الوراء وصرخت: لا أريدها هنا. شق صوتها عنان السماء. لا أريدها هنا! أنت قلت! أنت قلت لم يكن عليّ فعل ذلك!

رمت كريسي نفسها على الأرض وبدأت تشد شعرها. ركضت الفتاة السمراء

وألقت بنفسها فوقها وبدأت تولول: أنا لا أشعر بالأمان.

وقفت باتي، دارت في الغرفة، رأت الأمهات والآباء بوجوه خائفة وثائرة، رأت دايان تخفي ليببي وراءها باتجاه الباب.

- نحن سمعنا عنك، قالت والدة كريسي كيتس، وقد تدور وجهها الحلو المجفف من الدموع مثل كرة، وتحركت باتجاه ماجي هينكل، زميلة باتي القديمة في المدرسة، التي احمر وجهها لرؤية باتي. لديك أربعة أولاد في البيت تابعت بصوت ثابت وعينين دامعتين لا يمكنك إعالة واحد منهم، والدهم سكير، وأنت مسجلة على قائمة الرعاية الاجتماعية. تتركين بناتك الصغيرات مع ذلك.. الابن أوى. تركت ولدك يفترس البنات الصغيرات، يا يسوع المسيح، تركت ولدك يفعل ذلك! الله وحده يعلم ماذا يجري هناك! عندها وقفت ابنة آل بوتشي وصرخت ودموعها تنهمر مثل نجوم متألئة على خديها. انضمت إلى المجموعة في الوسط حيث كان الشاب يدمدم كلمات مهدئة. محاولاً أن يبقي عينيه عليهن. عادت كريسي للصرخ ثانية: لا أريدهن هنا.

- أين بن يا باتي؟ قالت السيدة هينكل. كانت ابنتها بوجهها الكالح، الخالي من أي تعبير تجلس بجانبها. الشرطة تريد أن تتحدث معه حقاً. أمل ألا تكوني قد خبأته.

- أنا، أنا أحاول أن أجده. أحاول تسوية هذا الأمر. قالت باتي وهي تقول في سرها: أرجوك ساعديني، أرجوك سامحيني، توقفي عن الصراخ رجاءً.

مكثت ابنة ماجي هينكل هادئة، ثم شدت كم قميص أمها بقوة وقالت: ماما، أريد أن أذهب. وتابعت الفتيات الأخريات العويل، تراقب كل منهن الأخرى.

وقفت باتي تنظر إلى كريسي والمعالج النفسي مازال يهز الدمية الذكر العارية التي يفترض أنها بن، انتفخ بطن باتي، واندفع الحمض إلى حلقها.

- أعتقد أنه عليك المغادرة، صرخت السيدة كيتس وحملت ابنتها مثل طفلة

صغيرة. ساقا الفتاة تتدليان إلى الأرض تقريباً، والسيدة كيتس تتأرجح من ثقلها.

وقف المعالج النفسي الشاب حاشراً نفسه بين باتي والسيدة كيتس، وضع يده تقريباً على باتي ثم نقلها إلى السيدة كيتس بدلاً منها. كانت دايان تنادي من عند الباب. تنادي باسم باتي، أو أن باتي لم تكن تعرف كيف تتحرك. كانت تنتظرهم أن يطبقوا عليها ويفقأوا عينيها.

- أنا آسفة، أنا آسفة، كانت باتي تصرخ داخل الغرفة، مهتاجة ودائخة. إنها غلطة، أنا آسفة.

عندها كان السيد ليو كيتس أمامها يجزّها من ذراعها، وكأنه لم يكن هو من دعاها للدخول قبل قليل. سحبها باتجاه الباب، عويل الفتيات الأربع وراءها. الآباء والأمهات كانوا في كل مكان وقد زادت عنايتهم بأطفالهم. وشعرت باتي بأنها غبية، ليست حمقاء فقط، ليست معقدة، بل عديمة الحس بشكل لا يُعتفر. تمكنت من سماع الآباء يقولون بتودد وحب أشياء لبناتهم: أيتها الفتاة الطيبة، لا بأس - لا بأس. هي ستغادر الآن. أنت بأمان. سنعالج هذا الأمر كله بشكل أفضل. هس، هس، هس، يا حبيبتى.

قبل أن يدفعها ليو كيتس خارج الغرفة، تلفتت باتي حولها لترى كريسى كيتس بين ذراعي أمها، شعرها الأشقر فوق إحدى عينيها، نظرت الفتاة إليها وقالت ببساطة: بن ذاهب إلى الجحيم.

ليبي داي الآن

تم تكليفي بالعثور على رنر. لكن كل نشاطي الطموح والمحموم في الأسبوع الماضي انزلق إلى الأرض بجانب سريري، مثل قميص نوم ملوث. لم أستطع النهوض، حتى عندما سمعت الأولاد يقلدون مشية البطة الناعسة متجاوزين بيتي. تخيلتهم ينتعلون أحذية مطاطية كبيرة، يمشون متناقلين على طول الطريق، تاركين آثار أقدام مدورة في وحل آذار، وبقيت عاجزة عن الحركة. صحت من حلم بئس، من النوع الذي يجعلك تقول لنفسك، إن هذا لا يعنيك يجب ألا تهتم له فهو مجرد حلم. مجرد حلم، بدأ من الماضي في المزرعة. لكنها في الواقع لم تكن المزرعة التي تعرفها، كانت هذه متألفة جداً وأنيقة جداً كي تكون المزرعة، لكنها كانت هي. وفي نقطة نائية تجاه أفق برتقالي، كان رنر يجري بالفرس عدواً نحو المزرعة. يصيح مثل راعي بقر من الغرب القديم. حين اقترب من أسفل هضبتنا، ومن خلال البوابة - لاحظت أن عدوه كان مقللاً، قرقة آلة، لأن حصانه على عجلات. نصفه الأعلى من اللحم، والقاعدة كانت معدنية، طويلة مثل نقالة مشفى. سهل الحصان في وجهي مذعوراً، رقبته المعضلة تحاول الانفصال عن المعدن في الأسفل. قفز رنر من فوقه، فتدحرج المخلوق بعيداً، وانكسرت إحدى عجلاته، مثل عربة خضروات فالتة من حيوان كان يجرها. توقفت قرب جذع شجرة. ابيضت عينا الحصان وهو لا يزال يصارع لينفصل عنها.

- لا تقلقي عليه. كشر رنر تكشيرة ألم على الحصان.

- حصلت على صفقة خاسرة، قلت.

شد رنر فكه ووقف ملاصقاً لي وتمتم: أمك قالت إنها رابحة.

(ذلك صحيح!) فكرت (أمي على قيد الحياة) أشعرتني الفكرة بالقوة، مثل حصة في جيب.بي. أمي على قيد الحياة، كم كنت غبية، فكرت كل هذه السنين بالعكس.

- من الأفضل أن تعالجي يدك أولاً، قال رنر مشيراً إلى ما بقي من بنصري. اشتريت لك هذه، آمل أن تعجبك أكثر من الحصان. حمل حقيبة مخملية مهلهلة من النوع المستخدم في الأشغال وهزّها.

- أوه، أنا أحب الحصان، قلت له وأنا أغالب ضعف إرادتي. انتزع الحصان أجزاءه الخلفية المعدنية وصار ينزف زيتاً أحمر.

من تلك الحقيبة، أفرغ رنر ثمانية أو تسعة أصابع. كلما التقطت واحداً يشبه أصابعي وجدت أنه كان إصبعاً وردياً، أو إصبعاً لرجل، أو إصبعاً من الحجم واللون الخطأ.

زَم رنر شفتيه في وجهي قائلاً: خذي واحداً فقط، تمام؟ هي ليست صفقة كبيرة.

انتقيت واحداً يشبه إلى حد ما إصبعي المفقود، وقام رنر بخياطته في يدي. الحصان المرهق عديم النفع يصرخ خلفنا الآن، صرخات امرأة مذعورة وغاضبة. رماه رنر برفش شطره إلى نصفين، وأخذ يختلج على الأرض، عاجزاً عن الحركة.

- هو ذا، قال رنر وهو يتمطّق. إنه جيد كالجديد.

بين إصبعي البنّاتيين، انحشر إصبع قدم كبير ومنتفخ، مثبت بقطب ثخينة، ثم فجأة ظهرت صديقة رنر بيجي وقالت: حبيب.بي، أمها ليست هنا، ألا تذكر أننا قتلناها.

لطم رنر رأسه مثل رجل نسي أن يجلب الحليب إلى بيته، وقال ذلك صحيح. صحيح. أنا قضيت على كل البنات، ما عدا ليب.ي ووقفنا ثلاثتنا نرفّ بأعيننا، كل واحد ينظر نحو الآخر. أصبح الهواء فاسداً. ثم عاد رنر إلى الحصان والتقط الرفش، الذي أصبح فاسداً.

اندفعت مستيقظة، ورميت بأحد ذراعي المصباح الجانب.ي على الأرض. حين استدرت وجدته لا يكاد يلامس الأرض وقد انقلبت اللبنة المشعة على جنبها. تساءلت إن كانت ستحدث ثقباً في السجادة.

الوقت الآن صباح وما زلت عاجزة عن الحركة.

لكن النور كان مضاءً في غرفة بن. اهتمامي الحقيقي الأول: كان النور مضاءً في غرفة بن تلك الليلة، وكان أحدهم يتكلم. أردت أن أتوقف عن التفكير بذلك. لكني أعود إلى التفكير به دائماً. لماذا يدخل قاتل مجنون إلى غرفة بن، يغلق الباب، يشعل الضوء ويتحدث؟

النور كان مضاءً في غرفة بن. انسي بقية الأمور: ليو كيتس التواق للانتقام، جنون رنر من ثقل الديون. مجموعة حمقى مستأجرين أرادوا تلقين رنر درساً بقتل عائلته. انسي الصوت الهادر الذي سمعته، الذي... حسناً، الذي... أظن أنه يمكن ألا يكون صوت بن، لكنه لم يكن في البيت حين ذهبنا للنوم، وعندما استيقظت كان النور مضاءً. أذكر بأنني شعرت بكثير من الراحة لأن بن كان في البيت وأن النور كان مضاءً في غرفته والعراك الذي بينه وبين أمي كان على الأقل، من أجل أحداث اليوم. النور كان مضاءً وكان هو الذي يتكلم خلف الباب، ربما على هاتفه الجديد، أو مع نفسه، لكن النور كان مضاءً.

ومن كانت ديوندا؟

تهيأت للنهوض من سريري، ورميت الأعطية جانباً، تفوح من الشرشف رائحة رطوبة وقد حال لونها إلى رمادي من جسمي. تساءلت كم مر من الوقت منذ أن

بدلتها آخر مرة. في كثير من الأحوال كنت أتساءل: متى يفترض تبديلها. كان هذا من الأمور التي لم أتعلمها. بدلتها بعد أن مارست الجنس. ذلك فقط ما تعلمته منذ عدة سنين من الأفلام في التلفاز. من فيلم جلين كلوز المثيرة، التي كانت ما أن تمارس الجنس حتى تبدل الشراشف ولا أذكر بقية الفيلم، لأن كل ما كنت أفكر فيه كان: أوه، أعتقد أن الناس يبدلون الشراشف بعد أن يمارسوا الجنس. ذلك منطقي. لكنني لم أفكر فيه.

نشأت متوحشة، وفي الغالب بقيت كذلك.

نهضت من السرير، وأعدت المصباح أخيراً إلى الطاولة بجانب السرير. مشيت متثاقلة إلى غرفة المعيشة وتقدمت متلوية من جهاز الرد الآلي. كي لا أدعه يعرف أنني مهتمة إن كان فيه رسائل صوتية. كان ينقصني أن أصفر، سبقتني قدماي... (لا شيء غير اعتيادي هنا. فقط أنا أتمشى في الخارج). لا شيء من دايان. أربعة أيام ولا شيء من دايان.

حسناً، ليس هناك من مشكلة. لدي عائلة أخرى.

في هذه المرة كان بن ينتظرنني حين أتيت. ظهر في المشهد قبل أن أكون مستعدة لرؤيته. جلس صارماً في المقعد وراء الزجاج. عيناه بلا تركيز، كأنه عارض أزياء في ثياب الرياضة. أردت أن أقول له ألا يفعل ذلك معي. ذلك يشعرنني بالخوف. لكنني لم أقل أي شيء، فلماذا يشعرنني بالرعب إن كنت لا أزال غير مصدقة كلياً أنه بريء، لم أصدق ذلك بعد. أنا أحمّن تخميناً.

جلست. الكرسي ما زال رطباً من شخص آخر كان يجلس عليه قبلي. سخونة البلاستيك تشعرك بدفء وألفة جسدية مع هذا المكان. زحزحت ردفني إلى الورا والمام، أتحمس السماعه محاولة ألا أبدو خائبة. لكن عندما رفعتها كانت لا تزال مبللة بعرق المستخدم السابق، أياً كانت النظرة التي نظرتها فقد جعلت بن يعبس.

- هل أنت بخير؟ سألني، فأشرت له دفعة واحدة: نعم، بالتأكيد، جيدة بشكل

مطلق.

إذن، ها قد عدت، قال. وقرر أن يبتسم الآن، ويحذر. بالطريقة نفسها التي كان يفعلها دائماً. في حفلة عائلية، آخر يوم في المدرسة، بدا كذلك. كأنه الولد الذي يعيش بشكل دائم في المكتبة، ينتظر من يسكته.

- عدت.

له وجه لطيف، ليس وسيماً لكنه لطيف. وجه شاب طيب. ضبطني وأنا أقيمه. فتحركت عيناه بسرعة إلى يديه، كانتا كبيرتين الآن. أكبر من جسده الصغير، يدا عازف بيانو رغم أننا لم نعزف بيانو. عليهما ندوب، لا شيء مثير للخشية. وردية داكنة مثل أوراق الكارميل كأنها آثار قرصات وجروح. لاحظ أنني أنظر إليهما، فرفع إحدى يديه وأشار بإصبعه إلى جرح عميق وقال: حادث بولو.

ضحكت لأنني أدرك أنه يفتقد المزاح الآن.

- لا، هل تعرفين ما حقيقة هذه؟ قال بن. هذه من ذلك العجل الأصفر الخامس، هل تذكرين ذلك الهجين الصغير؟

كان لدينا منشأة صغيرة، لم نطلق اسماً على قطيعنا، وتلك لم تكن فكرة صائبة. حتى عندما كنت طفلاً لم أستمتع بالتقرب من بوسي أو هانك أو سويت بل لأنها سترسل إلى المذبح ما أن تصبح بالحجم المطلوب. ستة عشر شهراً. ذلك ما طُبع في رأسي. في إحدى المرات بلغ عمرها عاماً كاملاً، وكنت قد بدأت تمشين على رؤوس أصابعك حولها. تنظرين إليها بطرف عينك باشمئزاز وارتباك وكأنك تنظرين إلى ضيف في بيتك أطلق ريحاً للتو.

إذن لا بد من تسميتها. قمنا بوشمها خلال عملية الإنجاب في كل عام، نمائل البقرات بعجولها: الأخضر الأول، الأحمر الثالث، الأزرق الثاني، وهي تنزلق من بطون أمهاتها على أرض الحظيرة القذرة. تلك الأقدام المترافسة فور خروجها، تحاول

أن ترتفع عن الوحل المائع. الناس يعتقدون أن القطيع سهل الانقياد مثل الأبقار، لكن العجول؟ العجول فضولية كالقطط ولعوب، لذلك السبب لم يسمح لي أن أجرب حظي معها. سمح لي فقط بأن أنظر إليها من خلال فتحات السياج. لكنني أذكر بن منتعلاً جزمته المطاطية، يحاول أن ينسلّ إلى الداخل، يتحرك ببطء وتأنٍ مثل رائد فضاء. ثم يقترب وكأنه يحاول أن يختطف سمكة. أنا أتذكر الأصفر الخامس، على الأقل الاسم. العجل الشهير الذي رفض أن يكون مخصياً - المسكين بن وأمي، كانا يحاولان يوماً بعد يوم إمساك الأصفر الخامس لئتمكنا من شق كيسه وقطع خصيتيه. وفي كل يوم يجلسان إلى طاولة العشاء مخفقين. الأصفر الخامس تغلب عليهما. في الليلة الأولى ابتكرنا طرفة تداولها الجميع، كانت حديث كل واحد منا لشريحة اللحم، مفترضاً إياها الأصفر الخامس: ستندم أيها الأصفر الخامس، وفي الليلة الثانية ضحكنا من شدة كدرهما. في الليلة الخامسة كان صمتنا وأفواهنا يذكران بن وأمي أنهما لم يكونا جيدين كفاية: ضعيفين، صغيرين، بطيئين، مفتقرين إلى الخبرة.

لم أكن لأتذكر العجل الخامس أبداً لو لم يذكرني به بن. أردت أن أطلب منه أن يحضّر قائمة لأشياء يحب أن يتذكرها. ذكريات لا أستطيع أن أستدعيها من ذاكرتي بمفردي.

- ماذا حدث؟ هل عضّك؟

- لا، لم يحدث شيء مأساوي. دفعني داخل السياج حين اعتقدت أنني تمكنت منه تماماً. دفعني بفخذه إلى جانب واحد. فهاجمته بكل قوتي ضاغطاً ظاهر يدي تماماً على مسمار في السياج كانت أمي قد طلبت مني أن أثبته خمس مرات. إذن، تعلمين، هي غلطتي.

كنت أحاول أن أفكر بشيء لأقوله، شيء ينم عن الذكاء، شيء مؤسٍ له. ما زلت لا أملك السيطرة على ردود الفعل التي يريدونها بن مني. وقاطعني بن قائلاً: لا، اعكسي الأمر، كانت غلطة الأصفر الخامس اللعين. وانفجر بضحكة سريعة، ثم

أرخی كتفيه ثانية. أتذكر ديب.بي. ضمدت لي جرحي، وضعت الضماد الطب.بي ثم وضعت واحدة من ملصقاتها فوقه، تلك الملصقات اللامعة على شكل قلوب أو شيء آخر.

- كانت تحب الملصقات، قلت.

- كانت تضعها في كل مكان لتؤكد حبها لها، - قال بن.

أخذت نفساً، فكرت بالانتقال إلى مواضيع أخرى غير مؤذية، الطقس مثلاً أو أي شيء، ثم لم أفعل.

- هيه، بن، هل لي أن أسألك سؤالاً؟

تحول بن إلى شخص يُخشى شره، مشدود، ورأيت المدان ثانية، رأيت شاباً اعتاد أن يكون في موقع المتلقي. يتلقى سؤالاً بعد سؤال ويتخذ موقفاً حين يُسأل عما يخصه. أدركت مدى التهور في أن ترفض الإجابة على سؤال. (لا شكراً، لا أريد التحدث عن ذلك) إن أسوأ ما تحصل عليه هو شخص يعتقد أنك جاهل.

- أتعرف تلك الليلة؟

اتسعت عيناه. بالطبع هو يعرف تلك الليلة.

- أنا أذكر، ربما كنت مشوشة، حول ما حدث بالضبط.. قلت.

كان الآن منحنيًا إلى الأمام. ذراعه متيبستان، ممسكتان بالسماعة وكأنها كانت مكالمة عن حالة طارئة في آخر الليل.

- لكن، شيئاً واحداً أتذكره وأنا واثقة تماماً من ذلك. أنا أذكر.. مصباحك كان مضاءً، في غرفة نومك. رأيت من تحت شق الباب. وكان هناك حديث يدور في الغرفة.

انسحبت آملة أنه سينقذني، لكنه تركني عائمة، ذلك السقوط الحر لبضع لحظات

حين تنزلق قدمك على الجليد ويكون لديك الوقت الكافي لتفكر (أوه أنا سأقع).

- هذه نعمة جديدة، قال أخيراً.

- ما هي هذه.

- سؤال جديد. لم أعتقد أنه سيكون هناك أسئلة جديدة نهائياً، تهانينا.

تنبهت إلى أن كلينا يجلس في الوضعية نفسها. راحة يد واحدة على حافة الطاولة وكأننا نستعد للانسحاب من وجبة بقايا طعام. إنها وضعية رنر. أنا أتذكرها في المرة الأخيرة التي رأيته فيها، أنا في الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين، وهو يريد مالاً، يسأل بطريقة عابثة وحلوة في البداية (أعتقد أنك ربما تستطيعين مساعدة رجلك العجوز، عزيزتي لبيبي؟) وأقول له أنا: لا، مباشرة. ضربة عنيفة على الوتر الحساس، فيردّ بنزق وهو مصدوم، مهزوم، (حسناً، لِمَ لا؟) كتفاه مرتدتان إلى الوراء، وذراعا مرفوعان، يده على طاولتي، وأنا أفكر: (لماذا سمحت له بالجلوس) والآن أنا أعد الدقائق، أحسب الوقت الذي ضيعته ليعود ويقف.

قال بن: تسللت إلى الخارج تلك الليلة. أتيت إلى البيت ودخلنا أنا وأمي في عراك آخر.

- حول كريسي كيتس؟

قلت في نفسي هو من بدأ ذلك، إذن فلتقع فوق رأسه.

حول كريسي كيتس. لكنها صدقتني، كانت إلى جانبي تماماً، ذلك هو الشيء العظيم في والدي، حتى حين تغضب عليك كجهنم، كانت تقف إلى جانبك، أنت تعرفين ذلك حتى العظم. هي وثقت بي. لكنها كانت غاضبة، كانت مجرد خائفة. كان خطئي. تركتها تنتظر، لا أعرف، ما يقارب ست عشرة ساعة تنتظر دون أية كلمة. أنا لم أكن أعرف حتى ما كان يجري، أنت تعرفين، لم يكن هناك هواتف نقالة حينها. كان من الممكن أن يمضي يوم كامل دون أن تتكلمي بالهاتف. لم تكن الحال

كما هي في هذه الأيام. أنا أسمع كل ما يجري في الخارج.

- إذن، لكن...

صحيح، نحن تشاجرنا فقط، أنا حتى لا أذكر إن كان حول كرسي كيتس بالضبط أو الحديث عنها كان في بداية الشجار الذي انطلق من هذه النقطة. أرجو من الله أن أتذكر. لكنها، في أية حال، وبختني وطرقتني إلى غرفتي. ذهبت إلى هناك وبعد ساعة وبختني ثانية فغادرت المنزل، تركت الراديو مفتوحاً والأنوار مضاءة، وهكذا ستعتقد أُمي، إن اختلست النظر إلى الغرفة أنني ما زلت هناك. أقصد، أنت تعرفين طريقة نومها. لم تكن توحى بأنها ستمشي كل المسافة إلى غرفتي لتبحث فيها عني، فهي ما أن تتمدد في السرير حتى تغط في نوم عميق.

بن جعل تلك الخطوات الثلاثين تبدو مثل رحلة أسطورية، لكنها كانت حقيقة. كانت أُمي لا تحس بشيء عندما تستغرق في نومها. هي بالكاد تتحرك وهي نائمة. أذكر تلاوة صلواتي المتوترة فوق جسدها وأنا أقنع نفسي أنها ميتة. أهدق فيها حتى تدمع عيناها. أحاول أن أتنفس، أحاول أن أتمكن من النواح. أقلبها برفق فتعود إلى الوضعية نفسها. كلنا عندنا قصص عن مصادفتها في زيارات تحدث في وقت واحد إلى الحمام في الليل - نتراجع من الوضع المخرج حين نراها تبول في التواليت، ثيابها بين ساقها، تنظر من خلالنا وكأننا من زجاج. كانت تقول (أنا لا اعرف كل شيء عن نبات الذرة) أو تقول (تلك الذرة، ألم يحن موسمها بعد؟) ثم تجر قدميها وتتجاوزنا عائدة إلى غرفتها.

- هل أخبرت الشرطة بذلك؟

- أوه، ليب.ي، هيا، هيا، ليس هذا ما أردته أن يُثار.

- هل فعلت؟

- لا، لم أفعل، ما الفرق الذي كان يمكن أن يحدثه هذا الأمر؟ هم عرفوا طبعاً

أنا تشاجرنا. هل أخبرهم أننا تشاجرنا مرتين؟ ذلك.. ليس شيئاً مهماً. كنت هناك لمدة ساعة ربما. ولم يحدث أي شيء غير ذلك. لم يكن للشجار صلة بالموضوع كلياً.

نظر كل منا إلى الآخر.

- من هي ديونديرا؟ سألته. يمكنني أن أراه يحاول أن يكون أكثر هدوءاً. أراه يفكر. التهرب من السؤال يمكن أن يؤكد معرفته بها، وقد لا يؤكد ذلك. لكنني أستطيع أن أقول الآن إنه سيكذب.

اسم ديونديرا هزه، أتخيل أن عظامه تطن. لوى رأسه إلى اليمين بعض الشيء، وكأنه يقول من الغريب أن تسألني ذلك السؤال. هجم ثم ضبط نفسه.

- ديونديرا؟ كان منهاراً. يحاول أن يفهم بالضبط ما أعرفه. أظهرت له وجهاً خالياً من أي تعبير.

- آه، ديونديرا كانت فتاة في المدرسة! أين التقيت ديونديرا؟

- وجدت ورقة كتبها لك، توحى بأنها كانت أكثر من فتاة في المدرسة.

- هه. حسناً. كانت فتاة مجنونة، أنا أذكر ذلك. كانت دائماً تكتب أوراقاً. أنت تعرفين، كانت فتاة تريد أن تثبت للناس أنها موجودة. همجية.

- اعتقدت أنه لم يكن لديك صديقة، قلت.

- كنت كذلك، يا إلهي، كيف استنتجت من ورقة أنها كانت صديقتي؟

- من الورقة. توترت إذ عرفت أنني لن أصل إلى نتيجة معه.

- حسناً. لا أعرف ماذا أقول لك. أتمنى لو أنني أستطيع أن أقول أنها كانت صاحبتني. هي كانت خارج مجموعتي كلياً. أنا لا أذكر حتى أنني حصلت على ورقة منها. هل أنت متأكدة أن اسمي مدون فيها، وكيف حصلت عليها؟

- لا تهتم. قلت وأنزلت السماعه عن أذني فأدرك أنني مغادرة.

- ليب.ي، توقي، توقي.

- لا إن كنت ستعاملني مثل بعض.. المحكومين، أنا لا أرى جدوى.

- ليب.ي، كفي عن إشعال الجحيم. أنا آسف، لا أستطيع أن أعطيك الجواب الذي تريدينه على ما أعتقد.

- أنا أريد الحقيقة فقط.

- وأنا أريد أن أخبرك الحقيقة فقط، لكن يبدو أنك تريدين.. قصة. أنا مجرد. أقصد، يا للمسيح، تأتي أختي الصغيرة بعد كل هذه السنين وأنا أعتقد... حسناً هنا، يجوز أن يكون هناك شيء جيد واحد، شيء جيد واحد. هي مقدر لها كجهنم ألا تكون متعاونة لأربع وعشرين سنة لعينة مضت، لكن، هيه، أنا تقبلت ذلك، تجاوزت ذلك تماماً منذ أن رأيتها للمرة الأولى. كل ما أحسست به هو أنني كنت سعيداً. أقصد أنني كنت محبوساً هناك في زريبتى اللعينة. منتظراً أن أراك. كنت متوتراً جداً وكأنني ذاهب إلى موعد. ورأيتك و.. يا إلهي، إنه مثل، ربما هذا هو الشيء الوحيد الذي سيكون مضبوطاً. ربما بقي لي شخص واحد من عائلتي في حياتي ولن أكون وحيداً هكذا بعد اليوم. لأنني... وأعني، أنا أعرف أنك تحدثت مع ماجدة، صدقيني سمعت كل ذلك. ولدي أناس يزوروني ويعتنون بي، لكنهم ليسوا أنت. هم ليسوا أي شخص يعرفني.

هم لا يعرفون عني إلا أنني الشاب ل... وكنت أعتقد أنه سيكون شيئاً رائعاً أن أتمكن من التحدث مع أختي. التي تعرفني، وتعرف أسرتي، تعرف أننا كنا تماماً مثل الناس الطبيعيين، ونستطيع أن نضحك على البقرات الملعونة، تلك هي القصة. أنت تعرفين. ذلك كل ما أطلبه في هذه اللحظة. شيء بسيط كهذا فقط، ولهذا أتمنى أن أخبرك بشيء لا يجعلك... تكرهيني ثانية. خفض نظره، ونظر إلى انعكاس صدره في الزجاج وتابع: لكنني لا أستطيع.

بن داي

2 كانون الثاني 1985

5:58 بعد الظهر

أصبح لديوندرنا بطن صغير، وهذا ما جعل من بن شخصاً غريباً. منذ أسابيع وهي تتحدث عن حركة الجنين؛ لقد دبت فيه الروح، الجنين يتحرك. كان شيئاً استثنائياً جداً، لحظة مهمة، لذا كان على بن أن يضع يده على بطنها كل الوقت ويتحسس ركلات الجنين. كان فخوراً بأنه السبب في إحداث هذا البطن، فخوراً بإنتاج الطفل أو أنه السبب في مشروع إنتاجه على الأقل. لكنه في الواقع لا يحب أن يلمس تلك المنطقة أو ينظر إليها. اللحم كان غير اعتيادي. قاسياً لكنه مدور في الوقت نفسه، مثل لحم خنزير متفسخ، ولمسه كان مربكاً. لعدة أسابيع كانت ديوندرنا تشدّ يده وتضغطها هناك. ثم تراقب وجهه لتعرف ردّ فعله، وتصيح عليه حين لا يشعر بشيء. لمدة قصيرة اعتقد بالفعل أن الحمل كان مجرد واحدة من طرائف ديوندرنا لتجعله يشعر أنه مغفل. جلس هناك ويده تتعرق فوق تلك الكومة الضخمة من الجلد، وفكر: قد تكون تلك القرقرة، هي كل ما في الأمر، وهل كان ذلك جنيناً أم أنه مجرد عسر هضم؟ تضايق لأنه إذا لم يشعر بأي شيء، ولم يتتبع خلال الأسابيع الأولى حركة الجنين، فستصرخ عليه ديوندرنا (إنه هناك تماماً، مثل مدفع يضرب في رحمي، كيف لا تستطيع أن تشعر به؟). وتضايق لأنه إذا قال لها أخيراً إنه أحس به فستصفعه

ديوندا بضحكتها، تلك الضحكة التي تجعلها تنحني إلى وسطها وكأنها تلقت طلقة، الضحكة التي تجعلها تمسك ركبتيها فيهتز شعرها المشبع بالجل مثل شجرة بعد عاصفة ثلجية، وذلك طبعاً لأنها لم تكن حاملاً بالفعل، لأنها تهزأ به فقط. هل تراه يفهم أي شيء؟

في الواقع هو بحث عن دلائل تكشف كذبها: تلك الفوط النسائية الدامية الكبيرة التي كانت أمه تلفها دائماً وترميها في سلة الزبالة وتمتلئ السلة بها خلال يوم واحد. ومن ناحية أخرى هو لم يكن يعرف بدقة عن أي شيء يبحث. ولم يكن واثقاً من أن عليه أن يسأل إذا كان الجنين ابنه. هي قالت إنه كذلك. ولذلك من المحتمل أن يكون ابنه.

في كل الأحوال. في الشهر الماضي، كان واضحاً أنها حامل بلا شك. على الأقل إذا رأيتها عارية. استمرت في الذهاب إلى المدرسة. ترتدي تلك الكنزات الفضفاضة، وتترك بنطالها الجينز غير مزرر وسحابه مفتوحاً جزئياً. والكتلة أصبحت أكبر، تحملها ديوندا وتمسح عليها بيديها كأنها كرة من الكريستال تصور مستقبلهما اللعين، وفي أحد الأيام، أمسكت يده وأحس به من دون شك؛ ذلك الشيء كان يرفس. شعر بضربة قدم صغيرة تتحرك تحت سطح جلد ديوندا، بسلاسة وسرعة. (ماذا حدث لك؟ أنت تولد البقرات هناك في المزرعة، أليس كذلك؟ إنه مجرد جنين) حين انتزع يده بعيداً عنها كان رد فعل ديوندا أن سحبته ثانية ووضعتها هناك، وضعت راحة يده على ذلك الشيء المنتفض في داخلها. وفكر بن: توليد العجول شيء مختلف عن طفلك الحقيقي. ثم فكر. دعيني أذهب، دعيني أذهب، دعيني أذهب. وكان ذلك الشيء سيختطفه مثل وحش في فيلم رعب ويسحبه إلى داخلها. هكذا تخيله، شيئاً وليس طفلاً.

كان من المحتمل أن يكون مساعداً لو تحدثا عنه أكثر. بعد أن تحرك الجنين، لم تكلمه ديوندا مطلقاً لعدة أيام. وكان ذلك لأن بن الذي كان من المفترض أن يقدم لها شيئاً ما كهدية. بمناسبة تحرك الجنين، لأن الرجال يعطون النساء هدايا للاحتفال

بتأكيد الحمل. ولأن أبويها جلبا لها سواراً ذهبياً عندما أُنْتها الدورة الشهرية للمرة الأولى، وهذه المناسبة تشبه تلك. لذا أجبرته بدلاً من الهدية على مجامعتها عشر مرات. ذلك كان الاتفاق، وهو الذي اعتقد أنها ستعتزل الجماع فهو حقاً لم يكن يرغب في القيام به. لا سيما الآن، في الوقت الذي بدت فيه كل تلك المنطقة مستهدفة. هي أيضاً بدا عليها أنها لا ترغب بالجماع. لهذا كانت كأنها تعاقبه...

النساء الحوامل يصبحن مزاجيات، وهو يعرف هذا، لكن ديوندرام لم تكن تتصرف كامرأة حامل. فقد استمرت في التدخين والشرب. الأشياء التي يفترض ألا تفعلها إن كانت حاملاً، لكنها فقط قالت إن الصحة الجيدة تقضي على كل تلك الأشياء. وهناك شيء آخر لم تفعله ديوندرام: الخطة، فهي لم تتكلم كثيراً حول ما يجب أن يفعله عند ولادة الطفل، أو متى ستلد، ولم تزر طبيباً، لكنها كانت متأكدة أنها كانت بنتاً لأن البنات يمرضن أمهاتهن وهي كانت مريضة جداً في الشهر الأول، غير أنها لم تتحدث عن أي شيء يتعلق بالواقع الحالي، أكثر من حديثها عن أنها كانت بنتاً، وأن فتاة حقيقية ستخرج من بطنها. في البداية تساءل بن إن كانت ستجري عملية إجهاض، فقال لها (إذا أنجبت الطفل) بدلاً من أن يقول (عندما تلدين)، فأصبحت غريبة الأطوار تماماً، وذلك شيء لا يريد بن أن يراه أبداً بعد الآن. أصبحت طيعة فوق العادة وفي قمة هدوئها، وكان ذلك مثل ترقب لكارثة طبيعية، استخدمت الأظافر والضرب والبكاء وهي تصرخ بأن ذلك أسوأ شيء قاله لها شخص في حياتها، وهي تقول: إنه لحمك أيضاً، ماذا جرى لك بحق الجحيم، أنت يا قطعة من الخراء؟

هما لم يخططا أو لم يتمكنا من التخطيط. نظراً لأن والد ديوندرام سيقفلها بالتأكد إذا اكتشف أنها حامل من دون زواج، إذا اكتشف حتى أنها مارست الجنس من دون زواج، سيقفلها. لدى والدي ديوندرام قاعدة واحدة، فقط قاعدة وحيدة، وتلك كانت أن ديوندرام لن تسمح لأي شاب أن يلمسها أبداً إن لم يكن زوجها. حين بلغت السادسة عشرة، أعطها والدها خاتم العهد، خاتماً من ذهب يزينه حجر أحمر كبير. يشبه خاتم الزواج ووضعت في ذلك الإصبع. وهذا يعني وعداً له ولنفسها أنها ستبقى

عذراء حتى الزواج. شكّل الأمر برمته ضغطاً على بن، وقال لها: ألا يبدو ذلك وكأنك متزوجة من أبيك؟ فقالت إنه غالباً نوع من الضبط. وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي تمسك به أبوها. الشيء الوحيد الذي طلبه منها، وكان من الأفضل أن تنفذه، وقالت إن ذلك العهد الذي أخذه عليها مكّنه من تركها لوحدها من دون إشراف، ودون حماية أحد ما عدا الكلاب، ولعدة شهور في كل مرة.

التصرف الأبوي الوحيد كما كانت تقول:(مسموح لابنتي أن تشرب الكحول وتتناول المخدرات لكن وهي عذراء) وبناء على ذلك العهد أنا لا يمكن أن أكون على ما أنا عليه الآن.

قالت ذلك والدموع تملأ عينيها، وبجانبها زجاجة مشروب قضت على نصفها. قالت إن والدها قال لها، إنه إن اكتشف يوماً أنها حنثت بوعداها، فسيأخذها خارج البيت ويطلق النار على رأسها. والدها كان في فيتنام، وقد قال مثل ذلك، واتخذته ديوندر على محمل الجد، لذا فهي لم تخطط لإنجاب الطفل. دون بن قائمة بالأشياء التي يمكن أن يحتاجها، واشترى ثياباً للطفل بعد الولادة من سوق ديلفوس للأشياء الرخيصة قبل عيد الميلاد تماماً. كان مرتبكاً. لذا فقد اشترى المجموعة كلها من البائعة بثمانية دولارات فقط. وقد تبين أنها كانت مجموعة من القمصان والسراويل الداخلية لمختلف الأعمار. عدد من السراويل المكشكشة - التي تسميها النساء سراويل تحتانية - فقد تكون جيدة. الأطفال يحتاجون ألبسة داخلية بالتأكيد. خزنها تحت سريره وما جعله أكثر سروراً أن لبابه قفلاً. تخيل أخواته البنات يجدنّها ويسرقن ما يناسبهن. إذن في الحقيقة، هو لم يفكر بالطفل كفاية، وبماذا سيحدث، لكن ديوندر كما بدا له كانت تفكر أقل منه.

- أعتقد أنه علينا مغادرة المدينة، قالت ديوندر. مفاجأة، الشعر مازال فوق نصف وجهها، ويد بن ما زالت مثبتة على بطنها. الجنين يتجول داخل بطنها وكأنه يحفر أنفاقاً. استدارت نحوه باستخفاف، ساذجة كسولة متراخية على ذراعه وقالت: لا أستطيع أن أخفي هذا لمدة أطول. أمي وأبي سيأتيان إلى البيت في أي يوم الآن.

هل أنت متأكد أن ميشيل لا تعرف؟

كان بن قد احتفظ بورقة من ديوندر، تتحدث فيها كم كانت متسلطة وكم مرة طالبته بممارسة الجنس معها حتى الآن، وجدتها الحشورة ميشيل وهي تفتش في جيوب سترته. الكلبة الصغيرة ابتزته بعشرة دولارات حتى لا تخبر أمها، وعندما أخبر ديوندر بالأمر متدمراً، انفجرت الأخيرة قائلة: أختك اللعينة يمكن أن تُخبر عنا في أية لحظة، هل تعتقد أن ذلك مقبول؟ هذا خطوك، بن أنت غلطان. أصاب ديوندر جنون الشك في أن ميشيل ستكتشف بطريقة أو بأخرى أنها حامل من تينك الكلمتين (حتى الآن). فتاة لعينة بعمر العشر سنوات، ستخرب عيشتها، وكم سيكون ذلك مثالياً.

- لا، لم تذكرها ثانية.

كان يكذب عليها. بالأمس تماماً ضبطته ميشيل ينظر إليها. هزت ردفها وقالت بصوت ساخر هاي ب. يبي. ننن، كيف هي حياتك الجنسية؟ كانت مثلاً للفتاة الخرائية. ابتزته في أشياء أخرى، مثل أعمال روتينية بغیضة تركها غير منجزة، كمية طعام إضافية أكلها من الثلاجة، أشياء صغيرة، كانت دائماً مزعجة، وكأنها موجودة فقط لتذكّر بن كم كانت حياته ضيقة. وتصرف هي النقود في شراء كعك الجيليه.

تنحّ تري في الغرفة الأخرى بصوت عالٍ، ثم تفوووه! صوت بصقة. تخيل بن البلغم الأصفر يتقطر على الباب الزجاجي الجرار، والكلاب تلغقه. كان ذلك شيئاً يفعلته كل من تري وديوندر: هما يبصقان البلغم على الأشياء. وفي بعض الأحيان كان تري يقذفها مباشرة في الهواء فتلتقطها الكلاب بأفواهها السائلة اللعاب. إنها مجرد مواد جسد تنتقل إلى داخل جسد آخر. تقول ديوندر أنت قذفت بعضاً من مواد جسدك داخل جسدي ويبدو أنها لا تقلقك إطلاقاً.

رغم أن صوت التلفاز كان أعلى من المستوى في الحجرة، إلا أن تري صاح: (أخفيا صوتيكما أنتما الاثنين، إنني ضجر جداً). حاول بن أن يفكر بشيء مناسب ليقوله لديوندر. هو أحياناً يعتقد أنه لم يقل لها أي حديث صافٍ، حديثها كله كان

أكواعاً وأذرعاً عملية. يحاول أن يتقي انزعاجها المتواصل، فيقول ما تريد هي أن تسمع، لكنه يحبها. هو أحبها، وذلك ما يفعله كل الرجال لنسائهم، يقولون لهن ما يرغبن بسماعه ويخرسون. والآن هو سبب حمل ديوندرنا وهي تمتلكه. عليه أن يرهاها، عليه أن يترك المدرسة ويحصل على عمل بدوام كامل. سيكون ذلك جيداً. هو يعرف صبيّاً تخلى عن المدرسة العام الماضي وعمل في مصنع قرميد بالقرب من أبلين، لقاء اثني عشر ألف دولار سنوياً. بن لا يمكنه حتى أن يفكر كيف سيصرفها كلها. لذا عليه أن يتخلى عن المدرسة، مع الأخذ بعين الاعتبار ما فكرت به ديوندرنا حول كريسي كيتس.

كان ذلك غريباً، في البداية جعله متوتراً فعلاً، تلك الشائعات التي كانت تنتشر في الجوار، ثم شعر بنوع من الغرور. على الرغم من أنها كانت صغيرة، فقد كانت واحدة من الفتيات الصغيرات المميزات، حتى أن بعضهن من المدرسة الثانوية يعرفونها. كانت الفتيات الأكبر سناً منها مولعات بها؛ ذلك الجمال، والأصل الكريم، وهذا نوع من الامتياز أسبغته عليه، بالرغم من أنها كانت طفلة. وكان واثقاً من أن أي شيء قالت له ديوندرنا للتو كان مبالغة عادية منها. هيسستيريا تحصل لها في بعض الأحيان.

- هيه، مرحباً؟ حاول أن تبقى معي. قلت إنني أفكر بأنه علينا أن نغادر المدينة إذن سنغادر المدينة.

حاول تقبيلها فدفعته بعيداً عنها.

- حقاً. هل هذا سهل؟ أين نذهب؟ وكيف ستعيّلنا؟ لن أحصل على نصيب.ي من المال بعد الآن، أنت تعرف. عليك أن تجد عملاً.

- سأجد عملاً إذاً، ماذا عن عمك أو ابن عمك أو أي كان في ويتشيتا؟

نظرت إليه وكأنه مجنون.

- في مخزن الأدوات الرياضية ما رأيك؟ ودفعها.

- لا يمكنك العمل هناك، أنت في الخامسة عشرة، لا يمكنك قيادة سيارة. في الواقع أنا لا أعتقد حتى أنك تستطيع الحصول على عمل دون موافقة والدتك. متى ستبلغ السادسة عشرة؟

- في الثالث عشر من تموز، قال وشعر كأنه أخبرها أنه بلل نفسه.

بدأت تبكي حينها. يا إلهي، يا إلهي ماذا سنفعل؟

- ألا يستطيع ابن عمك المساعدة؟

- عمي سيخبر والدي، كيف ستكون تلك المساعدة؟

نهضت ومشت عارية، بدا بروز بطنها، غير المستند إلى شيء، خطيراً. أراد أن يضع يده تحته، وفكر إلى أي مدى سيكبر. لم تضع أي لباس عليها لتمشي عبر الصالة إلى الحمام. رغم أن تري يمكن أن يرى الممر إن كان لا يزال جالساً على الأريكة. سمع صوت الدوش يهدر. انتهت المحادثة. جفف نفسه بمنشفة بالية كانت إلى جانب سلة غسيل ديوندر. ثم عاد وحشر نفسه في بنطاله الجلدي وقميص مقلم وجلس على حافة السرير. يحاول أن يخمن أي انتقاد قدر سيقوم به تري حين يعودان معاً إلى الحجرة.

خلال دقائق دخلت ديوندر إلى غرفة النوم، ملتفة بمنشفة حمراء وشعرها رطب، لم تنظر إليه وجلست أمام طاولة الزينة التي فيها مرآة. عصرت الجل في راحة يدها بكمية كبيرة ودعكتها في شعرها. موجّهة مجفف الشعر إلى كل خصلة شعر - تعصر، تدعك وتجفف - تعصر، تدعك وتجفف.

لم يكن متأكداً إذا كان يفترض به أن يغادر أم لا. لذا بقي جالساً على حافة السرير بسكون. يحاول النظر في عينيها. سكت كريم أساس غامقاً في راحتها، بطريقة فنان يسكب الأصباغ. ودهنته على وجهها. بعض الفتيات يسمينها ذات وجه

الأساس. هو سمعهن، لكنه يحب منظره حيث يبدو أسمر وناعماً. حتى بالرغم من أن رقبتها تبدو أحياناً أكثر بياضاً من وجهها. مثل بوظة الفانيليا المغطسة بالكراميل. هي تضع ثلاث طبقات من الماسكارا، وهي تقول دائماً أنها تحتاج إلى طبقات ثلاث. واحدة ليصبح لون رموشها قاتماً، وواحدة لتجعلها ثخينة، وواحدة للتثبيت. ثم بدأت بأحمر الشفاه: طبقة تحتية وطبقة فوقية، ثم الطبقة اللماعة. ضبطته ينظر إليها فتوقفت. تمسح شفيتها بقطع إسفنجية صغيرة على شكل مثلثات، تاركة آثار قبلة أرجوانية لزجة عليها.

- عليك أن تسأل رنر عن النقود، قالت وهي تنظر إليه في المرآة.

- أ.ب.ي؟

- نعم، هو لديه مال، أليس صحيحاً؟ هم دائماً يشترون منه المخدرات.

رمت المنشفة وذهبت إلى درج الألبسة الداخلية، فيه كومة من المخمرات اللامعة والساتان، فتشت هنا وهناك إلى أن سحبت منه لباساً داخلياً وحمالة صدر وردية مثيرة بحواف مطاطية سوداء، من النوع الذي تلبسه الفتيات في الصالونات في الأقاليم الغربية.

- هل أنت متأكدة أننا نتكلم عن الشخص نفسه؟ قال، أ.ب.ي يفعل ذلك، أنت تعرفين، أ.ب.ي رجل لديه المقدرة لأداء ضروب مختلفة من العمل، كادح، يعمل في المزارع وفي أمور أخرى.

أدارت ديوندرًا عينيها إليه، وهي تشد على خلفية حمالتها، وحلماتها تطفحان حيثما كان - فوق الحمالة وتحت الأ بازيم، غير متزاحمتين وبيضاوين. أخيراً خلعت الحمالة ورمتها عبر الغرفة: (اللعة، أحتاج لحمالة صدر مناسبة!) ووقفت محمقة إليه، ثم بدأ لباسها الداخلي يتدحرج ملتفاً على نفسه، يبعد تدريجياً عن بطنها، إلى مستوى شق مؤخرتها. لا شيء من تلك الألبسة الداخلية المثيرة مناسب. فكر بن في البداية أنها بدينة، ثم صحح لنفسه: إنها حامل.

هل أنت جاد؟ ألا تعرف صفقات أبيك؟ لقد باع لنا أنا وتري الأسبوع الماضي. رمت لباسها الداخلي بعيداً. ثم ارتدت حمالة صدر أخرى، حمالة عادية بشعة. وبنطال جينز جديداً. يتوسّع ليصبح على قياسها.

بن لم يشترِ مخدرات لنفسه من قبل. دخن عدداً منها مع تري وديوندر وكل من كان يملك مبلغاً كبيراً في ذلك الحشد، ويخاطر أحياناً بدولار أو اثنين. لكن عندما يتخيل مروجاً للمخدرات، فهو يتخيل شخصاً بشعر أملس يلبس مجوهرات، وليس أباه في قبعة فريق رويال للبيسبول، قديمة وحذاء رعاة البقر ذي الكعب العالي، والقمصان التي تبدو ذاوية.

ليس أباه، بالتأكيد ليس أباه، ثم أليس من المفروض أن يملك المروجون مالاً؟ أبوه بالتأكيد لا يملك مالاً. لذا فإن النقاش بأكمله كان غيباً. وإن كان مروجاً ويملك المال فهو لن يعطي بن أيّاً منه. هو سيسخر منه إن طلب ذلك. وربما حمل عشرين دولاراً بعيداً عن متناول بن تماماً بالطريقة التي يمكك فيها القواد فكرة غبي، ثم يضحك ويدسها بعيداً إياها إلى جيب بنطاله. لم يملك رنر محفظة أبداً. هو يحمل فقط فواتير تالفة في الجيب الأمامي لبنطاله. أليس ذلك دليلاً على أنه لا يملك نقوداً؟ - تري، صاحت ديوندر باتجاه القاعة. ارتدت سترة جديدة عليها أشكال تبدو مثل تجارب هندسية. مزّقت بطاقات الأسعار ورمتها على الأرض، ثم دمدت وهي خارجة من الغرفة.

ثُرك بن يحدق إلى لوحات تسبّب الدوار في الرأس ولوحات علم التنجيم (ديوندر من برج العقرب، وهي تؤمن جدياً بها) والكريستالات وكتباً في دراسة معاني أعداد السحر والتنجيم. حول مرآتها خامات بالية. باقات زهر جاف صغيرة تزين الصدر في حفلات رقص لم يأخذها بن إليها. كان معظمها من ذلك السينيور المدعو غراي في هياواتا الذي حتى تري قال عنه أنه سوقي. تري يعرفه بالطبع.

باقات الزهور جعلت بن مضطرباً. فقد بدت مثل أعضاء بشرية بثنياتها وبفتلاتها

وبلونها الزهري الأرجواني، نكّرته بكتل اللحم النتنة الموجودة في خزائنه حتى الآن. هدية فظيعة تركتها له ديوندرًا كمفاجأة! - الأعضاء الأنثوية لحيوان ما، ورفضت أن تقول عن مصدرها. لمّحت إلى أنها من قربان دموي قدمته مع تري، أما هو فقد افترض أنها كانت مجرد قطع متبقية من تجربة بيولوجية، أحببت أن تضايقه بها، حين قام صفها بتجربة تشريح أنثى الخنزير. جلبت له ذيلًا ملتفًا على شكل لولب، معتقدة أن ذلك سيكون مصدر مرح. لكنه لم يكن. بل كان مقرفًا جدًا. قام وذهب إلى غرفة المعيشة.

- أنت كيس خراء يُرثى له، صاح تري من على الصوفا. حيث كان يشعل عقدة من المخدرات ولم يرفع عينيه عن جهاز الفيديو. أنت لا تعرف شيئاً عن أبيك المتأنق الحقير. خط بطن تري كان مقعرًا تقريباً ولكنه متموج، تام وأسمر. على العكس من بطن بن الذي كان مثل فأر ناعم وأبيض. كوّر تري القميص الذي أعطته إياه ديوندرًا تحت رأسه كوسادة.

- هاك، ناولني الصاروخ. سحب منه بن سحبة كبيرة فأحس بأن مؤخرة رأسه تخدرت. هيه، بن. كم طفلاً يلزم لطلاع بيت؟

الإبادة

ها قد عادت تلك الكلمة. تخيل بن حشوداً من البرابرة تتدفق من خلال الموقد الحجري الكبير وتضرب رأس تري بفأس، تماماً في منتصف إحدى نكاته السخيفة، يتدحرج الرأس فوق روث الكلاب، ويتوقف إلى جانب أحد أحذية ديوندرًا السود ذات البكلات، ثم قد تموت ديوندرًا بعده. وتنتهي الحكاية. سحب بن جرعة مخدرات أخرى وانتشى دماغه. وأعاد الصاروخ إلى تري.

كلب ديوندرًا الأكبر، الكلب الأبيض، تسلل ليصل إليه ويحديق إليه بعينين شرستين.

- ذلك يعتمد على القوة التي قذفت بها، قال تري. لماذا تضع طفلاً بين خليط

من الأقدام أولاً؟

- أنا جادة يا تري، قالت ديوندرتا متابعه حديثاً لم يكن سرّاً على بن. هو يعتقد أن والده لا يقوم بتلك الصفقات.

- إذن يمكنك رؤية تأثيرها. هيه، بن؟ أنت تدخن مخدرات مشترة من والدك، يا زميل، قال تري. والتفت أخيراً لينظر إليه. إنها قذارة فعالة، لكنها قذارة. لهذا نحن نعرف أن والدك لديه مال. وقد رفع التسعيرة. لكنها غير موجودة عند أي شخص آخر في الوقت الحالي. أعتقد أنه قال إنه حصل عليها من تكساس. هل ذهب مؤخراً إلى تكساس؟

اختفى رنر من حياة بن بعد أن صرفته باتي من الخدمة، وكل ما يعرفه بن أنه يمكن أن يكون قد ذهب إلى تكساس لفترة. يا للجحيم، يمكنك أن تسافر إلى تكساس وتعود في يوم واحد إن قدت سيارتك بالسرعة القصوى. إذاً لم لا؟

- هذا مدفوع ثمنه نقداً، قال تري بصوت مخنوق بدخان الماريجوانا. على كل حال، هو مدين لي، مثل كل شخص في هذه المدينة. هم يحبون المراهنة، ولا يرغبون في تسديدها.

- أنا حتى لم أحصل منه على أي شيء، قالت ديوندرتا متجهمة واستدارت تبحث في الخزائن. في الطابق الأرضي يوجد مطبخ صغير أيضاً، تخيل ذلك. الاضطراب إلى غرفة مستقلة لكل طعامك التافه.

ثم فتحت الثلاجة وجلبت لنفسها عبوة شراب، ولم تسأل بن إن كان يريد واحدة. نظر بن داخل تلك الثلاجة، لقد كانت مزودة بالطعام الشهر الماضي، والآن ليس فيها غير الشراب ومرطبان كبير فيه قطعة مخلل وحيدة عائمة مثل قطعة خراء.

- هلاً ناولتني عبوة شراب، ديوندرتا؟ قال وكأنه يبول.

هزت رأسها، ثم ناولته عبوتها وعادت إلى الثلاجة لتجلب واحدة أخرى.

- إذن، دعونا نذهب ونجد رنر، نتناول بعض المشروب ونحصل على بعض المال. قالت ديوندر وألقت بنفسها إلى جانبه على المقعد. وعندها يمكننا أن نصل إلى جهنم في سيارة الدودج.

نظر بن إلى تينك العينين الزرقاوين، تلك العين الزرقاء اللامعة! بدت وكأنها كانت دائماً تنظر إليه بطرف عيناها. هو لم يرَ كلتا عينيها أبداً في الوقت نفسه، وللمرة الأولى شعر بأن الخوف حقاً يسري في عظامه. هو لا يستطيع حتى أن ينسحب من المدرسة من دون موافقة أمه قبل أن يبلغ السادسة عشرة. ولا يستطيع أن يحصل على عمل في معمل القرميد أو أي عمل آخر يجني منه مالاً كافياً لديوندر حتى لا تكرهه، ولا تتأفف عند عودته إلى البيت في الليل. هذا ما يراه الآن. ولا حتى شقة صغيرة في ويتشيتا، غير مصنع ما قرب الحدود من أو كلاهوما، حيث يكون العمل رخيصاً بالفعل، حيث تعمل ست عشرة ساعة في اليوم وفي عطلة نهاية الأسبوع، وستكون ديوندر مع الطفل وستكرهه. ستنام حتى وإن كان الطفل يبكي، وستنسى أن تطعمه. ستخرج للشرب مع شبان تقابلهم، فهي دائماً تقابل شباناً، في المجمع أو في محطة بنزين أو في السينما. ستترك الطفل هناك وتقول: (ماذا سيحدث له، إنه طفل، لن يذهب إلى أي مكان!) ويمكن أن يسمعها ويسكت، لأنه شاب سيئ مسكين، شاب سيئ أبله لا يمكن الاعتماد عليه.

- حسناً، قال مفكراً أنهم حين يغادرون البيت سيفتقدون تسلسل الفكرة، لقد حدث ذلك معه. دماغه كان يعمل وحده. أصبح مشوشاً، وأراد العودة إلى البيت. في الحال خمن تري، وهو يطقق بمفاتيح شاحنته: أنا أعرف أين نجده. وفجأة كانوا في البرد خارجاً، يشقون طريقهم في الثلج والجليد. ديوندر مرتكزة على ذراع بن كي لا تقع، وبين يفكر: لكن ماذا لو سقطت؟ ماذا لو سقطت وماتت أو فقدت الجنين؟ هو سمع الفتيات في المدرسة يتحدثن أنه إن أكلت الحامل الليمون يومياً ستجهض، وفكر أن يدس الليمون لديوندر في شراب الكولا، ثم أدرك أنه تصرف خاطئ أن يفعل ذلك دون علمها. ماذا لو سقطت؟ لكنها لم تسقط. كانوا في شاحنة تري والتدفئة

مسئلة عليهم. بن كان في المقعد الخلفي كالعادة - كان هناك نصف مقعد، في الواقع يناسب طفلاً فقط للجلوس عليه، ركبتاه كانتا تضغطان من الجانبين على صدره - وعندما رأى قطعة مقالٍ ذابلة بحجم الخنصر على المقعد بجانبه تلقفها في فمه وبدلاً من النظر إن رآه أحد، راح يبحث عن غيرها ما يعني أنه كان يتصور جوعاً.

ليبي داي الآن

بالعودة إلى المدرسة الابتدائية، كانت مخاوفي توجّه نزعة الشر عندي إلى متنفس غير هدام، لذا كنت أقص أشياء بالمقص؛ أقمشة سميكة رخيصة اشتريتها دايان بلفافات طويلة. أقطّعها بمقص معدني كبير صعوداً وهبوطاً وأنا أردد: أكرهكم، أكرهكم، أكرهكم. وأسمع هدير القماش الناعم وأنا أقطعه إلى أجزاء وتلك اللحظة الأخيرة عند الانتهاء، عندما يولمك إبهامك وتتوجع كتفك من الانحناء والقص، قص، قص، قص، بحريّة. القماش الآن يتأرجح بين يديك في قطعتين، انشقت الستارة. وماذا بعد؟ ذلك ما أشعر به الآن، كأنني كنت أحرّك منشاراً إلى الأمام وإلى الخلف وقد وصلت إلى النهاية وهنا صرت بمفردي ثانية، في بيتي الصغير، بلا عمل، بلا عائلة، أحمل نهايتي القماش ولا أعرف ماذا أفعل بعد ذلك.

بن كان يكذب. لا أريد أن يكون ذلك صحيحاً لكنه غير قابل للنكران. لماذا يكذب على صديقة حمقاء في المدرسة الثانوية؟ أفكاره كانت تطارد بعضها بعضاً مثل طيور حُبست في عليّة. ربما كان بن يقول الحقيقة، حين ادّعى أن تلك الورقة من ديوندرام لم تكن موجّهة إليه بالفعل، وأنها كانت مجرد نوع من الأمور التافهة التي درجت بين أولاد المدرسة. يا لجهنم، قد تكون ميشيل انتشلتها من الزبالة بعد أن رماها أحد الفتيان الأكبر سناً. إنها قصاصة مفيدة من كلام تافه للمساومة في ابتزاز حقير.

أو ربما كان بن قد عرف ديوندرًا، وأحبها، وهو يحاول أن يبقي ذلك سرًا لأن ديوندرًا ماتت. قتلها في الليلة نفسها التي قتل فيها عائلتنا، كجزء من أصحابه للشيطان، دفنها في مكان ما في الخارج في سهل مدينة كنساس الريفية الكبير. بن الذي يُفزعني عاد إلى ذاكرتي. من خلال الكتاب السنوي يمكنني أن أتخيل حفلة سمر، المشروب يُخضّ في زجاجة، وديوندرًا بشعرها الملولب الذي يتنطط حين تضحك وعيناها المغمضتين، أو أتخيلها تغني ووجهها برتقالي من وهج النار، وبين يقف وراءها، يرفع رفشاً بهدوء وعيناها على قمة رأسها.

أين كان أفراد المجموعة الآخرين، البقية من عصابة عبدة الشيطان؟ إذا كان هناك حلقة من المراهقين ذوي العيون الداكنة، الشاحبين الذي ضمّوا بن إليهم، أين هم الآن؟

قرأت حتى الآن كل تفصيل دقيق في معلومة من حيثيات المحاكمة. الشرطة لم تجد أي واحد متورط في عبادة الشيطان مع بن. كل ذوي الشعر الأشعث، أولاد الشيطان مدخني الجوزة في كناكي، تحولوا إلى أبناء بلد بارين بعد القبض على بن. كم كان من السهل عليهم فعل ذلك.

اثنان من مدمني المخدرات في أوائل عشريناتهم شهدا أن بن شوهد في يوم الجريمة في مخزن مهجور، هو المكان المفضل الذي كان يتردد عليه كثيراً، وقالوا إنه صرخ مذعوراً كالعفريت عندما عزف أحدهم أغنية عيد الميلاد. صرّحاً بأنه أخبرهما أنه ذاهب لتقديم قربان للشيطان. قالوا إنه غادر مع شاب اسمه تري تيفانو، من المفترض أنه هو من كان يشوّه القطيع ويعبد الشيطان.

تيفانو شهد أنه عرف بن بشكل سطحي فقط، وقدم تبريراً عن مكان وجوده في وقت الجريمة. كما شهد والده كريج تيفانو أن تري كان معه في واميجو، التي تبعد أكثر من ستين ميلاً.

إذن ربما كان كل جنون بن بسبب توحدته، أو ربما كان بريئاً. مرة ثانية الطيور

تحتشد في العلية. تضج وتخبط وتكسر. من المحتمل أنني جلست لساعات على الأريكة، أتساءل ماذا سأفعل، ولأنني عديمة الحيلة تكاسلت حين سمعت الخطوات الثقيلة لساعي البريد تصعد درجات بيتي. كانت أُمي دائماً تعطي حلوى عيد الميلاد لساعي البريد: لكن ساعي البريد، أو ساعية البريد، يتبدل كل بضعة أسابيع هنا، ولا أعطيه الحلوى.

لدي ثلاثة مغلفات تعرض بطاقات ائتمان، واحدة تعود لشخص يدعى مات يعيش في شارع ليس قريباً مني، وظرف يبدو مثل غسيل وسخ، رقيق جداً ومجعد. مستخدم من قبل. اسم شخص آخر وعنوانه طُمساً بقلم فلامستر أسود وكُتب اسمي في الفراغ الضيق المتبقي تحته. السيدة ليب-ي داي.

كان المغلف من رنر.

صعدت إلى فوق لأقرأ الرسالة، جلست على حافة سريري. ثم وكما أفعل دائماً حين أكون متوترة، حشرت نفسي في مكان صغير، هو في النقطة التي بين سريري والطاولة الجانبية، جلست على الأرض وظهري إلى الجدار. فتحت المغلف القدر وسحبت منه رسالة كريهة من رسائل النساء المعهودة، مزينة الحواف بالأزهار. كتابة والدي احتشدت بينها، بأحرف صغيرة، شديدة الاضطراب، مستدقة الرؤوس، كأن مئات العناكب مرت على الصفحة ويقعّتها.

عزيزتي ليب-ي،

نحن بالتأكيد نجد أنفسنا غريبين أحداً عن الآخر بعد كل تلك السنين. على الأقل أنا أشعر بذلك. لم أفكر بأنني سأبلغ هذا العمر، وأتعب بمفردي. أصابني السرطان. يقولون

إنها فقط بضعة شهور. هي كل ما تبقى لي،
في كل الأحوال، عشت أكثر مما أستحق. لذا
فقد كنت سعيداً لأسمع منك. انظري، أعرف
أنني لم أتقرب منك، ولم أكن ذلك الأب
العظيم، رغم أنني حاولت أن أدمك وأكون
قريباً منك حين كنت قادراً على ذلك. أمك
صعبتها. كنت فظاً وكانت هي أكثر فظاظة.
ومن ثم الجرائم وقد كانت قاسية جداً علي.
بالتالي ذهبت أنت. أريد أن أخبرك - رجاء لا
توبخيني - بأنه كان عليّ فعل هذا من قبل،
لأنني أعرف أنه كان عليّ فعل ذلك من قبل.
لكن بين مشاكل مراهناتي وأنا مدمن كحول،
كان لدي مشكلة في مواجهة شياطيني. أنا
أعرف القاتل الحقيقي في تلك الليلة، وأعرف
أنه لم يكن بن. سأخبرك الحقيقة قبل أن
أموت، إن تمكنت من إرسال بعض النقود
سأكون سعيداً في أن أزورك وأخبرك المزيد.
خمسمئة دولار قد تنفع.
أترقب أن أسمع منك.

رنر (بابا) داي

12 شارع دونيران

نزل بيرت نولان للرجال

ليدغروود، أوكلاهوما.

ملاحظة: اسألني أحداً ما عن الرمز البريدي، أنا لا أعرفه.

التقطت الرقبة الرفيعة لمصباح طاولتي وقذفته برمته عبر الغرفة، طار المصباح ثلاث أقدام في الهواء إلى أن أوقفه شريطه الكهربائي ووقع على الأرض. هجمت عليه، انتزعته من مقبسه، ورميته ثانية. فضرب الجدار، مظلة المصباح انزاحت من مكانها وتدرجت سكرى على الأرض، ونتاجت اللمبة المكسورة من الأعلى مثل مثل سن مكسور.

- تبا لك صرخت. وكانت شتيمتي موجّهة لي كما هي موجّهة لأب.ي. ذلك لأنني وأنا في هذه المرحلة من حياتي كنت أتوقّع من رنر أن يتصرف بشكل صحيح، وهذا كان غباء إلى درجة خيالية. كانت الرسالة مجرد راحة يد كبيرة وطويلة ممتدة من فوق أميال، تطلب حسنة، يستغني كضحية خداع. أدفع له الخمسمئة دولار ولن أرى وجهه ثانية أبداً، إلى أن يحتاج لمساعدة أو أجوبة أكثر، عندها سيستغني مرة ثانية، فأنا ابنته.

سأنزل إلى أوكلاهوما. ركلت الجدار ركلتين، رجّتا النوافذ، وكنت سأختمها بثالثة قوية حين دق جرس الباب من الطابق السفلي. نظرت إلى الخارج بشكل آلي. لكن من الطابق الثاني رأيت فقط قمة شجرة الدلب والسماء الضبابية. وقفت متجمدة، منتظرة الزائر كي يرحل. لكن جرس الباب رنّ ثانية. خمس رنات متتالية. الشخص الواقف في الرواق يعرف أنني في البيت. أحمد الله على نوبة غضب.ي.

كنت ألبس في الشتاء مثل أمي: قميصاً كبيراً لا شكل له، رخيصاً وفضفاضاً، وجورباً سميكاً يثير الحكمة. التفت إلى الخزانة لبرهة ثم قررت ألا أهتم إن عاد جرس الباب ورنّ ثانية.

لا توجد نافذة في بابي. لذا لا أستطيع أن ألقى نظرة على الشخص. وضعت سلسلة على الباب وفتحته فتحة ضيقة لأرى خلفية رأس بصفيرة شعر سوداء مذهبة. ثم استدارت كريسبي كيتس لتواجهني.

- أولئك العجائز هناك غليظات، قالت. وعلاوة على ذلك لوحت تلويحة استعراضية، التلويحة العريضة نفسها التي قمت أنا بها الأسبوع الماضي، اللعنة على هكذا تلويحة. أعني مرحباً؟ ألم يخبرهن أحد أنه ليس من التهذيب الحملقة إلى الآخرين؟

تابعت النظر إليها من شق الباب، أشعر وكأنني امرأة عجوز ضئيلة. حصلت على عنوانك من ال... عندما كنت في النادي، قالت وانحنت لتصل إلى مستوى عيني. في الحقيقة أنا لا أملك الآن تلك النقود التي استدنتها منك، أوه، لكني أرغب في التحدث إليك. أنا لا أستطيع أن أصدق أنني لم أتعرف إليك تلك الليلة. أنا أشرب كثيراً، كثيراً جداً. قالتها دون أن تشعر بالحرج، بالطريقة التي يمكن أن يقول فيها بعض الناس أنهم يعانون من تحسس الحنطة. إن مكانك من الصعب إيجاداه فعلاً، وأنا حقيقة لم أشرب قبل مجيئي. إلا أنني لم أكن بارعة في تحديد الاتجاهات، كأن أصل إلى مفترق طرق ولا أتمكن من الاختيار بين يمين أو يسار، وأختار الطريق الخطأ. مثلاً عليّ أن أصغي إلى ما يخطر في ذهني وأفعل العكس. لكنني لا أعرف، لا أعرف لماذا يحصل ذلك. استمرت في الحديث هكذا، مضيئة جملة وراء أخرى، دون أن تطلب الدخول، ومن المحتمل أن ذلك كان السبب في سماحي لها بالدخول.

دخلت بطريقة محترمة، صافحتني بأسلوب فتاة تلقت تربية حسنة، تحاول أن تجد عبارات للمديح في بيتي. وقعت عيناها على صندوق العطور بجانب التلفاز.

- أوه، وأنا أيضاً مغرمة جداً بالعطور. لدي عطر زهر أجاص رائع أضع منه الآن. لكن هل جربت كريم ضرع البقرة؟ إنه مما اعتادوا أن يصنعوه في مزارع الأبقار، مثل الذي على ضروعها. ناعم جداً، ويمكنك الحصول عليه من الصيدليات.

هزرت رأسي برخاوة، وقدمت لها قهوة، وعلى الرغم من أنه ليس لدي غير بضع حبيبات فقط من القهوة سريعة الذوبان.

- مممم. أكره أن أقولها، هل لديك أي شيء للشرب؟ فقد كان المشوار طويلاً.

تحججنا معاً بأن المسافة طويلة، وأن قيادة السيارة لمدة ساعتين ستجعل أي شخص بحاجة إلى مشروب. ذهبت إلى المطبخ وأملت أن أجد عبوة سبرايت في عمق الثلاجة. وقلت بصوت مرتفع لدي مشروب جن، لكن لا شيء للمزج معه.

- أو، ذلك جيد قالت. مباشرة من دون مزج، ممتاز.

وليس لدي مكعبات ثلج أيضاً - تعثرت وأنا أحضر الصينية - ثم سكبت لي ولها كأسين فاترين بدرجة حرارة الغرفة ورجعت لأجدها تحوم قرب صندوق العطور. أراهن أنها استولت على بضع زجاجات صغيرة وهي الآن في جيوبها. كانت ترتدي بدلة سوداء مع ياقة وردية موشاة تحتها. مطمع محزن تتطلع إليه راقصة باليه. دعيها، فلتحتفظ بالعطر.

ناولتها الكأس ولاحظت أنها طلت أظفارها بما يتناسب مع لون ياققتها ثم لاحظت أنها انتبهت لإصبعي المفقود.

- هل ذلك من..؟ بدأت الحديث، وللمرة الأولى أعرف أنها تتأثر. هزرت برأسي. إذن؟ قلت بكل ما أمكنني من لطف. أخذت نفساً وأصلحت جلستها على الصوفا بكياسة وكأنها في حفلة شاي. جلست إلى جانبها، وضعت رجلاً فوق رجل ثم عدت وأنزلتها.

- أنا لا أعرف حتى كيف أقول هذا. بدأت تتكلم وهي تبتلع بعض الجن.

- قولي فقط.

- الحكاية هكذا تماماً، حين أدركت من تكوينين.. أقصد. أنت أتيت إلى بيتي في

ذلك اليوم.

- أنا لم أذهب إلى بيتك أبداً، قلت مرتبكة. أنا حتى لا أعرف أين تعيشين.
- لا، ليس الآن. في ذلك الوقت، اليوم الذي قُتلت فيه عائلتك. أتيما أنت وأمك
إلى بيتي.

- مممم قلت مغمضة عيني نصف إغماضة أحاول أن أفكر. لم يكن ذلك اليوم
عظيماً في الحقيقة. عرفت أن بن كان في ورطة، ولكن لم أعرف لماذا، أو إلى أي
مدى كان متورطاً. أمي حمتنا كلنا بعيداً عن ضائقتها المالية المتزايدة. لكن في ذلك
اليوم، يمكنني أن أتذكر ذهابي مع أمي ودايان للبحث عن بن. بن كان في مأزق
لذا ذهبنا بحثاً عنه وكنت جالسة في المقعد الخلفي بمفردي، لا يزاحمني أحد وسعيدة
من نفسي. أتذكر وجهي المحترق من السلامي التي قتلها ميشيل. أتذكر أننا زرنا
بيوتاً صاخبة، حفلة عيد ميلاد اعتقدتُ أمي أن بن يمكن أن يكون فيها. أتذكر كعكة
محلاة. ولم نجد بن أبداً.

- لا تهتمي، قاطعتني كريسبي. أنا مع كل ما حدث، نسيت تماماً أنك كنت هناك.
هل يمكنني أن أملأ الكأس مرة ثانية؟ رفعت كأسها بخفة نحوي وكأنه مرّ عليها زمن
طويل وهي فارغة. ملأتها لها حتى الشفة وبهذا يمكنها أن تستمر في سرد قصتها.
أخذتُ رشفة وارتجفتُ.

- أذهب إلى مكان ما؟ قالت.

- لا، لا. أخبريني عما جرى.

- كذبت عليكم، قالت من دون أن تفكر.

- من أي ناحية؟

- بن لم يتحرش بي.

- أنا لا أعتقد ذلك. محاولة أن أطفّ الموضوع مرة ثانية.

- وهو بالتأكيد لم يتحرش بأية واحدة من الفتيات الأخريات، قالت.

- لا، جميعهن أسقطن قصتهن إلا أنت.

غيرت مكانها على الصوفا، أدارت عينيها إلى اليمين، أحسست أنها تتذكر بيتها، حياتها. أحسست أنها تعود إلى ذلك الزمن.

- الأشياء الأخرى كانت حقيقة؛ كنت فتاة جميلة، وكان معنا مال، كنت جيدة في المدرسة ونشيطة في الباليه.. أنا دائماً أفكر فقط، فقط أفكر لو أنني لم أقل تلك الكذبة الغبية، تلك الكذبة اللعينة، لو أنها لم تخرج من فمي لأول مرة، لكانت حياتي اختلفت كلياً. كنت مثلاً ربة منزل، عندي استديو للباليه خاص بي أو شيء من هذا. سحبت إصبعاً فوق بطنها حيث بدا أنه كان من أثر عملية قيصرية.

- مع ذلك، عندك أولاد، صحيح؟ قلت.

- سورتا، أجابت وأدارت عينيها. لم أتبع نظرتها إلى أين.

- إذاً ماذا حدث؟ كيف بدأت الحكاية؟ سألت. لم أتمكن من حسم الأمر في أهمية كذبة كريسي، وماذا فعلت بنا في ذلك اليوم. لكنها تبدو كبيرة، معلومات وثيقة الصلة بالموضوع ليسعرها لایل. إن أرادت الشرطة أن تتكلم مع بن ذلك اليوم، بسبب ما قالته كريسي، ذلك له معنى، يجب أن يكون له معنى.

- حسناً، أقصد... تلقيت صدمة، صدمة كبيرة. وأعرف أن بن أحبني أيضاً. كنا نتردد إلى مكان، بشكل ما - وأنا هنا جادة كلياً - لم يكن ذلك قوياً على الأرجح، أعني أنه كان ولداً أيضاً. لكنه كان كبيراً بشكل كافٍ كي... لا يشجعني. تبادلنا القبل في أحد الأيام، وذلك غير كل شيء..

- أنت قبلته؟

- قبلته وقبلني.

- مثل؟

- بشكل غير مناسب، كالكبار. بطريقة بالتأكيد أنا لن أقبل لابنتي في الصف الخامس أن يقبلها ولد مراهق.

لم أصدقها.

- تابعي، قلت.

- بعد أسبوع تقريباً، ذهبت إلى حفلة سمر في عطلة عيد الميلاد، وأخبرت البنات عن صديقي في المدرسة الثانوية، بكل فخر. اخترعت أشياء فعلناها معاً، أموراً في الجنس، فأخبرت إحداهن والدتها. وأما اتصلت بأمي. ما زلت أذكر ذلك الاتصال. أتذكر أمي تتحدث على الهاتف. كانت دائماً خائفة من شيء ما. ثم أتت إلى غرفتي، وكانت تبدو لطيفة معي. قالت مثلاً (حبيبتي وحلوتي) وأمسكت يدي. تعرفين أنه يمكنك أن تثقي بي، سنتجاوز ذلك معاً. وسألتني إن كنت كان بن قد لامسني بشكل خاطئ.

- وماذا قلت أنت؟

- حسناً، افتتحت الحديث بالقبلة، وكان ذلك كل ما أنوي أن أقوله. مجرد الحقيقة. أخبرتها وهي، بدا أنها تتحرك مبتعدة عني، كأنها تقول لا بأس. هذه ليست مشكلة كبيرة. لا مشكلة. أتذكر قولها (هل كان ذلك كل ما في الأمر؟ هل ذلك كل ما حدث؟) كأنها انخذلت تقريباً، وما كان مفاجئاً على ما أذكر، أنني وقفت وقلت حتى من دون تفكير، (هو لمسني هنا. جعلني أفعل أشياء). عندها عادت.

- ثم ماذا؟

- بدأت القضية تكبر. أمي أخبرت أبي حين عاد إلى المنزل، وأصبح حديثه كله معي (حبيبتي، ابنتي الصغيرة المسكينة) واتصلا بالمدرسة، والمدرسة أرسلت، مثل طبيب أطفال نفسي.

أتذكر أنه كان طالباً جامعياً، استنتج أنه من المستحيل أن أقول الحقيقة. أراد أن يثق أنني كنت مُغْتَصَبَةً.

عبست في وجهها.

- أنا جادة، لأنني أذكر أنني كنت سأخبره الحقيقة وهو يخبر أبي وأمي، لكن.. سألني إن كان بن جعلني أقوم بأفعال جنسية، وقلت له: لا. بدا كأنه يشجعي على أن أكون خبيثة في ما يخص الموضوع (أنت تبدين فتاة شجاعة وذكية، وأنا أعتد عليك لتخبريني بما حدث. أوه، ألم يحدث شيء؟ للأسف ظننتك أشجع من ذلك. حقاً كنت آمل أن تكوني شجاعة كفاية لتساعديني ونهي الموضوع. ربما بإمكانك أن تخبريني إن كنت على الأقل تتذكرين هذا النوع من الملامسة أو يخبرني بن بهذا؟ هل تتذكرين القيام بلعبة مثل هذه؟ هل يمكنك أن تخبريني إن كنت على الأقل تتذكرين ذلك؟ أوه، ذلك جيد. عرفت أنك تستطيعين أن تقولي، يا لك من فتاة طيبة، وذكية. ولا أعرف، أنت في ذلك العمر، إذا كانت كثير من الكبار يقولون لك شيئاً ويشجعونك. إنها مجرد..). بدأت أشعر أنها حقيقة، وأن بن تحرش بي، وإلا لماذا كان كل هؤلاء الكبار يحاولون جعلي أقول: إنه فعل؟ وإن والدي سيكونان قويين وسيقفان إلى جانبي: (من الأفضل أن تقولي الحقيقة. الأفضل أن تقولي الحقيقة) وهكذا تقولين الكذبة التي اعتقدوا أنها الحقيقة.

تذكرت تشنجاتي بعد الجريمة، والدكتور برونر الذي كان يلبس دائماً الأزرق، لوني المفضل، من أجل جلساتنا النفسية، والذي أعطاني أشياء أحبها على حسابه حين أخبرته ما أراد أن يسمع. (أخبريني عن رؤيتك لبن مع تلك البندقية، وهو يطلق النار على أمك. أنا أعرف أن ذلك كان قاسياً عليك يا لبيب، ولكن إن قتلها، قولها بصوت مرتفع ستساعدني أمك وأختك بذلك، وتساعدني نفسك للبدء في الشفاء. لا تكبحها يا لبيب، لا تحبسي الحقيقة. يمكنك مساعدتنا وثقي أن بن قد عوقب لما فعله بعائلتك).

سأكون فتاة شجاعة وأقول أنني رأيت بن يقطع أختي ورأيت بن يقتل أمي،
وعندها سأحصل على زبدة الفستق مع مربى المشمش، الوجبة المفضلة عندي،
والتي كان برونر يحضرها دائماً من أجلي وأفكر أنه حقاً مقتنع أنه كان يساعدنا.

- كانوا يحاولون أن يريحوك. فكروا أنهم كلما أعطوك ثقة أكبر كان الأمر أسهل
عليك. قلت لها. هم كانوا يحاولون مساعدتك، وأنت كنت تحاولين مساعدتهم أعطاني
دكتور برونر دبوساً على شكل نجمة مطبوع عليها (نجمة متفوقة، ذكاء خارق) بعد
أن اعتُقل بن بشهادتي.

- نعم، قالت كريسي واتسعت عيناها. ذلك المعالج النفسي ساعدني في تصور
مشاهد كاملة. مثلناها كلها بالدمى. ثم راح يتكلم مع الفتيات الأخريات، الفتيات
اللواتي حتى لم يقبلن بن، و... أعني، أنها كانت فقط بضعة أيام، اختلقنا في خلالها
ذلك العالم الخيالي حيث زعمنا أن بن كان عابداً للشيطان، يفعل أشياء مثل قتل
الأرانب ويجعلنا نأكل من أحشائها بينما يتحرش بنا. أعني، أنه كان جنوناً. لكنه
كان.. مسلياً. أعرف أن ذلك فظيع. لكننا نحن البنات نساند بعضنا بعضاً. في إحدى
الليالي أقمنا حفلة سمر أخرى. وكنا في الطابق العلوي، في غرفة النوم. جلسنا في
دائرة، نحث بعضنا بعضاً على تأليف قصص أكبر وأهضم، و.. هل سبق ولعبت لعبة
تحضير الأرواح؟

- عندما كنت صغيرة.

- حسناً، وأنت تعرفين، جميعكن تردنها أن تصبح واقعية، وهكذا تحرك إحداهن
الفنجان المقلوب قليلاً وأنت تعرفين أن إحداهن حركته، لكن شيئاً فيك يفكر أن ذلك
ربما كان صحيحاً. إنه روح حقاً، ويجب ألا يُنكر ذلك أحد وأنت تعلمين تماماً أنك
وافقت على الإيمان بوجودها.

- لكنك لم تقولي الحقيقة.

- قتلها لوالديّ في ذلك اليوم. اليوم الذي مررت فيه بنا، تم استدعاء الشرطة،

الفتيات جميعهن كن في بيتي. أعطونا كعكاً، أقصد يا إلهي، كيف تم ذلك؟ وعد والديّ أنهما سيشتريان لي كلباً أليفاً وأتحسن بهذا. ثم غادرت الشرطة، والفتيات غادرن والمعالج النفسي غادر. صعدت إلى غرفتي وبدأت أبكي فقط، كأني حينها فقط أدركت، حينها فقط فكرت.

- لكنك قلت أن أباك كان يبحث عن بن في الخارج.

- لا، كان ذلك نسجاً من الخيال فقط. قالتها وحدقت إلى الغرفة ثانية. عندما أخبرت والدي هزني بقسوة اعتقدت أن رأسي سينقلع. وبعد تلك الجرائم، فرغت جميع الفتيات، وأصبحت كل منهن تقول الحقيقة. شعرنا كلنا بأننا استدعينا الشيطان. اختلفنا تلك القصة السيئة حول بن فأصبح جزء منها حقيقة.

- لكن عائلتك حصلت على تسوية كبيرة من المدرسة.

- لم تكن بتلك الضخامة وتطلعت إلى قعر كأسها.

- لكن والديك تابعا فيها، حتى بعد أن أخبرتهما الحقيقة.

- أ.ب.ي كان رجل أعمال. واعتقد أننا سنحصل على نوع من التعويض.

- لكن أباك عرف بالتأكيد، في ذلك اليوم، أن بن لم يتحرش بك.

- نعم، عرف. قالت وهزت رقبتها التي تشبه رقبة دجاجة باتجاهي، بموقف دفاعي. أتى القط باك وتمسح بينطالها، بدت هادئة ومررت أظفارها في فروته.

- انتقلنا في تلك السنة. أ.ب.ي قال إن المكان صار ملوثاً. لكن المال لم يكن مساعداً في الحقيقة. أذكر أنه اشترى لي كلباً، لكني كلما حاولت أن أتكلم عن الكلب، كان يرفع يده مشيراً أن هذا يكفي، وكأن كلامي كان كثيراً. أمي لم تسامحني أبداً. إن أتيت إلى البيت وأخبرتها عن شيء حدث في المدرسة و.. كانت تقول فقط: حقاً؟ وكأنني كنت أكذب عليها ولا أهمية لما أقوله. مثلاً أقول لها أكلت بطاطا مسلوقة على الغداء فتقول فوراً: حقاً؟ وتتوقف عن الكلام بعدها. قد تنظر إليّ حين أظهر في

الباب عائدة من المدرسة، ثم تمشي إلى المطبخ وتفتح زجاجة خمر، اعتادت فقط أن تملأ كأسها وتتجول في أنحاء البيت، لا تتكلم. تهز رأسها. أذكر أنني قلت لها ذات مرة (أتمنى لو أنني لم أجعلك حزينة هكذا)، فقالت (حسناً، لكنك فعلت).

كانت كريسبي الآن تبكي وتداعب القظ بحركة إيقاعية.

- تلك كانت القصة، في نهاية العام غادرت أمي البيت، أتيت في أحد الأيام وكانت غرفتها فارغة. قالت وتركت رأسها يتدلى إلى حضنها ثم، بحركة استعراضية طفولية ردّت شعرها بعنف فوق رأسها. عرفتُ أنه كان يفترض بي أن الأطفها، أخفف من ألمها. لكن بدلاً من ذلك انتظرتُ فقط. وفي آخر الأمر أمعنت النظر في وجهي وقالت: - لم يسامحني أحد عن أي شيء، ونشجت. كانت ذقتها ترتجف. أردت أن أقول لها: أنا سامحتك، لكنني لم أقلها. بل سكبت لها كأساً أخرى.

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

6:11 بعد الظهر

استمرت باتي تدمدم معتذرة بينما كان ليو كيتس يدفعها بخشونة في اتجاه الباب، وفجأة كانت على العتبة في الخارج، في الهواء البارد، عيناها ترفان بسرعة. وقبل أن تتمكن من تحريك فمها، لتكوّن أي نوع من الكلام، انفتح الباب ثانية وخطا رجل في الخمسينات أغلق الباب خلفه، ثم كانوا جميعاً هناك، في الرواق الأمامي الصغير: باتي، ودايان، وليبي والرجل. كانت تحت عيني الرجل الدامعتين جيوب منتفخة مثل كلب (الباسيت)، وكان شعره الأشيب مردوداً إلى الخلف وعليه مسحة كريم، مرّر يده خلاله وهو يعاين باتي. وخاتمه (الكلاذاف) الإيرلندي يلمع في إصبغه.

- هل أنت السيدة باتي داي؟ نفسَه المشبع بالقهوة بقي معلقاً في الهواء البارد ثم راح يتلاشى تدريجياً.

- أنا باتي داي، والدة بن داي.

- نحن أتينا لنحقق في ما تحدث عنه هذه القصص.

قاطعته دايان: نحن نسمع الكثير من الشائعات، ولم يكلف أحد نفسه ليخاطبنا

مباشرة.

وضع الرجل يديه على وركيه، نظر إلى ليب-ي وأشاح بنظره بسرعة وقال: أنا المحقق جيم كولينز، المكلف بهذا التحقيق. كان عليّ المجيء إلى هنا هذا اليوم لأتحدث إلى هذه الحشود، ومن ثم بالطبع كنت سأتصل بكم. وفّرتم عليّ الذهاب. هل ترغبان أن نتحدث في مكان آخر؟ الطقس بارد قليلاً هنا.

ذهبوا إلى استراحة دونكين للحلويات مباشرة عبر الطريق العام، بسيارتين منفصلتين، غمغمت دايان بنكته حول الشرطة والحلويات. ثم لعنت السيدة كيتس: (لم تمنحنا وقتاً حتى ننتهي من هذا اليوم اللعين.. الكلبة). ومن الطبيعي أن تكون باتي قد قالت شيئاً ما في الدفاع عن السيدة كيتس: من قواعد دايان وباتي أن تكون متكلماً منصفاً ومدافعاً وكان ذلك متأسلاً فيهما. لكن عائلة كيتس لم تكن بحاجة للدفاع عنها.

كان المحقق كولينز ينتظرهما مع ثلاثة فناجين قهوة ورقية وعبوة حليب كرتونية لليب-ي. لم أعرف إن كنتما تريدانها أن تأكل الحلوى، قال. وتساءلت باتي إن كان يعتقد أنها ستكون أمماً سيئة إذا اشترت الحلوى لليب-ي. لا سيما إذا عرف أنهم قد تناولن الفطائر المحلاة في الصباح وفكرت (هذه ستكون حياتي من الآن فصاعداً، أفكر دائماً في ماذا سيعتقد الناس). كانت ليب-ي تلتصق وجهها على زجاج واجهة الحلويات في ذلك الحين وتتنطط من قدم لأخرى، وهكذا بحثت باتي عن فكة من النقود واشترت حلوى مجمدة وردية، أعطتها لليب-ي على منديل ورقي. لم تستطع أن تتجاهل شعور ليب-ي، وهي تحمق بحزن إلى تلك الحلوى السكرية الملونة بينما يحاولون هم فتح حديث حول إن كان ابنها عابد شيطان ومتحرشاً بالأطفال. ومرة ثانية كانت تضحك في سرها. أجلس ليب-ي إلى طاولة خلفهم وقالت لها أن تبقى جالسة وهي تأكل بينما يتكلم الكبار.

- هل أنتم جميعاً ذوو شعر أحمر؟ قال كولينز. من أين أتاكم الشعر الأحمر؟ هل

أنتم إيرلنديون؟ تذكرت باتي في الحال محادثتها الدائمة مع لين حول شعرهم الأحمر، ثم فكرت في (ضياح المزرعة. كيف نسيت ضياح المزرعة؟).

- ألمان، قالت للمرة الثانية في ذلك النهار.

- لديك أطفال آخرون، أليس كذلك؟ قال كولينز.

- نعم، لدي أربعة أطفال.

- مثل أبيك؟

تدخلت دايان وهي جالسة في المقعد المجاور لها: طبعاً، مثل أبي!

- لكنك أم وحيدة، صحيح؟ سأل كولينز.

- نحن مطلقان، نعم. قالت باتي محاولة أن يبدو جوابها كزوجة رجل كنيسة.

- وما دخل هذا بما يحدث مع بن؟ تدخلت دايان بنزق منحنية على الطاولة.

على فكرة أنا أخت باتي، وأرعى هؤلاء الأطفال مثل أمهم تقريباً.

أجفلت باتي، وانتبه المحقق كولينز إلى أنها أجفلت.

- لنحاول أن نبدأ هذا الموضوع مدنياً، قال كولينز، لأننا سنسلك طريقاً طويلة

معاً قبل أن نتضح الأمور. الاتهامات الموجهة ضد ابنك، سيدة داي، خطيرة جداً،

ومتعلقة جداً بالغريزة. في هذا الخصوص لدينا أربع فتيات صغيرات يدّعين أن بن

لامسهن في مناطق حساسة، وأنه جعلهن يلامسنه، وأنه أخذهن إلى مزرعة ما وقام

بأفعال.. معينة مقترنة بعبادة شيطان طقسية. قال كولينز تلك الكلمات - عبادة

شيطان طقسية - بطريقة أناس لا يعرفون أن السيارات تردد ما يقوله الميكانيكي:

إنها مضخة وقود معطوبة.

- بن لا يملك حتى سيارة، قالت باتي بصوت شبه مسموع.

- الآن، فارق العمر بين الحادية عشرة والخامسة عشرة أربع سنين فقط، لكن

تلك السنوات حاسمة، تابع كولينز، وسنعتبره خطيراً ومفتراً إن ثبتت هذه الاتهامات عليه. وبصراحة نحن سنضطر لأن نتحدث ليس فقط مع بن، لكن مع بناتك الصغيرات أيضاً.

- بن ولد طيب، قالت باتي وكرهت كيف كان صوتها منهكاً وضعيفاً، الجميع يحبونه.

- كيف يعتبرونه في المدرسة، سأل كولينز.

- عفواً؟

- هل هو معروف كولد محبوب؟

- لديه عدة أصدقاء، غمغت باتي.

- لا أعتقد أن لديه أصدقاء سيدي، قال كولينز، مما فهمناه، هو ليس لديه أصدقاء كثير. هو منغل تقريباً.

- وماذا يثبت ذلك؟ قاطعته دايان بحدة.

- لا يثبت شيئاً على الإطلاق، آنسة..؟

- كراوس.

- لا يثبت شيئاً على الإطلاق، آنسة كراوس. لكن تلك الحقيقة، ترتبط بحقيقة عدم وجود شخصية أب قوي يراعاه، وتقودني للاعتقاد أنه يمكن أن يكون معرضاً لنقل تأثيرات سلبية مثل المخدرات والكحول. هؤلاء أشخاص قد يكونون خشنين، وذوي مشاكل.

- هو لا يخالط منتهكي القانون، إن كان هذا ما يهيك معرفته، قالت باتي.

- إذا سمّ لي بعض أصدقائه، قال كولينز، سمّ لي الأولاد الذين يتسكع معهم.

اسم من كان معه في نهاية عطلة الأسبوع الماضي.

جلست باتي، لسانها ثقيل في حلقها، ثم هزت رأسها، وثنت يديها بقرب بقعة شوكولا متيبسة تركها شخص آخر. كانت صحوه متأخرة، لكنها الآن أخيراً اكتشفت ما كانت عليه: امرأة عاجزة عن ضبط الأمور، امرأة عاشت حياتها من أمر طارئ لآخر. تستدين المال، تذهب زاحفة من الإنهاك للنوم، تتلاشى عندما يكون عليها خدمة بن، تشجعه لاختيار هواية أو الانضمام إلى نادٍ، وليس سراً أن تكون ممتنة حين يقفل باب غرفته على نفسه أو يغيب في إحدى الأمسيات، وتعرف أنه نقص واحد من الأولاد الذين يجب أن تهتم بهم.

- هناك بعض الثغرات الأبوية إذًا، تنهد كولينز، كأنه عرف للتو نهاية القصة.
- نريد محامياً قبل حدوث أي شيء آخر، وقبل أن نتحدث لأي من الأولاد.
قاطعت دايان.

- بصراحة، سيدة داي، قال كولينز دون أن يلتفت إلى دايان، مع ثلاث فتيات صغيرات في البيت، لو كنت مكانك، لأردت تبيان الحقيقة أكثر من أي شخص كان. هذا النوع من السلوك لا يُخفى. في الحقيقة، وإن كان ذلك صحيحاً، ولأكون صريحاً معك، أعتقد أنه من المحتمل أن بناتك كنّ أول ضحاياها.

نظرت باتي وراءها إلى ليبي، التي جلست تلتق حلواها المجمدة. فكرت كم اعتادت ليبي التعلق ببن. فكرت بكل تلك الأعمال المنزلية التي قام بها الأولاد وحدهم. أحياناً وبعد عمل يوم كامل في الإسطبل مع بن، تعود الفتيات إلى البيت، منزعجات، باكيات. لكن.. ماذا؟ كن فتيات صغيرات، يتعبن ويكنّ مخبولات. أرادت أن ترشق قهوتها في وجه كولينز.

- هل يمكنني أن أتكلم بوضوح؟ قال كولينز وصوته يعجنها عجنًا. لا أستطيع أن أتخيل كيف.. لا بد أن ذلك مرعب، أن تسمعي هذه الأشياء وأنت أم. لكن يمكنني أن أقول لك شيئاً. وهذا ما سمعته من خبيرنا النفسي، الذي يعمل مع الفتيات، واحدة فواحدة، وأستطيع إخبارك بما قاله لي. ذلك أن أولئك الفتيات، يخبرننا بأشياء لا

تعرفها ابنة الصف الخامس، جنسياً، إلا إذا حدثت فعلاً. قال إنه وصف لتفاصيل تقليدية مؤذية جسدياً. أنت تعرفين قضية ماك مارتن طبعاً.

بالكاد تذكرت باتي. روضة في كاليفورنيا، حوكم كل معلمها لكونهم عبدة للشيطان ومتحرشين بالأطفال. تمكنت من أن تتذكر النشرة الجوية المسائية: بيت مشمس وجميل في كاليفورنيا، طُبع عليه كلمات سوداء: كابوس دار الأطفال.

- عبادة الشيطان ليست شيئاً غير شائع، وأنا أخشى، يتابع كولينز، إنها تشق طريقها في جميع طبقات المجتمع. وعبدة الشيطان يميلون لاستهداف صغار الشباب، ليضمّوهم إلى الجماعة. وأحد جوانب عبادة الشيطان هو.. انحلال الأطفال.

- هل لديك أي دليل؟ جارت دايان في وجه كولينز، أي شهود إلى جانب فتيات بعمر الحادية عشرة؟ وهل لديك حتى أنت نفسك أبناء؟ هل تعرف كم من السهل عليهم تخيل الأشياء - حياتهم كلها افعل - صدق. إذاً هل لديك أي شيء ليؤكد تلك الأكاذيب غير مجموعة فتيات صغيرات وطبيب نفسي ما زال طالباً في جامعة هارفارد أثر فيكم جميعاً.

- حسناً، في ما يخص الدليل، الفتيات جميعهن قلن إنه أخذ سراويلهن الداخلية كتذكّار مقزز أو شيء من هذا القبيل. قال كولينز لباتي: إن سمحت لنا بالبحث في بيتك، نتمكّن من البدء في تفسير ذلك.

- نحتاج للتحدث مع محام قبل ذلك، دمدت دايان لباتي.

ابتلع كولينز قهوته وكاد يخنق بتجشئة. ضرب صدره بقبضته، تبسّم لليبي. من فوق كتف باتي. له أنف أحمر كسكير.

- في الوقت الحالي نحتاج فقط أن نكون هادئين. سنتحدث إلى كل شخص له صلة بالموضوع، قال كولينز، وهو ما يزال يتجاهل دايان. أجرينا عدة مقابلات مع عدد من أعضاء إدارة المدرسة. في مدرسته الثانوية والمدرسة الابتدائية فيما بعد

الظهر، وما سمعناه لم يشعرونا بأي تحسن سيدة داي. المدرسة، سيدة دارك سيلفر؟
نظر إلى باتي لتصادق على الاسم، فأومأت له برأسها. لطالما أحببت السيدة دارك
سيلفر بن، إنه مفضل بشكل خاص بين من تفضلهم.

هذا الصباح تماماً، رأت ابنك ينبش في خزانة كريسي كيتس. في المدرسة
الابتدائية خلال عطلة عيد الميلاد. هذا يشوشني. ونظر إلى باتي من عمق عينيه
مستهدفاً الحواف الوردية لعينيها من كثرة البكاء. السيدة دارك سيلفر تقول إنه كان
مستثاراً بشكل واضح للعيان.

- ماذا يعني ذلك؟ تدخلت دايان بحدة.

- حصل معه انتصاب حين نظر داخل صندوق كريسي. وجدنا قصاصة ورق
ذات طابع محرض، سيدة داي. خلال مقابلاتنا، كان ابنك يوصف بشكل متكرر
بالمنبوذ، غير منسجم مع زملائه، غريب. اعتُبر إلى حد ما القنبلة الموقوتة. بعض
المدرسين خافوا منه بالفعل.

- خافوا؟ ردّت باتي. كيف يمكن لهم أن يخافوا من صب-بي في الخامسة عشرة؟

- أنت لا تعرفين ماذا وجدنا في خزانته.

ماذا وجدوا في خزانته؟ فكرت باتي أن كولينز سيقول مخدرات أو مجلات نسائية،
أو، اللهم ارحمنا، مجموعة من الألعاب النارية الممنوعة. ذلك ما أردت أن يكون بن
في مأزق لأجله: دزينة شموع رومانية موجودة مثل شعلة في حقيبته التي يحملها
على ظهرة. والتي يمكن أن تأخذها منه.

حتى عندما قام كولينز بتمهيد الزلق - هذا مزعج جداً سيدة داي، أريدك أن
تهيئي نفسك - تصورت باتي أنه قد يكون سلاحاً. بن أحب الأسلحة وهي لديه
بشكل دائم، إنها مثل مرحلة اللعب بالطائرة ومرحلة اللعب بشاحنة الإسمنت، غير أن
مرحلة الأسلحة استمرت. إنها مثل شيء فعلاه معاً - فعلاه معاً - الصيد، إطلاق

النار، ربما جلب أحد تلك الأسلحة إلى المدرسة ليتباهى به فقط. المسدس من نوع كولت صانع السلام وهو المفضل عنده. لم يكن مفترضاً به أن يفتح كابينة الأسلحة دون إذنها. لكن إن فعلها، فسيعالجون الأمر. إذن فليكن سلاحاً.

عندها تنح كولينز وقال بصوت جعلهما تنحيان: وجدنا بعض.. بقايا أعضاء في خزانة ابنك. في البداية اعتقدنا أنها قد تكون عضواً من طفل ثم تبين أنها لحيوان. أعضاء تناسلية أنثوية في حافظة بلاستيكية، أعضاء قد تكون لكلبة أو قطة. هل افتقدتما كلبة أو قطة؟

ما زالت باتي مشوشة الذهن من مفاجأة اعتقادهم فعلاً بأن بن احتفظ بعضو من طفل في خزانته، لقد افترضوا أنه كان مشوشاً جداً لذلك كان تخمينهم الأول هو أنه قاتل أطفال فعلاً. حدثت إلى نقاط الحلوى الملونة متجمعة في الأسفل. تأكدت أن ابنها ذاهب إلى السجن حتماً إذا كانوا واثقين من غرابة أطواره.

- لا، نحن لم نفقد أي حيوان أليف.

- عائلتنا عائلة صيادين ومزارعين، قالت دايان. نحن قريبون من الحيوانات، نذبح الحيوانات في كل وقت. وليس غريباً أن يأخذ شيئاً منها ليحتفظ به.

- حقاً، هل تحتفظون بأعضاء حيوانات ميتة في بيتكم؟ وللمرة الأولى نظر كولينز مباشرة إلى دايان، نظرة قاسية قطعها بعد بضع ثوان تماماً.

- وهل هناك قانون يمنع ذلك؟ ردت دايان بصوت مرتفع.

إن إحدى الشعائر التي يلتزم بها عبدة الشيطان، هي التضحية بالحيوانات، سيدة داي، قال كولينز. أنا واثق من أنك سمعت عن قتل قطيع من الأبقار بالفؤوس هناك قرب لويرنس، نحن نعتقد أن قتل الأبقار والتورط مع الفتيات الصغيرات أمران مترابطان معاً.

كان وجه باتي بارداً. قضي الأمر، انتهى كل شيء. ماذا تريدني أن أفعل؟ سألت

باتي.

- سأتبعك إلى بيتك، وهكذا نستطيع أن نتكلم مع ابنك. اتفقتنا؟ قال كولينز ذلك مغيراً لهجته إلى لهجة أبوية في المقطع الأخير. يعلو صوته قليلاً، ثم يتضاءل كأنه يحدث طفلاً. أحست باتي بيدي دايان تنطبقان بإحكام إلى جانبها.

- هو ليس في المنزل، نحن كنا نحاول أن نجده.

- نحن بالتأكيد نحتاج أن نتكلم مع ابنك، سيدة داي. أين تعتقدين نستطيع العثور عليه؟

- نحن لا نعرف أين يكون، قاطعت دايان. نحن في المركب نفسه مثلك.

- هل ستقبضون عليه؟ سألت باتي.

- لا نستطيع فعل أي شيء حتى نتحدث معه، وكلما أسرعنا في ذلك نكون قد أسرعنا في إنهاء الموضوع.

- ذلك ليس جواباً، قالت دايان.

- عندي جواب واحد فقط يا سيدتي.

- ذلك يعني نعم، قالت دايان، وأخفضت عينيها للمرة الأولى.

وقف كولينز ومشى باتجاه ليبي.ي خلال تبادل الحديث، وهو الآن يجثو بجانبها، يحييها: هاي يا حلوتي.

أمسكت دايان بذراعه قائلة: لا، دعها وشأنها.

عبس كولينز في وجهها وقال: أنا أحاول المساعدة فقط. أتريدين أن تعرفي إن كانت ليبي بخير؟

- نحن نعرف أن ليبي.ي على ما يرام.

- لماذا لا تتركينها تخبرني ذلك بنفسها. أم أننا سنحتاج إلى خدمة رعاية الأطفال.

- ابتعد عنها، قالت دايان منتصبة أمامه.

جلست باتي في مكانها راغبة في النأي بنفسها. سمعت دايان وكولينز يتصايحان خلفها، لكنها جلست فقط وراقبت المرأة خلف المنضدة تحضر إبريق قهوة آخر، وتحاول تركيز اهتمامها كله على القهوة التي أصبحت جاهزة قبل لحظة تماماً من قيام دايان بسحب باتي وليبي بفمها الملوث من الحلوى خارج المطعم.

شعرت باتي برغبة قوية بالبكاء وهي في طريقها إلى البيت، لكنها أرادت أن تنتظر إلى أن تذهب دايان. تركت دايان القيادة لباتي، وقالت إن ذلك جيد لها كي تركز أكثر. كان على دايان أن ترشدها طول الطريق إلى البيت، إلى أي وضع يجب أن تحرك ناقل الحركة، لأنها كانت ذاهلة تماماً. (لماذا لم تجرب ي الثالث، p؟ أعتقد أنه علينا النزول إلى الثاني، الآن) جلست لبيبي في المقعد الخلفي، لا تنبس ببنت شفة، متفوقة على نفسها، وركبتها إلى ذقنها.

- هل سيحدث شيء مكروه؟ سألت لبيبي أخيراً.

- لا يا حبيبتي.

- يبدو أنه سيحدث مكروه.

عندها انتابت باتي موجة دعر ثانية: ما هو بحق الجحيم الحيف الذي أوصل ابنة السبع سنوات إلى هذه الحالة. أمها لم تفعل ذلك. لو لم تكن أمها قد ربّت بن بالطريقة التي قامت بها - الطريقة المشوشة والمتسمة بالإهمال واللامبالاة - لما وصلت البنت إلى هذه النتيجة.

هي الآن بحاجة ماسة للعودة إلى المنزل مباشرة، لتأوي إلى عشا وتشعر بالأمان. كانت الخطة: أن تنتظر باتي عودة بن - عليه أن يعود حالاً وفوراً - تخرج

بعدها دايان لتخرس الجميع. من عرف بالقصة، ومن وقف إلى جانب الناس الذين يتحدثون بها، ومن كان بن يتسكع معه.

وصلتا إلى البيت لتجدا سيارة باتي الكافالير وسيارة أخرى، سيارة رياضية، بدا أنها منذ حوالي العشر سنوات وهي ملطخة بالوحل.

- لمن تلك السيارة؟ سألت دايان.

- ليس لدي فكرة قالت بأسى، لأنها عرفت في ذلك الوقت أن صاحبها، كائناً من كان، يحمل أخباراً سيئة.

فتحتا الباب الرئيسي وشعرتا بالحرارة تتسرب إلى الخارج. لا بد أن درجة الحرارة في البيت فاقت الثمانين. أول شيء رأته علبة كاكاو مفتوحة من النوع الذي يعد في الميكروويف، على طاولة غرفة الطعام، ومزيج الكاكاو يمتد بخط يقود إلى المطبخ. ثم سمعت باتي الضحكة التي تشبه الصفير وعرفت صاحبها. كان رنر جالساً على الأرض يشرب الشوكولا الحارة مع بناته وهن يتكنن عليه، يشاهدون برنامجاً عن الطبيعة في التلفاز. البنات يزرعن ويمسكن بذراعيه بينما كان التمساح ينطلق من المياه ويخطف حيواناً ذا قرون.

رفع نظره بتكاسل، كأن القادمة واحدة من خدمة الزبائن في توصيل الطلبات إلى المنازل.

- مرحباً باتي، لم أرك منذ زمن.

- نمر في ظرف عائلي صعب، تدخلت دايان. عليك الذهاب إلى بيتك.

خلال تلك الأسابيع المديدة التي عاد فيها رنر ليقيم معهم، كان هو ودايان يتشاجران دائماً - هي تحقره وهو يحقرها قائلاً: (أنت لست زوجها، دايان) ثم يذهب إلى المرأب يحتسي الكحول، ويضرب كرة قدم قديمة على الجدار لساعات. لم تكن دايان هي من يحق له أن يطلب من رنر الذهاب إلى البيت.

- لا بأس دايان، تابعي. هاتفيني بعد ساعة أو أكثر، وأخبريني ماذا يجري.
تمام؟

حدقت دايان إليه. تدمرت بينها وبين نفسها قليلاً ومشت متشامخة إلى الخارج،
أغلقت الباب بإحكام خلفها.

قالت ميشيل: يا إلهي ماذا بها؟ التفتت إلى أبيها وقامت بحركة مضحكة بقسمات
وجهاها، الخائنة الصغيرة. شعرها البني كان مشعثاً من جذوره حيث قام رنر بنفسه
مثل الهنود. كان رنر دائماً غير اعتيادي مع بناته، يحبهن بخشونة، لكن ليس على
طريقة الكبار. يحب أن يقرصهن ويضربهن ضربات خفيفة وسريعة ليثير انتباههن
مثلاً وهن يشاهدن التلفاز، يمكن أن يميل عليهن فجأة ويعرضهن. أي واحدة من
البنات يقرصها فتتطلع إليه بعيون دامعة وعبوس غضب، فيضحك ويتعد وهو يقول:
مااااذا؟ أو: أنا أقول مرحباً فقط، مرحباً. وعندما يذهب معهن إلى أي مكان، يبطن
بضع خطوات ورائهن بدلاً من المشي إلى جانبهن، عيناه تنظران إليهن من الجانب.
تلك النظرة تذكرها بذنب عجوز يخبُّ على الكعبين وراء فريسته لعدة أميال، يعذبها
فقط قبل الانقضاء عليها.

- أ.ب.ي طبخ لنا المعكرونة قالت ديب.ي. وهو سيبقى للعشاء.

- أنتن تعرفن أنه لم يكن من المفترض بكن أن تسمحن لأي شخص بالدخول
إلى البيت في أثناء غياب.ي. قالت باتي وهي تمسح المسحوق بممسحة لها رائحة
كريهة.

اتسعت عينا ميشيل، واتكأت على كتف رنر قائلة: يا إلهي يا أمي، إنه أ.ب.ي.

كان من الأسهل عليها لو كان رنر ميتاً. هو لديه القليل جداً من التفاعل مع
أطفاله. وقليل جداً ما كان يساعدهم، ذلك إن مرّ بهم. الأمور تتحسن فقط إذا كان
يعيش في مكان ما من العالم الفسيح في الخارج، ينقض بين الفينة والأخرى بأفكار
ومشاريع وأوامر يحب الأطفال أن يتبعوها؛ لأن بابا قال ذلك.

كان أحبّ عليها الآن أن توبّخ رنر، تخبره عن ابنه ومجموعة الأشياء المقلقة في خزانته. الفكرة من قطع أعضاء الحيوانات والاحتفاظ بها تجعلها تغصّ. حكاية ابنة آل كيتس وصديقاتها، التي كانت سوء فهم يمكن أو لا يمكن أن ينتهي على خير. التغيير في أجزاء الجسم مثل (تغيير لون شعره) لم تستطع إيجاد مبرر له، وهي كانت جيدة في إيجاد مبررات. لم تقلق مما قاله كولينز، بأن بن يمكن أن يكون قد تحرّش بأخواته. دققت في تلك الفكرة وهي في طريقها إلى البيت. قلبتها في ذهنها. فصفتها تماماً من الداخل والخارج. بذلت غاية جهدها وبشكل مفرط. لم يكن عندها أي شك: بن لم يفعلها مطلقاً.

لكنها تعرف أن ولدها قام باختبار للأذى. فهناك حادثته مع الفئران: ضربات الرفش الآلية تلك، وقد انسحبت شفاته بعيداً عن أسنانه، وتصيب وجهه عرقاً. شعر بقليل من السعادة لكن هي عرفت بالأمر. معاملته الخشنة لأخواته قاسية. في بعض الأحيان تنقلب القهقهات إلى صرخات، فتأتي خلسة لتراه ممسكاً بذراع ميشيل يلويها خلف ظهرها، فتسحب رويداً رويداً. أو ملتقطاً ذراع ديب.ي، مثل الملزمة تمثيلاً للتدليك الهندي، وما يبدأ كمزاح يتطور أكثر فأكثر ليصبح مسعوراً. يستمر في التدليك إلى أن تظهر على الذراع بقع من الدم، وهو يصرّ بأسنانه. قد تراه ينظر نظرة رنر نفسها حين يكون قريباً من الأولاد: نظرة كبير ومتوتر.

- بابا عليه أن يرحل، قالت باتي.

- يا إلهي، باتي، ولا حتى سلام قبل أن ترميني في الخارج؟ تعالي، دعينا نتكلم، حصلت على عرض عمل لك.

- أنا لست في وضع للقيام بصفة عمل، يا رنر. أنا مفلسة.

- لم تكوني مفلسة كما تدّعين، قال وهو ينظر شزراً، وبرم قبعة البيسبول إلى الوراء على شعره المفتول. قصد بذلك المزاح، لكنها خرجت وعيداً من فمه، وكأنه يتوعدها من الأفضل ألا تكون مفلسة، فذلك ليس في صالحها.

أبعد البنات عنه ومشى في اتجاهها. وقف قريباً جداً منها كما يفعل دائماً،
التعرق بسبب الشراب يُلصق قميصه (لونج جون) بصدره.

- ألم تبيعي المحراث للتو، باتي؟ أخبرني فيرن إيفلي منذ لحظات أنك بعث
المحراث

- وقد ذهبت كل تلك الأموال، رنر. هي دائماً تذهب بالسرعة نفسها التي أحصل
فيها عليها.

- أحتاج أن تساعدني. أحتاج مالاً يكفيني للوصول إلى تكساس فقط.

رنر يريد طبعاً أن يذهب حيث يكون الشتاء أدفأ، يسافر من دون أطفال مثل
العجر من موسم إلى موسم كما يفعل دوماً، تحقيراً لها ولمزرعتها ولارتباطها بهذا
المكان المتفرد على الأرض. يلتمس عملاً ويصرف المال على أشياء سخيفة: نوادي
الغولف لأنه تخيل نفسه ذات يوم لاعب غولف، جهاز ستريو لم يقتنه قط. وهو الآن
يخطط ليولّي الأدبار إلى تكساس بأقصى سرعة. هي ودايان ذهبتا إلى الخليج حين
كانت باتي في المدرسة الثانوية. وهي المرة الوحيدة التي ذهبت فيها باتي إلى مكان
ما.

كانت الملوحة في الهواء تلتصق بها بالطريقة التي تمكّنك من عصر خصلة
شعر وتجعل لعابك يسيل. سيجد رنر المال بشكل ما، ويقضي بقية الشتاء في حانة
رخيصة على شاطئ المحيط. يشرب الشراب في حين يذهب ابنه إلى السجن. ليس
بوسعها توكيل محامٍ من أجل بن. ظلت تفكر في ذلك.

- حسناً، لا أستطيع مساعدتك، رنر. أنا آسفة.

حاولت أن توجّهه إلى الباب، وبدلاً من ذلك دفعها هو إلى داخل المطبخ، أنفاسه
النتنة جعلتها تدير وجهها بعيداً.

- هيا، باتي، لماذا تجعليني أتوسل؟ أنا في ورطة حقيقية هنا. إنها قضية حياة

أو موت. سأتلّص من السيارة الدودج. أنت تعرفين وإلا لما كنت طلبت. ربما أقتل هذه الليلة إن لم أستطع تدبير بعض المال. أعطني ثمانمئة دولار فقط.

أضحكها الرقم بالفعل. هل يعتقد هذا الرجل حقاً أن المبلغ هو فكة مال في جيبها؟ ألا يمكنه أن يتطّلع حوله ليرى كم هم فقراء. الأولاد في قمصان في منتصف فصل الشتاء، ثلاجة المطبخ مكدسة بأكوام من اللحم الرخيص وكل واحدة مؤرخة بتاريخ عام مضي؟ ذلك ما كانت عليه اللحوم: منتهية الصلاحية.

- لا أملك شيئاً يا رنر.

نظر إليها بعينين ثابتتين، وذراعه تسد الباب كي لا تتمكن من الخروج.

- لديك مجوهرات، صحيح؟ لديك الخاتم الذي أعطيتك إياه.

- رنر، رجاء. بن واقع في مشكلة، مشكلة عويصة، أمرّ بظروف سيئة الآن.

تعال في وقت آخر، اتفقنا؟

- ماذا فعل بحق الجحيم؟

- هناك مشاكل في المدرسة، ومشاكل في المدينة سيئة للغاية. أظن أنه بحاجة

إلى محامٍ، لذا أحتاج أي مال لديّ من أجله و..

- إذاً لديك مال.

- رنر، ليس لدي.

- أعطني الخاتم على الأقل.

- ليس معي.

البنات يتظاهرن بمشاهدة التلفاز، لكن أصواتهما العالية جعلت ميشيل، ميشيل

الفضولية، تدير رأسها وتحقق إليهما بشكل صريح.

- أعطني الخاتم يا باتي. مد يده وكأنها كانت تضعه في أصبعها بالفعل، ذلك

الخاتم الرخيص من الذهب المزيف الذي عرفت من خلاله أنه معقد وسيء، حتى وهي في سن السابعة عشرة من عمرها. أعطاه إياه بعد ثلاثة أشهر من الخطوبة، فقد تطلب منه شهراً ثلاثة ليشتريه، نزل إلى مكان رخيص، واشترى قطعاً صغيرة مبهرجة لكنها تافهة أعطاه إياها بينما كان يشرب الكأس الثالثة وقال: (أحبك للأبد، يا صغيرتي) عندها عرفت مباشرة أنه سيغادرها، إنه ليس رجلاً تعتمد عليه، ليس حتى رجلاً أحبته كثيراً. وبقيت معه إلى أن حملت منه ثلاث مرات. لأنه لم يكن يحب استخدام الواقي الذكري، وكان ذلك سبباً في مشاكل كثيرة منكرة.

- رنر، ألا تذكر ذلك الخاتم؟ ذلك الخاتم لن يجلب لك أي مال. إنه يساوي عشرة دولارات.

- ستتكالبين على الخاتم الآن؟

- صدقتي لو كان يساوي أي شيء لكنت رهنته الآن.

وقفا متقابلين، رنر يتنفس مثل حمار غاضب، يداه ترتجفان، وضعهما على ذراعيها ثم سحبهما بجهد مبالغ فيه. حتى شاربه كان يهتز.

- أنت ستندمين حقاً على ذلك يا باتي.

- ندمت للتو، رنر، ندمت منذ أمد بعيد.

استدار، فأسقطت سترته علبة الكاكاو على الأرض، نائرة المسحوق البني على قدميه.

وداعاً يا بنات، إن أمكن.. كلبة! وركل أحد كراسي المطبخ الطويلة فتدحرج إلى غرفة المعيشة. تجمدن جميعهن مثل مخلوقات من الجليد. بينما كان رنر يذرع المكان بدوائر ثابتة، ويأتي تتساعل إن كان عليها أن تركض وتلتقط بندقية أو تلتقط سكينه مطبخ، وعقلها يتمنى كل الوقت أن يغادر مباشرة.

- شكراً على لا شيء! وسار إلى الباب الأمامي. أرجح الباب ليفتحه بقسوة

صدعت الجدار خلفه فارتد ثانية. رفسه مرة ثانية، التقطه، ضربه بالجدار، وهو يحني رأسه استعداداً للضربة، يضربه بكل قوته ثانية وثالثة. ثم غادر وزعقت سيارته مبتعدة عن البيت. التقطت باتي البندقية، لقمته ورفعتها إلى أعلى رف الموقد مع عدد قليل مبعثر من الطلقات، في حالة لزم الأمر.

ليبي داي الآن

انتهت كريسي بالنوم على أريكتي. كنت قد أوصلتها إلى الباب وأدركت أنها لم تكن قادرة على قيادة السيارة، فقد كانت تتعثر بحذائها، وسال بعض الماسكارا على أحد خديها. بينما كانت تترنح في رواق منزلي، استدارت فجأة وسألت عن أمها، إن كنت أعرف أين تكون أو كيف يمكن أن تجدها، حينها سحبت كريسي وأعدتها إلى الداخل. أعددت لها شطيرة مرتديلا فلفليتا، مددتها على الصوفا، ودفرتها ببطانية فوقها. بينما كانت مستغرقة بالنوم تاركة الربع الأخير من شطيرتها بعناية على الأرض بجانبها، سقطت ثلاث زجاجات من عطري من سترتها، وما إن غطت في النوم حتى أعدت الزجاجات إلى الصندوق.

حين استيقظتُ كانت قد خرجت، البطانية مطوية وعليها ملاحظة مكتوبة على ظهر مغلف: شكراً ومتأسفة.

إذن ليو كيتس لم يقتل عائلتي، إذا كانت كريسي صادقة. أنا صدقتها، في هذا الصدد، على الأقل.

قررت أن أذهب لرؤية رنر، متجاهلة وصول رسالتين من لایل وعدم وصول رسائل من دايان. سأسافر لأرى رنر، وأحصل منه على بعض الأجوبة. لا أعتقد أن له أية علاقة بالجرائم أياً كان ما قالته خليلته. لكني أتساءل إن كان يعرف شيئاً ما،

مع ديونه وسكره ورفاقه الزقاقيين، أو إن عرف أو سمع شيئاً، أو إن كانت ديونه قد أثارت الرغبة عند أحدهم في انتقام مريع. ربما استطعت بذلك أن أصدق بن ثانية، وهذا ما أردت فعله. عرفت الآن لماذا لم أذهب لزيارته. كانت زيارته مغرية جداً، ومن السهل جداً أن أتجاهل جدران السجن، وأرى أخي فقط، أستمع إلى وقع صوته المميز، الذي ينخفض في نهاية كل جملة كما لو كانت آخر شيء سيقوله في حياته. بمجرد رؤيته سأذكر أشياء، أشياء جميلة أو حتى غير جميلة، مجرد أشياء عادية، وأحصل على نفحة من البيت، أعود إلى حين كان الجميع على قيد الحياة. يا إلهي. كم أردت ذلك.

توقفت عند محطة 11/7 على الطريق العام خارج المدينة. اشتريت خريطة ورقائق بنكهة الجبنة التي اكتشفت حين قضمتها أنها مخصصة لنظام حماية، أكلتها وأنا أتجه جنوباً، وتبعثر المسحوق البرتقالي اللون في السيارة. كان عليّ أن أتوقف لتناول وجبة في الطريق إلى أوكلاهوما، وكان الهواء على الطريق الدولية مثقلاً بروائح محمولة شهية: مقالٍ فرنسية، وجبات سمك سريعة، دجاج مقلي. لكنني كنت في حالة ذعر لا مبرر له، غير طبيعية، قلقة من أن أفقد رنر إن توقفت، دون سبب مقنع. لذا أكلت رقائق الحمية وتفاحة ناضجة وجدتها في الزاوية على طاولة مطبخي.

لماذا كانت الرسالة، الرسالة التي لم تكن موجهة إلى بن، مختلطة في صندوق مع أشياء ميشيل؟ لو اكتشفت ميشيل أن لدى بن صديقة لابتزته بها، ولزاد ابتزازها لو حاول أن يبقيها سراً. بن كره ميشيل، بن تسامح معي، نبذ ديب.ي، لكنه كره ميشيل فعلياً، أذكره وهو يسحبها من ذراعها خارج غرفته، وجسدها كله موارب تقريباً، وهي تتحرك معه على رؤوس أصابعها، كي لا يجرحها جراً. رماها خارجاً فوقعت إلى جانب الجدار. قال لها إنه سيقتلها إذا دخلت الغرفة مرة ثانية. كانت أسنانه تلتهم كلما تكلم معها. يصرخ عليها لكونها بين الأقدام دائماً، تحوم عند بابه ليلاً نهاراً، تنتصت. ميشيل تعرف أسرار الجميع دائماً، ولم تكن تخوض أي جدال من دون أن

يكون لديها مستند. أتذكر ذلك وكأنه يحدث الآن منذ اكتشاف رسائلها الغريبة التي تقول فيها: إن لم يكن لديك مال فالوشاية ليست نفوذاً سيئاً، حتى ضمن أسرة الشخص نفسه.

- بن يتكلم مع نفسه كثيراً. صرّحت ميشيل عند الإفطار في أحد الصباحات. فمدّ بن يده عبر الطاولة، ضرب صحنها وأوقعه في حضانها. ثم التقطها من ياقة قميصها وهو يصرخ: اتركيني وشأني. هدأته أمي وطلبت منه أن يعود إلى غرفته، وحاضرت بنا كالمعتاد. ووجدنا بعد ذلك نثرات البيض المقذوف إلى الأعلى وقد التصقت بالثريا البلاستيكية فوق الطاولة، فبدت الثريا وكأنها آتية من صالة بيتزا.

إذاً ماذا يعني ذلك؟ بن لن يقتل عائلته لأن أخته الصغيرة اكتشفت أن له صديقة. مررت بحقل ترعى فيه الأبقار، فتوقفت بلا حراك، وفكرت بانتشار الشائعات حول تشويه القطعان، والناس يقسمون أنها كانت أفعال عبدة الشيطان. الشيطان يكمن بالقرب من مدينتنا كنساس. الشر كان فطرياً ومتجسداً كمنحدر التل. لم تكن كنيستنا مترمّمة جداً، لكن الكاهن عزّز الفكرة طبعاً بقوله: الشيطان ذو عين ماعز وميال لسفك الدماء، يمكن أن يأسر ويسود قلبك بسهولة مثل المسيح تماماً، إذا لم تكن حذراً. في كل مدينة عشت فيها، كان هناك دائماً أولاد الشيطان وبيوت الشيطان تماماً كأن يكون دائماً هناك قاتل مهرج يجول في شاحنة بيضاء. الجميع يعرفون أن هناك مستودعاً قديماً مهجوراً في طرف المدينة حيث توجد فرشاة ملطخة على الأرض، مدمّاة من الأضاحي. كل واحد له صديق، ابن عم رأى أضحية بالفعل لكنه يخاف كثيراً من إعطاء تفاصيل.

مضى على وصولي إلى أوكلاهوما عشر دقائق، ثلاث ساعات سأقضيها وأذهب، وبدأت أشتّم شيئاً حلواً بشكل لا يُحتمل لكنه فاسد. لسع عينيّ، وجعلهما تدمعان. انتابنتي رعشة سخيفة من الخوف من أن يكون تفكيري الشيطاني قد استدعى الطبيعة الوحشية، ثم مع الزمن بدّل المناخ المتغير لون الكرمة، فرأيتها كخدعة ورق جدران.

أدرت المذياع على عجل - المحطة الأولى، المحطة الثانية، الثالثة - صغير، ضجة مزعجة، سكون، إعلانات سيارات، محطات أخرى ساكنة. لذا أطفأته.

تجاوزت الآن بالفعل يافطة عليها صورة لراعي بقر كُتب تحتها - أهلاً بكم في ليد غرود، أو كلاهوما، يا صديق! - نزلت المنحدر بنجاح واتجهت إلى داخل المدينة، التي تحولت لتكون مدينة سياحية. وقد نصبت نفسها ذات مرة كموقع من الغرب القديم: الشارع الرئيسي كله واجهات من الزجاج السميك وصالونات زينة ومتاجر. كُتب على واجهة أحد المحلات (مختبر التصوير القديم)، وهو مكان تقصده العائلات لأخذ صورة مطبوعة بلون داكن عن طريق خطاف أمامي، عُلق على نافذته صورة مطبوعة، بحجم إعلان، لكاهن يحمل حبلاً لاقتناص الخيل والأبقار، يحاول أن يبدو متوعداً تحت قبعة كبيرة جداً على رأسه، وأمامه فتاة صغيرة في فستان منقط وقبعة، صغيرة جداً كي تستوعب المداعبة السمجة، والأم ترتدي لباس عاهرة وعلى وجهها ابتسامة غير مريحة، تصالب ذراعيها أمام فخذيها حيث كانت تنورتها مشقوقة طويلاً. إلى جانب الصورة عُلق لافتة كُتب عليها (للبيع)، وكان هناك شارة مماثلة أخرى على الباب المجاور. دافنز دافي تافي، شارات أكثر، مكتوب عليها للبيع على متجر بوفالو بيلز أميزينغ آرکید. وعلى واجهة متجر آخر مع مط الأسماء بشكل سخيف، وايات إيريز سالريز: بدا المكان بأكمله مغبراً، حتى حلقات الزلاجة المائية الخربة المثبتة في الأرض كانت مسدودة بالتراب. كان نزل بيرت نولان جروب للرجال على بعد ثلاث عمارات من شبكة المدينة. ساحة، وأبنية منخفضة مع فناء أمامي صغير مكسو بأعشاب ذيل الثعلب. لطالما أحببت أعشاب ذيل الثعلب عندما كنت صغيرة. كانت تروق لتفكيري البسيط، لأنها بدت لي وكأنها راسخة: سويقة نحيلة مع امتداد من الزغب في أعلاها، تشبه تماماً ذيل ثعلب، إلا أنها خضراء. نمت في جميع أرجاء مزرعتنا، والمروج التي لم تكن تمس كُرسى لهذه الأشياء. أنا وميشيل وديبي كنا نقطف رؤوسها وندغدغ معاصمنا. علمتنا أننا الأسماء المتداولة لكل نبتة: أذن الحمل، عرف الديك (الأحمق المغرور) كل تلك

النباتات التي اتخذت أسماءها وفقاً لأشكالها مثلاً: نبتة أذن الحمل كانت ناعمة مثل أذن الحمل. عرف الديك يبدو بالفعل مثل عرف ديك أحمر. خرجت من السيارة ومررت يدي أدغدغها برؤوس ذيل الثعلب. ربما سأزرع حديقة من هذه السويقات. عشبة طاحونة الهواء لها فعلاً في أعلاها مراوح مثل شفرات طاحونة، مشدّ الملكة آن عادة يكون أبيض ومكشكشاً. النبات المعترش عشب الساحرات سيكون ملائماً لي، بعض مخالبا الشيطان.

كان باب نزل بيرت نولان جروب مصنوعاً من المعدن، ومطلياً باللون الرمادي الغامق مثل غواصة، ذكرني بالأبواب في سجن بن. قرعت الجرس وانتظرت. صبيان مراهقان ركبا دراجتيهما بكسل عبر الطريق، كان للدراجات إطارات عريضة، مثيرة للانتباه. قرعت الجرس ثانية وطرقت الباب طرقة انتهت إلى صدى في الداخل. فكرت أن أسأل الشابين في الطريق إن كان هناك أحد في الداخل، لأكسر الصمت فقط. وبينما كانا يدوران قريباً مني قال أحدهما: ماذا تفعلين هنا، يا سيدتي؟ حينها انفتح الباب على رجل بحجم جنّي صغير ينتعل حذاء أبيض لماعاً، ويرتدي بنطال جينز مكويماً، وقميص رعاة بقر. يهزهز نكاشة أسنان في فمه، ويقلب صفحات مجلة عالم القطط. قال دون أن ينظر إليّ: لا نفتح لزائري الليل.. تراجع إلى الورا حين رأي. أوه، آسف يا حلوة. هنا نُزل رجال، عليك أن تكوني رجلاً وفوق الثامنة عشرة.

- أنا أبحث عن والدي. قلت وأنا أتمها بالكلام. رنر داي، هل أنت المدير؟

- ها! مدير، ومحاسب، وكاهن، وفراش، قال وهو يفتح الباب. تخلصت من الكحول، تخلصت من القمار، تخلصت من التهرب من الديون. بيرت نولان. هذا مكاني، ادخلي حبيبتني، ذكريني باسمك.

فتح باب غرفة مملوءة بالأغطية، رائحة مبيضات الغسيل تفوح من الأرض. قادني الجنّي بيرت بين صفوف من الأسرة الضيقة كل واحد فيها ما زال منبوشاً من الليل، إلى مكتب بحجمه تماماً، وبحجمي تماماً. يحتوي على طاولة مكتب صغيرة،

وخزانة ملفات، وكرسيين قابلين للطي جلسنا عليهما. لم يكن ضوء النيون موجهاً إلى وجهه الذي بدا مبثوراً وفيه غمازتان داكنتان.

- على فكرة، أنا لست عاشر الحظ، قال وهو يقذف مجلة عالم القطط إليّ. جلبت قطة، لم أقتن قطة من قبل، ولم أولع بها إلى هذا الحد. كان من المفترض أن تكون مفيدة في رفع المعنويات، لكنها حتى الآن فقط تبول في الأسرة.

تطوعت وقلت: أنا لذي قط. أدهشت نفسي بولعي الشديد المفاجئ بالقط باك. إذا ذهبت القطط خارج صندوق فضلاتها، فذلك عادة يعني أنها غاضبة.

- هل هذا صحيح؟

- نعم، لكنها من ناحية أخرى ظريفة وأليفة.

- هاه، قال بيرت نولان. إذا أنت تبحثين عن والدك؟ نعم أذكر، نحن تكلمنا في ذلك. داي. هو مثل معظم الرجال هنا؛ يفرحون إذا سأل أحد عنهم، بعد الأشياء السيئة التي ارتكبوها في البيت، وهي عادة تكون أموراً مالية، أو أموراً تتعلق بفقدان المال. لا مال، إسراف في الشرب، عدم تقديم الأفضل.

- لقد كتب لي رسالة، قال فيها إنه عاد إلى هنا.

- هل تريدون أخذه إلى البيت، لتعتني به؟ قال بيرت. كانت عيناه السوداوان تشعان وكأنه روى نكتة لنفسه.

- حسناً، أنا لست متأكدة من ذلك. أريد فقط ان أتحقق.

- ها، جيد. كان ذلك سؤالاً ملغوماً. الناس الذين يقولون إنهم يريدون العثور على واحد من رجالي ليعتوا به، لا يفعلون ذلك. قال ذلك نولان وشمشم أصابعه. لم أعد أدخن، لكن أصابعي اللعينة ما زالت لها رائحة كرائحة التبغ، أحياناً.

- هل هو هنا؟

- إنه ليس هنا. ذهب ثانية. أنا لا أسمح للسكّيرين بالبقاء هنا، وهو نال التحذير الثالث.

- هل قال إلى أين ذهب؟

- آه يا عزيزتي، أنا لا أصرّح بالعناوين هكذا، لا أفعل ذلك. وجدت أن هذه أدنى طريقة لتجنب كل الأسئلة. لكني سأخبرك شيئاً، لأنك تبدين سيدة لطيفة.

سُمع صوت صراخ من خارج المبنى بررررر.

- آه، تجاهلي ذلك، إنه واحد من رجالي يحاول الدخول باكراً فقط. ذلك شيء آخر تعلّمي ألا تفعلينه أبداً. لا تدعي أحداً يدخل مبكراً، ولا تدعي أحداً يدخل في وقت متأخر.

فقد سلسلة أفكاره وحملق إليّ بترقب.

- إذاً. قلت إنك ستخبرني شيئاً؟ ذكّرتّه.

- ماذا؟

- كيف يمكنك مساعدتي لأجد أبي؟

- أوه، صحيح. يمكنك ترك رسالة هنا معي.

- سيد نولان. لقد فعلت ذلك قبل الآن. ولهذا أنا هنا. أنا بحاجة ماسة جداً لأجده.

ضبطت نفسي وقد وقفت وقفة رنر، راحتاي على حافة الطاولة، مستعدة لأن أثب عالياً إذا جن جنوني.

أمسك نولان تمثالاً صغيراً من الجص لرجل أصلع عجوز، يبعد ذراعيه كتعبير عن السخط، لكني لم أستطع قراءة الكلمات المكتوبة على قاعدة التمثال. بدا أن بيرت يجد بعض العزاء في ذلك الشيء. أطلق تنهيدة من بين شفّتين بالكاد

مفتوحتين.

- حسناً يا عزيزتي، سأخبرك شيئاً، قد لا يكون هنا، لكني أعرف أنه لا يزال في ليد غرود. رآه أحد رجالي البارحة بالضبط يخرج من حانة كوينز. هو يسكن في مكان ما، لكنه في الجوار. فقط أعدي نفسك لبعض خيبة الأمل.

- خيبة أمل، بماذا؟

- أوه، سمّها أنت.

عندما وقف بيرت نولان ليقودني خارج مكتبه. أدار ظهره لي، فالتقطت على الفور تمثاله الصغير. لكنني تظاهرت بأني أعيده إلى مكانه، وأخذ كيس الذرة وقلم رصاص بدلاً منه، كان هذا تقدماً. وضعت تلك الأشياء في السيارة إلى جانبـي في المقعد وأنا أقود إلى البار القريب، كوينز.

حانة كوينز لا تعطي طابع الغرب القديم. هي قذارة نشطة في أيامنا هذه. ثلاثة وجوه مجعّدة حدقت إليّ بينما كنت أفتح الباب، بمن فيهم النادل. طلبت شراباً، قال الرجل إنه مضطر أن يرى رخصة القيادة. حملها عالياً إلى الضوء ثم أنزلها قرب بطنه وهو يهمهم. حين لم يستطع أن يثبت أنها مزورة. احتسيت الشراب وجلست، كي يألفوا وجودي هناك، حينها تكلمت. حالما نطقت كلمة رنر، هب المكان.

- ذلك الحمار سرق مني ثلاثة طرود من الشراب، قال النادل. تجول في الجوار وعاد في وضح النهار وأخذها من الشاحنة. لي في ذمته العديد من الطلبات، صدقيني.

أمسك ذراعي رجل متوسط العمر أيضاً وبقسوة قال: أبوك اللعين يدين لي بمئتي دولار كما أريد منه ان يعيد لي آلة جز العشب. أخبريه أنني أبحث عنه.

- أعرف أين يمكنك العثور عليه. قال شاب كبير ذو لحية تشبه لحية همغواي وفي بنية فتاة.

- أين؟ قال الجميع في الحال.

- يراهن بأي شيء، يعيش مع بقية المحتلين للأرض، يعسكر في موقع سوبر فاند. عليك أن تري ذلك الموقع. أضاف موجهاً حديثه للنادل أكثر مما يوجهه لي. إنه مثل هوفر فيل، أيام زمان؛ مواعد نار وأكواخ قصب.

صاح النادل: لماذا، بحق الجحيم، يعيش أي شخص في موقع سوبر فاند؟

- حسناً، أنت تعرف أن لا أحد من الحكومة سيذهب إلى هناك. جميعهم ضحكوا غاضبين.

- هل الذهاب إلى هناك آمن؟ سألت. وتخيلت براميل النفايات السامة ورواسب باللون الأخضر الليموني.

- بالتأكيد، إن لم تشرب.ي من مياه البئر وإن لم تكوني جرادة. رفعت حاجبي.

- ذلك ما هي عليه: المنطقة كلها متشربة بالزرنِيخ. إنها مقبرة نفايات أعدت كي تكون طعوماً للجراد.

أضاف النادل: (ولذوي الرؤوس الخرائية).

بن داي

2 كانون الثاني 1985

8:38 مساءً

انطلقوا بالسيارة نحو المدينة، وبدأ الثلج يتساقط. تذكر بن للتو أنه ترك دراجته عند المستودع، ومن المحتمل أن تكون قد سُرقت الآن. هيه، صاح بصوت عال باتجاه المقعد الأمامي حيث كان تري وديوندر يتحدثان، لكنه لا يستطيع سماعهما بسبب الموسيقى الصاخبة المنبعثة من الراديو كصوت شق لوح معدني، وي-بيبيير - وي-بيبيير، أيمكننا التوقف قليلاً عند المجمع لأتمكن من أخذ دراجتي؟

تبادل تري وديوندر النظرات.

ردت ديوندر مكشرة لا، وشرعا يضحكان. اعتدل بن بجلسته إلى الوراء لبرهة، ثم عاد وانحنى إلى الأمام قائلاً: أنا جاد، أحتاجها.

- انسها، أيها المتأنق، قال تري. لا يمكنك ترك قشّة عند المجمع.

دخلوا بسيارتهم إلى جادة بلهاردت، الشارع الرئيسي في المدينة، حيث لا شيء يحدث كالعادة، ملهى الهمبرغر كان صورة صفراء لامعة يظهر فيها بضعة فرسان وصاحباتهم، ينثنون بعضهم على بعض. المحلات كانت سوداء، حتى البار بدا بالكاد مفتوحاً؛ يمكنك فقط رؤية ضوء خافت من المستطيل الوحيد في نافذة الواجهة

الأمامية. الباب نفسه كان مطلياً بالأزرق الداكن ولا يُظهر شيئاً.

ركنوا السيارة عند الواجهة تماماً، ديوندر ما زالت تنهي بيرتها، انتزعها منها تري وشرب ما تبقى قائلاً: الجنين لن يتأثر. على الرصيف، كان هناك رجل عجوز، وجهه فوضى من التجاعيد، أنفه وفمه كأنهما منحوتان من معجون صلصال، عبس في وجههم للحظة ومشى إلى داخل البار.

- هيا لنفعلها، قال تري. وهم بالخروج من الشاحنة، لكنه تردد حين رأى بن ما زال جالساً في الخلف، ويداه على ركبتيه، أسند تري رأسه إلى الخلف في السيارة وابتسم ابتسامة فعالة قائلاً: لا تقلق، أيها المتأنق، أنت معي. أنا أشرب كثيراً في هذا المكان. هيه! جميل جداً أن تزور والدك في المكتب.

فتلت ديوندر عقصات شعرها الملتفة، بطريقتها الخاصة في تمرير أصابعها خلال العقصات، ولحقاً معاً تري إلى الداخل. ديوندر بشفتيها المزمومتين وعينيها الناعستين بشكل مغر، كما تبدو في معظم صورها، وكأنك أيقظتها من حلم كانت تراه عنك. بن كان إلى جانبها يشعر أنه مهاجم وكان مكتئباً كالعادة، يجر قدميه بسداجة. كان البار مفعماً بالدخان الكثيف الذي صدم بن حالما دخل. ديوندر الآن تحمل سيجارة مشتعلة، وتتهادى إلى جانبه كأن ذلك يجعل منها أكبر سناً. انطلق شاب عصبى، رأسه مرقع بالشعر مثل طير منتوف، مسرعاً نحو تري. أخفض رأسه وهمس بشيء ما في أذن تري، فأوماً تري، وهو يمصّ شفثيه بين أسنانه، وينظر باهتمام وجدية. اعتقد بن أن ذلك الشاب قد يكون المدير، وقد يطردهم خارجاً، لأن ديوندر ربما تجاوزت عمرها بمكياجها الزائد ولكن بن لم يتجاوز عمره. إلا أن تري ربت على ظهر الشاب فقط، وقال شيئاً مثل: لا تدفعني للقتص يا رجل. فكشر الشاب العصبى تكشيرة كبيرة ضاحكة.. لا، لا، لا، لا تقلق بشأن ذلك، لا تقلق أبداً، أبداً. فقال تري: الأحد. سبقهم الشاب إلى المشرب، طلب ثلاث كؤوس من الشراب وشقة من السوكو ارتشفها فوراً.

كان النادل عجوزاً آخر، رجلاً بديناً وأشييب، بدا الأمر كأنه مزحة. كم يتشابه هؤلاء المتمدّنون. كأن الحياة كانت صعبة جداً لتمحو ملامحك تماماً، وتمسح أي شيء معبر فيها.

ألقي النادل على ديوندرنا وتري نظرة رجل حكيم، وكأنه يقول (تماماً كما تعلم، أنا أعلم) لكنه قدم لهما عبوتي شراب. تنحى بن عن المشرب ليشرّب ببيرتة. وضع قدماً واحدة مقابل الكرسي بطريقة بدت اعتيادية، كأنه فعلها من قبل، لأنه شعر بأن عينا تري كانتا عليه، يبحث عن أي شيء ليسخر منه.

- أنا أراه، أرى رنر، قالت ديوندرنا. وقبل أن يتمكن بن من أن يسألها لماذا تلفظ اسمه بهذه السهولة، كان تري ينادي بنفس الطريقة: هيه رنر، تعال إلى هنا. اتخذ رنر مظهر المراوغ العصبوي نفسه الذي كان لدى الرجل الأول.

جاء رنر متمهلاً بمشيته المتأرجحة تلك، يداه معلقتان في جيبه، عيناه كبيرتان وصفراوان.

- أنا لا أملكها، هي كلمة واحدة يا رجل، لا أملكها. حاولت أن أتدبرها في وقت أبكر، لكنني حقاً كنت سآتي وأحاول العثور عليك، أتيت إلى هنا بنفسني. ربما يمكنني أن أعطيك آخر ما عندي من المخدرات في الوقت المحدد..

- ألا تريد أن تسلم على ديوندرنا؟ قاطعه تري.

أجفل رنر، ثم ابتسم: أوه، مرحباً يا ديوندرنا، هيهيه، لا بد أنني ثمل الآن، غير واع! تظاهر رنر بإغلاق عين واحدة ليستطيع أن يرى أفضل. قفز قفزة بسيطة على رؤوس أصابعه. هيه، أشرب لوحدي كالأحوّل لأنني مصدوم جداً من هذه الحالة.

- رنر، أتريد أن تنظر إلى من هو بجانب ديوندرنا؟ قاطعه تري. استدار بن قليلاً ليوواجهه. كان يحاول أن يجد ما يقوله إضافة لذلك، مثل: مرحباً بابا، لكنه لم يستطع. لذا فقد وقف هناك فقط، ينتظر حدوث شيء سيئ يتعذر اجتنابه.

حدق رنر خلال عتمة البار ولم يتعرّف إلى بن.

- هاي.. أنت قال، ثم وجه كلامه إلى تري: هل هو ابن عمك؟ لا أستطيع الرؤية جيداً. رؤية معتمة، أحتاج لأن أتلّمس لكن..

- أوه، يا إلهي، قال تري وانقلب إلى الوراء متظاهراً بالضحك. لكنه بدا ساخطاً.

- ألقى نظرة أخرى يا قدر. كان بن غير متأكد إن كان من المفترض به أن يظهر نفسه بشكل أفضل، مثل بنت تسعى للاحتيال. وبدلاً من ذلك وقف صارماً. يحدق في الاسوداد المفاجئ لشعره في مرآة قديمة على الجدار البعيد، وهو يراقب رنر يدبّ آتياً إليه، باسطاً يده باتجاهه كما في الحكايا الخرافية وكأنه كان قزماً خرافياً وكأن بن كنز ثمين. استمر في الاقتراب حتى تعثّر بقدم بن، وعندها حصل تماس بالأعين فصاح رنر بصوت يشبه العواء: أووووه وبدا أكثر عصبية. الشعر ليس أحمر.

- أنت تذكر ابنك، صحيح، هذا هو ابنك، أليس كذلك رنر؟ قال تري.

- إنه ابني! هيه بن. لا يمكن لأحد أن يلومني على ذلك، الشعر ليس أحمر. أنا، أنا لا أعرف حتى أنك تعرف تري.

هز بن كتفيه، وهو يراقب انعكاس صورة رنر وهو يبعد عنه في المرآة، وتساءل بينه وبين نفسه بكم يا ترى يدين رنر لتري، ولماذا يشعر وكأنه كبش فداء. ليس رنر من سيهتم بالفعل إن كان بن ضحية. وتساءل أيضاً: كم هي هذه الزيارة غير مقصودة وكيف بدت ارتجالية. لكنه يخمّن الآن أنهما أعدّا نفسيهما لقضاء الليلة هنا.

- لم أفهمها يا رنر. تابع تري حديثه بصوت أعلى من موسيقى الكنتري بدرجة واحدة.

- أنت تقول إنك لا تملك أي مال. وبين هنا يقول إنك لا تملك أي مال، وحتى الآن لديك كل ذلك المخزون الهائل من المخدرات منذ بضعة أسابيع فقط، قال رنر:

ومع ذلك تريد صنفاً جيداً وأدار كتفه باتجاه تري، مستبعداً بن من المحادثة ويرمي نظرات خاطفة عليه من الخلف، يحاول دفع تري نحو منتصف الغرفة باقترابه منه أقرب فأقرب، وتري لا يتحرك، أخيراً قال له: انصرف عني يا رجل، ووقف على كعبيه.

- لا، لا يا رجل، معك حق، تلك لم تكن من النوع الجيد، تابع تري، لكنك تطلب ثمنها وكأنها كذلك.

- أنا لم أطلب منك شيئاً أبداً، أنت تعرف.

- لم تطلب مني لأنك مدين لي، يا قدر. لكني أعرف الحقيقة، أنت كنت تطلب عشرين دولاراً ثمن كيس كلفته عشرة سنتات. والآن أين النقود. تعطيها لزوجتك لتحتفظ لك بها؟

- السابقة! زوجتي السابقة، صاح رنر. ثم قال: كنت أحاول أن أحصل منها على نقود، لكنها لم تعطني. أعرف أن لديها نقوداً هناك. حتى عندما كنا متزوجين، كانت تخبئ النقود. لفّات منها. مئات، كلها من ريع المحاصيل، تكدسها في أماكن مضحكة. وجدت في إحدى المرات منتي دولار في سروالها الداخلي الطويل. ربما علي أن أعود. ألقى نظرة على بن، الذي كان يستمع لكنه يتظاهر بأنه يداعب ديوندا، يقتل شعرها بإصبعه، وديوندا كانت تجاربه إلى حد ما.

- هل لي أن أتكلم معك حول الوضع هناك على انفراد؟ وأشار إلى زاوية حيث كان ثلاثة رجال بضخامة البحارة الذين يقطرون السفن يلعبون البليارد. كان الأطول فيهم، رجلاً عجوزاً بشعر أشيب، نحيلاً، وموشوماً بوشم البحارة. أسند عصا اللعب جانباً وأعلن فوزه عليهم بغرور.

- تمام، قال تري.

- يمكنك أن تتكلم أمامي، قال بن محاولاً أن يبدو غير مهتم.

- ابنك يحتاج مالاً منك، مثلي تماماً. قال تري، وربما أكثر مني.

تحول رنر من موقع الضعيف تحت عيني تري السوداوين، وتوجه إلى بن، وهو يشد قامته إلى الأعلى ليصبح بطول بن الذي شب منذ الصيف وهو أطول من رنر بقليل الآن حيث أن رنر طوله 5,5 قدم وبن أصبح طوله 6,5 قدم.

- هل تدين لتري بالمال؟ أمك قالت إنك واقع في ورطة. هل تدين لتري؟ ونفخ على بن نفساً أصفر، شراباً وتبغاً، وربما سلطة تونا بالخردل. فتقلصت معدة بن: لا، لا! وأدرك أن صوته بدا عصبياً، مروعاً. بدلت ديوندرأ رأيها فيه وأصبحت إلى جانبه.
- أنا لا أدين لأحد، قال بن.

- إذاً لماذا يجب أن أعطيك مالاً أشقى في الحصول عليه، هاه؟ قال رنر بصوت لاذع. ذلك ما لم أفهمه، فكرة الحسنات تلك: نفقة الزوجة، إعالة الأطفال والحكومة تمد أيديها إلى جيوب-ي. أنا بالكاد أعيل نفسي، لا أعرف لماذا يعتقد الناس أنه عليّ أن أعمل ثلاثة أعمال إضافية لأعطي مالاً لزوجتي. تلك التي تملك مزرعتها الخاصة، وبيتها في المزرعة. ولها أربعة أولاد يساعدها للقيام بها.

- أقصد، أنا واثق كجهنم أنني لم أكبر وأنا أفكر أن أب-ي مدين لي بالعيش وأن عليه أن يعطيني مالاً لأشتري أحذية (نايك) ونفقات الكلية وكي ألبس قمصاناً وأشتري طعاماً. قال بن وهو ينظر إلى حذائه الخرب والمتسخ بالسوائل.

- ماذا يكون ذلك؟ ما الذي تقوله لي؟ كان رنر واقفاً في وجهه الآن، وحدقتاه الزرقاوان تجولان في الدائرة الصفراء مثل سمكة على سطح بحيرة راكدة.
- لا شيء، تمتم بن.

- تريد مالاً لصبغة شعرك، هذه هي الحكاية؟ تريد مالاً لصالون التجميل؟
- يريد مالاً من أجل فتاته.. بدأ تري الكلام، لكن ديوندرأ أسكتته بصراخها لا، لا، لا.

- حسناً، أنا لست مسؤولاً بلا شك عن شراء حاجيات لفتاته، قال رنر. هل أنت

صديقته الآن يا ديوندر؟ ما أصغر العالم! لكن لا شك في أن تلك ليست مهمتي.
توقف الرجال على طاولة البليارد عن اللعب فيما بينهم، يستهجنون المشهد، ثم
وقف الرجل الأشيب ببطء، ووضع كتفاً قوية على كتف تري.

- هل من مشكلة يا تري؟ هنا رنر، وهو كفو لحلها. أعطه أربعاً وعشرين ساعة
أخرى، تمام؟ دع الموضوع عليّ. أتفهم؟ ووقف الرجل وقفة رياضية، وكالمغناطيس
أنهض تري واقفاً على قدميه، لكن يديه المعضلتين القويتين ضغطتا على كتفيه.
ابتسم رنر وهزّ حاجبيه إلى الأعلى والأسفل لبن، مشيراً له بأنهما سيكون كلاهما
مسروراً وهو يقول: لا تقلق يا صديقي، كل شيء على ما يرام. ثم قال لبن: الأمر
الآن تمام.

ثبت تري كتفه تحت يد الرجل، وبدا أنه سيزيحها، لكنه فكر في حل وسط وقال:
بالتأكيد - أربع وعشرون ساعة لا بأس، يا وايتي، على مسؤوليتك.

- أقدّر لك ذلك، يا أصيل، قال الرجل: غمز بعينه، وأصدر صوتاً مرحاً من فمه
كالصهيل وكأنه ينادي حصاناً، ثم عاد وانضم إلى رفاقه. علا صوت ضحكات من
المجموعة مباشرة، قبل أن تطلق كرة البليارد.

- يا قطعة فرج قدرة، قال تري لرنر، ليلة الغد هنا. يجب أن تساعدني، يا رنر،
وإلا فإنني سوف أؤذيك.

ابتسامة رنر المعبرة عن النصر كانت غير طبيعية، فقد بدت كابتسامة عيد
الهالوين، باهتة، أوماً برأسه مرتين، وبينما كان يستدير نحو البار، ردّ بنزق،
حسناً: لكن حتى ذلك الوقت ابقَ بعيداً عن عملي.

- يا رجل، أنا لا أستطيع الانتظار حتى تنهي عملك.

عندما همّوا بالمغادرة، انتظر بن من رنر أن يقول له شيئاً مثل: آسف، أراك
لاحقاً، أي شيء. لكن رنر تكلم مباشرة مع النادل ليعطيه كأساً واحدة على حساب

المحل، أو ربما على حساب وايتي. وايتي قد يسانده في هذه الجولة. وفي الحال نسي بن، ونسي أيضاً تري وديوندر اللذين كانا ينطلقان عبر الأبواب. وقف بن ويدها في الجيبين الأماميين من بنطاله، ألقى نظرة على نفسه في المرآة، إنه يبدو مختلفاً، هكذا رأى نفسه وهو يستدير نحو رنر.

- هيه، آه، بابا، قال بن. فرغ رنر نظره، متضيقاً من أن بن ما زال هنا. إنه شعور بالانزعاج، جعل بن يرغب في إكراه أبيه على احترامه. شعر بتناغم زائف من الصداقة الحميمة قبل - تلك الكلمة، رفيق - أرادها أن تتكرر.

تخيل، بلمحة سريعة، أنهما، هو وأبوه، يجلسان إلى البار، يشربان معاً. ذلك ما أرادته من الرجل، مجرد أن يشربا معاً بين فترة وأخرى. أريد فقط أن أقول لك شيئاً قد يجعلك تشعر، لا أعرف، حسناً... وبدأ يبتسم وهو لا يقوى على الوقوف.

جلس رنر هناك، عيناها ناعستان، لا تحملان أي تعبير.

- أنا، أوه، ديوندر حامل، أنا، أوه، نحن، أنا وديوندر سنرزق بمولود

عندها انشقت شفثاه عن ابتسامة عريضة. هو للمرة الأولى يشعر حقاً أنه بخير. قالها بصوت مرتفع كأنه يقول: سأصبح أباً، أباً مع ولد صغير يُعتمد عليه. أدار رنر رأسه إلى جنب، رفع كأسه بتكاسل وقال: تأكد أنه ابنك، أنا أشك أنه ابنك. وأدار ظهره لبن.

في الخارج ركل تري جانب شاحنته، وهو يصرخ من بين شفثتين مغلقتين قائلاً: هل أخبرك إن من الأفضل لذاك الطاقم من البحارة أن يموت فوراً - لأنني تعبت حتى الموت من حمايتهم - تقولين لي: إن مقامه رفيع المستوى، إنه ليس كذلك، إنهم ثلة من الشيايب يحاولون الصمود حتى آخر لحظة من العمل قبل أن يبدؤوا التغطوط في ثيابهم ويصبحوا بحاجة إلى بطاقات تعريف تلازمهم كي يُعرفوا من يكونون. يا لوايتي اللعين. ثم أشار إلى بن بإصبعه. كان الثلج يهطل في كل مكان، فيعلق على

قميص بن ويذوب على رقبته. ورجلك العجوز قطعة من القذارة، إذا كان يعتقد أنني أصدق هراءه. أرجو ألا تكون على تواصل معه لأنني أود أن أرميه كقطعة خراء.

- دعنا نذهب الآن يا تري، قالت ديونдра وهي تفتح باب السيارة وتدخل بن إلى المقعد الخلفي. أب.ي سيأتي إلى البيت في الأسبوع المقبل، وسأكون في عداد الأموات على كل حال.

أحس بن وكأنه يصفع نفسه. الشيء الوحيد الذي يُفترض أن يقوله بدهه على رنر. كان بن غاضباً جداً وهو يجلس في المقعد الخلفي، فبدأ يلكمه بشكل أعمى، والكلمات اللاذعة تنطلق من فمه: حقير، حقير، حقير، رفس الفرش، ضرب أصابع يده على سقف السيارة، نطح زجاج النافذة برأسه مرات متتالية إلى أن سال الدم من جبهته ثانية، وديونдра تولول. حبيب.ي، حبيب.ي، ماذا جرى لك؟

- أقسم بالله، أقسم بالله، ديونдра، اللعنة.

الإبادة.

لم يستطع أن يقول لديونдра إنه أخبر أباه.

يجب أن يموت أحد ما، وضع رأسه بين يديه. أحس بتري وديونдра يتشاوران بهدوء، وأخيراً قال تري إن أباك كيس زباله، أيها المتأنق. ثم بدّل ناقل الحركة في السيارة إلى وضعية الرجوع إلى الوراء فزعقت الإطارات وهو ينطلق إلى الشارع، ضارباً رأس بن بالنافذة.

مدّت ديونдра يدها إلى الخلف وداعبت شعر بن إلى أن هدا واعتدل في جلسته، مثل كومة. كان لون وجه ديونдра أخضر تحت مصباح السيارة. وفجأة تخيل بن كيف ستكون بعد عشرين سنة، مترهلة وكثيرة البثور، كما تصف هي أمها. بشرتها قاسية ومجعدة، تلمع ذلك اللمعان الكهربائي من أثر الكريم الذي تدعكها به.

- هنالك كمية مخدرات في تابلوه السيارة قال تري، فانحنت ديونдра وفتحته وبدأت

تبحث فيه. سحبت غليوناً من الحجم الكبير وحشّته بأوراق الحشيش. فتناثر في كل مكان. ثم أشعلته وسحبت نفساً منه ثم مررته إلى تري. وصل الغليون إلى يد بن، وكان الآن مرهقاً تقريباً، يرتجف من قلة الطعام، ويشعر بدوار من التمتع أنوار الطريق، لكنه لا يقوى على المغادرة. منع تري الغليون عن بن وقال: أنت تعرف أنك لن تحب هذا يا رفيقي، إنه لي ولديوندر. هذه جرعة قاسية جداً، وأنا جاد يا ديوندر، قد نفعها الليلة. أحتاج لقوة في داخلي، لم أشعر بها منذ وقت طويل. قد تحصل الليلة.

بقيت ديوندر تنظر إلى الأمام، والثلج يعصف في دوائر.

- قد يحتاجها بن أيضاً ودفع بالغليون إليه.

- تمام، لنفعها إذاً. خذ اليسار هنا، قالت ديوندر.

عندما سأل بن عما يجري، ابتسما له ولم يقلوا شيئاً.

ليبي داي الآن

كانت السماء أرجوانية بشكل غير طبيعي حين غادرت حانة ليدغروود، أدخل في طرق خلفية باتجاه موقع سوبر فاند. تساءلت ماذا يُقال عني يا ترى؟ أب.بي يعيش في مدفن للنفايات السامة وأنا حتى الآن لا أعرف ولا أهتم. طعم الجراد السام: هو عبارة عن نخالة ودبس السكر والزرنيخ، استخدم ليساعد في القضاء على وباء الجراد في ثلاثينيات القرن الماضي، وحين لم يعد الناس بحاجة له، دفنوه في أكياس كانت نوعاً من القبر المفتوح، وأخذ الناس يمرضون.

تمنيت لو كان أحدهم معي، لايلاً مثلاً، يتململ في المقعد إلى جانبي في سترته الضيقة. كان عليّ أن أتصل به. لكنني في اندفاعي العصباني للوصول إلى هنا، لم أخبر أحداً أين أنا. لم أستخدم بطاقتي الائتمانية منذ أن ملأتها في مدينة كنساس. إذا حصل لي مكروه، فلن يفتقدني أحد لأيام عدة. أولئك الشباب في الحانة سيكونون المفتاح الوحيد لحل لغز أين سأكون، وهم لا يبدو مواطنين طبيين.

هذا أمر سخيف، قلت بصوت مرتفع كي أدرك طبيعة الأمر. ارتعشت حين فكرت بالسبب الذي دفعني للبحث عن رنر: عدد لا بأس به من الناس اعتقدوا أنه هو من قتل آل داي. لكنني ما زلت لا أستطيع أن أدخل هذه الفكرة في رأسي. انا أجد صعوبة حتى من دون التبرير الذي قدمه رنر للمحكمة، في تخيل رنر وهو يحمل الفأس، في

الحقيقة، يمكنني أن أراه يلتقط بندقية بانفعال - يرفع الزناد ويطلق، بووو - لكن الفأس لا تناسبه، تتطلب جهداً أكبر. بالإضافة إلى أنه وُجد في صباح اليوم التالي في البيت وهو ما يزال نائماً متهاكاً. قد يكون رنر شرب حتى يشمل بعد قتل عائلته، نعم، لكن لم تكن لديه المقدرة على ضبط نفسه وترك المراهنة. يمكن أن يفِر ويصرّح من غير قصد بجريمته لكل شخص.

كان مكب النفايات معلّم بسياج معدني رخيص، تتخلله مواضع مقطّعة ومفلولة. نمت في كل مكان فيه حشائش بارتفاع الخصر تشبه عشب بيراري، والتمعت مواقد صغيرة في المدى. قدت سيارتي على طول الحدود الخارجية للسياج. الأعشاب والحصى تخشخش تحت جسم السيارة بإلحاح أكثر فأكثر إلى أن وصلت إلى نقطة توقف. أغلقت السيارة بمفتاح الأمان وعيناوي كانتا على السنة اللهب البعيدة تلك. سأسير قرابة عشر دقائق كي أصل إلى المخيم. تسللت بسهولة من خلال فتحة أسلاك مقطّعة في السياج إلى يميني، وبدأت أمشي. أعشاب ذيل الثعلب تضرب ساقي. السماء تنسحب بسرعة الآن، والأفق مثل بشرة وردية تماماً. تحققت من أنني كنت أدمدم لنفسي أغنية فرقة العم جونز دون سبب واضح.

أشجار هزيلة واقفة في رقعة منبسطة من الأرض. لكن المئة يارد الأولى كانت كلها مكسوة بأعشاب متوسطة الطول تتمايل. وللمرة الثانية تذكرت طفولتي. الشعور بالأمان ينبعث من كل ذلك العشب، يمس أذنيك ومعصميك وجوانب بطي ساقيك، كأن النباتات كانت تحاول تهدئك. خطوطُ بضع خطوات واسعة ودفعت مقدمة حذائي بقوة داخل أضلاع امرأة، أحسست فعلاً بالعظم والجلد ينزلق بينها. كانت المرأة قد تكوّمت على الأرض في حومة من البول. ذراعاها ملتفتان حول زجاجة كحول بلا لصاقة. اعتدلت في جلستها مترنحة، ثملة، جانب من وجهها وشعرها ملطخ بالوحل. أسكتتني بوجهها الذابل وأسنانها الجميلة وهي تقول ابتعدي عني، ابتعدي عني ما هذا بحق الجحيم؟ صرخت متراجعة إلى الخلف وركضت بضع خطوات أبتعد عنها. ذراعي في الهواء كأنني خائفة من لمسها. مشيت بخفة، أحاول أن أتظاهر وكأن

شيئاً لم يكن. أقفز خوفاً من أن تظهر المرأة ثانية، لكنها استمرت في الصياح ورائي، بين كل جرعة وأخرى من الزجاجاة: إليك عني، إليك عني. وتحولت الصرخات إلى أغنية والأغنية إلى نحيب.

صرخات المرأة أثارت حفيظة ثلاثة رجال، ظهرت وجوههم من خلف أيقة متشابكة من الأشجار كنت أمشي نحوها. حدق اثنان منهم إليّ بنظرة مولع بالقتال. الأصغر فيهما، كان رجلاً مثل الهيكل العظمي، ربما في الأربعينات من عمره. انطلق يركض نحوي مجهداً يحمل عصاً مشتعلأ رأسها. تراجعت خطوتين إلى الوراء وتسمرت في المكان.

من هناك؟ من هناك؟ صرخ. ضعف لسان اللهب في مشعله من هبة ريح ثم أجّ حينما اقترب مني. تعثر الرجل في خطواته الأخيرة، ثم وقف أمامي، يحملق بصعوبة بسبب الجمر والدخان، تحوّل اندفاعه إلى عبوس بانطفاء النار. ماذا تريدان، يجب ألا تكوني هنا. عليك الحصول على إذن للدخول إلى هنا، ذلك غير مسموح.

كان الرجل جاحظ العينين وملطخاً في كل مكان، لكن شعره كان أصفر لامعاً، مثل قبعته، وكأنه الشيء الوحيد الذي اعتنى به. غير مسموح، قال ثانية، موجهاً كلامه نحو الأشجار أكثر من أن يوجهه لي. تمنيت لو أنني جلبت مسدسي معي، وتساءلت متى سأتوقف عن أن أكون غبية ملعونة هكذا.

أنا أحاول العثور على رجل باسم رنر داي. لم أعرف إذا كان أبي قد اتخذ اسماً مستعاراً، لكنني افترضت أنه حتى لو كان كذلك، فهو يمكن ان ينساه بعد الجرعة الثالثة أو الثامنة من الشراب. وكنت محقة.

رنر؟ ماذا تريدان من رنر؟ هل سرق لك شيئاً؟ ماذا أخذ؟ هو أخذ ساعتني ولم يرجعها إليّ. تلوى الرجل في بعضه مثل طفل، انزعج من زر مفقود في أسفل قميصه.

في نهاية الممر، وعلى بعد أربعين قدماً تقريباً... نظر الرجل ذو الشعر الأصفر

يتوهج زرنخ الجراد؟

بينما كنت أتجه نحو الصهريج، سمعت أصداء مضخمة لتحركات رنر، تشبه وقع خطا خنفسة على طبل معدني. كان يهمس لنفسه بطريقة تدريسية، وبصوت تأديبي - حسناً، أظن أنه كان عليك أن تفكر بذلك من قبل، سيد سمارتي.. وكان الصهريج يبث الجلبة خارجاً نحو السماء، التي كانت الآن كالبنفسجة في ثوب حداد... نعم، أظن أنك حقاً فعلتها هذه المرة يا رنر مان.. كان يقول. كان الصهريج بارتفاع عشر أقدام تقريباً، مع سلم منصوب من جانب واحد، بدأت أسحب نفسي إلى الأعلى منادية اسم أبي.

- رنر، هذه ليبي، ابنتك. قلت بصوت عالٍ. صدأ السلم أصاب يدي بالحكة. أتت من الداخل أصوات غرغرة في الحلق. تسلقت بضع درجات أخرى، وحدقت إلى داخل الصهريج.

كان رنر منحنيّاً على وسطه، كي يصل إلى أرض الصهريج، وفجأة قذف خبيصاً من طعام كروي الشكل، أرجواني اللون، مثلما يبصق رياضي علكة. ثم تمدد على منشفة بحر قدرة. عدل قبعته البيسبول على رأسه من جنب إلى جنب، هز رأسه وكأن عملاً ما في مكان ما، قد أنجز بشكل جيد. نصف دزينة من الأضواء الومضية تلمع حوله مثل الشموع، تنير تضاريس وجهه الأسمر الضارب إلى الصفرة، وكومة من الخردة، أفران تسخين دون أزرار، تنكات، كومة من الساعات وسلاسل ذهبية، وبراد صغير لم يكن متصلاً بأي مقبس كهربائي. تمدد على ظهره في استرخاء كأنه يتشمس، إحدى ساقيه تصالب الأخرى. الشراب على شفتيه، واثننا عشرة علبة كرتونية موضوعة إلى جانبه. صحت باسمه ثانية، اتجه موسعاً أنفه نحوي حين رأي، مثل كلب صيد حقير. تلك كانت واحدة من حركاتي.

- ماذا تريدان؟ صرخ رنر عليّ، أصابعه مطبقة على علبة الشراب. أخبرت الجميع أنه ليس هناك تجارة الليلة.

- رنر، هذه ليب.بي، ليب.بي، ابنتك.

عندها رفع نفسه على كوعيه، برم قبعته إلى الخلف. ثم مسح يداً فوق الباقي من اللعاب الجاف على ذقنه، فأزال جزءاً منه.

- ليب.بي؟ واندفع حينها بابتسامة عريضة. صغيرتي، صغيرتي ليب.بي! حسناً، انزلي يا حبيبتي! تعالي وسلّمي على أبيك العجوز. استقام في وضعيته واقفاً في وسط الصهريج، كان صوته يصدر عميقاً وملحناً فتردد صداه الجدران.

الأضواء الومضية أعطته إشعاع نيران المخيم المجنونة، ترددت على السلم المعقوف فوق غطاء الصهريج فتوقف هو.

- ادخلي، ليب.بي، هذا بيت رجلك العجوز الجديد، ورفع يديه إليّ. السقوط إلى داخل الصهريج لم يكن خطراً، لكنه لم يكن سهلاً.

- هيا! يا إلهي، كم من المسافات قطعت لرؤيتي، والآن تصبحين خوافة جبانة. قال رنر بصوت عالٍ. عند ذلك أرجحت ساقِي فوق الحافة وجلست على الإطار مثل سبّاح عسبي المزاج. وبعد كلمة يا إلهي أخرى قالها رنر بدأت بالنزول على نحو مربك. كان رنر سريعاً دائماً في وصم أطفاله بالبكائين الجبناء. انا عرفت الرجل فعلاً لصيف واحد فقط، وكان ذلك الصيف جحيماً. كانت سخريته تنصبّ دائماً عليّ: أذكر أنني كان عليّ ان أنهي أرجحتي على غصن الشجرة، أنطلق من مخزن التبن وأرمي نفسي في الجدول رغم أنني لا أستطيع السباحة، ولم أشعر بالانتصار بعد ذلك، ما شعرت به كان مجرد الخذلان، والآن كنت أنزل نفسي داخل صهريج صديء. حين بدأت ذراعي بالارتجاف، وساقاي تصطكان، انتفض رنر والتقطني من خصري، أزاحني عن الجدار، وبدأ يدور وهو ممسك بـبي بإحكام، دوائر جنونية. ساقاي القصيرتان تلوحان حولي كأنني عدت إلى عمر السابعة ثانية، وبدأت أصارع لأثبتهما على الأرض، ذلك ما جعل رنر يتمسك بـبي أكثر، انزلق ذراعه إلى أسفل ثديي، أظير مثل لعبة قماشية.

- توقف يا رنر، أنزلني، توقف. كنت أصيح. ارتطمنا بمصباحين ومضيين فذهبا يتدحرجان، أشعثهما تتواثب في كل مكان. مثل تلك الأضواء التي اصطادتني في تلك الليلة.

- قولي عمي، قهقه رنر.

صرخت: أنزلني، فتمسك بي أكثر. ثدياي اندفعا عالياً إلى رقبتني. إبطاي آلماني من شدة قبضة رنر عليهما.

- قولي عمي.

- عمي، صرخت وأنا أضغط عيني من الغضب.

حررني رنر، كأنني ارتميت من أرجوحة. أصبحت فجأة عديمة الوزن في الهواء محلقة إلى الأمام. هبطت على قدمي وخطوت ثلاث خطوات كبيرة إلى أن اصطدمت بجانب الصهريج، فصدر صوت رعد معدني. فركت كتفي.

- يا إلهي، أولادي كانوا دائماً الأطفال الأكبر! قال رنر وهو يلهث، وكلتا يديه على ركبتيه. انحنى إلى الوراء وطقق رقبتة بصوت عال وقال: ناوليني واحدة من علب الشراب، حبيبتي. ذلك ما كان عليه رنر دائماً - مجنون وليس مجنوناً، يتوقع منك مهما تكن الإهانة التي أحققها بك، أن تتظاهر بأنها لم تحدث. وقفت مصالبة ذراعي ولم أقم بأية حركة لإحضار الشراب له.

- أيتها الطيبة ديب.بي، عفواً، ليب.بي. ما هذا التمرد النسائي الآن؟ ساعدي أباك العجوز على الخروج من هنا.

- هل تعرف لماذا أنا هنا يا رنر؟ سألته.

- لا، مشى والتقط علبة شراب بنفسه. رمقتي بنظرة وقد رفع حاجبيه بشكل جعل جبينه كله يختفي في التجاعيد. افترضت أنه سيكون مصدوماً بروئيتي، لكن رنر حنط الجانب المؤهل للمتعة في ذهنه. أيامه كانت فضفاضة جداً وبلا هدف، يمكن أن

يحدث فيها أي شيء، لذا لم لا تكون زيارة ابنته بعد نصف عقد من الزمن أحد تلك الأشياء؟

- كم مضى من الوقت منذ رأيتك، أيتها الصغيرة؟ هل استلمت منفضة السجائر (فلامينغو) التي أرسلتها لك؟ منفضة السجائر (فلامينغو) وصلتني منذ أكثر من عقدين، عندما كنت بعمر العشر سنوات ولم أكن أدخن.

- هل تذكر الرسالة التي أرسلتها لي يا رنر؟ سألته عن بن؟ وكيف تعرف أنه لم يكن الشخص الذي.. فعلها.

- بن؟ لماذا سأكتب أنا لذلك الإمعة؟ هو شخص سيئ. تعرفين، لست أنا من رباه. كان كل ذلك من أمه، ولد عاشر الحظ وبقي عاشر الحظ. لو خُلق حيواناً لكان القزم من بين المواليد، ولكننا قضينا عليه.

- أتذكر الرسالة التي كتبتها لي منذ بضعة أيام؟ قلت فيها إنك تحتضر، وأردت أن تقول لي الحقيقة حول ما حدث في تلك الليلة؟

- أنا أحياناً أتساءل إن كان ابني، وحتى لو كان ابني فعلاً فقد كنت أشعر دائماً بالغباء كشخص عاجز عن تربيته. وعلى الأرجح ربما كان الناس يضحكون من ذلك حين لا أكون في الجوار. لأن لا شيء فيه يذكرني بنفسني. كان ابن أمه مئة بالمئة، ابن الماما.

- في الرسالة - تذكر الرسالة يا رنر، منذ بضعة أيام فقط - قلت إنك تعرف أنه لم يكن بن من فعلها. هل تعرف حقاً، أن يبجي ستسحب ادعاءك من المحكمة؟ صديقتك القديمة يبجي.

عبّ رنر من علب الشراب وارتعش، ثم ثبتّ إبهاماً واحداً فوق جيب بنطاله الجينز، وضحك ضحكة غاضبة.

- نعم كتبت لك الرسالة، انسها. نعم أنا أموت، لدي ليف... ماهو الشيء الذي

يكون في الكبد حين يسوء الأمر؟

- هل هو تليّف كبدي؟

- صحيح، عندي ذلك المرض، إضافة إلى علة ما في رئتي. يقولون أنني سأموت خلال عام. أتعرفين، كان عليّ أن أتزوج من عندها تأمين على الصحة. يبجي كان لديها ذلك، كانت دائماً تذهب لتنظّف أسنانها، وتأخذ وصفات طبية - قالها وكأنها كانت تتغذى على الكافيار - وصفات طبية. عليك دائماً أن تملكي تأميناً على الصحة، يا ليبي، هذا مهم جداً، من دونه أنت لا شيء. تفحص ظاهر يده، ثم رفرّف بعينيه. إذاً، فقد كتبت لك رسالة. هناك بضعة أشياء يجب أن تتّضح. عدة أمور حصلت في يوم الجريمة ذلك، يا ليبي. فكرت كثيراً بها، عدّبتني. كان يوماً ملعوناً، مثل اليوم الملعون. كان يوماً ملعوناً، ثم أضاف، مشيراً إلى صدره: لكن يا رجل، كان هناك مؤشرات كثيرة جداً متوفرة وقتها، كان عليهم وضع أي شخص في السجن. ولم أستطع أن أعرض خدماتي كما تمنيت أن أفعل، خوفاً من أن ألقى العقاب.

قالها وكأنها كانت قرار عمل سهل، ثم تجشأ بهدوء. خطر في ذهني أن ألتقط عبوة الشراب من يده وأرشقها في وجهه.

- حسناً، يمكنك أن تتكلم الآن. ماذا حدث يا رنر؟ أخبرني بما حدث. قضى بن حتى الآن عقوداً في السجن. لذا إن كنت تعرف أي شيء قلّه الآن.

- ماذا؟ وأذهب إلى السجن عندها؟

نخر نخرة ناقمة وجلس على منشفة البحر. ينفخ بأنفه إلى زاوية واحدة.

- أخوك ليس طفلاً في الغابة. أخوك من جماعة السحر، عبدة الشيطان، أنت تتعاملين مع الشيطان. عاجلاً أم آجلاً ستناين جزاءك.. كان عليّ أن أفهم ذلك حين رأيته مع تري تيبانو، ذلك اللعين.. ملعون.

تري تيبانو، ذلك الاسم برز لفترة ثم اختفى.

- ماذا فعل تري تيبانو؟

انفجر رنر بضحكة، فبرز له سن مكسور فوق شفته السفلى. لا يعلم الناس شيئاً عما جرى في تلك الليلة. كانت حفلة صاخبة.

- لم تكن حفلة. أمي ماتت، أخي في السجن، أولادك ماتوا يا رنر.

اشرب رأسه عند ذلك. حدق عالياً إلى قمر منحني كأنه مفتاح ربط (رنش) وقال:

- أنت لست ميتة.

- ميشيل وديب.ي ميتتان، باتي ميتة.

- لكن لِمَ لَمْ تكوني أنت، ألم تستغربي؟ وبصق دماً مثل الجل.

- ذلك يبدو غريباً. ما علاقة تري تيبانو بالأمر؟ كررت عليه السؤال.

- هل سأحصل على مكافأة مالية أو شيئاً مماثلاً إن تكلمت؟

- نعم، أنا واثقة.

- أنا لست بريئاً، ليس كلياً. لكن لا أخوك ولا تري.

- ماذا فعلت يا رنر؟

- من استولى على كل المال؟ لست أنا.

- أي مال؟ نحن لا نملك مالاً.

- أمك لديها نقود. أمك الملكة الكلبة لديها مال، صدقيني. كان واقفاً يحدق

ب.ي، بؤبؤاً عينيه الكبيران يحجبان حدقتيه ويجعلان عينيه الزرقاوين تبدوان مثل

توهج الشمس. أمال رأسه ثانية، بانتفاضة كأنه وحش، وأخذ يمشي نحوي رافعاً

راحتيه، كأنه يريني أنه لن يؤذيني. ذلك ما جعلني أشعر بأنه سوف يؤذيني.

- أين كل ذلك المال يا ليب.ي؟ تعويض تأمين باتي على الحياة؟ ذلك لغز آخر
كي تفكري به، لأنني واثق أنك لن تحليه.

- لم يحصل أحد على مال، رنر، كله ذهب للدفاع عن بن.

كان رنر واقفاً الآن، تماماً فوق رأسي، يحاول إخافتي بالطريقة نفسها التي كان
يخيفني فيها عندما كنت صغيرة. كان رجلاً ضئيلاً. لكنه ما زال أطول مني بستة
إنشات. تنفس في وجهي أنفاساً ساخنة، رائحة الشراب فيها.

- ماذا حدث يا رنر؟

- أمك تخبئ المال لنفسها. لم تساعدني في يوم من الأيام. وأنا ضيعت سنوات
من عمري على تلك المزرعة، ولم أرَ فلساً. حسناً، الدجاج يعود إلى القن لبييت،
وأمك اللعينة جنت على نفسها، لو أعطتني ذلك المال...

- هل كنت تطلب منها نقوداً في ذلك اليوم؟

- كل حياتي، وأنا أستدين من الناس، قال. في حياتي كلها لم أكن قادراً على أن
أتقدم إلى الأمام، أستدين دوماً. هل حصلت على أية نقود، يا ليب.ي؟ يا لجهنم، طبعاً
حصلت، فقد كتبت ذلك الكتاب، أليس كذلك؟ إذن أنت حقاً لست بريئة أيضاً. أعطني
بعض النقود، يا ليب.ي. أعطِ أباك العجوز قليلاً من النقود. سأشتري لنفسي كبداً من
السوق السوداء. عندها سوف أشهد بما تريد، أي شيء تريده ابنتي. ودس
إصبعيه في وسط ثديي، وبدأ يحاول إرجاعها ببطء.

- أن كانت لك علاقة بتلك الليلة، سينكشف ذلك يا رنر.

حسناً لم ينكشف في ذلك الوقت، لماذا يجب أن ينكشف الآن. تعتقدون أن
الشرطة والمحامين، وكل شخص مرتبط بتلك القضية.. كل شخص فيهم اكتسب شهرة
من تلك القضية. كان يشير إليّ الآن، وشفته السفلى تبرز إلى الخارج. تعتقدون أنهم
سوف، ماذا، أ ف ف ف، أخطأنا، ها أنت تذهبين إليه، أيها الولد بيني، انطلق،

تمتع بحياتك. لا، مهما يحدث، فهو سيبقى هناك لبقية حياته.

- ليس إن قلت الحقيقة، قلت.

- أنت مثل والدتك تماماً، تعرفين، لذا.. لا يمكن. لا تنجرفي مع التيار، تفعلين الأشياء دائماً بالطريقة الصعبة. لو أنها ساعدتني لمرة واحدة، في كل تلك السنين، لكنها كانت عاهرة كبيرة. أنا لا أقول أنها استحققت الموت..

ضحك وقضم طرف ظفره.. لكن يا رجل، كانت امرأة قوية. ربّت طفلاً ملعوناً ومتحرشاً بالبنات، مريضاً جنسياً. ذلك الولد لم يكن رجلاً. أوه، وأخبري بيحي أنها تستطيع مداعبتي أيضاً.

استدرت عند ذلك لأذهب، وعرفت أنني لا أستطيع الخروج دون مساعدة رنر. واجهته ثانية.

- يا صغيري بن، هل تعتقدين حقاً أنه قام بتلك الجرائم بنفسه؟ بن؟

- إذن من كان هناك، يا رنر؟ ماذا تحاول ان تقول؟

- أنا أقول تري، قد يكون محتاجاً مالياً، فهو وكيل مرهانات ومضطر لأن يدفعها. بمساعدتك؟

- أنا لن أرمي أحداً في السجن الآن. لكنه كان وكيل مرهانات. وفي تلك الليلة كان مع بن. كيف تعتقدين أنه وصل إلى داخل ذلك البيت اللعين؟

- إذا كان ذلك ما تعتقد أنه حدث، إذا كنت تعتقد أن تري تيبانو قتل عائلتي، عليك أن تشهد بذلك، إذا كانت تلك هي الحقيقة.

- واو، أنت لا تعرفين شيئاً. أمسكني من ذراعي، أنت تتوقعين كل شيء، تريدين كل شيء مجاناً، حسنة كبيرة، وأعرض رقبتني لل... سألتك أن تحضري مالا. أخبرتك.

تملصت من يده، التقطت البراد الصغير وبدأت أسحبه إلى تحت السلم، قرقع ذلك

الشيء بدرجة كافية للفت انتباه رنر. تسلقت فوقه، لكن أصابعي بقيت أقصر من حافة الصهريج بعدة إنشات.

- أعطني خمسين دولاراً وسأرفعك، قال رنر وهو يفاوضني بكسل. مددت طولي لألتقط الحافة، على رؤوس أصابعي وإلى أقصى مدى، شعرت بالبراد يميل من تحتي، ووقعت بسرعة على الأرض، فصدمت فكي وعضضت على طرف لساني، دمعت عيني من الألم. ضحك رنر.

- يا إلهي، ما هذه الفوضى؟ قال وهو ينظر إليّ في الأسفل، أنت خفت مني يا ابنتي الصغيرة؟

انزلقت وراء البراد، وأبقيت عيني على رنر بينما كنت أبحث عن أشياء لأكدها فوق البراد وأتسلق خارجه.

- أنا لا أقتل فتيات، قال من حيث لا أدري. أنا لن أقتل فتيات صغيرات.

عندها التمعت عيناه وقال: هيه، هل عثروا على ديردر؟

عرفت الاسم، عرفت ما كان يحاول أن يقول.

- ديوندر؟

- نعم دي - أون - درا!

- ماذا تعرف عن ديوندر؟ سألته.

- كنت أتساءل دوماً إن كانوا قد قتلوها في تلك الليلة، هي لم تظهر بعد تلك

الليلة. (صديقة... بن).

حضضته كي يتكلم...

- نعم، صحيح، أظن، آخر مرة رأيته فيها كانت بصحبة بن وتري، وآمل إلى حد

ما أن تكون هربت. لأنني أحب أحياناً فكرة أن أكون جداً.

- عن ماذا تتحدث؟

- بن جعلها تحمل منه. أو أن هذا ما قاله، عقد صفقة كبيرة من وراء ذلك، كان من الصعب جداً أن تُنفذ.

- إذن رأيته في تلك الليلة ثم لم يرها أحد ثانية.

- قلقت من أن تكون ميتة. أليس هو ذلك ما فعله عبدة الشيطان؛ قتل السيدات الحوامل وأطفالهن؟ هي اختفت بالتأكيد.

- وأنت، ألم تقل أي شيء للشرطة؟

- حسناً، وما دخلي في ذلك؟

باتي داي

2 كانون الثاني 1985

9:12 مساءً

هدأ البيت لبضع دقائق بعد انطلاق رنر للبحث عن شخص آخر يكذب عليه من أجل الحصول على المال. يبجي بانايون، كانت صديقتة هذه الأيام، وباتي سمعت بذلك. لماذا لا يذهب إليها ويزعجها؟ ربما فعل للتو.

دقة، دقتان، ثلاث دقات. ثم تدخل البنات في سيل من الأسئلة والإزعاجات والأيدي الصغيرة فوقها في كل مكان، وكأنهن يحاولن أن يتدفأن على موقد خامد فعلاً. رنر كان خائفاً هذه المرة، كان دائماً أمام شيء يهدده. وكان دائماً يحتد حين لا ينال ما يريد، لكن هذه المرة كانت المواجهة، فقد أتى لمهاجمتها. في الجزء الأكبر من فترة زواجهما، كانت هناك مشادات، لطمات على الرأس، كان القصد منها الإغاظه، لتذكرك بعجزك أكثر من إيدائك حقاً، لماذا لا يوجد طعام في الثلاجة؟ يتبعها صفة، لماذا هذا المكان خربة في حد ذاته؟ صفة. أين تذهب النقود كلها باتي؟ صفة، صفة، صفة. هل تسمعينني يا فتاة؟ ماذا تفعلين بكل ذلك المال؟ كان الرجل مهووساً بالنقود. حتى في لحظات أبوية نادرة، كان يلعب على مضمض لعبة المونوبولي الاحتكارية مع أطفاله، ويقضي معظم الوقت في اختلاس مال من البنك، ممسكاً بالبرتقالة اللماعة والبطاقات الأرجوانية في حجره وهو يقول تقولون عني

غشاشاً؟ ثم صفة. تقولون عن عجوزكم غشاش آه، بن؟ صفة، صفة، تعتقدون أنكم أذكى مني؟ صفة.

الآن وبعد أن غادر رنر بساعة تقريباً، البنات ما زلن مجتمعات عليها، إلى جانبها، وراءها، فوق الأريكة كلها، يسألنها ما الخطب، ما هو الأذى الذي لحق بين؟ لماذا جن جنون أبي. لماذا دفعت بأبي إلى الجنون؟ جلست ليبي في المكان الأبعد عنها ملمومة كالصرّة. تمصّ إصبعاً وذهنها المشوش متوقف عند تلك الزيارة إلى بيت آل كيتس، والشرطي، بدت كأنها محمومة، وعندما اقتربت باتي تتلمّس خدها، أجفلت. قالت باتي: كل شيء على ما يرام يا ليبي.

- لا، ليس كذلك، قالت ليبي. وثبتت عينين لا ترفان على باتي، أريد أن يعود بن.

- سيعود، قالت باتي.

- كيف تعرفي. ي. ي. ي. ين؟ قالت ليبي وهي تنشج.

انتفضت ديب.ي عند ذلك وسألت أمها. هل تعرفين أين يكون؟ لماذا لا نستطيع العثور عليه؟ هل هو في ورطة بسبب شعره؟

- أنا أعرف لماذا هو في ورطة، قالت ميشيل بصوتها المتملّق إلى أقصى حد. بسبب الجنس.

التفتت باتي إليها غاضبة من تلك الابتسامة المتكأفة، ونغمة القيل والقال. شعرها معقوص بملاقط، وهمس بلهجة السوق. تلك اللهجة التي يستخدمها الناس في تبادل الحديث عن عائلتها في جميع أنحاء كناكي الآن. أمسكت ميشيل من ذراعها بقوة، أقسى ما قصدت أن تفعل.

- ماذا تعنين بذلك، ميشيل؟ ماذا تعتقدين أنك تعرفين؟

- لا شيء، ماما، قالت دون تفكير. كنت فقط أقول، لا أعرف. وبدأت تنتحب،

- كما تفعل دائماً حين تكون في ورطة وتدرك أنها ارتكبت خطأ ما .
- بن هو أخوك، لا تتكلمي عن أخيك بكراهية. ليس ضمن هذه العائلة وبالتأكيد ليس خارجها. أقصد، الكنيسة، المدرسة، أي مكان.
- لكن يا أمي.. بدأت ميشيل تتكلم وما زالت تبكي. أنا لا أحب بن.
- لا تقولي ذلك.

- هو شخص سيئ، ويفعل أشياء سيئة، الجميع في المدرسة يعرفون..
- يعرفون ماذا يا ميشيل؟ أحست أن جبينها بدأ يشتعل، تمنّت لو كانت دايان هنا.

- لا أفهم ما تقولينه، هل بن...؟ تقولين إن بن فعل شيئاً.. سيئاً... لك؟
- كانت قد عاهدت نفسها ألاّ تسأل هذا السؤال أبداً، لأن مجرد التفكير فيه كان خيانة لبن. عندما كان صغيراً، في السابعة أو الثامنة اعتاد أن ينزلق في سريرها في الليل، فتستيقظ عليه وهو يمرر أصابعه خلال شعرها، يحتضن أحد ثدييها. بريئة تلك اللحظات لكنها مزعجة حين تستيقظ فيها وهي تشعر بالاستثارة، مهتاجة، فتنفض من السرير وهي تسحب قمصانها وأروابها حولها مثل عذراء مرعوبة. لا، لا، لا تلمس أمك هكذا. لكنها لم تشك - حتى الآن - بأن بن يمكن أن يكون قد فعل أي شيء لأخواته. لذا فقد تركت السؤال معلقاً، فيما انفعال ميشيل يتزايد أكثر فأكثر، وهي تدفع نظارتها الكبيرة إلى أعلى وإلى أسفل أنفها المستدق وتبكي.

- ميشيل، أنا آسفة لأنني صرخت في وجهك، بن واقع في مأزق. الآن، هل فعل أي شيء لك. أحتاج أن أعرف ذلك؟ كانت أعصابها مشدودة: أحست بلحظات من الهلع، تبعثها نوبات من الضياع التام. يمكنها الإحساس بالخوف يتنامى الآن، ذلك الدفع مثل دفع طائرة عند الإقلاع.

- ماذا فعل لي؟

- هل لامسك بطريقة غريبة؟ طريقة غير أخوية؟ هوة طليقة عائمة الآن، مثل توقف المحركات.

- المرات الوحيدة التي لمسني فيها كانت حين يدفعني أو يسحبني من شعري أو يجرنني. استرخت ميشيل، كان ابتهاها الوحيد المعتاد: الفرج، أوه الفرج.

- إذاً، ماذا يقول الناس عنه في المدرسة؟

- إنه غير سوي، ذلك محرج، لا أحد يحبه. أقصد، انظري فقط في غرفته، ماما لديه كل الأصناف من الأشياء الغريبة.

- كانت باتي على وشك أن تُحاضر في ميشيل لئلا تدخل غرفة بن من دون إذنه، كما أرادت أن تلطم نفسها. فكرت بما قاله المحقق كولينز، عن أعضاء حيوانات في حافظات، تخيلتها. بعضها مجفف في مستوعبات خشبية محكمة الإغلاق، والأخرى طرية طازجة، تنصدم حين تفتح الغطاء، وتسمح للرائحة الكريهة أن تصيب أنفك.

انتصبت باتي قائلة: وماذا في غرفته؟

بدأت تمشي إلى القاعة، فتعثرت بسلك الهاتف اللعين الذي أحضره بن يعترضها كالعادة. مشت متجاوزة باب غرفته المغلق، ثم إلى القاعة، استدارت عند الزاوية إلى اليسار، تجاوزت غرفة البنات إلى غرفتها. جوارب وأحذية وبناطيل جينز مرمية في كل مكان. أشياء يومية مختلفة متروكة في أكوام.

فتحت درج طاولتها الجانبية فوجدت مغلفاً، مكتوباً عليه بخط دايان المائل والذي يشبه تماماً خط أمها - في حالة الطوارئ - وكان في داخله خمسمئة وعشرون دولاراً نقداً، لم يكن عندها فكرة متى دست دايان ذلك في غرفتها. كانت مسرورة لأنها لم تكن تعرف، لأن رنر كان يمكن أن يتحسس إخفاءها لذلك. رفعت النقود إلى أنفها وشمّتها. ثم أعادت المغلف إلى داخل الدرج وأخرجت قطعة براغي كانت قد اشتريتها

منذ أسابيع لاستخدامها وقت الحاجة، وإن احتاجت للدخول إلى مخبأ بن. كانت خجولة مما فعله. بدأت بالعودة عبر القاعة، غرفة البنات بدت مثل غرفة في فندق رخيص. كانت الأسرة مقابل كل جدار فيها ما عدا الذي فيه الباب. يمكنها أن تتخيل الشرطة يغضنون أنوفهم ويسألون - هل جميعهن ينمن هنا؟ - ثم تصدمها رائحة البول فتدرك أن إحداهن قد بالت في فراشها الليلة الماضية أو التي قبلها.

ترددت في أن تنزع الأغطية فوراً حينها، لكنها تابعت طريقها مباشرة إلى غرفة بن. توقفت عند ملصق قديم على مستوى النظر كان لفيندر غيتار انتزعه بن جزئياً.

أصابها الدوار لدقيقة سريعة وكانت على وشك أن تقرر أنها عاجزة عن النظر في الغرفة، ماذا لو وجدت صوراً تدينه، صوراً فورية مقززة؟

نقرت القفل، فوقع على السجادة. صرخت بالبنات، وكن يتلصصن من غرفة المعيشة مثل غزالات خائفات، طلبت منهن أن يذهبن ويشاهدن التلفاز. كان عليها أن تكررهما مرات ثلاث: اذهبن وشاهدن التلفاز، اذهبن وشاهدن التلفاز، اذهبن وشاهدن التلفاز، قبل أن تذهب ميشيل أخيراً.

سرير بن كان مدمراً، يرزح تحت كومة من المعاطف وبناطيل الجينز والكنزات، إلا أن الباقي من الغرفة لم يكن فارغاً كحفرة. طاولته كانت مكدسة بالمفكرات وأشرطة الكاسيت وكرة أرضية قديمة كانت لدايان. دورتها باتي فترك إصبعها علامة في الغبار قرب روديسيا. ثم بدأت تقلب بين المفكرات. كانت مغطاة بغلاف مرمز: DC/AC مع التيار المتناوب، فينوم أيروم ميدن. على ورقة المفكرة، رسم بن نجوماً خماسية وقصائد عن الجريمة والشيطان.

الطفل ابني

لكن في الواقع لا

لأن لدى الشيطان مخططاً شريراً في قتل الأطفال وأمهاتهم ثم يبحث عن المزيد ويقتل آخرين

أحست بموجة من المرض، كأن وريداً يجري من حلقها إلى تجويف كليتها ويصبح فاسداً. نقبت في المفكرات أكثر، وبينما كانت تنفض الأخيرة. قلبت أوراقها بشكل طبيعي إلى المنتصف صفحات وصفحات. رسم بن بالحبر الناشف صوراً لفروج نساء وأيدٍ تدخل فيها. أرحاماً فيها مخلوقات، مكشرة بشكل شيطاني. نساء حوامل مشطورة إلى نصفين، أنصاف أجنتهن تسقط إلى الخارج.

جلست باتي على كرسي بن، تشعر بدوار، لكنها استمرت في قلب الصفحات إلى أن وصلت إلى صفحة فيها عدة أسماء لفتيات كتبت بصفوف مائلة: هيثر، أماندا، بريان، دانييل، نيكول، كريسي، كريسي، كريسي، كريسي، كريسي داي، كريسي داي، كريسي دي داي، كريسي د، كريسي د. داي!
كريسي داي داخل شكل قلب.

أسندت باتي رأسها إلى سطح المكتب البارد. كريسي داي. كأنه سيتزوج الصغيرة كريسي كيتس. بن وكريسي داي. هل ذلك هو ما يفكر فيه؟ هل ذلك يجعل ما فعله بها يبدو عادياً؟ هل تخيل نفسه يحضر تلك الفتاة الصغيرة للعشاء في البيت. ليسمح لأمه بالتعرف إلى صديقه؟ وهيثر. كان ذلك اسم ابنة هينكل التي كانت في بيت كيتس. هل بقية تلك الأسماء لفتيات قام بإيذائهن؟

رأس باتي أصبح ثقيلًا. أرادت ألا تتحرك. تريد أن تبقى رأسها هنا فقط، على الطاولة إلى أن يخبرها أحد ما ماذا عليها أن تفعل. هي كانت تحسن ذلك. فقد كانت

تجلس لساعات دون أن تغادر الكرسي. رأسها يهتز كأنها نزيلة في مصح، تفكر في طفولتها، حين كان أبواها يعدان قائمة أعمال لتقوم بها. علّموها متى عليها أن تخذ إلى النوم ومتى تستيقظ وماذا تفعل خلال النهار، ولم يعلموها كيف تتخذ أي قرار في أي شيء. لكن بينما كانت تحق إلى الأوراق المجعوكة على سرير بن، مع نموذج الطائرة، تتذكره وهو يطلب أوراقاً جديدة - ورق مصقول - منذ عام تقريباً، لاحظت حقيبة بلاستيكية محشوة تنبق من تحت إطار السرير.

جثت على يديها وركبتيها، وسحبت حقيبة تسوق بلاستيكية قديمة. كانت ثقيلة، فتأرجحت مثل رقاص الساعة. حدقت إليها ولم تر غير الثياب، عندها أدركت أنها تنظر إلى ثياب بنّاتية: ورود وقلوب، فطر وأقواس قزح. ألفتها في كومة على الأرض، وفزعت وهي تفعل ذلك أن تظهر لها تلك الصور التي خافت منها بينها. لكنها كانت كلها مجرد ثياب. ألبسة داخلية، قمصان داخلية، سراويل تحتية. وكانت بمقاسات مختلفة من عمر كريسبي إلى عمر الأطفال الصغار، كانت على ما يبدو مستعملة، ترتديها فتيات صغيرات، تماماً كما قال المحقق. أعادتها باتي إلى داخل الحقيبة.

ابنها، ابنها. سيذهب إلى السجن، والمزرعة ستضيع. بن سيكون في السجن، والبنات.. عرفت الآن، كما كانت تعرف في كثير من الأحيان أنها لا تجيد التصرف كما ينبغي. بن يحتاج إلى محام ماهر. وهي لا تعرف كيف تقوم بذلك.

مشت إلى غرفة المعيشة. تفكر في المحاكمة وكيف أنها لا تقوى على ذلك. أبعدت البنات إلى غرفتهن بصوت رهيب، كن يلتفتن إليها بأفواه مفتوحة. متألّمات وخائفات. وفكرت كيف أوصلت الأمور فيما يتعلق بين إلى الأسوأ تماماً، أم وحيدة وغير مؤهلة، مغلوبة على أمرها، كيف جعلته يبدو بكل هذا السوء. وضعت بعضاً من مادة الاشتعال وأوراق صحف في الموقد ويضع حطبات فوقها وأشعلت النار في الثياب. زوج من السراويل الداخلية المزهرة التقطت النار فوق الحطبة حين رن جرس الهاتف.

إنه الدائن لين، هو من كان على الخط. بدأت تختلق الأعذار له، تشرح له أن هناك أموراً كثيرة تحصل معها وتستوجب النقاش في حجز الرهن. وأن هناك مشكلة مع ابنها.. ذلك هو سبب اتصالي، قاطعها. سمعت عن بن. لم أكن لأتصل من قبل. لكنني أعتقد أنني أستطيع المساعدة. لا أعرف إن كنت ستقبلين. لكن لدي خيار.

- خيار من أجل بن؟

- طريقة لمساعدة بن بالتكاليف القانونية. ما تواجهينه بحاجة إلى مبلغ كبير.

- اعتقدت أنه لم يكن لدينا خيارات، قالت باتي.

- ليس كلياً.

- لين لن يأتي إلى المزرعة. فهو لا يريد أن يقابلها في المدينة. فرض عليها كل السرية. أصرّ على أن تقود سيارتها على الطريق الزراعي رقم 5 وتركن السيارة عند محطة النزهة. تشاحنا وتماحكا، ونفخ لين أخيراً (هوف) كبير في السماعه مما جعل باتي ترقص شفيتها.

- إن أردت المساعدة، اخرجي الآن، ولا تجلبي معك أي شخص آخر. لا تخبري أحداً. أنا أفعل ذلك لأنني أعتقد أنه يمكنني الوثوق بك. باتي، أنا أحبك. أنا حقاً أريد مساعدتك. تلا ذلك توقف، تأملت باتي السماعه بعمق شديد وهمست فيها: لين؟ معتقدة تماماً انه ذهب، وكانت على وشك أن تقفل الخط، حين سمعته يقول: باتي، أنا حقاً لا أعرف كيف أساعدك لكن هذا. أعتقد، حسناً، سترين. أنا أصلي من أجلك.

عادت إلى الموقد، ثمحص من خلال أسنة الذهب، فوجدت أن نصف الثياب فقط قد احترق ولم يبق حطب. لذا فقد أسرع إلى المرأب. التقطت بلطة أبيها ذات الرأس الثقيل والشفرة الحادة - إنها من الزمن القديم حين كانوا يصنعون الأدوات بشكل سليم - وقطعت حزمة من الحطب، حملتها كلها إلى الداخل.

كانت تلقمها للنار حين شعرت بطيف ميشيل المتمايل إلى جانبها. ماما!

ما بك يا ميشيل؟

رفعت نظرها وكانت ميشيل في قميص نومها تشير إلى النار: كدت أن تلقي الفأس مع الخشب. ضحكت ميشيل وتابعت شاردة الذهن. كان البلطة بين ذراعي باتي كما كانت مواد الاشتعال. أخذتها ميشيل منها مبعدة الشفرة عنها. كما تعلمت، ووضعتها بجانب الباب.

راقبت باتي ميشيل وهي تمشي مترددة إلى غرفتها، وكأنها تلتقط حباً من بين الأعشاب وتتبع خطوات ابنتها. كانت الفتيات مكومات على الأرض يدمدمن مع لعباتهن. كانت هناك طرفة تقول إن الناس يحبون أطفالهم وهم نيام أكثر، هه هه، أحست باتي بطعنة خفيفة، فهي حقاً أحببتهم أكثر حين يكونون نائمين، لا يسألون أي سؤال، ولا يطلبون طعاماً أو تسلية. أحببتهم أكثر أيضاً حين يكونون كما هن البنات الآن تعبات، هادئات، غير عابئات بأمنهن. كلفت ميشيل بمتابعة الأمور وتركتهن. عاجزة عن فعل أي شيء ما عدا أخذ التوجيهات من الدائن لين.

- لا تأملني بالكثير، قالت لنفسها، لا تأملني.

قادت سيارتها عبر الثلج اللامع لمدة نصف ساعة، كانت ندفات الثلج تتحول إلى نجوم أمام أضواء سيارتها. إنه ثلج الخير كما كانت أم باتي تقول، مُحبة الشتاء يمكن أن تقول. فكرت باتي كيف أن البنات سيلعبن به كل نهار الغد، ثم فكرت: هل سيلعبن؟ ماذا سيحدث غداً؟ وأين سيكون بن؟

- أين بن؟

دخلت منطقة النزهة المهجورة، المظلة عبارة عن بلاطة كبيرة من الإسمنت والحديد شُيدت عام 1970 مع طاوولات للعامة وسقف على شكل زاوية يشبه إلى حد ما الطراز الياباني. أرجوحتان جثمنا تحت أربعة إنشات من الثلج. مقاعدهما المطاطية السوداء القديمة لا تتأرجح على الإطلاق، كما فكرت باتي، إذ أنها رغم

هبات النسيم فقد ظلت واقفة.

لم تكن سيارة لين هناك، والحقيقة لم يكن هناك أية سيارة. بدأت تفرغ عصبيتها بسحاب معطفها، تمرر ظفرها على كل سن معدني من السحاب فيصدر صوت نقرات. ماذا يمكن أن يكون قد حدث: بدأت تتخيل أنها ستصعد على مقعد النزهة لتجد أن لين قد ترك لها مغلفاً فيه رزمة من النقود. لفتة رجولية لطيفة ستردها له.

أو ربما نظم لين مجموعة من الناس الذين شعروا بالعطف عليها، كانوا على وشك أن يصلوا ويبهجوا حياتها بالهبات النقدية، وبمقتضى ذلك تعرف باتي أن الجميع يحبونها.

نقرة خفيفة على نافذتها. سلاميات أصابع وردية وجذع رجل ضخم. لم يكن لين. سحبت زجاج نافذتها جزئياً ونظرت إلى الخارج. تستعد لأن يقول لها: تحركي من هنا يا سيدة. لأن النقرة كانت من تلك النوعية.

قال بدلاً من ذلك: تعالي. دون أن ينحني، فما زالت لا ترى وجهه، هيا، سنتحدث على المقعد.

أطفأت محرك السيارة، وسحبت نفسها إلى الخارج، مشى الرجل أمامها، ملتفاً بمعطف سميك ومعتماً قبعة. أما هي فقد كانت تعتمر قبعة صوفية لم تكن مناسبة لحجم رأسها أبداً، تخرج منها أذناها، لذا كانت تفرك أصابعها حين وصلت إلى عند الرجل.

بدا لطيفاً، كما توقعت. لأنها بحاجة لأن يكون لطيفاً. عيناه سوداوان، وشاربه مثل مقود الدراجة. طرفاه متصلان بذقنه. ربما كان في الأربعين من عمره. يبدو كأنه من سكان الجوار. بدا لطيفاً، فكرت ثانية. استقرا على مقعد النزهة، يتظاهران بأنهما لم يكونا مغمورين في الثلج. قد يكون محامياً؟ فكرت. محامٍ تكلم معه لين ليرافع عن بن. لكن إن كان الأمر كذلك لم عليهما أن يلتقيا في الخارج..

- اسمعي. أنت أوقعت نفسك في بعض المشاكل. قال بصوت مدمدم متناغم مع

عينيه.

أومأت باتي برأسها.

- حول حجز الرهن على مزرعتك، وابنك على وشك أن يُعتقل.

- الشرطة تريد استجوابه حول حادثة كانت...

- ابنك على وشك الاعتقال، وأنا اعرف السبب. في هذا العام القادم، ستحتاجين

المال لتتقي مطالبة الدائنين، وبهذا تستطيعين الحفاظ على أولادك في المنزل - في

منزلهم المبارك - وستحتاجين المال لمحامٍ من أجل ابنك، لأنك لا تريدين أن يذهب

ابنك إلى السجن مصنفاً كمتحرش بالأطفال.

- طبعاً لا، لكن بن...

- لا، أقصد: أنت لا تريدين أن يذهب ابنك إلى السجن مصنفاً بأنه متحرش

بالأطفال. لا شيء أسوأ من أن تكوني في السجن بسبب التحرش بالأطفال. أنا رأيت

ذلك، وماذا يفعلون بأولئك الرجال، إنه كابوس. لذا فأنت تحتاجين محامياً ماهراً،

وهذا يكلف الكثير من المال. أنت الآن تحتاجين أحدهم، ليس بعد أسابيع ولا أيام،

الآن، الآن وفوراً. لأن هذه الأمور سرعان ما تخرج عن السيطرة.

هزت باتي رأسها وانتظرت. حديث الرجل هذا ذكّرها ببائع سيارات: عليك أن

تشتريها الآن، وهذا الطراز وبهذا السعر. هي دائماً تخسر في مداولات كهذه، لأنها

دائماً تشتري ما يلحّ البائع على أن تشتريه.

ضغط الرجل قبعته إلى الأسفل، وتنفس مثل ثور.

- الآن، أنا نفسي كنت مزارعاً ذات يوم، وأبي من قبلي وأبوه من قبله. كان

لدينا ثمانمئة أكر، وقطيع من الأبقار، ذرة، حنطة، خارج مدينة روبنت - ميسوري.

ثروة ممتازة، مثل التي عندك.

- نحن لم يكن عندنا أبداً ثمانمئة آكر.

- لكنك تملكين مزرعة العائلة، لديك أرضك المباركة، أرضك الطيبة. نحن مزارعون مخدوعون، قالوا لنا اشبكوا السياج بالسياج أي اشترؤوا مزيداً من الأرض، ونحن بنية طيبة، اشترينا المزيد، واكتشفنا أنهم قالوا ذلك لأن الأرض لم تعد تعطهم أكثر. ثم (أوووبس) ترتفع الأسعار، فيقولون آسفين، نحن قدمنا لك نصيحة سيئة. نحن فقط نريد أخذ مزرعتك. هذا المكان طالما كان لعائلتك على مدى أجيال. سوف نأخذ مزرعتك، ومن دون زعل. أنت كنت مغفلة حين صدقتنا. ليس غلطتنا حقاً. سمعت باتي هذا الكلام من قبل، وفكرت به من قبل. تلك كانت صفقة صرفة.

- دعنا نعد إلى موضوع ابني. ومالت على جنب واحد وارتعشت، حاولت أن تبدو مريضة.

- الآن أنا لست رجل أعمال، ولست محاسباً، ولا سياسياً، لكنني أستطيع المساعدة. هذا إن كان الأمر يهملك.

- نعم، نعم أريد ذلك، لو سمحت قالت باتي.

وفي قرارة نفسها كانت تقول. لا تأملي، لا تأملي بالكثير.

ليبي داي الآن

قدت السيارة عائدة إلى البيت عبر غابات بائسة، وفي مكان ما في نهاية أحد تلك الطرق الخيطية الطويلة يوجد مدفن للنفايات. أنا لم أر المكبّ بحد ذاته لكنني قدت السيارة على طول عشرين ميلاً تقريباً من الزبالة العائمة إلى يميني وإلى يساري. كانت السيارة ترتطم بآلاف أكياس التسوق البلاستيكية، تحوم فوق العشب تماماً، فتبدو مثل أشباحٍ لأشياء صغيرة.

بدأ المطر يتساقط على شكل قطرات، ثم اشتد وقعه، متجمداً. كل شيء خارج سيارتي بدا ملتفاً. كنت أينما رأيت مكاناً متفرداً - تلة في ظاهر الأرض، أكمة من الأشجار منتشية - تخيلت أن ديوندرًا دفنت تحتها، ولم يبقَ منها سوى مجموعة من عظام نخرة وقطع صغيرة من البلاستيك: ساعة يد، نعل حذاء، وربما القرطين الأحمرين اللذين ظهرت بهما في صورة الكتاب السنوي.

من يصرّح بأي شيء حتى لو كان عديم القيمة حول ديوندرًا؟ فكرت.. عبارات دايان تفرقع في رأسي ثانية. من يكثرث إن قتلها بن، لأنه قتل عائلتك، وبذلك ينتهي كل شيء في أية حال. تمنيت إلى أبعد حد أن يُقرّر رنر بشيء ما يجعلني أصدق أنه هو من فعلها. لكنني رأيتُه يذكّرني فقط بأنه من المستحيل أن يقوم هو بقتلهم جميعهم. كم كان غيباً. غب.ي، كلمة تستخدمونها لطفل، لكن كي تصفي رنر بطريقة

أفضل. قولي: مراوغ وغبي في الوقت نفسه. ماجدة وأعضاء نادي القتل سيكونون غير راضين. رغم أنني سأكون سعيدة في أن أعطيهم عنوانه إن أرادوا أن يتابعوا المداولات. أما أنا فأمل أن يموت فوراً.

تجاوزت حقلاً ترابياً منبسطة، غير واضح المعالم. ثمة مراهق يتكئ على السور في المطر وفي الظلام، مقطب الجبين أو ضجراً. كان يحقن إلى الطريق العام. عاد فكري إلى بن. بن وديوندر، وأنها حامل. وكل شيء آخر، أخبرني إياه بن عن تلك الليلة يبدو صحيحاً وقابلاً للتصديق. ما عدا الكذبة، الكذبة المثيرة للشك حول ديوندر التي بدت وكأنها شيء يخاف عليه.

أسرعت إلى المنزل، أشعر بأنني ملوثة. ذهبت مباشرة إلى الحمام، وفركت جسمي كمن يصقل خشبة بفرشاة خشنة. بدا جلدي كأن مجموعة من قطط هاجمتني، بعد أن أنهيت حمامي. استلقيت في السرير وما زلت أشعر بأنني ملوثة، بقيت ملتفة بالأغطية لمدة ساعة ثم نهضت واستحمت ثانية، كانت الساعة قرابة الثانية صباحاً. ثم غرقت في نوم عميق ومُرهِق مملوء بشياب ماكرين، اعتقدت أن كل واحد فيهم هو أبي إلى أن اقتربت منهم ما يكفي كي أرى وجوههم المنحوتة. تلت ذلك كوابيس قوية: ميشيل تطهو فطائر الحلوى، والجراد يعوم في خليط الحليب والبيض، تتكسر أرجله المنتفضة أثناء التحريك، وينطبخ داخل الفطائر، وقد أجبرتنا أمي على أكله في أي حال، وهي تقول إنه بروتين جيد، كانت سيقانه، تتهشم وتططق ثم بدأنا نحتضر - نخنتق، يسيل لعابنا، تنقلب عيوننا خلف رؤوسنا - لأن الجراد كان مسمماً. ابتلعت واحدة من هذه الحشرات الكبيرة وشعرت بها تصارع للعودة إلى حلقي، جسدها البغيض يطفو في فمي ويفرغ سائلاً بطعم التبغ على لساني، ثم تدفع أسناني برأسها كي تهرب.

طلع الصباح رمادياً غير مريح. استحمت ثانية - ما زلت أشعر بالشك في أنني ملوثة - قدت سيارتي إلى المكتبة العامة في وسط المدينة، كانت في مبنى أبيض مقام على أعمدة، البناء كان مصرفاً قبل ذلك. جلست إلى جانب رجل مستدق الرأس

له لحية متلبدة ويلبس معطفاً عسكرياً مبقعاً، ذلك الرجل ألتقيه دائماً في الأماكن العامة، أخيراً دخلت إلى الشبكة العنكبوتية، أدخلت الرمز السري لأعداد هائلة من الأشخاص الذين فُقدوا في حوادث محزنة. وأدخلت اسمها.

أصدرت الشاشة خشّة وكأنها تفكر، فتصببت عرقاً وأنا أتوقع أن تظهر على الشاشة كلمة لا معلومات، لم تُوفق. ظهرت الصورة التي كانت مختلفة بعض الشيء عن التي في الكتاب السنوي: ديوندا بشعر ملفوف وغرة، مكحلة العينين بالفحم، تضع أحمر شفاه وردياً. كانت تبتسم ابتسامة خفيفة، شفتاها مزومتان إلى الأمام.

ديوندا سيو ويرتزير

مواليد 28 تشرين الأول 1967

أعلنت مفقودة في 21 كانون الثاني 1985

للمرة الثانية كان بن ينتظرنني، في هذه المرة كان مصالباً ذراعيه، مستنداً إلى ظهر الكرسي متربصاً، ومُبدياً لي المعاملة الصامتة التي عاملني بها قبل أسبوع، مستخفاً طلب لي لرؤيته، وها هو ذا يهز رأسه لي حين جلست.

أحسست بالخذلان.

تعرفين يا لبيب، أنا أفكر منذ تحادثنا آخر مرة قال أخيراً: أنا أفكر أنني في غنى عن ذلك الألم، أعني، أنا هنا الآن، ولست بحاجة إلى أن تظهر أختي الصغيرة، وتثق بي، لا تثقي بي. تسأليني أسئلة غريبة، وتضعيني في موقف دفاع بعد أربع وعشرين سنة، أنا لست مضطراً إلى التوتر. لذا إن كنت قد أتيت إلى هنا كي تصلي إلى قرارة الأمور. ضمّن كلامه عبارات غاضبة: تعرفين، اذهب بي إلى مكان آخر، لأنني في غنى عن ذلك.

- وجدت رنر.

لم ينتفض واقفاً، بقي في كرسيه، ثم تنهّد تنهيدة كأنه يقول: حسناً.

- واو، يا ليب.بي، أنت اشتقت للقبك كمحقق، ماذا لدى رنر ليقوله؟ هل ما زال في أوكلاهوما؟ شعرت بطيف ابتسامة كاذبة.

- في مدفن نفايات سوير فاند على أطراف ليدغروود، انفصل عن مجموعة بيت نولان.

كشّر بن لدى سماعه ذلك وقال: يعيش في مدفن النفايات السامة. ها.

- قال إن ديوندر وبرتزر كانت صديقتك وهي حامل منك، وأنكما كنتما معاً، في ليلة الجريمة.

وضع بن يده فوق وجهه باسماً أصابعه، يمكنني رؤية عينيه ترفان من خلالها. تكلم وما زال مغطياً وجهه، فلم أستطع سماع ما قاله. حاول مرتين، وفي كل مرة كنت أسأله ماذا كان يقول، في المحاولة الثالثة رفع رأسه وهو يلوك باطن خده، اتكأ وقال: قلت، ما الفائدة من إصرارك على ديوندر؟ كأن نحلة في قبعتك تدفعك لذلك، أتعرفين ماذا سيحدث، سترمين كل ذلك جانباً. لديك فرصة لتتقي ب.بي. لتفعلي الشيء الصحيح، وأخيراً ثقني بأخيك، الذي تعرفينه. لا تقولي إنك لا تعرفينه، لأن تلك ستكون كذبة، أعني، ألم تفهميها بعد يا ليب.بي؟ إنها الفرصة الأخيرة لنا. العالم يستطيع أن يصدق أنني قاتل، ثقني أنت أنني بريء، كلانا يعرف أنني لن أذهب إلى أي مكان، ولن يكون هناك حمض نووي يطلق سراحي، وذلك البيت الطيب لم يعد موجوداً. لذا، أنا لن أخرج من هنا. لذا، الشخص الوحيد الذي يهمني أن يعرف أنني لا يمكن أن أكون قد قتلت عائلتي، هو أنت.

- لا تستطيع أن تلومني لتساؤلي فيما إذا..

- بالطبع أستطيع، طبعاً أستطيع أن ألومك لعدم ثقتك ب.بي. الآن يمكنني أن

أسامحك على كذبتك. فقد كنت مضطربة لأنك صغيرة. يمكن أن أغفر لك ذلك. لكن بالله عليك، يا ليب.ي، ماذا عن الآن؟ كم عمرك الآن؟ ثلاثون سنة، وما زلت تصدقين أن دمك يمكن أن يفعل شيئاً كهذا؟

- أوه، أنا أصدق تماماً أن دمي يفعل ذلك قلت وغضب.ي يمور، ويضغط على أضلاعي. أصدق تماماً أن دمننا فاسد. أشعر بذلك في داخلي. آذيت الكثيرين من الناس يا بن. أنا اقتحمت الأبواب والنوافذ و.. اقتنصت أشياء.

- أتعقدين أننا بذلك السوء؟

- نعم أعتقد.

- حتى بدم أمي؟

- حتى به.

- حسناً، أنا حزين لأجلك، أيتها الفتاة الصغيرة.

- أين ديوندر؟

- تجاوزي ذلك يا ليب.ي.

- ماذا ستفعل بالطفل؟

شعرت بالاضطراب والحمى، إذا كان الطفل قد عاش، سيكون (هو، هي) كم عمره، أربع وعشرون سنة. الطفل لم يعد طفلاً الآن. حاولت أن أتصوره شاباً، لكن عقلي يعود لصورة طفل في الملفة. لكن يا لجهنم، أنا بالكاد أتصور نفسي كشابة. في ذكرى ميلادي القادمة سأبلغ الثانية والثلاثين سنة، بعمر أمي يوم قتلت. هي كانت تبدو كبيرة جداً. أكبر بكثير مما أنا عليه.

إذاً، إن كان على قيد الحياة، أصبح الطفل في الرابعة والعشرين. لدي واحد من تصوراتي المؤلمة. قد يكون نبوءة عنّا، هذا لو بقي كل شخص حياً، في البيت في

كناكي، أرى فيه ميشيل في غرفة المعيشة، ما زالت تعبت بنظارتها الكبيرة، تصدر الأوامر إلى مجموعة من الأطفال الذين يحملون إليها. لكنهم يفعلون ما أمروا به. ديب.بي، امرأة بدينة مع زوج مزارع أشقر وضخم، لها غرفة خاصة في بيتها الريفي، تثرثر عن أمور العمل ملتفة بخرقه مخرقة وهي تدرز الرقع وتشحم البنادق، أمي متقدمة في السن، في الخمسينات ومنتفخة، معظم شعرها أبيض، وما زالت تتشاحن مع دايان بمودة.

تدخل إلى الغرفة صغيرة بن، ابنة برأس أحمر. فتاة في عشريناتها نحيفة وجريئة، تضع في معصمها النحيلين أساور رنّانة، خريجة جامعية، لا تهتم بأحد منا بجدية. فتاة آل داي.

اختلفت بلعاب.بي، وبدأت أسعل، أغلقت قصبتي الهوائية، انحنت الزائرة التي بعدي بكوتين إلى الخارج لتنظر إليّ، ثم قررت أنني لن أموت، فعادت إلى ابنها.

- ماذا حدث في تلك الليلة، يا بن؟ أنا بحاجة لأن أعرف، أريد فقط أن أعرف.

- ليب.بي، لن تكسب.بي هذه اللعبة. إن قلت لك أنا بريء، ذلك يعني أنك مذنب، وأنتك دمّرت حياتي. وإن قلت مذنب.. لا اعتقد أن ذلك يجعلك تشعرين بحال أفضل. أليس كذلك؟

لقد كان محقاً. ذلك هو السبب الوحيد في بقائي لا أحرك ساكناً لعدة سنوات. طرحت سؤالاً آخر: - وماذا عن تري تيبانو؟

- تري تيبانو.

- عرفت أنه كان وكيل مرهانات وأنه كان في مجموعة قذارة الشيطان، وأنه أحد أصدقائك وكان معك في تلك الليلة، مع ديوندر. يبدو ذلك كله واضحاً جداً.

- من أين حصلت على كل ذلك؟ نظر بن إلى عينيّ، ثم رفع نظره، وهدق طويلاً إلى جذور شعري الأحمر الذي أصبح الآن حتى أذني.

- أب.بي أخبرني، قال إنه مدين بالمال لتري تيبانو و..

- أب.بي؟ هل هو أب الآن؟

- رنر قال..

- رنر قال: اللعنة على الجميع. يجب أن تكبري يا ليب.بي. أنت بحاجة لأن تختاري جانباً من اثنين. يمكنك أن تقضي بقية حياتك تحاولين أن تتصوري ما حدث، تحاولين أن تجدي له مبرراً، أو أن تثقي بنفسك. اختاري جانباً منهما، وكوني في جانب.بي، لأنه الأفضل.

بن داى

2 كانون الثاني 1985

10:23 مساء

انطلقوا خارج أسوار المدينة، وتحول الطريق من معبد إلى وعر. كان بن يتأرجح في المقعد الخلفي، ضاغطاً يديه على سقف الشاحنة، ومحاولاً أن يبقى في مكانه. كان مثبتاً كالحجر، ثابتاً تماماً، لا يتحرك فيه سوى أسنانه ورأسه. (هل انحلّ فيك برغي)، هو لديه برغيان أو ثلاثة براغ. أراد أن ينام. أن يأكل أولاً ثم ينام. راقب أضواء كناكي تخبو على المدى ثم كانت هناك أميال من الثلج الأزرق اللامع، وهنا رقعة من العشب، مسورة بشريط شائك، لكن معظمها مغطى بالثلج. كانت تشبه سطح القمر، وبدا له أنه فعلاً في الفضاء الخارجي، أو على كوكب آخر، وأنه لن يعود إلى البيت أبداً.

انحدروا في أحد الطرق، فابتلعهم الأشجار، مثل نفق، ومن جميع الجهات، وأدرك أنه لا يعرف أين كانوا. كان يأمل فقط، أياً كان ما سيحدث، أن ينتهي بسرعة. رغب بشطيرة همبرغر. أمه تعد شطائر همبرغر عجيبة، تسميها ثفالة المطبخ، كانت تُغنيها ببقايا لحم رخيص مع البصل والمعكرونة وأي شيء آخر من فضلات قاربت أن تفسد. أقسم بن في إحدى المرات أنه وجد قطعة من الموز، مغمسة بالكاتشب. أمه تعتقد أن الكاتشب يجعل كل شيء طيباً. هذا غير صحيح. طبخها يمكن أن

يؤكل، لكنه الآن يرغب في أن يأكل واحدة من ذلك الهمبرغر المضبوط. كان يفكر. (أنا جائع، باستطاعتي أكل بقرة). ثم بدا له أن صلاته من أجل الطعام قد أجدت نفعاً. حين أبعد تركيزه عن بقعة رملية على المقعد الخلفي ونظر إلى الخارج، شاهد عشرة أو عشرين بقرة (هيرفوردز) واقفة في الثلج من دون مبرر. وهناك حظيرة للماشية قريبة، لكن لا توجد أية إشارة لبیت. كانت البقرات أعبى بكثير من أن تعود إلى الحظيرة، لذا فقد وقفت مثل كومة قذارة. تنفت البخار من مناخيرها. بقرة (هيرفوردز) من أبشع أنواع البقر في الجوار، عملاقة، لونها بلون الصدا، ووجهها أبيض متجدد وعيونها بحواف وردية. أما أبقار (جيرسي) فهي من الصنف الحلو الشكل، لها وجه الأيائل الجميل. أبقار (هيرفوردز) كأنها من عصور ما قبل التاريخ، مشاكسة، مزعجة، مكسوة بفراء كثيف ولها قرون معقوفة وحادة، عندما توقف تري، شعر بن باضطراب عصب-ي، وبأن شيئاً سيئاً سيحدث.

- نحن هنا، قال تري وهم جالسون في السيارة. توقفت التدفئة، وبدأ البرد يزحف.

- الجميع إلى الخارج، قال تري وانحنى فوق ديوندر ماذاً يده إلى تابلوه القفزات. وهنا حدق إلى بطن ديوندر والجنين، وتبادلا ابتسامات غير اعتيادية. التقط شريط كاسيت ودفعه في المسجل، وبدأت الموسيقى المسعورة تنخر رأس بن.

- هيا يا بن قال تري، وهو يسحق الثلج بقدميه. سحب مقعد السائق ليسمح لبن بالخروج، فتعثر بن وتلقفه تري قائلاً: حان الوقت لتطلع على بعض الأمور، وتستمد القوة. ستصبح أباً عما قريب أيها المتأنق وهزه من كتفيه، أب! قال ذلك بصوت حميم لكنه لم يبتسم. حدق فقط بعينين جامدتين ومحمرتين وهو يزم شفتيه، عيناه محمرتان بالكامل. حاسماً للأمر نظر نظرة تصميم إلى بن ثم أفلته. ثنى كمي سترته الجينز واستدار نحو مؤخرة السيارة. حاول بن أن ينظر عبر كبوت/غمارة السيارة ليرى عيني ديوندر، ويلمح أية نظرة لعينه فيها، لكنها كانت منحنية في السيارة

تسحب كيساً آخر من تحت مقعدها وهي تتنن، وتضع يدها على بطنها، كأنه كان صعباً جداً أن تنحني نصف قدم. خرجت الآن ويدها معقوفة على ظهرها وبدأت تنقب في الكيس. كان مملوءاً بأعمدة سيوف مختومة. سحبت ثلاثة منها.

- هاتها، قال تري. وضع اثنين في كيسه ولم يفتح الثالث. يمكنك أن تتشاركي أنت وبين.

- لا أريد المشاركة، أنت ديوندر وتابعت: أشعر وكأنني نكرة، أريد واحداً لي وحدي. أطلق تري تهيدة إحباط، ثم رمى لها واحداً وهو يدمدم: يا يسوع المسيح.

- ما هو ذلك الشيء؟ سأل أخيراً بن، وقد أحسّ بذلك السيل الدافئ على رأسه وعرف أنه كان ينزف. اشتدّ ألم رأسه، أحسّ بنبض خلف عينه اليسرى، ثم انتقل الألم إلى رقبته وإلى كتفه. كأنه سيل سريع يتحرك في جسمه. مسح رقبته فشعر كأن أحداً ربط خرطوم مياه حديقة بأنشوطة وزرعه تحت جلده.

إنها فورة الشيطان، أيها المتأنق، هل جربتها من قبل؟ دقق بودة مخدرة في راحة يده وانحنى عليها كانهاءة حسان على السكر، ثم نشقها دفعة واحدة كطلقة بندقية. ودفع برأسه إلى الخلف. تعثر عدة خطوات متراجعاً إلى الوراء، ثم نظر إليهما مستغرباً وجودهما هناك، تغطي أنفه وفمه دائرة برتقالية داكنة.

- إلى ماذا تنظر، بن داي؟

بؤبؤاً عينيه يتحركان بعصبية إلى الأمام والخلف كأنه يلاحق طائراً رناناً غير مرئي. شفتت ديوندر حستها بنشقة الحيوانات الجشعة نفسها مثل تري. ثم سقطت مباشرة على ركبتيها وهي تضحك، ضحكة مرح لثلاث ثوان، ثم تحولت إلى ضحكة خوف مبلة بالدموع، من النوع الذي تبديه حين لا تستطيع تصديق حظك التعس. ضحكها كان من ذلك النوع. كانت تبكي وتقهقه بآن واحد، وهي تركع فوق الثلج، تضحك وهي جاثية على ركبتيها ويديها ثم تقذف من فمها الجبنة وخيوط معكرونة ثخينة كانت رائحتها طيبة رغم أنها في صلصة القيء الحلوة. وحين رفعت رأسها كان

خيط من المعكرونة لا يزال معلقاً في فمها. بقي معلقاً هناك برهة قبل أن تعي ذلك. ثم سحبته إلى الخارج. تخيل بن أن المعكرونة بقيت في منتصف حلقها. تسعى في طريقها إلى الخارج، فقذفتها إلى الأرض وهي ما تزال جاثية على الأربع وتبكي. وحين نظرت إلى القيء بدأت بصياح طفولي ووجهها معصور كما تفعل أخواته حين يتأذين. إنها صرخة نهاية العالم.

- ديوندر، هل أنت على ما يرام؟ بدأ كلامه.

ترنحت إلى الأمام وقذفت ما تبقى قرب قدمي بن. فابتعد عن طريق الطرشة ووقف، يراقب ديوندر وهي على أطرافها الأربعة، وتبكي.

ناحت ثانية، أبي سيقتلني. العرق يبيل جذور شعرها. تراقص وجهها حين حملت إلى بطنها وكررت: هو سوف يقتلني.

كان تري ينظر فقط إلى بن، متجاهلاً ديوندر كلياً. قام بحركة بإصبع واحد، نقرة قصد فيها أن على بن أن يتوقف عن التحايل ويتنشق من فورة الشيطان. أخفض بن أنفه نحوها واشتم رائحة مطاط قديم وصودا محمصة.

- ما هذه، إنها تشبه الكوكايين؟

- إنها مثل أسيد البطارية لذهنك، رشها في يدك.

- يا رجل، أشعر بأنني زبالة الآن، لا أدري إن كنت بحاجة لهذه الأشياء، أنا أتضور جوعاً يا رجل.

- أنت تحتاجها لاستقبال ما سوف يحدث. تنشقها.

عادت ديوندر تقهقه ثانية، وجهها أبيض تحت كريم الأساس ذي اللون القشدي. فقات الطعام كان يسبح باتجاه قدم بن في مجرى وردي. تحرك. ثم ابتعد عنها، متجهاً نحو الأبقار المرتقبة. دفق البودرة في راحته وتركها للتناثر مع الريح، وعندما تناقست لتصبح كومة بحجم الربع منها. استنشقتها بصوت مرتفع وزائف كما فعلا.

وبقي على أنفه الجزء المأخوذ منها فقط.

كان ذلك مفحماً، لأنها دخلت مباشرة في رأسه. مزعجة مثل غاز الكلورين، لكنها أكثر لذعاً منه. بن يتخيلها تنتشر بسرعة مثل تفرّع أغصان الشجر. تشعل الأوردة في رأسه. أحسّ وكأن دورته الدموية كلها تحولت إلى صفيح ساخن. حتى عظام رسغه بدأت تؤلمه، وانتفضت أمعاؤه مثل أفعى تهبّ من غفوتها. اعتقد لوهلة أنه يجب أن يستجمع قواه، لكنه بدلاً من ذلك عب القليل من الشراب، فغشيت عيناه وانهار على الأرض. رأسه ينبض مفتوحاً. والدم يسيل على وجهه مع كل نبضة. أحسّ بأنه قادر على الجري ثمانية أميال في الساعة، وأن ذلك ما يجب أن يفعله. لأنه إن بقي حيث هو، سينغلق صدره وينطلق منه عفريت ما، ينفذ دم بن عن أجنحته، ويخدع رأسه بفكرة الالتصاق بهذا العالم، ثم يحلق في السماء، محاولاً العودة إلى الجحيم، وعندها، ما إن فكر بن أنه يحتاج بندقية، ويطلق النار على نفسه وينهي كل ذلك، حتى هبّت فقاعة هواء كبيرة من الارتياح وانتشرت في خلاياه، هدأت أوردته، وأدرك أنه يلتقط أنفاسه فأخذ يعبّ الهواء، ثم شعر بتحسّن ونشاط في تنفس الهواء. ذلك ما كان عليه. أحسّ بأنه يتمدد، ويكبر، ممتاز. كأن لا مشكلة في ما فعل. فقد كان الاختيار الصحيح، نعم سيدي، بالتأكيد، أصبح قادراً على أن يملأ السماء بخيارات من الضروري القيام بها في الأشهر القادمة، ثم يطلق عليها النار، مثل كرنفال الحيوانات وينتصر على حيوان كبير، ضخم، فيسرع الناس إليه ويحملونه على الأكتاف. هكذا يمكن أن يكون هذا العالم الحقيق بهيجاً.

- ما هذه الجرعة بحق الجحيم؟ سأل بن، وبدا صوته صلباً مثل ضربة قوية على باب ثقيل. تجاهله تري، نظر إلى ديوندر، وهي تسحب نفسها عن الأرض، أصابعها حمراء حيث غرستها في الجليد، بدا كأنه سيصرخ في وجهها دون أن يدرك ذلك. ثم بحث في مؤخرة شاحنته وتأرجح عائداً ببلطة زرقاء تلمع كالثلج، وناولها لبن، موجهاً الشفرة نحوه. ترك بن يديه مشدودتين إلى جنبه قائلاً لا لا لا لن تجبرني على أخذها وكأنه ولد طلب منه أن يحمل طفلاً باكياً حديث الولادة، لا لا لا.

- خذها، قال تري.

أمسكها بن، باردة بين يديه، على مقدمتها بقع صدئة، هل هذا دم؟
رماه تري بوحدة من نظراته الكسولة ولم يزعج نفسه بالإجابة.

- أوه، أنا أريد البلطة صرخت ديوندر صرخة طويلة وحادة، ووثبت نحو الشاحنة. تساءل بن إن كانا يتثاقلان عليه كعادتهما.

- إنها ثقيلة جداً عليك، خذي خنجر الصيد. قال تري.

تمايلت ديوندر إلى الأمام والخلف في معطفها، وفراء قبعتها يعلو ويهبط.

- لا أريد، الخنجر صغير جداً، أعط الخنجر لبن، فهو يصيد.

- إن فلأخذ بن هذين الاثنيين قال تري، وناوله البندقية ذات العشر طلقات.

- دعني آخذ البندقية، إذاً، سأخذ تلك، قالت ديوندر.

أمسك تري بيدها، فتحها، وطواها على مدية غمدية قائلاً: إنها حادة لا تتلاعب بي بها

لكن أليس ما كانا يفعلانه، مجرد لعب؟

- بن غاي، امسح وجهك، إنك تنقط دماً في كل مكان، قالت ديوندر.

كانت البلطة في يد، والبندقية في الأخرى، مسح بن وجهه بكمه وتقدم وهو فاقد الرشد. استمر الدم بالسيلان أكثر. وها هو ذا يبيل شعره، ويغطي عيناً واحدة. كان بن الان يتجمد وتذكر أن ذلك هو ما يحدث حين تنزف حتى الموت، وتشعر بالبرد، عندها عرف السبب وقال لنفسه: سيكون من غير المعقول ألا تبرد، فقد كان يرتدي سترة ديوندر الصغيرة والخفيفة، والقشعريرة تلسع جذعه كله.

سحب تري معولاً ضخماً آخر. شفرته حادة جداً، بدت كأنها كتلة جليدية فضية. علقه فوق كتفه، كرجل ذاهب إلى العمل. ديوندر ما زالت مستاءة من الخنجر وتري

يصرخ بها: - أتريدين قولها؟ قال تري، أم تريدين فعلها؟

تراجعت عن تجهمها، وهزت رأسها بانتعاش، وضعت خنجرها في وسط الدائرة التي كانوا يقفون فيها بشكل عرضي. لكن لا، تلك ليست مصادفة، لأن تري وضع معوله بجانب الخنجر، وأشار لبن أن يفعل الشيء نفسه مبدياً له تعبير نفاذ الصبر مثل أبوين نسي ابنهما أن يتلو صلاة المائدة. وهكذا قام بوضع البندقية والبلطة فوق أشياءهم، تلك الكومة البراقة من المعدن الحاد جعلت قلب بن يخفق بقوة. فجأة التقط تري وديونdra يديه، يتشبث تري بيده بشدة وحرارة، وديونdra تترنح مستاءة، حين كانوا واقفين في دائرة حول أسلحتهم، كان القمر يضفي لمعاناً على كل شيء. وبدا وجه ديونdra مثل قناع، فيه الكثير من الحفر والبثور، وحين رفعت ذقتها نحو القمر، نقل بن نظره بين فمها المفتوح وكومة المعادن، واشتد بأسه، ولم يعد يأبه لشيء. دماغه كان يئز في مكان ما في اللاشعور. في الواقع كان دماغه يشتعل. ثم بدأت ديونdra تنشد: أيها الشيطان نحن نقدم لك قرباناً، نقدم لك الألم، والدم، والخوف، والغضب، أساسيات الحياة الإنسانية، نحن نعبدك. أيها الشرير. في قوتك، نحن نقوى، وفي مجدك، نحن نتمجد.

لم يعرف بن ما تعنيه تلك الكلمات. ديونdra تصلي كل الوقت. تصلي في الكنيسة مثل الناس العاديين، لكنها تصلي أيضاً لإلهات، وحجارة الجيود والكريستال، وأي تفاهة أخرى. كانت دائماً تبحث عن العون.

- نحن سنجعل من ابنك مقاتلاً قذراً الليلة يا ديونdra، قال تري.

تفرقوا عند ذلك، والتقط كل منهم سلاحه، مشوا بصمت إلى داخل الحقل، والثلج يصدر صوتاً كصوت الكاوتشوك وهم يطؤونه، يكسرون القشرة العلوية منه.

قدما بن تجمدتا فعلياً، كأنهما منفصلتان عنه، وملتصقتان فيه بشكل غير طبيعي. لكنهما لم تكونا تعينان له شيئاً، لا هذا، ولا الكثير من الأشياء يهمله.

كانوا في فورة هذه الليلة، لا شيء له أية أهمية، إن كل شيء سيكون على ما

يرام، طالما يمكنه الصمود في هذه الفورة.

- أي واحد، يا ديوندر؟ سأل تري حين توقفوا. أربعة ثيران كانت تقف بقريهم، لا تتحرك في الثلج، لقد وجدت أن البشر لا يكثرثون بها. يا لخيالها المحدود!

تمهلت ديوندر، وهي تتمم بصوت منخفض موجهة إصبعها إلى الثيران - إيني ميني - ميني مو - ثم استقرت على أكبر واحد فيها. شدت فمها إلى الورا في ابتسامة مصاص دماء. أنيابها ظاهرة وانتظر بن صرخة المعركة: هجوم. لكنها بدلاً من ذلك خطت ثلاث خطوات واسعة، متعقلة، بالثلج باتجاه الثور، الذي ابتعد عن طريقها خطوة واحدة قبل أن تغرس خنجر الصيد في حلقه.

- إنها تُنفذ، فكر بن، ها هي تُنفذ. أضحية الشيطان.

كان الثور ينزف دماً كالنفط، داكناً وكثيفاً - كلاك، كلاك - ثم انتفض فجأة، انقطع وريده أو شيء من هذا القبيل، وانبتق الدم في رذاذ غاضب، يرشقهم بلطخات حمراء، على وجوههم، وثيابهم، وشعرهم، وديوندر كانت تصيح: الآن، أخيراً. كأنها خرجت فجأة من بركة ماء كانت غارقة فيها. وردد الجليد صدى صرخاتها. طغنت الثور في وجهه. ضربت عينه اليسرى وحولتها إلى خبيصة، فغارت داخل جمجمته. بقعة زلقة ودم أسود. تعثر الثور في الثلج، مضطرباً ومشوشاً، يطلق أصواتاً مثل صرخات نائم استيقظ للخطر، خائفاً لكنه كسول. الدم يتناثر فوق كل فرائه الأبيض الملفف. رفع تري شفرة ساطوره نحو القمر، وصرخ صرخة هادرة ثم أغمد ساطوره تحت يد الثور وغرسها في أحشائه.

أشياء الثور في الجزء الخلفي من جسده نتأت، ثم انتصبت، وبدأ يخبّ مترنحاً. الثيران الأخرى وسّعت الدائرة حوله، مثل أطفال في عراك. تراقب وتخور.

صاحت ديوندر إحق به فوثب تري وثبات كبيرة على الثلج، ساقاه تركان الهواء وكأنه يرقص، يطوح ببطته دوائر في الفضاء، وهو يُنشد للشيطان، ثم وفي منتصف الأنشودة، هوى ببطته على ظهر الحيوان، فكسر عموده الفقري، وأوقعه على الثلج.

بن لم يتحرك. إن تحرك فيعني ذلك أنه يستطيع المشاركة وهو لا يرغب فيها.

لم يكن يرغب في أن يشعر بلحم الثور يتهشم تحت يده، ليس لأن ذلك العمل كان ظلماً، لكن لأنه قد يشعره بأنه شيء ذو قيمة عنده. مثل المخدرات، حيث عرف منذ المرة الأولى التي تناول فيها الحبوب المخدرة أنه لن يقلع عنها أبداً، وأنها مثل الدخان وجدت مكاناً في داخله، ويبقى فارغاً فقط للدخان ليتجمع فيه. وقد يترك فراغاً آخر أيضاً لهذا الشعور بالقتل، لا بد أن يكون هناك مكان فارغ في داخله ينتظر أن يمتلئ به.

- هيا يا بن، لا تتجانب علينا الآن. ناداه تري، وهو يسحب جرعات من الهواء بعد الضربة الثالثة، والرابعة، والخامسة من البلطة.

كان الثور ملقى على جنبه، يئن الآن، بألم، أنات راحل إلى العالم الآخر، بالطريقة التي يمكن أن يصوت فيها ديناصور واقع في حفرة من القطران: كانت مروعة، مميتة، وصادمة.

- هيا يا بن، قم بدورك في القتل، لا يمكنك أن تأتي وتقف هكذا، صاحت ديوندرار. وكأن الوقوف هكذا هو أطفه شيء يحدث في هذا العالم. نظر الثور إليها من الأرض، فبدأت تطعنه في فكيه، طعنات فعالة وسريعة. تعرّ من بين أسنانها وتصرخ حقير. تطعنه مرات ومرات، يد على السكين، والأخرى تغطي بها بطنها.

- توقفي يا دي. قال تري وانحنى على بلطته. افعليها يا بن. قم بها الآن وإلا سأؤذيك يا رجل ما زالت لمعة المخدر في عينيه. تمنى بن لو أنه أخذ كمية أكبر من فورة الشيطان تلك، تمنى لو أنه لم يتورط في هذه الحالة الما بين بين. فهو لديه بعض المنطق ولكن ليس الخوف.

- هذه فرصتك، أيها المتأنق، كن رجلاً. لديك هنا أم لطفلك تراقبك. هي قامت بدورها فلا تكن خواراً، مخصياً طوال حياتك، وتترك الناس يتلاعبون بك. يدخلون الرعب إلى قلبك. اعتدت أن أكون مثلك، يا رجل، لكني لا أريد أن أعود إلى تلك

الحالة ثانية. انظر كيف يعاملك أبوك، مثل فتى رخو ضعيف. لكنك الآن تحصل على ما ترغب به، أتعرف ذلك؟ أظن أنك تعرف.

تنفس بن الهواء المتجمد داخل رثتيه، الكلمات تنسلّ تحت جلده، فتزيده غضباً على غضب. هو لم يكن جباناً.

- هيا، يا بن، افعلها. اذهب فقط، حتّته ديوندرًا.

كان الثور ينفث الآن، الدم ينسكب من عشرات الجروح، وبركة حمراء في الثلج.

- عليك أن تُخرج الغضب، يا رجل، إنه المفتاح للقوة، أنت خوّاف جداً، يا رجل، ألسنتك تعباً من كونك خوّافاً؟

كان الثور على الأرض مثيراً للشفقة، سيموت عاجلاً، ذلك ما وجده بن مثيراً للغثيان. أمسكت يداه البلطة بإحكام، وهو يفكر، الثور يجب أن يُقتل لتخليصه من بؤسه وعذابه. عندها رفع حد البلطة فوق رأسه، عالياً، وهوى بها على جمجمة الثور. كانت ضربة مروعة، وصرخة أخيرة من الحيوان. نثرات من دماغه وعظامه تطايرت إلى الخارج حينها ارتخت عضلاته متمددة ظاهرة في كتفيه - فقد قام بعمل إنساني - هوى بالبلطة ثانية، فانشطرت الجمجمة إلى نصفين. الآن مات الثور أخيراً، ورجف رجفة أخيرة بقائمتيه الأماميتين. ثم حول بن انتباهه إلى الجزء الأوسط منه، حيث كان في الواقع يمكنه أن يخرب، إلى الأعلى والأسفل، يطير عظاماً وفقااعات من الأحشاء، وهو يصرخ اللعنة عليك، اللعنة. عليك، اللعنة عليك. كتفاه مشدودتان بشكل لا يوصف، كأنهما مربوطتان بالمطاط، فكاه يصطكان، وقبضتاه ترتجفان... متأرجحاً، مسحوقاً!

كاد أن يلجأ إلى البندقية حين كَلَّت ذراعاه، كان مرهقاً، الغضب يرشح من جسمه ولم يعد يشعر بالقوة إطلاقاً. أحسّ بالارتباك الذي شعر به حين خرج من المستودع القذر، منهكاً، وآثماً وغيبياً.

انفجرت ديوندرًا بالضحك وقالت: بدا قوياً جداً بعد أن مات الحيوان عملياً. ثم

تابعت: أنا قتلتته، أليس كذلك؟

كانوا جميعهم يلهثون منهكي القوى وجوههم مغطاة بالدم، ما عدا حيث مسحون على أعينهم، ليتمكنوا من الرؤية كما يفعل حيوان الراكون.

هل أنت متأكدة أن هذا الشاب هو من جعلك حاملاً، يا ديوندر؟ قال تري. هل أنت واثقة من أنه تحمّل القيام بذلك؟ لا شك أنه أفضل حالاً مع الفتيات الصغيرات.

رمى بن البلطة، وأخذ يمشي نحو السيارة، وهو يفكر بأن وقت الذهاب إلى البيت قد حان. مفكراً بأن هذا كله كان بسبب غلطة أمه، لأنها كانت كلبة معه هذا الصباح. لو أنها لم تستغرب شعره لكان في البيت هذه الليلة، نظيفاً ودافئاً تحت بطانيته. أصوات أخواته خارج بابه تماماً، والتلفاز يهمهم في القاعة. أمه تتخلص من بعض المأكولات المسلوقة على العشاء. لكنه هنا بدلاً من ذلك، يسخرون منه كالعادة. فعل كل ما في وسعه لإثبات ذاته، وانتهى مقصراً كالعادة. لا بد أن تظهر الحقيقة أخيراً. هذه الليلة سيشار إليها دائماً، الليلة التي لم يستطع فيها بن أن يقوم بدوره في القتل.

إنه الآن، يعرف كيف يستشعر العنف، فرغب بالمزيد، سيفكر فيه لبضعة أيام، لقد رنّ الجرس، ولا يمكنه ألا يرنّه، هكذا سيفكر فيه، يهجس به، القتل. لكنه يشك في أن يأخذه تري وديوندر معهما مرة ثانية، سيكون مثيراً للشفقة، خوفاً، كما هو دائماً، من أن يفعلها بمفرده.

وقف مديراً ظهره لهما، ثم رفع البندقية إلى كتفه. تمايل إلى الوراء. لقم البندقية، إصبعة على الزناد، بام! تخيل رنين الهواء، وارتداد عقب البندقية إلى كتفه صديقاً له تأثير شديد عليه، ويقول له أحسنت عملاً! ويطوي البندقية، يضع فيها طلقة أخرى، ويمشي إلى عمق الحقل، يطوح تلك البندقية إلى الوراء وبام!

تخيل أن أذنيه ترنّان ويعبق الهواء برائحة البارود، تري وديوندر لا يقولان شيئاً بالمرّة وهو واقف في حقل من القرايين.

ليبي داي الآن

أرسل لي لاييل تسع رسائل صوتية في الأيام التي كنت فيها في أوكلاهوما خارج التغطية، نبرتها تتغير بشكل همجي. بدأ بأسلوب يعطي انطباعاً عن أرملة عجوز قلقة، أعتقد أنه كان يتكلم وهو يضغط على أنفه. يسأل عن أحوالي بشيء من الدعابة. ثم انتقل إلى أسلوب الغضب والقسوة، ملحاً وخائفاً، قبل أن ينقلب إلى أحرق في رسالته الأخيرة. صرخ: إن لم تردّي عليّ، أنا قادم.. وجهنم قادمة معي! ثم أضاف: لا أعرف إن كنت رأيت شاهدة قبر في حياتك.

- رأيت، لكنها كانت شاهدة قبر السيّ كورت راسل.

اتصلت به، أعطيته عنواني (هذا خيار غير عادي بالنسبة إليّ) أخبرته أن بإمكانه أن يأتي إذا رغب بذلك. سمعت في الخلفية صوت امرأة يسأله من على الهاتف ويقول له أن يسألني شيئاً ما - (اسألها فقط - لا تكن أحرق، اسألها فقط) - وحاول لاييل أن يقفل الهاتف. قد تكون ماجدة، هل تريد تقريراً عن رنر؟ سأعطيك إياه. أردت أن أقول له فعلاً، أو أن أندسّ في السرير ولا أنهض منه لعشر سنوات أخرى.

بينما كنت أنتظر، جهزت نفسي كي أصبغ شعري. كنت قد اشتريت صبغة شعر من البقالية في طريق عودتي من زيارة بن. ونويت أن أسحب اللون الأشقر البلاطيني

منه لكن في النهاية غادرت المخزن مع اللون القرمزي الفاقع، رأيت على العلبة، رأساً أحمر يضحك عليّ بوقاحة. وهذا أقل كلفة، نعم، أنا دائماً فضّلت الكلفة الأقل. فكرت بالعودة إلى اللون الأحمر، لون شعري الطبيعي منذ أن علّق بن عليّ (كم تشبهين أمك) الفكرة لا تقاوم بالنسبة إليّ. فأنا بطريقة أو بأخرى أفكر في أن أعلن عن خروجي من مقطورة دايان، وأن أبدو كأني باتي داي وقد بُعثت من جديد، قد يكون ذلك كافياً ليرضى إحساسي الداخلي. يا إلهي، دايان لم تردّ على اتصالي.

كدست كرة قرمزية من الكيماويات على رأسي، الرائحة تشبه رائحة شيء يحترق بهدوء. أربع عشرة دقيقة أخرى وأزيلها عندما رن جرس الباب. لایل، جاء مبكراً طبعاً. دخل بسرعة وهو يتحدث عن مدى شعوره بالارتياح لأن يسمع مني، ثم تراجع إلى الوراء.

- ما هذا، صبغة؟

- سأعيده إلى اللون الأحمر.

- جيد، أقصد، إنه لرائع، اللون الطبيعي.

خلال ثلاثين دقيقة، كنت أخبر لایل بكل ما عندي عن رنر وعن ديوندر.

- تمام، قال لایل وهو ينظر إلى يساره، موجهاً أذنه إليّ، تلك وضعية الاستماع والتفكير عنده. إذن، وفقاً لما قاله بن، هو عاد إلى البيت في تلك الليلة، وباختصار، تشاجر مع أمه، ثم غادر ثانية، ولا يعرف شيئاً بعد ذلك.

- وفقاً لما قاله بن، قلت وأومأت برأسي.

- وبحسب ما قاله رنر، ماذا؟ إما أن تري قتل عائلتك لأن رنر مدين له بالمال، وإما أن بن وتري قتلا عائلتك، ومعهما ديوندر كطقس من طقوس عبادة الشيطان. ماذا قال رنر حول إنكار صديقه للادعاء؟

- قال إن عليّ أن أغسل شعري.

راقبني لاييل إلى الحمام، يملأ الممر، يدها على جانب.ي إطار الباب، ويفكر.

- هل يمكنني أن أقول شيئاً دقيقاً عن تلك الليلة، يا ليب.ي؟

كنت منحنية فوق الحوض، والمياه تتدفق من فوهة خرطوم معلق - لا يوجد دوش في منطقة أوفر ذير ذات وي) - لكنني توقفت.

- أقصد، ألا يبدو وكأنهما كانا شخصين؟ بطريقة أو بأخرى؟ مقتل ميشيل كان قد تم قبل لحظات - أمك وديب.ي كأنهما، أوه، كانتا مطاردتين تقريباً. لكن ميشيل ماتت في سريرها. الأغطية منزوعة عنها. كانت لدى القتلة مشاعر مختلفة تجاههن، على ما أعتقد.

هزرت كتفي هزة خفيفة، وصور المكان المظلم تحوم، وتلتصق برأسي تحت رذاذ الماء، بحيث لم أتمكن من سماع المزيد. الماء بدأ يجري باتجاه المصرف مثل خمرة البورغاندي. وبينما كنت منحنية، شعرت بلابل ينزع الخرطوم مني ويربت على مؤخرة رأسي. هذا عمل غير متقن، وغير عملي، أنجز العمل فقط.

صرخ بصوت أعلى من صوت الماء مازال لديك بعض البقع.، ثم أعاد الخرطوم لي. نهضت فاقترب مني وأمسك شحمة أذني ومسحها. هناك شيء من الصبغة على شحمة أذنك أيضاً وقد لا تتماشى مع الأقرط.

- أذناي ليستا مثقوبتين قلت وأنا أسرح شعري، وأنا أحاول أن أتأكد إن كان اللون ملائماً. أحاول جاهدة ألا أفكر في جنث أهلي وأركز اهتمامي على شعري فقط.

- حقاً، اعتقدت أن كل فتاة لديها أذنان مثقوبتان.

- لم يكن لدي أحد ليقبهما لي.

راقبني وأنا أمشط شعري، وعلى وجهه ابتسامة حزينة.

- كيف أصبح الشعر؟ سألني.

- حين يجفّ سنعرف.

جلسنا على أريكة غرفة الجلوس البائسة، كل منا في الطرف المقابل، نستمع إلى وقع المطر وقد عاد يهطل ثانية.

- تري تيبانو تقدم بادعاء لتبرير غيابه، قال أخيراً.

- حسناً، ولدى رنر ادعاء أيضاً. على ما يبدو كان من السهل أن يحصل عليه.

- ربما عليك الذهاب رأساً وإلغاء إفادتك بشكل رسمي.

- لن ألغي أي شيء حتى أتأكد.. أنا حتى الآن لست متأكدة.

ازداد هطول المطر، وجعلني أتوق لموقد نار.

- أتعلمين، تلك المزرعة ذهبت في حجز الرهن في يوم الجريمة، صحيح؟ قال

لايل.

هزرت رأسي، فتلك كانت واحدة من أربعين ألف حقيقة في ذهني، شكراً للايل

وكل ملفاته.

- ألا يبدو أن ذلك يشبه شيئاً ما؟ قال. ألا يبدو ذلك غريباً، كأننا نفتقد لشيء

واضح؟ فتاة تقول كذبة، مزرعة تذهب تحت رهانات لاعب قمار مستحقة لصالح وكيل

مراهنات من عبدة الشيطان. يا إلهي. كلها في اليوم ذاته.

- وكل فرد في هذه الحالة يكذب. إما يكذب وإما كذب.

- ماذا علينا أن نفعل الآن؟ سأل.

- نراقب التلفاز، قلت. وأدرت الجهاز. انحنيت، أسحب خصلة من شعري نصف

الجاف لأتحقق من اللون. بدا أحمر قانياً صاعقاً، لكنه الآن لون شعري الطبيعي.

- أتعرفين يا ليب.ي، مع كل ذلك، أنا فخور بك، قال لايل بتكبر.

- أوه، لا تقل ذلك، يبدو كأنك تتفضل عليّ. إنك تثير جنوني عندما تفعل ذلك.

- لم أكن أتفضل عليك، قال وقد علا صوته.

- مجرد جنون.

- أنا لم أكن أقصد أن أتعرف إليك فذلك يشعرني بالسكينة.

- ياه، كم هو مثير. أنا ذات شأن.

- أنت كذلك.

- لاييل، لا تقل ذلك، اتفقنا؟ طويت ركبتي تحت ذقني وجلسنا كلانا نتظاهر

بمشاهدة برنامج الطبخ، صوت المضيف كان متألّقاً جداً.

- ليب.ي؟

أدرت عيني ببطء إليه، كأنهما توئمانني.

- هل أخبرك شيئاً؟

- ماذا؟

- ألم تسمعي عن تلك الحرائق قرب سان برناردينو، قديماً في عام 1999، أتت

على قرابة الثمانين بيتاً وما يقارب تسعين ألف آكر.

هزرت كتفي. بدا وكأن كاليفورنيا كانت دائماً تشتعل.

- أنا هو ذلك الولد الذي أشعل تلك النار. لم يكن بقصدي. أو على الأقل، أنا لم

أكن أقصد خروجها عن السيطرة.

- ماذا؟

- كنت مجرد ولد، في الثانية عشرة من عمره ولم أكن ممّن يشعلون النار أو أي

شيء من هذا القبيل لكنني وجدت معي قداحة، قداحة سجائر، أنا لا أتمكن حتى أن

أذكر لماذا كانت معي. لكني أحببت قدحها، تعرفين، كنت أتنزه ماشياً على التلات التي خلف مزرعتنا. ضجراً، والممر كان مغطى تماماً بالأعشاب اليابسة وأشياء أخرى. وكنت أمشي عبره. أقدح القداحة، لأرى إن كنت أستطيع الوصول إلى رؤوس الأعشاب لألتقطها، كان لها تلك الرؤوس المزعجة.

- ذيل الثعلب، قلت. وتابع لایل: واستدرت، و.. إذا بها كلها قد التقطت النار. كان خلفي ما يقارب العشرين من الحرائق الصغيرة، مثل المشاعل. كان ذلك خلال عيد القديس آناس. وهكذا بدأت رؤوس الأعشاب تتطاير بعيداً، وتحط فتلتقط النيران قطعة أخرى، ثم تطايرت مئة قدم أخرى. عندها لم تعد حرائق صغيرة هنا وهناك فقط، بل صارت حريقاً كبيراً.

- بتلك السرعة؟

نعم بتلك الثواني، شبّ الحريق، ما زلت أذكر ذلك الشعور. ربما لدقيقة شعرت بأنني سأكون قادراً على إخماده، لكن لا. الآن أصبح في كل مكان ورائي. وكان سيشتد بشكل سيئ. أنا أذكر تماماً اعتقادي بأنني كنت وسط شيء لن يغرب عن بالي. وما زلت أذكره. من الصعب أن تكون ذلك الشاب الكبير وتذكر شيئاً كهذا.

كان من المفترض أن أقول شيئاً الآن. فقلت: - أنت لم تكن تقصد أن يحدث ذلك، لایل، كنت طفلاً مع شيء رهيب، حظ عاثر.

- حسناً، أنا أعرف، لكن ذلك هو السبب في أنني، تعرفين، أتطابق معك. ليس منذ زمن بعيد، بدأت أستعلم عن قصتك، وفكرت، قلت لنفسني: قد تكون مثلي. لا بد أنها تعرف ذلك الشعور. نتيجة شيء يخرج كلياً عن السيطرة. أنت تعرفين، إفادتك وما حدث بعدها.

- أنا لم أخبر أحداً بتلك القصة، أقصد طواعية. أخبرتك أنت فقط..

- أعرف، شكراً.

لو كنت شخصاً أفضل، لوضعت يدي على يد لایل عندها، ومنحته ضمة دافئة لأجعله يدرك أنني فهمت، وشدت عليه. لكني لم أكن كذلك. لذا كان الشكر قاسياً كفاية. قفز (باك) على الأريكة بيننا، يحثني على إطعامه.

- إذن، أوه، ماذا ستفعلين في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟ قال لایل متضائلاً في جلسته على طرف الصوفا، في البقعة نفسها حيث جلست كرسي ووضعت وجهها بين يديها وبكت.

- لا شيء.

- أوه، أمي أرادت أن تسألك إن كنت ترغبين في الحضور إلى حفلة عيد الميلاد التي ستقيمها لي، قال لایل. مجرد عشاء أو شيء من هذا القبيل، ومجرد أصدقاء.

الناس لديها حفلات عيد ميلاد، يقيمها الكبار، لكن الطريقة التي قالها لایل جعلتني أفكر بالمهرجين والبالونات، وربما ركوب الخيل.

- أوه، محتمل أنك تريد أن تستمتع في ذلك الوقت مع أصدقائك. قلت، وأنا أبحث في الغرفة عن جهاز التحكم.

- صحيح. ولهذا السبب دعوتك.

- أوه، إذن لا بأس.

كنت أحاول ألا أبتسم، لأن ذلك سيكون فظاً جداً، وكنت أحاول أن أتخيل ماذا عليّ أن أقول. هل أسأله كم سيصبح عمرك - اثنتي عشرة سنة في عام 1999، يا إلهي اثنتين وعشرين سنة - لكن نشرة الأخبار ظهرت على الشاشة. ليزيت ستيغنز وُجدت هذا الصباح، مقتولة. جسدها في قاع المسيل، وقد ماتت منذ أشهر.

باتي داي

3 كانون الثاني

12:01 صباحاً

تفككت كناكي. هي حقاً لن تفتقد هذه البلدة، خاصة في فصل الشتاء، فحين تتحرّر الطرقات تعيد قيادة السيارة ترتيب هيكلك العظمي. في الوقت الذي عادت فيه باتي إلى البيت، كانت البنات غارقات في نوم عميق. ديب.ي وميشيل تمددتا على الأرض كعادتهما دائماً. ديب.ي استخدمت دمية محشوة على شكل حيوان كوسادة، وميشيل ما زالت تمتص قلمها على الأرض. المفكرة تحت ذراعها، وهي تبدو مرتاحة رغم أن ساقها مثنية تحتها. ليب.ي كانت في السرير بتكويرتها المشدودة الصغيرة، قبضتها تحت ذقنها، وتصرّ بأسنانها. فكرت باتي أن تغطي كلاً منهن كما ينبغي، لكنها لم ترغب بالمجازفة في إيقاظهن، وأرسلت لهن قبلة في الهواء بدلاً من ذلك ثم أغلقت الباب، صدمتها رائحة البول، فأدركت أنها نسيت أن تبديل الشرشف بعد كل ذلك.

كانت حقيبة الملابس قد احترقت بالكامل، وهناك قطع صغيرة جداً في أسفل الموقد فقط. مربع قطني أبيض عليه نجمة أرجوانية استقر في الرماد، متحدياً. وضعت باتي قرمة حطب أخرى فقط للتأكد. ورمت القطعة في النار تماماً. ثم اتصلت بدايان. وطلبت منها أن تأتي في الصباح الباكر جداً، عند الفجر، لتتمكننا من البحث

عن بن ثانية. قالت دايان:

- أستطيع أن آتي الآن، إن كنت ترغبين في صحبة.
- لا، أنا سأوي إلى الفراش، قالت باتي. وشكراً على المغلف، والنقود.
- أجريت للتو عدة اتصالات بحثاً عن محامين، ستكون لدينا قائمة كبيرة في الغد. لا تقلقي، بن سيعود إلى البيت. هو خائف على الأرجح، وسيمضي الليلة عند أحدهم، لكنه سوف يظهر.
- أحبه كثيراً جداً يا دايان.. بدأت باتي، ثم ضبطت نفسها. طابت ليلتك.
- سأحضر معي بعض الحبوب حين آتي، فقد نسيت أن أحضرها اليوم.
- حبوب. تلك الحبوب طبيعية جداً، فهي تشعرك بالضغط في أمعائك.

توجهت باتي إلى غرفتها. أرادت أن تجلس وتفكر ملياً، أن تتأمل بعمق. الدافع كان عاطفياً قوياً، لكنها قاومته، كانت كمن يحاول أن يمنع عطسة. أخيراً سكبت لنفسها مقدار إصبعين من البوريوند وارتدت طبقات سميكة من ثياب النوم، معتقدة أن الوقت قد حان. إنها في كل حال، ستحاول أن تسترخي قليلاً.

فكرت أنها ستبكي - البكاء هو المروّح عن كل ذلك - لكنها لم تفعل. اندست في السرير ونظرت إلى السقف المشقق وفكرت، لن أكون مضطرة كي أقلق بشأن شقوق السقف بعد الآن. لم تنظر إلى شبك نافذتها المكسّر بقرب سريرها، والذي فكرت سنة وراء سنة أن عليها إصلاحه. لن تكون مضطرة إلى أن تتضايق في الصباح حين تستيقظ وتكون بحاجة لقهوة فتجد أن غلاية القهوة قد تهالكت أخيراً ولم تعد صالحة. ليس عليها أن تقلق حول أسعار السلع أو كلفة التشغيل ولا نسبة الفوائد أو بطاقات الائتمان التي أخذها رنر باسمها وحملها التسديد وهكذا هي لن تدفعها أبداً. ولن ترى عائلة كيتس مرة ثانية أبداً، على الأقل لفترة طويلة. لن يكون عليها أن تنزعج من رنر وتبخره كالتاوس، أو المحاكمة، أو الهلوسة بمحام

حريري الشعر في معصمه ساعة ذهبية ثخينة، يقول أشياء تافهة لا تحميها من المحاكمة. ليس عليها أن تسهر في الليل قلقة مما قاله المحامي لزوجته، وهما مستلقيان في سريرهما، يحكي لها قصصاً عن أم الولد داي وتربيتها السيئة. لن تقلق من ذهاب بن إلى السجن. وليس عليها أن تتعذب لعدم قدرتها على العناية به أو بأي واحد منهم. الأمور ستتغير.

للمرة الأولى منذ عشر سنين. لم تكن قلقة. لهذا فهي لم تبك. وفي وقت ما بعد الساعة الواحدة. طرقت ليبي الباب وفتحته وهي تسير في نومها، واندست في السرير معها، فاستدارت باتي وقبلتها قبلة ليلة طيبة وقالت لها "أحبك". كانت سعيدة أن تقول ذلك بصوت مسموع لأحد أولادها، وفي الحال، نامت ليبي، حتى أن باتي تساءلت إن كانت ليبي قد سمعتها.

ليبي داي الآن

استيقظت وأنا أشعر أنني حلمت بأمي. كنت أتوق لشطائر الهمبرغر البائسة التي طالما سخرنا منها، المملوءة بقطع الجزر واللفت وأحياناً بفواكه قديمة. وهذا غريب فأنا لا آكل اللحم. لكنني أردت واحدة من تلك الشطائر.

كنت أفكر كيف يمكن أن نُعدّ الهمبرغر فعلاً، حين اتصل لاييل وكلبته (بقي شخص أخير فقط) هذا ما اعتاد لاييل أن يقوله: شخص آخر فقط علينا أن نتحدث إليه، فإذا لم ينتج عن الحديث شيء، يمكن أن أستسلم وأقلع عن ذلك. إنه تري تيبانو. عليّ أن أعثر على تري تيبانو. وحين قلت إن اقتفاء أثره سيكون صعباً جداً. سرد لاييل عنوانه. إنه سهل جداً. لديه عمله الخاص، تيبانو فيد قال لاييل. أردت أن أقول: عمل رائع، رداً عليه - كم سيكون ذلك سهلاً؟ - لكنني لم أقل. قال لاييل: إن نسوة ماجدة سيدفعون 500 خمسمئة دولار لقاء الحديث مع تري. كنت سأقوم بذلك مجاناً، لكنني أخذت النقود في أية حال.

أدركت أنني سأستمر على هذه الوتيرة، فعلاً، لأنني لن أستطيع التوقف إلى أن أحصل على أي نوع من الإجابة. بن يعرف، أنا واثقة من ذلك الآن. بن يعرف شيئاً ما، لكنه لم يكن ليقوله، لذا سأستمر. أذكر، ذات مرة شاهدت خبيراً في الحب على التلفاز وكان مقتعاً جداً. نصيحته كانت: لا تكن جباناً، فكل علاقة حب تقيمها قد

تكون فاشلة، إلى أن تجد الشخص الصحيح. وهذا ما شعرت به في هذه المسألة العويصة: كل شخص أتحدث إليه قد يخذلني إلى أن أجد الشخص الذي سيساعدني في حل لغز تلك الليلة.

لايل سيذهب معي إلى مخزن تيبانو فيد، أولاً: لأنه يريد أن يعرف من هو تري تيبانو، وثانياً: لأنه كان ناقماً على الشاب، فهو يقول: أنا فعلاً لا أثق بعبدة الشيطان. مخزن تيبانو فيد كان شرق منهاتن، كنساس تماماً، إنه مكان ما يحتلّ موقعاً من أرض زراعية محشورة بين عدة ضواح. كانت المنشآت بيضاء ونظيفة، بدت وكأنها مزيفة مثل محلات التذكارات الغربية قديماً في ليدغروود. مكان يتظاهر الناس أنهم يعيشون فيه. إلى يساري، البيوت الصندوقية الشكل التي تفسح في نهاية الأمر طريقاً إلى سبخة زمردية من الأعشاب، مخصصة لألعاب الغولف، جديدة تماماً وصغيرة. تحت ندى الصباح البارد، ظهرت خيالات بضعة رجال على الممر السالك، يقتلون ويسددون مضاربهم وهم يطوحون بها، فيبدون مثل أعلام حمر ووردية فوق العشب الأخضر. ثم اختفت تلك البيوت الزائفة والعشب الزائف وخيالات الرجال ذوي القمصان الخفيفة، بنفس السرعة التي ظهرت فيها. وأصبحت أنظر إلى حقل من أبقار (جيرسي) البنية الجميلة، تتفرّس في مترقبة. شرد ذهني؛ الأبقار هي من الحيوانات القليلة التي يبدو أنها تراك فعلاً. حدثت إليها طويلاً وغفلت عن رؤية المبنى الكبير القرميدي القديم المعرف ب. تيبانو فيد وحاجيات المزرعة. ربت لايل على كتفي، ليب.ي، ليب.ي، ليب.ي. دست على المكابح وتوقفت بعد انزلاق بلغ خمسين قدماً تقريباً، ذلك الشعور المرير ذكّرني برنر حين أفلتني مختلة التوازن بعد أن دوّخني. رجعت إلى الورااء بشكل عاصف وانحرفت إلى الموقف المفروش بالحصى.

سيارة واحدة فقط ركنت أمام المخزن. المكان بأكمله يبدو تعيساً. الأخاديد الإسمنتية بين حجارة القرميد مليئة بالوحل. وأولاد يدورون بمرح مركبة من دون مقاعد عند الباب الرئيسي. بينما كنت أصعد الدرجات الخشبية العريضة، التي كانت

على امتداد واجهة المبنى، لمعت أضواء النيون في النوافذ. وظهرت عبارة لدينا الماس! إنها كلمات عرضية ليس لها معنى تظهر بأنوار النيون. إشارة من الصفيح مكتوب عليها سيفين (5%) هبت سحابة من الغبار من أحد مواقع البناء. ما هي السلوى الفرعونية؟ قال لایل حين وصلنا إلى الدرجة الأخيرة. ما إن فتحت الباب، حتى صدر صوت جرس يؤدي الآذان، دخلنا إلى غرفة أبرد من الخارج. كان المكيف يصفر، مثل موزع صوت يصدر نغمات جاز متنافرة، المدرج الصوتي يؤدي إلى اختلال عقلي، كانت البنادق مقللاً عليها في خزانة جانبية وراء منضدة طويلة، الزجاج لافت للنظر كسطح بركة ماء. صفوف و صفوف من السماد والبالات، والمعاول، والتربة، والسروج تمتد إلى نهاية المخزن. قبالة الجدار البعيد كان هناك قفص من الأسلاك فيه مجموعة من الأرانب التي لا يرف لها جفن. إنها أغبي حيوانات أليفة في العالم، فكرت، من يرغب في شراء حيوان يجلس، يرتجف ويتغوط في كل مكان؟ هم يقولون إنك تستطيع تدريبه على صندوق للقذارة. لكنهم يكذبون.

- لا.. أنت تعرف، شرعت أقول للایل الذي كان يتلفت حوله متحولاً إلى أسلوبه الفضولي من دون وعي، أنت تعرف، لا تفعل ذلك.

- لن أفعل.

استمرت موسيقى الجاز الدافعة للجنون بينما كان لایل يصرخ مرحباً. لم أتمكن من رؤية أي عامل واحد، أو زيون لتلك المواد، لكن عندها، وفي منتصف الصباح من يوم ثلاثاء ماطر، وما بين الموسيقى والضوء الساطع كالشمس الصادر عن مصابيح فلورية متألقة، شعرت بأني متحجرة في مكاني، ثم تمكنت من الحركة، أهد ما في آخر المخزن ينحني محدودباً في أحد الأجنحة، فبدأت أمشي باتجاه ذلك الشكل البشري. كان الرجل أسمر، ذا عضلات، شعره أسود وكثيف، ربطه على شكل ذيل حصان. انتفض حين رأنا أوه، دانغ! قال مجفلاً. حدق بنا، ثم بالباب، كأنه نسي أنه فتحه من أجل العمل، لم أسمع كما تدخلان.

- ربما بسبب الموسيقى، صرخ لاييل مشيراً إلى السقف.
- إنها مرتفعة جداً؟ قد تكون محقاً. انتظر قليلاً. اختفى وراء مكتب واختفت الموسيقى فجأة.
- هل هذا أفضل؟ والآن بماذا يمكنني مساعدتكما؟ واستند إلى كيس بذار ونظر إلينا نظرة تقول إننا لا بد أن نكون ممتنين لإسكاته صوت الموسيقى.
- قلت: أنا أبحث عن تري تيبانو. هل هو الشاب الذي يملك هذا المخزن؟
- أنا هو، والمخزن ملكي. أنا تري. ماذا يمكن أن أفعل من أجلك؟
- كان لديه حس بالنشاط، انتفض واقفاً على كعبيه، وألصق شفثيه داخل أسنانه. مظهره كان انفعالياً، ووجهه ينم على إنسان ناضج. يعتمد على المظهر.
- حسناً قلت ولا أعرف، اسمه يطنّ في رأسي مثل تعويذة، لكن ماذا عليّ أن أفعل بعد ذلك: هل أسأله إن كان وكيل مراهنات، أو إذا كان يعرف ديوندر؟ هل أتهمه بالجريمة؟
- أنا، الأمر يتعلق بأخي.
- بن.
- نعم قلت متفاجئة.
- ابتسم تري تيبانو ابتسامة تمساح باردة. نعم، استغرق معي ذلك ثانية واحدة، ولكن عرفتك، الشعر الأحمر، أظن، والوجه نفسه، أنت الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة، صحيح؟ ديب.ي؟
- قلت: ليب.ي.
- صحيح، ومن تكون أنت؟ متوجهاً إلى لاييل.
- أنا صديقها لا أكثر، قال لاييل. شعرت به يرغم نفسه على التوقف عن الكلام،

كي لا يكرر ما فعله في مقابلة كريسي كيتس.

بدأ تري بتسوية الرفوف، وإعادة تنظيم زجاجات (دير - أوف) يتظاهر بشكل غير مقنع أنه مشغول كمن يقرأ كتاباً بالمقلوب.

- هل تعرف أبي أيضاً؟ سألته.

- رنر؟ الجميع يعرفون رنر.

- ذكر لي اسمك في آخر مرة رأيته فيها.

لوح بشعره المربوط على شكل ذيل حصان إلى الوراء وقال نعم، هل مات؟

- لا، هو، هو يعيش هناك في أوكلاهوما. يبدو أنه يعتقد أنك بشكل أو بآخر.. متورط في تلك الليلة. وبأنك يمكن أن تلقي الضوء على ما حدث. بالنسبة إلى الجرائم.

- هذا صحيح. ذلك الرجل العجوز مجنون، فعلاً، لقد كان دائماً كذلك.

- قال إنك كنت مثل وكيل مرهانات، أو شيئاً كهذا حينها.

- بوب.

- وأنت كنت منغمساً في عبادة الشيطان.

- بوب.

قال تلك الأشياء بنبرة مهووس من ذوي الجينز الأزرق من مدمني المخدرات السابقين وأقلع عنها. قالها بذلك الشعور بالاستسلام.

- إذن ذلك صحيح؟ قال لایل. ثم نظر إليّ كمن يشعر بالذنب.

- نعم، ورنر يدين لي بالمال، بمبلغ كبير من المال، ولا يزال. أعتقد... لكن هذا

لا يعني أنني أعرف ما حدث في بيتك في تلك الليلة. فقد كنت خلال هذه السنوات

العشر التي مضت...

- أكثر من ذلك. خمس وعشرون سنة تقريباً.

عقد تري حاجبيه.

- واو، خمنت أقل من ذلك. قال وهو لا يزال غير مقتنع. يرقص قسمات وجهه،

كأنه يجمع السنوات.

- هل كنت تعرف بن؟ سألته ملحة.

- قليلاً، ليس تماماً.

- اسمك يتردد كثيراً.

- لدي اسم جذاب، هزّ كتفيه انظري، قديماً في ذلك الحين، كانت كناكي تميّز

الناس عرقياً كجهنم. لم يكن الهنود محبوبين. لاموني على أمور كثيرة لم أفعلها. هذا

كان قبل (الرقص مع الذئاب) هل تفهمين ما أقول؟ كانت عبارة لم الهندي تلاحقتي

كل الوقت وكأنها لعنة فرعون مصر.

- ماذا؟

- BTI لم الهندي. سلّمت بذلك، كنت فتى سيئاً، لم أكن طيباً. لكن بعد ما جرى

لعائلتك تلك الليلة، صحوت، فأصبحت نظيفاً، حسناً، ليس بعدها تماماً، لكن بعد عام

أو أكثر، أقلعت عن المخدرات، وتوقفت عن الولاء للشيطان، كان من الصعب جداً

التوقف عن الإيمان بالشيطان.

- هل كنت حقاً تؤمن بالشيطان؟ قال لايل.

هزّ تري كتفيه: بالتأكيد، عليك أن تؤمن بشيء، صحيح. كل شخص لديه ما

يؤمن به.

- أنا ليس لديّ، على ما أعتقد.

- ذلك كأن تعتقد أن قوة الشيطان في ذاتك، لذا فانت تملك قوة الشيطان في داخلك قال تري، لكن ذلك من زمن بعيد، - ماذا عن ديوندر وويرتزر؟ قلت.

توقف لبرهة، ثم استدار عنا، ومشى نحو الأرناب، بدأ يلعب واحداً منها من خلال الأسلاك بسبابته.

- إلى ماذا تهدفين بهذا ديب... أو ليب.ي؟

- أنا أحاول تقفي أثر ديوندر وويرتزر. سمعت أنها كانت حاملاً بطفل بن وقت الجريمة وأنها اختفت بعد ذلك. بعض الناس يقولون إنها كانت معك ومع بن آخر مرة شوهدت فيها.

- أوه، اللعنة، ديوندر. كنت أعرف دوماً أن تلك الفتاة ستعزني من مؤخرتي عاجلاً أو آجلاً. ابتسم ابتسامة عريضة هذه المرة. ديوندر، ليس عندي حلّ لغز مكان إقامتها. كانت تهرب دائماً، رغم أنها تعيش مأساة. كان والداها سيتفقدان معها، فتأتي إلى البيت، ويمثلون جميعهم دور العائلة، ثم يتحول والداها إلى قذرين - ينكران الطفل الذي أنجبته وتضطر أن تعيش المأساة، فبدأت بالتهرب، مهما يكن. مسلسل سوب أوبرا تماماً. أظن أنها في نهاية المطاف هربت. فقد قررت أن عودتها إلى البيت لا تنفع. أقصد. أنت تلعبين بالأوراق البيض.

- هي قُيدت كشخص مفقود. قال لایل، وهو ينظر إليّ ثانية متسائلاً إن كنت أمانع في التدخل. لم أفعل.

- أو إنها بخير، قال تري. في اعتقادي إنها تعيش في مكان ما تحت واحد من أسمائها المستعارة الجنونية.

- أسماء جنونية؟ قلت وأنا أضع يدي على ذراع لایل كي يبقى صامتاً.

- أوه، لا شيء، هي كانت واحدة من أولئك الفتيات، اللواتي يحاولن دائماً أن يكنّ غير عاديات، تتكلم في يوم بلكنة إنكليزية، وفي اليوم التالي تصبح لكنتها

جنوبية، هي لم تعط اسمها الحقيقي لأحد. كانت تذهب إلى صالون التجميل وتعطي اسماً مغلوطاً، ثم تطلب البيئزا باسم آخر لمجرد التلاعب بالناس. تعرفين، مجرد عبث. مثلاً: أنا ديزيريه من دالاس، أنا أليكس من لندن. كانت دائماً تعطي، أوه، تستخدم اسماً إباحياً، أتعرفين؟

- هل مارست أعمالاً إباحية؟ سألت.

- لا، مثل تلك اللعبة. كأن تقولي، ما هو اسم الحيوان الأليف الذي عندك في طفولتك؟

حملت إليه، فكرر سؤاله على الفور ما هو اسم حيوانك الأليف في طفولتك؟ استخدمت اسم كلبة دايان الميتة. كريشيا.

- وما اسم الشارع الذي نشأت فيه؟

- الحي الريفي (رولال روت 2).

ضحك. حسناً، هذا الاسم لا ينفع، يفترض أن يكون مثيراً. مثل (بامبي إيفرغرين) أو أي شيء. اسم ديوندر كان.. بولي أحياناً.. بالم. بولي بالم. كم يكون ذلك عظيماً؟

- أنت لا تظن أنها ميتة؟ هز كتفيه. هل تعتقد أن بن كان مذنباً حقاً؟ سألته.

- ليس لي رأي في ذلك، محتمل.

تشنج لایل فجأة. وراح يهتز إلى الأعلى والأسفل، دافعاً إصبعه في ظهري، محاولاً توجيهي نحو الباب.

- إذاً شكراً لما منحتنا من وقتك وتمتم لایل، وعبس في وجهه ثم في وجهي، ضوء النيون فوقنا كان يتكتك ويومض، يشتعل مرة وينطفئ أخرى، وينعكس ضوءه الضعيف علينا. الأرناب تتقافز بعضها وراء بعض فوق القش. تجهم تري متطلعاً إلى

الضوء ثم توقف وكأنه تلقى توبيخاً. حسناً، هل يمكنني أن أعطيك رقمي، في حال فكرت بأي شيء. قلت.

- ابتسم تري، وهز رأسه قائلاً: لا شكراً.

عندها استدار تري مبتعداً. عادت الموسيقى تصدح عالياً ونحن نسير باتجاه الباب، تلفت حولي بينما العاصفة تمور، جانب من السماء كان أسود والآخر أصفر. خرج تري من مكتبه، يراقبنا ويداه على جنبيه، الأرناب تهتاج فجأة من خلفه.

- صرخت: هيه، تري، ماذا تعني BFE إذن؟

- الأصل، لعنة مصر، ليب.ي، تلك هي بلدنا الأم.

كان لايل يعدو أمامي، يقفز الدرجات. وصل إلى السيارة بثلاث خطوات كبيرة. هزّ مقبض باب السيارة ليدخل، ادخلي، ادخلي، ادخلي. رميت نفسي إلى جانبه، منزعجة.

- ماذا؟ قلت. دوى الرعد، وأثارت عصفه رايحة الحصى المبلل.

- أديري محرك السيارة أولاً. دعينا نخرج من هنا، أسرع.

- حاضر سيدي.

تأرجحت خارجة من موقف السيارات، عائدة إلى مدينة كنساس. المطر يدور كإعصار. وبعد أن قدت السيارة قرابة الخمس دقائق طلب مني لايل أن أتوقف. توجه نحوي وقال: أوه، يا إلهي.

بن داي 3 كانون الثاني 12:02 صباحاً

توقفوا خارج بيت ديوندر، الكلاب كانت تنبح مذعورة كالعادة، كأنها لم تر شاحنة من قبل، ولا شخصاً، ولا حتى ديوندر. دخلوا ثلاثهم عبر البوابة الخلفية. ثم طلبت ديوندر من بن وتري أن يتوقفا أمام الباب السحاب ويخلعا ملابسهما كي لا يقطر الدم في كل مكان.

(اخلعها فقط، وضعها كلها في كومة. سنحرقها).

كانت الكلاب خائفة من تري، نبحت لكنها لم تقترب منه، فقد ضرب الأبيض منها ذات مرة وأوجعه، فأصبحت كلها تمشي حوله بحذر منذ ذلك الحين. سحب تري قميصه من الخلف على طريقة الشباب في أفلام السينما، الطريقة الصعبة، ثم فك أزرار بنطاله الجينز، وعيناه على ديوندر، وقد أوشكتا على أن تغمضا. كأن ذلك كان بعضاً من مداعبة مجنونة. خلع بن قميصه بالطريقة نفسها، وخلع بنطاله، ذلك البنطال الجلدي المبلل بالعرق، وعندها هجمت الكلاب عليه، تشمشم ما بين ساقيه، وتلعق ذراعيه، كأنها ستلتهمه. دفع أحدها بعيداً، وضع راحته على خطمه، ودفعه بقوة فعاد الكلب مباشرة بعدوانية ولعابه يسيل.

قال له تري إنها تريد أن تداعبك يا رجل. ضحك ثم تابع: ضعها حيث تستطيع، تمام؟

- هو لن يحصل على أي شيء مني، لذا بإمكانه أن يفعل ذلك أيضاً. قالت ديونдра وهي تحلّ أزرار بنطالها عروة، عروة لاوية الرأس. خرجت من بنطالها... - ماذا؟ قالت لبن.

- لا شيء، عليك أن تذهب بي إلى الداخل.

- شكراً يا أصيل. قالت وهي تركل ثيابها فوق الكومة ووجهت كلامها لتري - بطريقة كان واضحاً منها أنها قصدت تري فقط - وهي ذاهبة لتحضر سائلاً للاشتعال.

ركل تري بنطاله وسط الكومة، ووقف بلباس داخلي أزرق. أخبر بن أنه قد فشل في إثبات نفسه.

- أنا لم أرها بتلك الطريقة، تتم بن. لكن عندما سألت تري ماذا؟ هز رأسه فقط.

أطبق أحد الكلاب عليه تماماً الآن، مخالبه على فخذي بن، محاولاً أن يلحق أطراف بطنه، حيث تجمع الدم. صاح بن (ابتعد عني)، وعندما هجم الكلب بقوة، ضربه بظاهر يده، فزجر الكلب، ثم هجم ثانية وثالثة وهو ينبح، مكشراً عن أنيابه. ارتعد بن وهو عارٍ وتراجع نحو البيت وهو يصرخ بالكلاب (ابتعدي عني)، انسحبت الكلاب تماماً حين عادت ديونдра.

- الكلاب تهاب القوة. قال تري وقلب شفتيه باستخفاف قاصداً تعري بن. وقدة نار جيدة.

التقط تري سائل الاشتعال من ديونдра. ما زالت عارية من بطنها الكبير وللأسفل، تنبق سرّتها كالإبهام. رشّ تري السائل فوق الثياب كأنه كان يبول. وقدح ولأعته في جانب واحد منها. وهوف.. اشتعلت الثياب، ما جعل تري يتعثر متراجعاً خطوتين

كبيرتين، وكاد يقع. كانت هذه هي المرة الأولى التي يراه فيها بن غيباً. ابتعدت ديوندر، غير راغبة بإحراج تري بأنها رأته، وذلك ما جعل بن أكثر حزناً من أي شيء آخر في هذه الليلة: المرأة التي أراد أن تكون زوجته، المرأة التي ستجيب ابنه، تُولي رجلاً آخر اهتمامها، وليس هو.

يجب أن يفرض احترامه عليها.

كان عالقاً هناك، في بيت ديوندر، يراقبهما وهما يدخان الكثير من المخدرات. ولا يمكنه العودة إلى البيت من دون دراجته. كان الطقس بارداً جداً، برداً يُميت الإنسان. فقد عادت تتلج بشدة من جديد. الريح تعصف في المدخنة. وإذا تحولت إلى عاصفة ثلجية ستجمد بقية الأبقار حتى الموت في الصباح. إن لم يفعل الفلاح الكسول شيئاً لإنقاذها.

حسناً، فلتلقنه درساً. أحسّ بن بالغضب في داخله يتصاعد ثانية، وبشدة.

لتلقّن الجميع درساً، كل أولئك السفلة الذين لا يعانون من متاعب، ومن يبدو أنهم سينزلقون مباشرة إلى جهنم، حتى رنر، ذلك السكّير البائس الذي يبدو عليه أقلّ مشاكسة من بن. هنالك الكثير من الناس الذين يجب أن يُلقنوا درساً، إنهم يحتاجون إلى أن يدركوا حقاً، ما أدركه بن، وهو أن لا شيء يأتي بسهولة، وأن أموراً كثيرة ستصبح مريرة. أحرقت ديوندر من دون قصد بنطاله الجينز مع بنطاله الجلدي. لذا فهو يرتدي الآن زوجاً من بلوزات ديوندر الأرجوانية، وقميصاً قطنياً كبيراً وجوارب بولو بيضاء سميكة وقد أكّدت ديوندر عليه للتو مرتين بأنها تريد استعادتها. كانوا في ذلك الوقت المتأخر من الليل. الحدث الكبير انتهى، وما زال بن يتساءل ماذا يعني ذلك؟ أهو حقاً يصلّي للشيطان؟ وهل هو فعلاً بدأ يستشعر القوة؟ أم أن ذلك كله خدعة، أم أنه أحد تلك الأشياء التي تقنع نفسك بها مثل تحضير الأرواح أو المهرج القاتل في شاحنة بيضاء، أم هو مجرد سبب لتعاطي جرعة كبيرة من المخدرات.

كان عليهم أن يتوقفوا مبكراً عن تعاطي المخدرات، فقد كانت من النوع الرخيص، وهو يعرف كم ستؤذيه. ما إن تصل إلى رأسه، حتى تصيبه بالانهيار. إنها من ذلك النوع السيئ الذي يجعل الناس وضيعين.

انسلّ تري بهدوء، ليشاهد التلفاز. رفّت عيناه في البداية، ثم راح رأسه يهتز إلى الأعلى والأسفل، ثم انتصب، وعندما سقط فجأة على جنبه.

ذهبت ديونдра لتبول، وجلس بن هناك في غرفة المعيشة متمنياً لو أنه في البيت الآن. كان يتخيل شراشفه القطنية، ويتخيل نفسه في السرير، يتكلم مع ديونдра على الهاتف. هي لم تتصل به من البيت، ولم يكن مسموحاً له أن يتصل بها لأن والديها سيجن جنونهما إن حصل ذلك. لذا فهي تحمل سجائرها وتجلس في كوة هاتف قرب محطة البنزين أو في المجمع. كان ذلك الشيء الوحيد الذي فعلته من أجله. جعلته يشعر بالسعادة لقيامها بذلك المجهود، وقد أحب ذلك فعلاً. ربما أحب فكرة مهاتفة ديونдра أكثر من الحديث معها مباشرة في الواقع. مؤخراً هي أصبحت حقيرة معه حين يكونان سوية. عاد مجدداً يفكر بالثور النازف وتمنى لو أنه أعاد البندقية، ذلك ما أراده. في ذلك الحين كانت ديونдра تناديه بأعلى صوتها من غرفة نومها.

انعطف في الركن فوجدها واقفة بجانب جهازها الأحمر للرد الآلي. قالت له وهي تلوي رأسها: - أنت حقير. وضغطت زر التشغيل.

- مرحباً ديو، أنا ميغان. أنا مستغربة تماماً بن داي. هل سمعت أنه تحرّش بكل أولئك الفتيات؟ أختي في الصف السادس. إنها بخير، نحمد الله، لكن يا إلهي ما هذا المريض. أظن أن الشرطة قد اعتقلته. في أي حال، اتصلي بي.

ثم نقرة، طنين، وصوت فتاة أخرى، عميق وحاد: مرحباً ديونдра، أنا جيني. قلت لك إن بن داي هو من أتباع الشيطان، هل سمعت عن قذارته؟ أظن أنه كان هارباً من الشرطة. أعتقد أن اجتماعاً كبيراً سيعقد في المدرسة صباحاً حول ذلك الموضوع. لا أعرف. أردت أن أتأكد إن كنت تودين الذهاب.

كانت ديوندرًا واقفة فوق الجهاز، وقد أرادت تحطيمه. كأنه كان حيواناً ويمكنها أن تفعل به شيئاً. التفتت إلى بن وصرخت ما هو الموضوع؟ وتوردت غاضبة، فقال بن في الحال جملة خاطئة: من الأفضل أن أذهب إلى البيت.

- من الأفضل أن تذهب إلى البيت؟ ما هذه السفالة يا بن، ما الذي يجري؟

- لا أعرف، لذلك عليّ أن أعود إلى البيت.

- لا، لا، لا، ابن الماما. أنت ابن ماما عديم النفع. ماذا؟ ستذهب إلى البيت، وتنتظر الشرطة وتتركني هنا بينما أنت ذاهب إلى السجن؟ تتركني جالسة هنا أنتظر أن يصل أبي اللعين إلى البيت؟ مع ابنك الحقير الذي لن أستطيع أن أتخلص منه؟

- ماذا تريدني أن أفعل يا ديوندرًا؟

البيت! ذلك ما بقي يفكر فيه.

- نحن سنغادر المدينة الليلة. لدي حوالي مئتي دولار نقداً بقيت معي من أبوي. كم يمكنك أن تحضر من عندك؟ وعندما لم يجب بن مباشرة، لأن فكره كان مشغولاً بكريسي كيتس، وبما إذا كانت القبلة شيئاً يستحق الاعتقال من أجله، وما مدى صحة الموضوع، وربما إذا كانت الشرطة فعلاً تلاحقه. مشت ديوندرًا إليه وصدفت وجهه بقسوة قائلة: كم تملك في بيتك؟

- لا أعرف، لدي بعض النقود كنت ادخرتها، وأمي عادة يكون لديها مئة دولار، مئتان، مخبأة في مكان ما، لكني لا أعرف أين.

تمايلت ديوندرًا، أغمضت إحدى عينيها ونظرت إلى ساعتها المنبه، وسألته: - هل تسهر أمك إلى وقت متأخر. هل ستكون مستيقظة؟

- إذا كانت الشرطة هناك، نعم. أما إذا لم تكن، فستكون أمه نائمة، حتى وإن كانت خائفة وقد جنّ جنونها. المهزلة الكبيرة في العائلة أن أمه لم تحتفل بليلة رأس السنة، فقد كانت دائماً تنام قبل منتصف الليل.

- سنذهب إلى هناك، إذا لم نشاهد سيارة شرطة، سندخل. تستطيع أن تحضر النقود، وتحزم بعض الثياب، ثم نخرج من هنا.

- وماذا بعد ذلك؟

اقتربت ديودرا منه، لاطفته حيث أن خده ما زال محمراً. كحل عينيها كان قد سال على خدها، لكن بن ما زال يشعر بالجيشان من، ماذا، الحب؟ القوة؟ أم شيء آخر، جيشان، شعور بشيء ممتع.

- بن، حبيب-ي، أنا أم ابنك، صحيح؟ هز رأسه هزة خفيفة. تمام، إذن أخرجني من هذه المدينة. أخرجنا جميعاً من هذه المدينة. لا أستطيع القيام بذلك من دونك. علينا أن نخرج، ننطلق غرباً. يمكننا أن نخيم في مكان ما. ننام في السيارة. في أي مكان. وإلا فأنت ستكون في السجن، وأنا مقتولة بيد والدي. هو سيتركني أنجب الطفل ثم يقتلني، وأنت لا تريد لطفلنا أن يعيش يتيماً. أليس كذلك. هذا ليس إن كان بإمكاننا أن نساعدته؟ لذا دعنا نذهب.

- أنا لم أفعل ما قالوه عني، مع أولئك الفتيات، أنا لم أفعل. همس بن أخيراً. كانت ديودرا منحنية على كتفه. خصلات شعرها المتماوج تدخل في فمه.

- من يهتم إن كنت قد فعلت؟

ليبي داي الآن

كان لاييل يتنطط في مقعده. ليبي.ي، هل لاحظت؟ خثرة مقدسة؟ هل لاحظت؟

- ماذا؟

- اسم الدلع لديوندر، الذي اعتادت على استخدامه، ألم تلاحظي؟

- بولي بالم، ماذا يعني ذلك؟

كان لاييل مكشراً، أسنانه الطويلة تلمع أكثر من أي شيء في ظلام السيارة.

- ليبي.ي، ما الاسم الذي وشمه أخوك على ذراعه؟ أتذكرين الأسماء التي

استعرضناها؟ مولي سالي، والاسم الذي قلت لك أنه يشبه اسم كلبة؟

- أوه، يا إلهي.

- بولي، صحيح؟

- أوه، يا إلهي، قلت ثانية.

- أعني، إنها ليست مصادفة، أليس كذلك؟

بالطبع لم تكن مصادفة، كل شخص يحتفظ بسرّ يتألم إن باح به، وتلك كانت

طريقة بن في البوح. ولاؤه لعشيقته السريّة. لكنه لا يستطيع أن يستخدم اسمها

الحقيقي في الوشم. الأنسة المختفية ديونديرا، لذا فقد استخدم الاسم الذي اعتادته حين كانت تعبت. تخيلته يمرر أصابعه بفخر فوق الخطوط المنتفخة، جلده ما زال يخزه. بولي. ربما كان ذلك تعبيراً رومانسياً، وربما للتذكار.

- أتساءل كم هو عمر الوشم، قال لایل.

- في الواقع لا يبدو بذلك القدم، قلت. إنه لا يزال، لا أعرف، لا يزال براقاً، لم يبهت لونه نهائياً.

أخرج لایل اللابتوب، ووازنه على ركبتيه المشدودتين.

- هيا، هيا، أعطني إشارة. كأنه يكلم شبكة الإنترنت.

- ماذا تفعل؟ سألته.

- أنا لا أعتقد أن ديونديرا ميتة، أعتقد أنها في منفى. إذا ذهبت أنت إلى منفى، وعليك أن تختاري اسماً، ألا يغريك أن تستخدم اسماً كنت قد استخدمته من قبل؟ اسماً لا يعرفه إلا قلة من أصدقائك فقط، قريباً إلى نفسك، وجزءاً من الوطن؟ اسماً قد يضعه صديقك وشماً على ذراعه وقد يعني له شيئاً ما، شيئاً يمكنه أن يراه بشكل دائم؟ هيا صرخ باللابتوب.

تابعنا بالسيارة عشرين دقيقة أخرى، نطوي الطريق العام إلى أن التقط لایل إشارة وبدأ تاب - تاب، يطبع بسرعة المطر، وأنا أحاول أن أنظر إلى الشاشة دون أن أتسبب بكارثة تودي بنا.

أخيراً رفع لایل بصره، وإشراقاً ابتسامة مجنونة على وجهه: ليب.ي، ربما رغبت بالتوقف مرة ثانية.

انحرفت إلى جانب الطريق، قبل مدينة كنساس بمسافة قصيرة، دوى زمور الإنذار في السيارة قليلاً بسبب تهورى، واهتزت سيارتي ما إن خفت سرعتها.

اسمها كان متربعاً على الشاشة: بولي (اللينة) بالم الوحيدة المسجلة في قوائم

المدينة كلها، ما عدا اسم محل سلع وأظفار نسوية في شيفر بورت.

- أنا حقاً أحتاج شبكة إنترنت، قلت.

- هل تعتقد أن هذه شبكتها؟ قال لايل وهو يحدق إلى الاسم كأنه قد يختفي.

لا بد أن تكون لها، أليس كذلك؟

- لنر. قلت وأنا أسحب هاتفني الجوال.

أجابت عند الرنة الرابعة، تماماً عندما كنت أعب جرعة هواء لأترك لها رسالة.

- هل أنت بولي بالم؟

- نعم. الصوت كان محبباً، مثل السجائر والحليب.

- هل أنت ديوندر وويرتزير؟ توقفت لبرهة ثم أغلقت الخط.

- هل يمكنك أن تحدد لي بعض الاتجاهات لذلك المنزل، يا لايل؟

أراد لايل أن يأتي معي. أراد فعلاً أن يأتي، وفكر أنه يجب أن يأتي معي بالفعل، لكنني لم أجد ذلك منطقياً، أو مفيداً، لم أرغب في أن يأتي معي إلى هناك، لذا فقد أنزلته عند استراحة سارة، وهو يحاول ألا يبدو متجهماً حين انطلقت بالسيارة، وأنا أعده أن أتصل به في اللحظة التي أغانر فيها بيت ديوندر.

- أنا جاد، لا تنسي، صاح من ورائي. أنا جاد كثيراً. أطلقت له زموراً وانطلقت.

كان لا يزال يصرخ بشيء ما ورائي حين لففت المنعطف.

كانت أصابعي متشنجة من التشبث بعجلة القيادة، كيرني كانت على بعد خمس وأربعين دقيقة شمال مدينة كنساس، وعنوان ديوندر، وفقاً لاتجاهات لايل الدقيقة جداً، كان على مسافة خمس عشرة دقيقة أخرى من المدينة. عرفت أنني أصبحت قريبة جداً حين بدأت تظهر كل الإشارات إلى مزرعة جيسي جيمس وقبر جيسي جيمس، تساءلت: لماذا اختارت ديوندر العيش في موطن الخارجين عن القانون،

وبدا لي أنني سأفعل مثلها. اجتزت الطريق الجانبية إلى مزرعة جيمس - وصلت إلى مدرسة ابتدائية، مكان بارد صغير، حيث قُتل أخو جيسي الصغير، غير الشقيق، في هجوم مباغت - أتذكر وأنا أفكر، إنه يشبه بيتنا تماماً. تقدمت على طريق متعرجة ضيقة، صاعدة التلال وهابطة ومن ثم دخلت الريف، حيث قبعت بيوت خشبية مغبرة على أرض منبسطة كبيرة، وكلاب مربوطة بسلاسل تنبح في كل ياردة منها. لم يظهر أي شخص، وبدت المنطقة خالية تماماً، الكلاب والخيول فقط، وفي المدى خط أخضر من غابة خُصصت لتكون فاصلاً بين البيوت والطريق العام.

لاح بيت ديونдра بعد عشر دقائق أخرى. كان بشعاً، له وضعية ميلان إلى جانب واحد، مثل امرأة ناتئة الوركين بالت في ملابسها. كان ملزماً بتلك الوضعية لأنه لا مجال آخر له ليمتد إليه. كان موقعه بعيداً عن الشارع. بدا وكأنه بيت مربع في مزرعة كبيرة. لكن لم يكن هناك أي بيت آخر، بضعة آكرات من الطين على جوانبه فقط. وكانت متدرجة ووعرة كأن الأرض مجردة بحب الشباب. تلك كانت البقعة الكئيبة من الغابات في المنطقة.

قادت السيارة على طريق ترابي طويل يؤدي إلى البيت. خائفة وقلقة من أن تغوص سيارتي، ومما يمكن أن يحصل إن غاصت.

من وراء غيوم العاصفة، شمس ما بعد الظهر المتأخرة سطعت تماماً في وقت كان يجب أن تسترني فيه. حين صفقت الباب بعنف ومشيت باتجاه البيت، سرى البرد في أمعائي. وحين اقتربت من الدرجات الأمامية، انطلقت أنثى كبيرة لحيوان البوسم (حيوان يتظاهر بالموت حين يحدق به الخطر) من تحت الرواق. تهسهس عليّ. لم يثر أعصابي ذلك الشيء، ذلك الوجه المستدق الأبيض وعيناها السوداوان وهي تمثل كأنها ستموت الآن. وإضافة إلى ذلك، فإن أنثى حيوان البوسم مقرفة. ركضت إلى الدغل. ركلت الدرجات لأتأكد من عدم وجود غيرها ثم سعدت عليها. قدمي اليمنى غير المتوازنة كانت تحف داخل جزمتي. تعويذة دريم كاتشر (جالبة الأحلام السعيدة) معلقة بجانب الباب، تتدلى منها أسنان حيوانات منحوتة وريش.

لقد جلب المطر إلى هنا رائحة التربة والسماء، كما يجلب رائحة الإسمنت في المدينة تماماً، مثل رائحة البيت التي لم تكن مرضية.

فاصل مريب طويل تبع دقائق على الباب، ثم سمعت وقع أقدام هادئة يقترب منه. فتحت ديوندا الباب، غير مية قطعاً. حتى أنها لا تبدو مختلفة جداً عن الصورة التي رأيتها. وقد أخفت تجعدات شعرها، لكنه بقي في تموجات سوداء سائبة، وما زالت تضع الكحل بشكل كثيف ما جعل عينيها تبدوان زرقاوين كبيضة عيد الفصح، أو مثل قطع الحلوى. رموشها مغطاة بطبقتين من الماسكارا، فبدت عنكبوتية، وتركت نقاطاً سوداء على البطانة اللحمية تحت عينيها. شفتاها كانتا ممتلئتين مثل شفرين. كامل وجهها وجسدها كان سلسلة من التقوسات اللطيفة: خدان ورديان بلمعة. ثديان عامران يفيضان عن حمالتها، حلقة من الجلد تشكل كناراً في أعلى بنطالها الجينز.

- أوه، قالت ما إن فتحت الباب، وخرج فيض من الحرارة. ليب.ي؟

- نعم.

أمسكت وجهي بيديها قائلة: تبا، ليب.ي، لطالما فكرت بأنك ستجديني في يوم من الأيام. أنت فتاة ذكية. ضمتني، وأبقتني خارجاً لبرهة ثم قالت: أهلاً، ادخلي. دخلت إلى مطبخ مروراً بحجرة صغيرة على الجانب. الترتيب ذكّرني كثيراً ببيتي المفقود.

مشينا داخل ممر قصير، على يميني باب قبو مهمل مفتوح، تتسرب منه هبات من الهواء البارد. ثم دخلنا إلى غرفة معيشة ذات سقف منخفض. رائحة دخان تفوح من منفضة سجائر على الأرض، الجدران مصفرة. الأثاث كله مستنزف. جهاز تلفاز ضخم مثل كرسي مزدوج مقابل أحد الجدران.

- أتمانعين في خلع حدائك، لو سمحت، عزيزتي؟ قالت وهي تشير إلى سجادة

غرفة المعيشة، التي كانت دبكة وموحلة. كان البيت كله في فوضى عارمة، مخفوق وملطخ. غائط كلب صغير متكئ قرب الدرجات، حادت عنه ديوندا برشاقة.

تقدمتي باتجاه الصوفا، التي تفوح منها على الأقل روائح ثلاث: بخاخ مثبت شعر، وعطر برائحة الورد، وربما.. مبيد حشرات؟ كانت ترتدي بلوزة من دون أكمام، قصيرة، وبنطال جينز مشدوداً، مع مجوهرات عتيقة لمراهقة. كانت واحدة من أولئك النساء المتوسطات في العمر، اللواتي يعتقدن أنهن يستطعن الاحتيال على الناس.

تبعتها، متجاهلة الإنشآت الإضافية التي منحني إياها كعبا حذائي. أشعر بأنني طفلة. أدارت ديوندا جانبها، ترقبني بزاوية عينها، بحيث تمكنت من رؤية نابيها المستدقين بارزين من تحت شفتها العليا.

أحنت رأسها إلى جانب واحد وقالت: تعالي، اجلسي. يا إلهي أنت بلا شك من آل داي؟ ذلك الشعر الأحمر الناري لطالما أحببته.

ثلاثة كلاب صغيرة بأرجل قصيرة وشعر أجعد كثيف أتت راكضة. أطواقها ترن كأجراس عربية جليد، وتسلفت إلى حضنها، فتوترت.

- أوه، تبا، أنت بالتأكيد من آل داي، قهقهت. بن كان دائماً يتوتر لرؤية الكلاب أيضاً. طبعاً الكلاب التي كانت عندي كانت أكبر من هذه الصغيرة وتركتها تلحق أصابعها، السنة وردية تتلامح داخلة خارجة. إذن، ليب.ي... بدأت حديثها وكأن اسمي ووجودي كانا عندها دعابة ضمنية... هل أخبرك بن أين تجديني؟ قولي الحقيقة.

- وجدتك من خلال شيء قاله تري تيبانو.

- تري؟ يا يسوع المسيح، كيف توصلت إلى تري تيبانو؟

- هو يملك مخزن أغذية، عنوانه في الصفحات الصفراء.

- مخزن أغذية. لم أتواصل مع ذلك الشخص. بالمناسبة، كيف هو؟

أومأت بحماس: يبدو أنه بخير، قبل أن أضبط نفسي. ثم قلت: كنت مع بن في تلك الليلة؟

- مممم. مممم.

لقد كنت تفحصت وجهها، حذرة لكنها مهتمة.

- أريد معرفة ما حدث.

- لماذا؟ سألت ديوندر.

- ماذا؟

- آسفة، آنسة ليب.ي. ذلك كله لم يكن في الحسبان. هل قال لك بن شيئاً ما؟

أعني، لماذا جئت تبحثين عني الآن؟ لماذا الآن؟

- أحتاج لمعرفة ما حدث من غير ريب.

- أوه، ليب.ي. نظرت إلي نظرة تعاطف. بن راضٍ بأن يتحمل من أجل ما حدث.

هو أراد أن يتحمل، اتركه وشأنه.

- أهو من قتل عائلتي؟

- ألهذا أنت هنا؟

- هل قتل بن عائلتي؟

ابتسمت في وجهي فقط. وبقيت شفتاها غير المفتوحتين صارمتين.

- أحتاج لبعض الطمأنينة، يا ديوندر، رجاء، قولي لي فقط.

- ليب.ي، أهذا من أجل الطمأنينة؟ أتعقدين أنك إذا عرفت الجواب ستجدين

الطمأنينة؟ وكأن معرفتك بذلك ستريحك؟ أتعقدين بعد كل ما حدث سيكون هنالك أية

راحة لك. يا عزيزتي؟ ماذا لو أنك بدلاً من أن تسألي نفسك عما حدث، أن تتقبلي أنه

حدث. امنحني الهدوء لأتقبل الأمور التي لا أستطيع تبديلها، عليك بالصلاة الصامتة. لقد ساعدتني كثيراً.

- فقط قولها، يا ديوندر، أخبريني فقط. وعندها سأحاول أن أتقبل.

كانت الشمس تغرب، وتصلنا الآن من النافذة الخلفية، فتجعلني أرف من سطوعها: انحنت نحوي وأمسكت كلتا يدي.

- ليب.بي، أنا آسفة، أنا لا أعرف. كنت مع بن في تلك الليلة. كنا سنغادر المدينة، وكنت حاملاً بطفله. كنا سنهرب. كان ذاهباً إلى بيته، ليحضر بعض المال. ومرت ساعة، ساعتان، ثلاث ساعات. أعتقد أنه فقد أعصابه. أخيراً بكيت إلى أن غلبني النعاس. في الصباح التالي، سمعت ما حدث. في البداية اعتقدت أنه قُتل هو أيضاً. ثم سمعت، لا، هو كان موقوفاً والشرطة عدته واحداً من السحرة - شيطانياً، على شاكلة عصابة تشارلز مانسون - التي يبحثون عنها. كنت أتوقع أن يطرق أحد باب.بي. لكن لم يحدث شيء كهذا. وتوالت الأيام. وسمعت أن بن لم يكن لديه تبرير غياب ليلة الجريمة، وهو لم يُشر إليّ إطلاقاً. كان يحميني.

- كل هذه السنين؟

- كل هذه السنين، نعم، الشرطة لم تكن لترضى بمجرد القبض على بن. هم أرادوا المزيد ليبدووا متفوقين. لكن بن لم يقل أية كلمة. هو بطلي الطيب.

- إذاً لا أحد يعرف ما جرى في تلك الليلة، وأنا لن أصل إلى أية نتيجة ولن أكتشف ذلك مطلقاً. شعرت بارتياح غريب لقول ذلك بصوت مرتفع. أستطيع أن أهدأ الآن، ذلك محتمل. إذا لم أتمكن من معرفة ما حدث، عندها قد أطمئن.

- أعتقد أنك ستجدين بعض الراحة. إن سلّمت بالأمر. أعني، ليب.بي. أنا لا أعتقد أن بن فعلها. أعتقد أنه يحمي والده. هذا ما فكرت به. لكن من يعرف؟ أكره أن أقول ذلك. لكن بن، مهما يكن ما حدث في تلك الليلة، مضطر لأن يكون في السجن.

هو قال ذلك بنفسه. لديه شيء ما في داخله لم يكن ملائماً للعالم الخارجي، العنف. هو في حال أفضل في السجن. محبوب جداً هناك، وهو صديق بالمراسلة لكل تلك النسوة، هن يجن جنونهن عليه. سنوياً يحصل على دزينة عروض للزواج. هو، نادراً جداً، ما يفكر بالعودة إلى الخارج. لكنه لا يريد ذلك.

- وكيف عرفت؟

- نحن على تواصل، صاحت، ثم ابتسمت بحلاوة. شعّ الضوء الأصفر البرتقالي من غروب الشمس على ذقنها، وفجأة غابت عيناها في الظلام.

- أين الطفل، يا ديوندر؟ الطفل الذي كنت حاملاً به؟

- أنا هنا. قالت ابنة آل داي.

بن داي

3 كانون الثاني 1985

1:11 صباحاً

فتح بن الباب إلى داخل غرفة المعيشة المظلمة وفكر، إنه في البيت. مثل بحار بطل عائد بعد أن أمضى أشهراً في البحر. أغلق الباب في وجه ديوندر: لا تستطيعين اللحاق بي، لكنه سمح لها بالدخول لسبب. فهو كان خائفاً مما سيحدث إن لم يسمح لها بذلك، وكان من المريح أنهما تركا تري وراءهما على الأقل. لا يريد لتري أن يتجول في بيته، ويدلي بملاحظاته البائسة عن أمور يدرك بن أنها كانت محرجة في ذلك الحين.

الجميع نيام الآن؛ البيت بأكمله يتنفس بشكل جماعي. يخرجن النفس وراء النفس. رغب في أن يوقظ أمه، أرادها أن تتجول في أركان البيت مغشية العينين ملفوفة بأحد أرواب نومها كالشرنقة، وتسأله أين كان في هذه الدنيا، وماذا يملكه في هذا العالم.

الشيطان. الشيطان يملكني، يا أمي.

لم يكن يرغب في الذهاب إلى أي مكان مع ديوندر. لكنها كانت وراءه. الغضب ينفث من كل جسدها مثل الحرارة، تتسع عيناها وهي تقول: أسرع، أسرع، وهكذا بدأ

يفتش في الخزانة بهدوء. وجد علبة قديمة من رقائق القمح، فتحها، وازدرد قدر ما استطاع من الحنطة المجففة، فالتصقت الرقائق بشفتيه وحلقه وجعلته يسعل سعال طفل صغير. عندها مد يده كلها في العلبة والتقط قبضة من الرقائق، ودسها في فمه، ثم فتح البراد فوجد حافظة طعام محشوة بقطع الجزر الصغيرة والبازلاء تغلونها طبقة من الزبدة، فغرس فيها ملعقة، ثم وضع شفته على طرفها البلاستيكي وجرفها كلها في فمه، فتدحرجت حبات البازلاء على صدره ثم إلى الأرض.

تعالى همس لديوندر، وهو ما يزال في بلوزتها الأرجوانية. وهي كانت ترتدي بنطال جينز جديداً جميلاً، وكنزة حمراء، وحذاء رجالياً كانت تنتعله لأن قدميها كانتا كبيرتين جداً. هي لا تريد أن يعرف أحد ذلك. هي الآن تنقر؛ هيا، تعال.

- دعينا نذهب إلى غرفتي. أنا متأكد أن لديّ نقوداً هناك، وهدية لك.

التمعت عينا ديوندر وهذأت الآن، عيناها ترفان بين الفينة والأخرى، تترنح من أثر المخدرات والمشروب، وهي مذهولة بالهدية.

كان قفل باب غرفته منزوعاً، ارتعب بن، ثم قلق. هل هي أمه أم الشرطة؟ لم يكن خائفاً لأنه لا شيء فيها ليجدوه. لكنه بقي متردداً. فتح الباب، أشعل النور، وأغلقت ديوندر الباب من خلفه واستلقت على السرير. كانت تتكلم وتتكلم وتتكلم، لكنه لم يكن يسمع، ثم انفجرت بالبكاء. لهذا توقف عن جمع الثياب واستلقى إلى جانبها.

مسد شعرها، ومسح على بطنها، حاول أن يهدئها، أن يقول لها كلاماً معسولاً. يحدثها عن حياتهما معاً كيف ستكون، وأكاذيب أخرى من هذا النوع. أمضى قرابة نصف ساعة قبل أن تهدأ. وهي من كانت تطلب منه أن يسرع. إنها تقليدية مثل أية امرأة.

نهض وهو ينظر إلى المنبه، راغباً في الخروج من هناك إن كانا حقاً سيغادران البلدة.

انشق الباب فلم يقف حتى ليغلقه، أرادته مفتوحاً، فالخطر جعله يتحرك أسرع. رمى بناطيل الجينز والكنزات في حقيبة رياضية مع مفكرته الممتلئة بأسماء بنات أحبهن من أجل تسمية الطفل. وما زال يفكر أن اسم كريسي كيتس كان الاسم الرئيس في تلك المفكرة، لأنه كان اسماً جذاباً، كريسي داي، كريسي باتريشيا داي أو أي واحدة أخرى، بعد دايان. كريسي دايان داي. أحب ذلك لأن صديقاتها سينادينها د. داي سيكون لطيفاً. رغم أنه سيتعارك مع ديوندر، لأنها تعتقد أن كل أسمائه كانت بسيطة، فهي تريد اسماً مثل أمبروسيا أو كاليوب أو ناينتفيل.

وضع الحقيبة الرياضية على كتفه، ومدّ يده نحو نهاية درج مكتبه وأخرج كومة نقوده المخبأة. كان يلتقط الخمسات والعشرات من هنا وهناك، مقتعاً نفسه أن لديه ثلاثمئة أو أربعمئة دولار، لكنه رأى الآن أنه لا يملك مئة دولار كاملة. دسها في جيبه، ونزل على يديه وركبتيه ليتوصل إلى ما تحت السرير، ولم يجد غير فراغ حيث كان يضع حقيبة الملابس. ملابس ابنته.

- أين هديتي؟ قالت ديوندر بصوت خرج من حلقها لأنها كانت متمددة على ظهرها، وبطنها يتجه إلى الأعلى، مشربباً، مثل إصبع وسطي.

أدار بن رأسه ونظر إليها فرأى أحمر الشفاه الدبق وعينين بكحل أسود سائل، واعتقد إنها تبدو مثل الوحش. لا أجدها قال.

- ماذا تعني بلا أجدها؟

- لا أجدها، أحدهم دخل إلى هنا.

وقف كلاهما في الضوء المنبعث من مصباحه الوحيد، لا يعرفان ماذا يفعلان.

- هل تعتقد أنها إحدى أخواتك؟

- محتمل، ميشيل تحشر أنفها دائماً هنا، وفوق ذلك لا أملك نقوداً كثيرة كما

كنت أظن.

جلست ديوندرًا، ممسكة ببطنها، كما لم تقم بذلك أبداً بهذه الرقة والحرص. تشبثت به وكأنه حمل كان من الغباء أن يعطيها إياه لتحمله. كانت تحمله الآن وتوجهه نحوه وهي تقول: أنت والد هذا الطفل التعيس. لذا فمن الأفضل أن تفكر بشيء ما وبسرعة، أنت من جعلتني حاملاً به، لذا عليك أن تتحمل هذا. أنا في الشهر السابع تقريباً، يمكن أن أضع الطفل في أي يوم من الآن فصاعداً، وأنت..

رجرت على الباب، وبدقة سُمعت خفقات قميص نوم فقط، ثم وقع أقدام خارجه، وهي تحاول أن تبقى متوازنة، ثم ارتطام غير مقصود وإذ بالباب يُفتح على مصراعيه. وتظهر ميشيل في الردهة تحاول أن تسترق السمع. حتى أنها استندت في الداخل بعيداً عنهما وبدا وجهها المستدير للعيان، وقد عكست تلك النظارة الكبيرة مربعين من الضوء. كانت تحمل مفكرتها الجديدة وقطرات الحبر من قلمها تسيل على فمها.

نقلت ميشيل نظرها بين بن وديوندرًا ثم ركزت على بطن ديوندرًا، وقالت: بن لديه فتاة حامل. كنت أعرف ذلك!

لم يستطع بن أن يرى عينيها، فقد كان الضوء ينعكس على نظارتها والابتسامة تحتها.

- هل أخبرت أمي؟ سألت ميشيل، وقد أصيبت بدوار، وأوحى صوتها بتلميح واخز. هل أذهب وأخبر أمي؟

كاد بن أن يصل إليها، ويثبّت ظهرها في السرير بتهديد من تهديداته، عندما اندفعت ديوندرًا. حاولت ميشيل أن تتجه إلى الباب، لكن ديوندرًا أمسكت بشعرها، ذلك الشعر البني الطويل وشدتها إلى الأرض، فسقطت بعنف على عظام مؤخرتها، وديوندرًا تهمس (ولا كلمة أيتها القردة الصغيرة، ولا كلمة قدرة) عندها تأرجحت ميشيل مبتعدة تتدافع بالجدران، منتعلة حذاءً قماشياً، تاركة ديوندرًا ممسكة بخصلة الشعر، التي رمتها على الأرض، راکضة خلف ميشيل، ولو أن ميشيل ركضت إلى غرفة أمها

لكان الأمر انتهى بشكل مقبول، فأما ستتولى الموضوع، لكنها بدلاً من ذلك ذهبت مباشرة إلى غرفتها، غرفة البنات، وتبعها ديوندر، كان بن يهزها، ويهمس، ديوندر توقي، ديوندر، دعيها تذهب. لكن ديوندر لم تكن لتتركها تذهب، مشت إلى سرير ميشيل، حيث كانت الأخيرة منكمشة، وهي ترتعد، إلى الجدار وتنشج، سحبها ديوندر من ساقها ومددتها على السرير ثم جلست فوقها وهي تقول: ستقولين إنني حامل، أهدا ما تنوين فعله، هذه واحدة من مكائك الصغيرة. سر صغير حقير تبيعينه بخمسين فلساً، تخبرين أمك، أتحزرين ما أعرفه؟ أنا لا أعتقد أنك سافلة صغيرة. لماذا كل هذه العائلة أغبياء إلى هذا الحد.

لقت يديها حول رقبة ميشيل، وقدا ميشيل المدسوستان في الحذاء القماشي تبدوان كقدمي جرو، تركلان إلى الأعلى والأسفل، وبين يراقب القدمين، غير المترابطتين ويفكر أنهما حقاً تبدوان مثل قدمي جرو، عندها استيقظت ديببي من نومها العميق الأشبه بالموت فأغلق بن الباب، بدلاً من أن يفتحه على مصراعيه، وينادي أمه، أراد أن يمر كل شيء بهدوء، لا شيء في ذهنه غير تنفيذ الخطة في ألا يوقظ أحداً. وهو يحاول أن يقتنع ديوندر بأن كل شيء سيكون على ما يرام، (ديوندر، ديوندر، اهدئي، هي لن تخبر أحداً، دعيها تذهب، وديوندر تنحني فوق ميشيل وهي تضغط على رقبتها (أعتقد أنني سأمضي حياتي وأنا خائفة من هذه الكلبة الصغيرة)، وميشيل تخرمش وتطعن يد ديوندر بقلمها، برقت قطرة دم على فم ميشيل، فتركتها ديوندر لبرهة وهي تبدو متفاجئة كأنها لا تصدق ذلك، ثم انحنت ميشيل على جنب واحد وشهقت فما كان من ديوندر إلا أن التقطت رقبتها ثانية، وضع بن يديه على كتفي ديوندر ليسحبها عنها، لكنهما بقيتا هناك.

ليبي داي الآن

فتاة آل داي كانت هيفاء وطويلة، ما إن دخلت الغرفة، حتى طالعتني بوجه كأنه وجهي. لها شعرنا الأحمر أيضاً، صبغته بنياً، لكن الجذور الحمراء كانت بادية مثل شعري تماماً قبل عدة أيام. أما طول قامتها فقد ورثته عن ديوندر، ولكن وجهها كان نسخة عن وجوهنا، أنا، وين، وأمي. حدقت في ببلاهة، ثم هزت رأسها.

- آسفة، ذلك كان غريباً. قالت، واحمرت خجلاً. جلدها كان موشوماً بنمش عائلتنا.

- لم أكن أعرف، أعني، أظن أنه مفهوم أننا متماثلتان. نظرت إلى أمها ثم عاودت النظر إلي، إلى يديّ وإلى يديها، إلى إصبعي المفقود: أنا كريستال ابنة أخيك. شعرت بأنني يجب أن أحضنها، وودت ذلك. تصافحنا. تمايلت الفتاة بقربنا، وهي تفتل ذراعيها أحدهما حول الآخر مثل ضفيرة، وما زالت تتطّلع إليّ من كل الجوانب، بالطريقة التي تتطّلع فيها إلى نفسك في زجاج واجهة متجر وأنت تتجاوزه محاولاً أن تلمح نفسك دون أن يلحظك أحد.

- قلت لك إن ذلك سيحدث إن قصدت يا عزيزتي، قالت ديوندر. إذاً، ها هي. تعالي اجلسي.

تراجعت الفتاة نحو أمها، وألقت بنفسها في ثنية ذراعها، خدتها على كتف أمها

وديوندرتا تلعب بخصلة من الشعر الأحمر البني. تنظر إلي من زاوية مريحة، محمية.
- لا أصدق أنني أخيراً تمكنت من لقاءك، قالت. ولم أفترض أبداً أنني سألتقي بك
لأنني سرّ، وأنت تعرفين. والتفتت إلى أمها قائلة: ابنة الحب السري، صحيح؟
- هذا صحيح، قالت ديوندرتا.

إذن الفتاة تعرف من تكون، ومن يكون آل داي، وأن بن داي هو والدها. كنت
مذهولة من أن ديوندرتا ائتمنت ابنتها على السر ووثقت بأنها تحفظه طي الكتمان،
ولا تبحث عني. تساءلت، متى عرفت كريستال، وإن كانت قد مرت ببיתי في يوم من
الأيام، فقط لتراني، لتراني فقط. واستغربت لماذا أخبرت ديوندرتا ابنتها الحقيقة
المروعة، في حين أنها لم تكن بحاجة لذلك فعلاً.

لا بد أن ديوندرتا ضبطت توارد أفكاري فقالت: ذلك جيد. ثم تابعت كريستال تعرف
القصة بكاملها. أخبرتها بكل شيء. نحن صديقتان إلى أبعد حد. أوامت ابنتها تأييداً
لذلك وقالت: حتى أنه لدي سجل قصاصات من صوركم كلكم. حسناً تلك التي
قصصتها من الصحف والمجلات. إنه يشبه ألبوماً عائلياً مزيفاً. رغبت دائماً أن ألتقي
بك، هل عليّ أن اناديك عمتي ليب.ي؟ هل ذلك غريب؟ إنه غريب جداً. لم أتمكن من
التفكير بشيء أقوله. فقط أحسست بالراحة. آل داي لم ينقضوا بعد. فقد كانوا في
الحقيقة يزدهرون، بهذه الفتاة الطويلة الجميلة التي تبدو شبيهة لي، ولكن بكامل
أصابع يديها وقدميها، ومن دون ذهني المليء بالكوابيس. أردت أن أسأل سيلاً من
الأسئلة الحشرية: هل عندها ضعف بصر، مثل ميشيل؟ وهل تتحسس من الفريز مثل
أمي؟ هل دمها حلو، مثل ديب.ي، تتعرض لقرص البعوض، وتقضي الصيف برائحة
الكافورفينيك الكريهة؟ هل هي مزاجية مثلي؟ أو متحفظة مثل بن؟ أكانت متلعبة
وساذجة مثل رنر؟ من كانت تشبهه، وماذا كانت تحب، أخبريني يا كريستال بالأمور
الكثيرة التي تشبهين فيها آل داي، وذكريني كيف كنا.

- قرأت كتابك أيضاً. أضافت كريستال "يوم جديد كلياً" كان حقاً كتاباً جيداً. أردت

أن أخبر أحداً ما أنني أعرفك، تعرفين، كنت فخورة. صوتها جذل كصوت مزمار، كأنها توشك أن تضحك بشكل مستمر.

- أوه، شكراً.

- هل أنت بخير، يا ليب.ي؟ قالت ديونдра.

- إمم، أظن، أعتقد أنني ما زلت لا أفهم لم بقيتما سراً طول هذا الوقت. لم تركتما بن يحلف أنه لا يعرفكما. أعني، أفترض أن بن لم يلتقِ بابنته مطلقاً.

كريستال تهز رأسها نافية. مع ذلك أنا أحب أن ألتقيه. هو بطلي. فقد حمى أمي وحماني كل تلك السنين.

نحن فعلاً بحاجة لأن تحفظي هذا السر من أجلنا، يا ليب.ي. قالت ديونдра ونحن حقاً نأمل منك ذلك. أنا لا يمكنني المجازفة بذلك، لأنهم سيعتقدون أنني شريكة أو شيء من هذا القبيل، لا أستطيع المجازفة من أجل كريستال.

- رجاء؟ قالت كريستال، صوتها كان بسيطاً، لكنه كان ملحاً. لو سمحت. أنا جدياً لا احتمل فكرة أنه من الممكن أن يأتوا في أية لحظة ويأخذوا أمي بعيداً عني. هي حقاً صديقتي المفضلة.

هكذا قالتا معاً. أدت عيني بعض الشيء، لكنني رأيت الفتاة على وشك أن تبكي. إذاً فقد كانت فعلاً خائفة من هذا الشبح الذي اختلقته ديونдра: شبح الشرطة الحاقدين الذي يمكن أن يأتي فجأة ويبعد عنها أمها. أراهن تماماً بأن ديونдра كانت صديقتها المفضلة. كل هذه السنوات. عاشتا في مكن يتسع لشخصين. السر... يجب أن يبقى سراً من أجل الأم.

- إذاً فقد هربت ولم تخبري أهلك؟

- غادرت حين بدأ الحمل يظهر تماماً، قالت ديونдра. أبواي كانا مهوسين. وكنت سعيدة لأن أتخلص منهما. وكان ذلك سرنا فقط. الطفل، بن وأنا.

سرّ في عائلة آل داي، كم كان ذلك استثنائياً. أخيراً أخفقت ميشيل في إعلان نبأ
مثير.

- أنت تبسمين، قالت كريستال وعلى شفثيها ابتسامة صغيرة مجارية.
- هاه، كنت أفكر فقط كم كانت أختي ميشيل ستحب أن تدس يديها في ذلك
الجزء الصغير من الواقعة المثيرة. هي أحببت الدراما.
بدتا وكأنهما تلقتا صفة مني.

- لم أكن أحاول أن أستهين بالموضوع، آسفة. قلت.
- أوه، لا، لا، لا تقلقي بشأنه، قالت ديوندر. جميعنا، كل منا يحرق بالآخر.
الأصابع والأيدي والأقدام تتلوى، كسرت ديوندر الصمت بقولها أتودين البقاء للعشاء
معنا، يا ليب.ي؟

قدمت لي شرحات بقر محمّرة حاولت أن أزردها، وكمية من الشراب الأحمر من
صندوق بدا من دون قعر. نحن لم نرشف بل شربنا نخب النساء من نوعي. تحدثنا
عن أمور تافهة وقصص عن أخي، مع كريستال وهي تتوقف عند أسئلة شعرت
بالإحراج لعدم تمكني من الإجابة عليها مثلاً: هل أحب بن موسيقى الروك أم
الكلاسيك؟ هل كان يقرأ كثيراً؟ هل هو مصاب بالسكري؟ لأنها تعاني من مشاكل نقص
السكر في الدم. وماذا عن جدتها باتي. من كانت تشبهه؟

- أردت أن أعرفهم، كأناس وليس ضحايا، قالت مبالغة في المراعاة. استأذنت
لأذهب إلى الحمام، أحتاج للحظة بعيداً عن الذكريات والفتاة، وديوندر.

أدركت أنني كنت خارج أناس أتكلم إليهم، وأني وصلت إلى النهاية، والآن عليّ
أن أنقلب عائدة إلى التفكير في رنر مرة ثانية. الحمام كان قدراً مثل بقية المكان،
ملوثاً بالوحل، المياه جارية فيه بشكل مستمر، ورق التواليت الملطخ بأحمر الشفاه
يزرع الأرض حول سلة المهملات. منفردة للمرة الأولى في هذا البيت. لم أستطع

مقاومة البحث عن تذكارات. مزهرية حمراء زجاجية على سيفون التواليت. لكن محفظتي لم تكن معي. أحتاج لشيء أصغر. فتحت خزانة الصيدلية فوجدت عدة عبوات أدوية كتب عليها بولي بالم. حبوب منومة ومسكنات آلام، وأدوية للتحسس، أخذت بضع حبات فيكودين. ثم وضعت في جيب.ي أحمر شفاه وردياً خفيفاً وميزان حرارة. ثروة ممتازة. ربما أنني لن أفكر أبداً بشراء ميزان حرارة، لقد كنت أرغب دائماً باقتناء واحد منه. حين أذهب للنوم، من الجيد أن أعرف إذا كنت مريضة أم متكاسلة فقط.

عدت إلى الطاولة، كريستال تجلس وقد رفعت إحدى قدميها على كرسيها ووضعت ذقتها على ركبتيها. ما زال لدي أسئلة كثيرة، قالت. وبحة الناي تتدرج في صوتها.

- محتمل ألا يكون لدي جواب عليها، شرعت أقول محاولة أن أتفادها. كنت صغيرة جداً حين حدثت. أعني، كنت قد نسيت الكثير عن عائلتي إلى أن بدأت التحدث مع بن.

- أليس لديك ألبوم صور؟ سألت كريستال.

- عندي، أبعثت الصور لفترة، رفعتها في صندوق.

- مؤلم جداً. قالت كريستال بصوت هادئ.

هكذا، بشق الأنف عدت أنظر في الصناديق ثانياً؛ ألبومات الصور والكتب المدرسية السنوية، والكثير من الخردوات القديمة الأخرى.

- مثل ماذا؟ قالت ديوندر، وهي تسحق بعض حبات البازلاء تحت شوكتها مثل مراهقة ضجرة.

- حسناً، عملياً نصفها كان توافه، وميشيل عرضت ذلك، توقاً للحصول على إجابة عن بعض الأسئلة بالتحديد.

- مثل ألعاب؟ قالت كريستال وهي تعبت بزاوية تنورتها.

- لا، مثل، ملاحظات وأشياء تافهة. مفكرات يومية. مع ميشيل، كل شيء يُكتب: إن رأيت معلمة تفعل شيئاً غريباً، تسجل ذلك في المفكرة، وإن اعتقدت أن أمنا كانت تلعب ألعاباً مفضلة عندها، تسجل ذلك في المفكرة، وإن دخلت في جدال مع صديقتها المفضلة من أجل صبي أحبته كل منهما، تسجل ذلك..

- أود ديلهانت، تمتت كريستال وهي تهز رأسها. ابتلعت بعض الشراب جرعة واحدة في المفكرة. تابعت، دون أن أسمع تماماً. ثم سمعت. هل قالت تود ديلهانت؟ كان تود ديلهانت. لم أكن لأتذكر ذلك الاسم وحدي أبداً، ذلك الشجار الكبير الذي دخلت فيه ميشيل كان على الصغير تود ديلهانت. حدث ذلك في عيد الميلاد تماماً وتاماً قبل الجرائم، أتذكر أنها كانت قلقة طول صباح الميلاد، وهي تخربش في مفكرتها الجديدة. لكن. تود ديلهانت كيف عرف...؟

- هل عرفت ميشيل؟ أنا سألت ديوندر، وعقلي ما زال يعمل.

- ليس كثيراً. قالت ديوندر. ليس فعلاً بالمجمل، أضافت وبدأت تذكرني بتظاهر بن بأنه لا يعرف ديوندر.

- الآن جاء دوري لأبول. قالت كريستال، وأخذت الرشفة الأخيرة من النبيذ.

- إذن. بدأت، ثم تراجع. لا توجد طريقة تعرف فيها كريستال عن افتتان ميشيل ب. تود ديلهانت إلا. إلا إن كانت قد قرأت مفكرة ميشيل. المفكرة التي أخذتها ميشيل صباح عيد الميلاد، لتستهل بها عام 1985. كنت أحسب أنه ولا واحدة من المفكرات مفقودة، لأن مفكرة 1984. كانت سليمة، لكنني لم أفكر حتى ب. 1985. مفكرة ميشيل الجديدة، تسعة أيام من الأفكار فقط، ذلك ما أعطني عنه كريستال معلومات دقيقة. لا بد أنها قرأت مفكرة أختي المتو.. لمحت بريق معدن إلى يميني، تاماً حينما صفعنتي كريستال بمكواة ثياب قديمة على صدغي وقد اتسع فمها

بصرخة مجمدة.

باتي داي

3 كانون الثاني 1985

2:03 صباحاً

انسأقت باتي للنوم فعلاً وبشكل سخيؑ كليا؄ استيقظت في الساعة الثانية ودقيقتين؄ انطلقت من تحت ليب.ي؄ ومشت بخطى خافئة إلى القاعة. أأد ما كان يضغط بعزم في غرفة البنات؄ وأأد الأسرة يصدر صريراً. ميشيل وديب.ي كانتا من نوات النوم الثقيل لكنهما تحدثان ضجة؛ ترميان أغطيتهما؄ تتكلمان في نومهما. مشت مجتازة غرفة بن؄ النور ما زال مضاءً منذ أن كسرت القفل ودخلت إليها. لا بد أنها ترددت الآن؄ لكنها تأخرت؄ وكالفين دايهل لا يبدو أنه يتحمل التأخير.

- بن يا طفلي.

من الأفضل كسب الوقت. مشت إلى الباب؄ وبدلاً من أن تنزعج من البرد. فكرت بالمحيط وتلك الرحلة الفريدة إلى تكساس عندما كانت مجرد فتاة صغيرة. تخيلت نفسها مكسوة بطبقة من الزيت وهي تخبز؄ وتخيلت أن الماء يندفع إلى الداخل؄ الملح على شفتيها؄ الشمس. فتحت الباب؄ ودخل الخنجر في صدرها؄ فانطوت فوق ذراعي الرجل؄ وهو يهمس: لا تقلقي سينتهي كل شيء خلال ثلاثين ثانية؄ دعيني أظعنك طعنة ثانية فقط للتأكد. ووجهها بعيداً عنه؄ فسقطت شبه راقصة؄ ثم أحست بالخنجر يدور في صدرها؄ لم يصل إلى قلبها؄ كان يجب أن يبلغ قلبها. أحست

بالنصل يتحرك في داخلها، وبدا الرجل منحنيًا فوقها بوجه عطوف، يستعد لطفنة ثانية، لكنه نظر من فوق كتفها وقد تلوث وجهه الرحيم، وبدأ شارباه يرتجفان.

- يا للرحيم، ما هذا؟

أدارت باتي وجهها قليلاً إلى داخل البيت، كانت ديب.ي في قميص نومها الأرجواني، ضفائرها معقوفة من أثر النوم. وتتدلي إحدى شرائطها على ذراعيها، وهي تصرخ: ماما، إنهم يؤذون ميشيل! لم تلاحظ أن أمها أيضاً تتأذى، كانت مركزة على إيصال رسالتها: ماما تعالي، تعالي. وباتي لا يمكنها سوى أن تفكر بأن هذا توقيت سيئ للكوابيس، ثم بأن تغلق الباب. كانت تنزف حتى ساقها، وبينما كانت تحاول إغلاق الباب، فبهذا لن تتمكن ديب.ي من رؤيتها، دفع الرجل الباب وفتحه وهو يصيح: يا إلهي، يا إلهي! صوته كان يردد في أذن باتي. أحست بأنه يحاول أن يسحب الخنجر من صدرها وأدركت ماذا يعني ذلك، إنه يريد أن يذبح ديب.ي، هذا الرجل كان قد قال: يجب ألا يعرفه أحد، وألا يتمكن أحد من رؤيته. أراد أن تذهب ديب.ي مع باتي، وضعت باتي يدها بقوة على مقبض الخنجر ودفعته داخلها إلى الأعماق، والرجل مستمر بالصراخ، أخيراً تخلى عن إمساك الخنجر، وركل الباب، فتحه وذهب إلى الداخل. وفيما كانت باتي تصارع الموت رآته يتجه نحو البلطة، تلك البلطة التي ألقته ميشيل بجانب الباب، أخذت ديب.ي تركض نحو أمها تركض لمساعدتها، وباتي تصيح اهرب.ي! تجمّدت ديب.ي، صرخت، تقيأت أمامها على الأرضية المطاطية، وبدأت تركض في الاتجاه الآخر، ركضت إلى نهاية القاعة.

دارت حول الزاوية فقط، لكن الرجل كان خلفها تماماً، وقد رفع البلطة، ثم رأت باتي البلطة تهوي فسحبت نفسها إلى الأعلى، تتعثر كأنها ثملة، عاجزة عن الرؤية بعين واحدة، تتحرك كما في الكوابيس، وقدمها تتحركان بسرعة لكنها لا تصل إلى أي مكان. كانت تصرخ: اهرب.ي، اهرب.ي، اهرب.ي. ودارت حول الزاوية فرأت ديب.ي ملقاة على الأرض بأجنحة من الدم، والرجل غاضباً، وعينيه دامعتين ومشتعلتين، يصرخ: لماذا جعلتني أفعل هذا؟ استدار كأنه سيغادر، ركضت باتي وتجاوزته.

التقطت ديب-ي ورفعتها فتهادت بضع خطوات كما كانت وهي طفلة صغيرة وبدينة، إلا أنها كانت قد تأذت فعلاً. ذراعها، ذراعها الحلوة، لا بأس يا حبيبتي، أنت بخير. سقط الخنجر خارجاً من صدر باتي مجلجلاً على الأرض، فتدفق منها الدم بغزارة فعاد الرجل هذه المرة وهو يحمل بندقية، بندقية باتي، تلك التي وضعتها بحذر على رف الموقد في الغرفة الأمامية، كي لا تصلها البنات، وصوبها إليها وهي واقفة في وجه ديب-ي لأنها الآن لا يمكنها أن تموت.

لقم الرجل البندقية. بقي لدى باتي فرصة وحيدة للفكرة الأخيرة: أتمنى، أتمنى، أتمنى أن أرجع هذا كله إلى الوراء.

انطلقت، كنسمة من نسמת الصيف، طلقة فجرت نصف رأسها.

ليبي داي الآن

آسفة يا أمي، كانت كريستال تقول. وكنت شبه عمياء، أرى لونا برتقالياً محروقاً فقط، ذلك اللون الذي تراه حين تغلق عينيك بعد النظر إلى الشمس. عادت إلى المشهد لمحات من المطبخ واختفت في الحال. آلمني خدي، أحسست بالألم ينبض بشكل متسلسل نزولاً إلى عمودي الفقري ووصولاً إلى قدمي. كان وجهي إلى الأرض وديوندا تمتطيني. تفوح منها رائحة مبيد حشرات وهي تتوازن فوقي.

- أوه يا إلهي، أنا انتهيت.

- لا بأس، حبيبتني، اذهب.ي وأحضري لي البندقية.

سمعت قدمي كريستال وهي تنزل على الدرج، عندما قلبتني ديوندا ممسكة بحلقي، أردتها أن تشتمني، تصرخ بشيء ما، لكنها كانت صامتة، وبكل ثقلها، تتنفس بهدوء. أصابعها تضغط على رقبتني. انتفض وريدي، ثم بدأ يتضخم تحت إبهامها. ما زلت عاجزة عن الرؤية، كنت على وشك أن أموت. أعرف هذه الحالة؛ يتسارع نبضي كثيراً ثم يتباطأ كثيراً. ثبتت ذراعي على الأرض بركبتيها. فلا أستطيع الحراك، كل ما أستطيع فعله كان أن أركل الأرض، فتزلق قدمي. كانت تتنفس في وجهي. أشعر بالحرارة، وأتخيل فيها مفتوحاً، نعم، كان ذلك صحيحاً، أستطيع أن أتخيل أين يكون فيها. قمت بدفعة لولبية كبيرة من تحتها، لويت ذراعي المحررين،

وسددت لكمتي في وجهها. وكان ذلك كافياً لأتخلص منها لبرهة، لكنه طحن عظمة صغيرة في كفي. المهم أن لكمتي أصابتها ثم سحبت نفسي من على الأرض، وحاولت أن أجد كرسيًا، حاولت يا إلهي أن أرى. وعندها التقطت يداها كاحلي قائلة: (ليس هذه المرة، يا عزيزتي). كانت تمسك قدمي داخل الجورب، لكنها كانت قدمي اليمنى، القدم ذات الأصابع المفقودة ولهذا كان من الصعب الإمساك بها، لم يتطابق معها الجورب، وفجأة كنت واقفة وتركتها ممسكة بالجورب. كريسstal لم تعد بعد، ولم تحضر البندقية، كنت أركض هاربة نحو آخر البيت، لكني لم أتمكن من أن أرى، ولا أن أمشي بخط مستقيم، انحرفت إلى يميني، ومن خلال ذلك الباب المفتوح سقطت على وجهي، انزلت على الدرج إلى برد القبو، كنت أهبط بتأنٍ مثل طفل، لم أقاوم، إنها الطريقة الصحيحة للهبوط، وهكذا ارتطمت مع الوقت بالقاع وعدت ووقفت، في الرائحة الكريهة. بصري يترجرج مثل تلفزيون قديم، ينطفئ ثم يشتعل. تمكنت فقط من رؤية خيال ديوندرًا متربصة في مستطيل الضوء أعلى الدرج. ثم أغلقت الباب عليّ.

تمكنت من سماعهما في أعلى الدرج، عادت كريسstal هل نحن سنق...

- حسنًا، الآن نحن كذلك.

- لا أستطيع أن أصدق، أنا مجرد.. مجرد أنها خرجت من فمي، غيبة جدًا.

كنت أركض وأدور هنا وهناك في القبو، أحاول أن أجد طريقًا للخروج: ثلاثة جدران من الإسمنت وواحد مفتوح حتى نهاية القبو، مغطى إلى السقف بالخردة، ديوندرًا وكريسstal لم تكونا قلقتين عليّ، كانتا تثرثران كل مع الأخرى خلف الباب في الأعلى، انسحبت إلى الكومة أبحث عن مكان لأختبئ فيه. أحاول أن أجد شيئاً أستطيع استخدامه كسلاح.

- ... لا تعرف فعلاً ما حدث، لا تعرف بالتأكيد...

فتحت صندوقاً يمكنني الاختباء فيه، والموت فيه.

- ... تعرف، هي ليست غبية...

بدأت أبعد علاقة قبعات، دراجتين هوائيتين، جداراً من الخردة يتنقل مع كل شيء التجأت إليه في الماضي.

- ... سأفعلها، كانت غلظتي...

ارتطمت بتلة من الصناديق القديمة، مرتخية مثل الصناديق التي عندي تحت الدرج، دفعتها بعيداً فوقعت من ورائها زانة وثب عالٍ قديمة، ثقيلة جداً عليّ لأستخدمها.

- سأفعلها، إنها غرامة عليّ دفعها...

كانت الأصوات تنم عن غضب - إجرام - غضب - إجرام - وحاسمة.

القبو كان أكبر من البيت نفسه - أقبية الغرب الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية مصممة لتقف في وجه الأعاصير، وتخزين الخضروات، عميقة وترابية. أبعدت بعض الخردة وتقدمت وبينما كنت أتلوى وراء مكتب ضخم وجدت باباً قديماً مؤدياً إلى غرفة أخرى، كانت جزءاً من القبو الواقي من أخطر الأعاصير. نهايته مغلقة، لكن لا وقت للتفكير، عليّ أن أتقدم، هناك الآن نور أضاء القبو، ديوندا وكريستال كانتا قادمتين، أغلقت الباب خلفي وخطوت داخل الغرفة الضيقة، أشياء أخرى كثيرة كانت مخزونة هناك؛ آلات تسجيل قديمة، سرير طفل، براد صغير، كلها مصفوفة إلى الجوانب، وليس هناك أكثر من عشرين قدماً أخرى للهرب. كنت أسمع من ورائي انهيار أشياء أخرى أمام الباب، لكن ذلك لا يساعد كثيراً، ستجتازان ذلك ببضع ثوانٍ.

- أطلقني النار في ذلك الاتجاه فقط، لا بد أن تكون فيه. كريستال تقول وديوندا تسكتها. أقدامهما ثقيلة على الدرجات الأخيرة، تأخذان وقتها، ركلت ديوندا الأشياء من الطريق وهما تتقدمان نحو الباب، تحاصرانني كأنني حيوان مصاب بداء الكلب

ويجب القضاء عليه. ديوندر لم تكن مركزة إلى مدى بعيد، قالت فجأة: الطبخ في ذلك القدر كان مالحاً جداً. داخل غرفتي الصغيرة، رأيت ضوءاً ضعيفاً في الزاوية، آتياً من مكان ما في السقف.

اندفعت نحوه، تعثرت فوق عربة حمراء. ضحكنا حين سمعنا أسقط وكريستال كانت تقول: الآن ستصابين بكدمة، وديوندر تقذف الأشياء لتبعدها. كنت قد أصبحت تحت الضوء، كانت الفتحة لمروحة تُدار بقوة الريح، وسيلة التهوية والمنتفس للملجأ من الإعصار. كانت الفتحة صغيرة جداً لمعظم الناس ليخرجوا منها، ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة إليّ. بدأت أكّس الأشياء لأصل إليها، كي تصل أصابعي إلى أعلاها وهكذا يصبح في وسعي أن أسحب نفسي إلى الأعلى. وكانت ديوندر مع كريستال قد تجاوزتا الحطام. حاولت الوقوف على عربة أطفال قديمة، لكن قاعدتها انخلعت، فأذيت ساقي. بدأت أكّس أشياء: طاولة تحفيض الرّضع، ثم بعض مجلدات الموسوعات. وأنا على قمة الموسوعات، أحسستها ستنزلق، لكنني رفعت ذراعيّ من خلال المنتفس، كسرت الأضلاع الصدئة للمروحة، وبعد دفعة قوية أصبحت أنتفس هواء الليل البارد. تهيأت للدفعة الثانية كي تفتح طريقي إلى الخارج، عندها كانت كريستال تلتقط قدمي، حاولت أن تسحبني إلى الأسفل، ركلتها، كانت تتسلق وهي تصرخ من تحتي أطلق النار عليها وتصيح أمسكت بها. ثقلها يسحبني إلى الأسفل، فقدت السيطرة، نصفي في الداخل والنصف الآخر في الخارج، عندها وجّهت ركلة قوية بقدمي المصابة وسددت كعبي في وجهها تماماً، على الأنف. صدر عواء ذئب من تحتي، وديوندر كانت تولول: أوه، يا طفلي وأنا كنت حرّة. خرجت تحمل ذراعي من خدوشاً عميقة حمراء من أعلى المنتفس، لكنني كنت خارجاً، فوق الأرض. وبينما كنت أعبّ الهواء، أنتفس في الوحل، سمعت ديوندر للتوّ تذهب وهي تصيح: اصعدي إلى الأعلى، اصعدي إلى الأعلى.

مفاتيح سيارتي ضاعت، فقدتها في مكان ما في الداخل، وهكذا استدرت وركضت إلى الغابة. كنت أمشي مضطربة، مثل كائن بثلاث أرجل، ألبس جورباً واحداً، والآخر

أدوس به في الطين، تؤذيني رائحة السماد العضوي في ضوء القمر. ثم التفتت وقد أحسست بالتحسن تقريباً، فرأيتهما تخرجان من البيت. كانتا ورائي، تلاحقانني - وجهان شاحبان كل منهما ينضح دماً - لكنني اتجهت إلى الغابة، رأسي يدور، عيناى عاجزتان عن أن تقفا على شيء: شجرة، السماء، أرنب يهرب من طريقي. ليب.ي.. صيحة من ورائي. توغلت في الغابة أكاد أن أتجاوزها، وفيما كانت عيناى تعتمآن، وجدت شجرة بلوط عملاقة، ساقها يعادل أربع أقدام، وجذورها شرسة متشعبة مثل الشمس. تسلقت التراب والتجأت داخل وكر حيوان قديم، تحت واحد من تلك الجذور، تخين كرجل بدين. طمرت نفسي في مكان رطب وبارد، كنت مثل شيء صغير في ثقب صغير. أرتجف ولكن بصمت، مختبئة، ذلك كان شيئاً أستطيع فعله.

اقتربت الأضواء الكشافة، تضرب جذع الشجرة، الاثنان تتسلقان فوقى، رأيت لمحة من تنورة، واختلست النظر إلى ساق حمراء منمشة: لا بد أن تكون هنا، لا يمكنها أن تبتعد أكثر. كنت أحاول ألا أتففس، عرفت أنني لو فعلتها ستكون جرعة الهواء سبباً في إصابتي بطلقة في الوجه. وهكذا فقد حبست نفسي طالما كنت أحسّ بثقلهما يمسّ جذور الشجرة. كريستال كانت تقول ربما عادت إلى البيت، وديوندرتا تقول تابعي المراقبة، إنها سريعة مثل شخص مدرك. استدارتا وركضتا إلى داخل الغابة وتنفست داخل الأرض، ابتلعت هواء أرضياً ووجهي معفر بالتراب. لساعات، كانت الأشجار تردد صدى صرخاتهما من شدة الغضب، والشعور بالفشل - هذا ليس جيداً، بل سيئ جداً - وفي بعض المواقع توقف الصراخ ثم انتظرت لساعات، حتى انبلاج الفجر، قبل أن أسحب نفسي خارجاً وسرت أعرج عبر الأشجار نحو بيتي.

بن داي

3 كانون الثاني 1985

2:12 صباحاً

كانت ديوندر لا تزال جائمة فوق جسد ميشيل، تستمع. وبين يجلس متكوراً مثل صرة، يورجج نفسه. في حين كانت أصوات الصراخ والشتائم تصدر من القاعة. البلطة تضرب لهماً، ثم طلقة من البندقية، ويسود الصمت. ثم يعود صوت أمه ثانية، هي غير متأذية، قد تكون غير متأذية، لكنه عرف حينها أنها متأذية، فقد كانت تصدر بريرة، هلالااو جيبيي، ترتطم بالجدران، يعلو وقع تلك الجزمة الثقيلة وهي تمشي في القاعة، نحو غرفة أمه، ثم ذلك الصوت المرعب من يدين صغيرتين تحاولان أن تستمدا القوة. يدا ديب.ي تخرمشان الأرض الخشبية ثم صوت البلطة ثانية وزفير عالٍ، تلاه صوت إطلاق رصاصة ثانية، أجفلت ديوندر وهي تعلي ميشيل.

ظهر توتر ديوندر على شعرها فقط، وقد اهتز حول رأسها في تلك التموجات السميقة. أما هي فلم تتحرك. توقفت الخطوات خارج الباب، ذلك الباب الذي أغلقه بن بعد بدء الصراخ، الباب الذي كان يختبئ وراءه بينما عائلته في الخارج تموت. سمعا العويل - يا إلههههي - ثم ركضت الخطوات، ثقيلة وصارمة خارج البيت. همس بن لديوندر، وهو يشير إلى ميشيل: هل هي بخير؟ عبست ديوندر وكأنه

أهانها. لا، هي ماتت.

لم يستطع بن الوقوف. هل أنت متأكدة؟

- أنا متأكدة تماماً، قالت ديونдра. جمعت لها ساقياها معاً. وارتخى رأس ميشيل إلى جنب، عيناها كانتا مفتوحتين على بن، ونظاراتها المكسورة ملقاة إلى جانبها. مشت ديونдра نحو بن، ركبتها أمام وجهه، مدت له يدها، وقالت هيا، انهض. فتحا الباب، فاتسعت عينا ديونдра وكأنها ترى الثلج للمرة الأولى. كان الدم في كل مكان، ديب-ي وأمها في بركة منه. البلطة والبندقية مرميتان في الممر، والخنجر على مسافة منهما.

تقدمت ديونдра أكثر لتتنظر عن كذب إلى انعكاس صورتها في بركة الدم الذي ما زال يتدفق باتجاهه.

- لعنة مقدسة، همست ديونдра. ربما نحن فعلاً أخطأنا مع الشيطان.

ركض بن إلى المطبخ، أراد أن يتقيأ في الحوض. الشعور بالغثيان يريح، تخلص منها، أطرحتها كلها خارجاً، تلك الطريقة التي اعتادت أمه عليها. كانت تمسك جبينه فوق التواليت حين كان صغيراً وهي تقول (اطرح كل الأشياء السيئة خارجاً) لكنه الآن لم يتمكن من ذلك. لذا فقد ذهب مترنحاً نحو الهاتف. إلا أن ديونдра كانت هناك لتوقفه قائلة: هل ستخبر عني من أجل ميشيل؟

- علينا أن نستدعي الشرطة. قال وعيناها على فنجان قهوة أمه الملطخ، وما زال بعض الثفل في قعره.

- أين الصغيرة، سألت ديونдра. أين الطفلة؟

- أوه اللعنة! ليب-ي! ركض عائداً إلى القاعة، محاولاً ألا ينظر إلى الأجساد، تظاهر بأنها كانت مجرد عوائق ليقفز فوقها، ونظر داخل غرفة أمه فشعر بالقشعريرة، رأى النسيم يداعب الستائر والنافذة مفتوحة، عاد إلى المطبخ.

- ذهبت، قال بن. اتجهت إلى الخارج، وذهبت

- حسناً، اذهب وأحضرها.

استدار بن إلى الباب وكان على وشك أن يركض خارجاً، ثم توقف وسأل.

- أعيدها، لماذا؟

اعترضته ديوندر، أخذت يديه ووضعتهما على بطنها قائلة: بن، ألا ترى كيف أن حدوث كل هذا كان مقصوداً؟ هل تعتقد أنها مصادفة أننا قمنا بالطقوس في هذه الليلة لأننا بحاجة للمال، وتلك ال - بوو - الضربة - من رجل يقتل عائلتك. أنت الآن سترث كل شيء من تأمين أمك على الحياة. أياً كان ما تنوي فعله، تريد أن تذهب للعيش في كاليفورنيا على الشاطئ، نذهب ونعيش في فلوريدا، يمكننا فعل ذلك.

بن لم يقل أنه يريد العيش في كاليفورنيا أو فلوريدا. ديوندر، هي من قالت ذلك.

- نحن عائلة الآن، يمكننا أن نكون عائلة حقيقية، لكن ليبي هي مشكلة. إن

كانت قد شاهدت شيئاً ما.

- وماذا لو أنها لم تشاهد؟

لكن ديوندر هزت فوراً رأسها نافية: تنظيف كامل، حبيب.ي. هذا خطير جداً، وقد

حان الوقت لتكون شجاعاً.

- لكن إذا كان علينا الخروج من المدينة الليلة. فلا يمكنني الانتظار من أجل

التأمين على الحياة.

- حسناً. طبعاً لا يمكننا الخروج الليلة، الآن نحن مضطرون للبقاء. وإلا سيبدو

خروجك مثاراً للشك إن غادرت. لكن ألا ترى أية نعمة هذه - الناس سوف ينسون

كل شيء عن كريسي كيتس اللعينة، فأنت ضحية الآن. الناس سيتعاطفون معك

الآن، وأنا سأحاول إخفاء هذا - وأشارت إلى بطنها - لمدة شهر آخر، بأية طريقة.

سأل بس معطفاً طول الوقت أو أي شيء، عندها نحصل على النقود، ونطير، حرّين، ليس عليك أن تأكل برازاً بعد الآن.

- وماذا عن ميشيل؟

- أخذت مفكرتها. قالت ديوندر وأطلعتة على المجلة الجديدة، بغلاف (ميكى ماوس). نحن بأمان.

- لكن ماذا سنقول عن ميشيل؟

- ستقول إن الرجل المجنون قتلها، مثل البقية. ومثل لىبى أيضاً. بن، أنت لا يمكنك أن تقول إنك تعرفني، ليس حتى نغادر. لا يمكن أن أرتبط بهذا بأي شكل، هل تفهم؟ هل تريدني أن أنجب طفلنا في السجن، أتعرف ماذا سيحدث حينها، سيدخلونه إلى الحضانة وبالتالي لن تراه أبداً. هل تريد ذلك لطفلك؟ ولأم طفلك؟ ما زالت لديك فرصة لتكون شاباً كبيراً، كن رجلاً. الآن أحضر لى لىبى.

أخذ المصباح الكشاف الكبير وخرج في البرد منادياً على لىبى. كانت طفلة سريعة، عداة جيدة، وقد تكون اتخذت الطريق منحدره من شارعهم نحو الطريق العام الآن، أو أنها مختبئة في مكانها المعتاد بجانب البحيرة. كان يسحق الثلج بقدميه، متسائلاً هل كان كل هذا مجرد رحلة سيئة. سيعود إلى البيت وسيكون الأمر وكأنه حدث في وقت أبكر، حين سمع قرعة القفل وكان كل شيء طبيعياً، الجميع نيام، إنها ليلة اعتيادية.

ثم عاد إلى مخيلته؛ منظر ديوندر جاثمة فوق ميشيل مثل طائر مفترس عملاق، كلاهما يرتعش في الظلام. وعرف أن لا شيء سيكون طبيعياً، وعرف أنه لن يحضر لىبى إلى البيت. مشط رؤوس القصب بمصباحه الكشاف ورأى لمحة من شعرها الأحمر وسط القصب الأصفر المحبب وصاح: لىبى، ابقى حيث أنت، يا حبيبتي. ثم استدار وركض عائداً إلى البيت.

كانت ديوندرًا تضرب الجدران، وتقطع الأريكة، تصرخ مكشرة عن أسنانها، لطخت الجدران بالدم، كتبت أشياء، نقلت الدم بحذائها الرجالي إلى كل مكان. تناولت أرزاً بالدجاج في المطبخ تاركة خطوطاً من الطعام وراءها، وكانت قد تركت بصمات في كل مكان، وهي مستمرة بالصياح: نفيذها بشكل جيد، اجعلها تبدو واقعية. لكن بن يعرف ما كان ذلك، كان تعطشاً للدم، الشعور نفسه الذي شعره، عند انفجار الغضب والطاقة فيجعلك تشعر بأنك قوي جداً.

قام بإزالة آثار الأقدام تماماً. وفكر، رغم أنه من الصعب تمييز أيها كانت لديوندرًا وأيها كانت للرجل. من كان ذلك الرجل اللعين؟ مسح كل شيء لمستته؛ مفاتيح النور، البلطة، الطاولة، كل شيء في الغرفة. ظهرت ديوندرًا في باب الممر وأخبرته: أنا مسحت رقبة ميشيل. بن يحاول ألا يفكر، لا يفكر. ترك الكلمات على الجدران، ولم يعرف كيف يعالج ذلك. ديوندرًا نالت من أمه بالبلطة، فلدى أمه جراح جديدة غريبة، وعميقة، وتعجب من نفسه كيف يمكن له أن يكون بهذا الهدوء، وحين انحلت قواه وانهار، قال لنفسه: يجب أن تستجمعها، كن رجلاً لعيناً، افعلها، كن رجلاً، ما الذي يمنعك من أن تكون رجلاً؟

رافق ديوندرًا إلى خارج المنزل وكانت قد فاحت رائحة التراب والموت من المكان كله. حين أغمض عينيه رأى شمساً حمراء وفكر ثانية؛ الإبادة.

ليبي داي الآن

كنت سأفقد أصابع قدمي مرة ثانية. جلست خارج محطة وقود مغلقة قرابة الساعة، لأفرك قدمي المعقوصتين، منتظرة لاييل. وكلما مرت سيارة كنت أختبئ وراء المبنى خشية أن تكون كريستال وديون درا قد خرجتا تفتشان عني. فإن وجدتاني الآن، لن أتمكن من الهرب. سوف تمسكان بي وتنالان مني. كنت أرغب بالموت منذ سنوات، لكن ليس مؤخرًا، وليس على يدي هاتين الكلبتين بالتحديد.

هاتف لاييل من هاتف عام خارج المحطة، كنت واثقة أنه لا يعمل، وبدأ الحديث قبل حتى أن يقطع عامل المقسم الخط: هل سمعت؟ أنا لم أسمع. ولا أريد أن أسمع. تعال فقط وخذني. وأقفلت الخط قبل أن يبدأ بأسئلته.

- ماذا حدث؟ قال لاييل حين انطلق بالسيارة أخيراً، كانت عظامي كلها ترتجف، الهواء متجمد. ألقيت بنفسي في السيارة، وذراعي مطوقتان مثل مومياء من شدة البرد.

- ديون درا، لم تمت، من دون شك. خذني إلى البيت، أنا بحاجة للذهاب إلى البيت

- هل تحتاجين إلى مشفى، وجهك، إنه... هل رأيت وجهك؟ وسحبني تحت نؤاسة سيارته لألقي نظرة عن قرب.

- لقد أحسست بوجهي.

- هل تريد الذهاب إلى قسم الشرطة؟ ماذا حدث؟ كنت أعرف أنه كان يجب أن أذهب معك، يا ليب.ي. ليب.ي ما الذي جرى؟

أخبرته بكل شيء تاركة له تقييم الوضع من خلال صيحاتي الواخزة: لقد حاولنا قتلي.. كانت الكلمات تخرج من مشاعر مجروحة، وكأني طفلة صغيرة تشكو لأمها أن أحداً ما كان حقيراً معها.

- إذن، ديوندا قتلت ميشيل، قال لایل. نحن ذاهبان إلى الشرطة.

- لا لن نذهب، أحتاج لأن أذهب إلى البيت فقط. كلماتي كانت مقترنة بالمخاط والدموع.

- علينا الذهاب إلى الشرطة، يا ليب.ي.

بدأت أصرخ بكلمات نابية، ويدي تضربان النافذة، وبقيت أصيح إلى أن سال لعاب.ي من فمي، وذلك وحده ما جعل لایل يتأكد تماماً أنه سيأخذني إلى قسم الشرطة.

- أنت ستريدين الذهاب إلى الشرطة، ليب.ي، حين أخبرك بما يجب أن أخبرك إياه. على رأس كل هذا، أنت ستريدين الذهاب إلى الشرطة.

كنت أعرف أن هذا ما يجب أن أفعله، لكن ذهني كان متأثراً بتذكّر ما حدث بعد أن قُتلت عائلتي: الساعات الطويلة المستنزفة بالذهاب إلى القسم وتكرار قصتي مع الشرطة، ساقاي متدليتان عن الكراسي الكبيرة الحجم، والشوكولاته الفاترة في أكواب الفلين، وأنا عاجزة عن الشعور بالدفء، أريد أن أنام فقط، كنت مرهقة، حين يتخدر حتى وجهك ويمكنك أن تقول ما تشاء، لا يعود الأمر مهماً في كل الأحوال فالجميع قد ماتوا.

شغل لایل التدفئة بكامل طاقتها ووجه كل المنافذ نحوي.

- لا بأس يا لبيب، لدي بعض الأخبار، أعتقد، حسناً، لا بأس.. سأقولها لك بالتمام. تمام؟

- لقد أثرت فضولي، يا لایل قلها فقط. ضوء النّواسة لا ينير كفاية، بقيت أتلفت في أرجاء المرأب لأتأكد من أن لا أحد كان قادماً.

- أتذكرين ملاك الديون؟ بدأ لایل، ذلك الذي كان نادي القتل يستقصي عنه؟ ضُبط في ضاحية من ضواحي شيكاغو، وتم اعتقاله في منتصف المرحلة من قيامه بمساعدة أحد مغفلي سوق شعبية مسكين بقتله. كان من المفترض أن تبدو العملية وكأنها حادثة ركوب خيل. قُبض على الملاك في أحد ممرات الفروسية متوجهاً إلى الشاب وهو يحمل حجراً، ليسحق به رأسه، فتبدو العملية وكأنها سقوط عن الفرس.

اسمه كالفين دايهل. وكان مزارعاً في السابق.

- حسناً، قلت. ولكنني عرفت أن القادم أعظم.

- تماماً، وقد تبين أنه كان يساعد في قتل الناس منذ عام 1980 وكان ذكياً. لديه أوراق بخط اليد من كل شخص قتله - اثنان وثلاثون شخصاً - يقسمون فيها أنهم استأجروه لهذه الغاية.

- تمام.

- إحدى تلك الأوراق كانت من والدتك. استأجرته ليقتلها، لكنه كان من المفترض أن يقتلها وحدها فقط. ليحصل من يرثها على تأمينها على حياتها، من أجل إنقاذ المزرعة، وإنقاذكم، أنتن الشابات، وبن. هم لديهم هذه الورقة.

- إذاً ماذا؟ لا، إن ذلك غير معقول، ديوندا قتلت ميشيل. هي لديها المفكرة، فقد قلنا للتو إنها كانت ديوندا..

- حسناً، هذا هو الأمر تماماً. هذا ال. كالفين دايهل ينصب نفسه بطلاً شعبياً - أقسم بذلك. فقد كانت هناك حشود خارج السجن في الأيام القليلة الماضية، أناس

يحملون يافطات مثل دايهل هو الصفقة الحقيقية. هم سيؤلفون أغاني عنه قريباً: هو يساعد الناس في موت المدنيين، وهكذا فالمصارف لن تضع يدها على ملكياتهم الشخصية، فتعتمد إلى مقاسمة شركات التأمين. وينال الناس أملاكهم. لكن، أوه، هو يقول إنه لن يعترف بقتل أي واحد من الاثنين والثلاثين، ويقول إنهم جميعهم أقدموا على الانتحار، وفضلوا الموت بشرف. لكنه يتحمل المسؤولية عن جريمة قتل ديب.ي. قال إنه سيعترف بها، وقال إنها ضاعت فيها، فقد دخلت في وسط المعمة، وسارت الأمور بشكل خاطئ. وقال إنها الشخص الوحيد الذي يندم لأجله.

- وماذا عن ميشيل؟

- قال إنه لم يرَ ميشيل. ولا يمكنني أن أؤمن لماذا يكذب.

- قاتلان، قلت. قاتلان في الليلة نفسها. ذلك هو نصيبنا.

ضيّعت سبع ساعات تقريباً ما بين الوقت الذي كنت مختبئة فيه في الغابة، ثم الأنين في محطة الوقود، ثم الصباح في سيارة لاييل، ثم إقناع نائب الشريف المحلي النعسان بأنني لم أكن مجنونة وهو يسألني أخت من أنت؟ ديوندر وكريستال كانتا قد غادرتا في الصباح مغادرة نظيفة، وأعني بكلمة نظيفة. أنهما أغرقتا المكان بالوقود، وأحرقناه عن بكرة أبيه حتى قبل أن تخرج سيارات الإطفاء من المحطة.

رويت قصتي مرات عدة. اتخذت القصة بمزيج من الذهول والشك، وأخيراً باندفاع للتصديق.

- سنحتاج للمزيد، أنت تعرفين، لربطها بمقتل أختك. هذا ما قاله أحد المحققين.

ضاغظاً على كوب الفلين المملوء بالقهوة الذي كان في يدي.

بعد يومين اثنين، ظهر المحققون على عتبة بابي يحملون نسخاً من رسائل أمي. ويريدون مني أن أتعرّف إلى خط يدها، ويريدون أن يعرفوا إن كنت أرغب في الاطلاع عليها. الأولى كانت بسيطة جداً. رسالة من صفحة واحدة، تبرئ فيها كالفين

دايهل من جريمة قتلها.

الثانية كانت موجهة إلينا.

أعزائي بن، ميشيل، ديبـي وليبـي.

لا أعتقد أن هذه الرسالة ستصلكم أبداً. لكن السيد دايهل قال إنه سيحتفظ لي بها، وأظن أن ذلك أمدني ببعض الراحة. لا أعرف، جدّا كما كانا يقولان لي دائماً: اجعلي لحياتك فائدة. وأنا لا أشعر بأنني قمت بذلك فعلاً، لكنني أستطيع أن أجعل من موتي فائدة. آمل أن تسامحوني جميعكم. بن، مهما يحصل، لا تلم نفسك. الأمور خرجت عن سيطرتنا، وهذا ما يجب أن يحصل. يبدو واضحاً تماماً لي. أنا فخورة بشكل ما. حياتي، تحكمت فيها الأحداث كثيراً. ويبدو الآن أنه حادث مبني على هدف سيعدّل الأمور. حادث سعيد. اعتنوا بعضكم بعض جيداً. أعرف أن دايان ستفعل لكم الصواب. أنا حزينة فقط لأنني لن أبقى لأرى أي أناس جيدين ستصبحون على الرغم من أنني لا أحتاج لذلك. وذلك لثقتي بأولادي.

أحبكم

مام

شعرت بفراغ كبير في داخلي؛ موت أمي لم يكن مفيداً. شعرت بفورة من الغضب عليها. ثم تخيلت تلك اللحظات الدامية الأخيرة في البيت. حين عرفت أن الأمور تجري بشكل خاطئ، حين سقطت ديب.بي ميتة، وانتهى كل شيء، انتهت حياتها غير المفيدة. فتح غضب.بي طريقاً لعاطفة غريبة، بماذا يمكن أن تشعر الأم تجاه طفلها، وفكرت. هي حاولت على الأقل. حاولت، في ذلك اليوم الأخير لها، وبأقصى ما يمكن لأحد أن يتحمل ويحاول. وأنا سأحاول أن أجد الأمان في ذلك.

كالفين دايهل

3 كانون الثاني 1985

4:12 صباحاً

كان من الغباء أن تسير الأمور بهذا الشكل، وبهذه السرعة الكبيرة. وهو الذي كان يسدي لها معروفاً، تلك المزارعة ذات الشعر الأحمر، يا إلهي. حتى أنها لم تترك له المال الكافي، هما اتفقا على ألفي دولار، وهي تركت له مغلفاً فيه ثمانمئة واثني عشر دولاراً وثلاثة أرباع. الليلة بأكملها كانت تافهة ووضيعة، وخالية من الإحساس. كانت ليلة مشؤومة. هو كان مهملًا، مغروراً ومتهاونًا وهذا ما قاده إلى.. كانت باتي مريحة جداً، أيضاً. من الصعب إرضاء معظم الناس في كيفية موتهم. لكن كل ما طلبته هي كان ألا تموت غرقاً. لم تكن ترغب بالغرق. رجاء. كان يمكن تنفيذها بعدة طرق سهلة كما فعلها دائماً. لكنه في ذلك الوقت ذهب إلى البار ليشرب، ليس كثيراً، حيث كان سائقو الشاحنات يمرون بالمكان طول الوقت. وهو لم يقف في الخارج. لكن زوجها كان هناك، وكان قطعة من البراز تنخر الرأس، رجلاً مثل فأر صغير عديم القيمة. فوجد كالفين نفسه يستمع ملياً لصفقات هذا الرجل، رنر، وكان الناس يحكون عنه كل أصناف القصص. كيف دمر هذا الرجل المزرعة، ودمر العائلة. وأنه كان غارقاً بديونه حتى أذنيه. وكالفين دايهل، كان رجلاً شريفاً، فكر، لم لا؟ اطعن المرأة في قلبها عند عتبة بابها، اجعل هذا الرنر يتعرق بعض الشيء. دع الشرطة تستجوبه، هذا الغائط التافه الذي لم يتحمل المسؤولية. اجعله يتحمل جزءاً منها. في النهاية ستسجل كجريمة غير متعمدة، وذلك قابل للتصديق مثل سائر الأمور التي قام بها. حوادث سيارات، انهيار قمع الحبوب، هناك بالقرب من آرك سيتي، حيث

أغرق رجلاً بقمحه. كان قد أعدّها لتبدو كأن القمح انقلب عليه.

جرائم كالفين تتوافق دائماً مع فصول السنة: الغرق خلال فيضانات الربيع، حوادث الصيد خلال فصل الخريف، كانون الثاني هو فصل سرقات البيوت والعنف، عيد الميلاد انتهى، والعام الجديد يذكرك فقط بكم هو ضئيل التغيير الذي حصل في حياتك، يا رجل. الناس تستشيط غضباً في كانون الثاني.

إذاً، أطعنها في قلبها، بسرعة، بخنجر صيد كبير. ينتهي الأمر خلال ثلاثين ثانية والألم لن يكون شديداً على الإطلاق. فيقول الناس إنها صدمة كبيرة. هي تموت وأختها من ستجدها، فهي تأكدت أن أختها ستأتي في الصباح المبكر جداً. وكانت بتلك الطريقة سيدة مفكرة.

توجب على كالفين أن يعود إلى بيته، من الخلف عبر حدود نبراسكا. وأن ينظف شعره، فهو مسح نفسه بالكثير من الثلج، ورأسه يتبخر من البرد. لكنه ما زال ملبداً. لم يكن من المفترض أن يلوث نفسه بالدم، يجب أن يتخلص منه، فهو يشم رائحته في السيارة، انحرف بسيارته إلى جانب الطريق، يدها تتعرقان داخل القفازات. اعتقد بأنه رأى طفلة تركض في الثلج قدماً، لكنه أدرك أنه رأى للتو الفتاة الصغيرة التي قتلها، تلك كانت بدينة، وشعرها ما زال مجدولاً، هي تركض، وهو يصاب بالذعر. لم يعد يراها كطفلة صغيرة، ليس حتى الآن، هو يراها كضحية، شيء يجب أن يُقضى عليه. هو لا يرغب بفعل ذلك. لكن لا يجب أن يرى وجهه أحد. عليه أن يحمي نفسه أولاً وعليه أن يقضي عليها قبل أن توظف الأطفال الآخرين. هو يعرف أن هناك المزيد، ويعرف أنه لا يملك القلب ليقتلهم جميعهم، فتلك لم تكن مهمته، مهمته كانت المساعدة. رأى الفتاة تعود للهرب، ورأى أنه أمسك فجأة البلطة بيده، ورأى البندقية أيضاً، وفكر، البلطة كانت أكثر صمتاً، يستطيع أن يحافظ على الهدوء.

وعندها، قد يفقد عقله، كان غاضباً جداً على الطفلة - هو قام بتقطيع طفلة صغيرة - حانقاً جداً على المرأة ذات الشعر الأحمر، التي سببت كل ذلك بعدم موتها

مباشرة. قتل فتاة صغيرة بالبلطة، فجر رأس أم لأربعة، بدلاً من أن يقدم لها الموت الذي تستحقه. لحظاتها الأخيرة كانت مرعبة، كانت كابوساً في بيتها. بدلاً من أن يحملها حينما كانت تنزف ويضعها على الثلج وتموت ورأسها مقابل صدره. قطع فتاة صغيرة. للمرة الأولى، كالفين دايفل فكّر بنفسه كقاتل، سقط في مقعده وجأر بصوت مرتفع.

ليبي داي الآن

ثلاثة عشر يوماً مضت على اختفاء ديوندر وكريستال، والشرطة لم تجدهما بعد. ولم تجد أي دليل مادي لربط ديوندر بمقتل ميشيل. البحث عنهما تلاشى في قضية إحراق المباني عمداً. كانت قضية خاسرة مثل بخار يتبدد.

مرّ بـي لاييل لمشاهدة التلفاز معي، وهي عاداته الجديدة، فقد سمحت له بالمجيء شرط ألا يتكلم كثيراً. عقدت اتفاقاً معه على ألا يتكلم كثيراً، لكنني افتقدته في الأيام التي لم يأت فيها. كنا نشاهد بعض عروض الحقائق الغريبة بالتحديد حين عدل لاييل جلسته فجأة وقال: هيه، تلك هي كنزتي.

كنت أردي إحدى كنزاته الضيقة وقد أخذتها من مؤخرة سيارته، في الواقع بدت عليّ أفضل. قلت: إنها تبدو فعلاً أفضل عليّ.

- يا إلهي يا ليبي، كان يمكنك أن تسألني فقط، وأنت تعرفين. ثم عاد للنظر إلى شاشة التلفاز. حيث كان يعرض شريط عن نساء يهاجمن بعضهن بعضاً مثل كلاب غاضبة في زريبة. حينها قال: ليبي يا ذات الأصابع الملتصقة، كان سيئاً جداً أنك غادرت بيت ديوندر وليس معك مثلاً، مشطها، لكننا حصلنا على الحمض النووي.

- أوه، السحري، الحمض النووي السحري، قلت. كنت قد توقفت عن الثقة

بالحمض النووي. على شاشة التلفاز كانت امرأة شقراء ممسكة بشعر امرأة شقراء أخرى وتدفعها على الدرج. بدلت القناة إلى برنامج من الطبيعة يصور التماسيح.

- أوه، أوه، يا إلهي، قلت. وتركت الغرفة.

عدت وقذفت قلم أحمر شفاه ديونдра وميزان الحرارة على الطاولة.

- لايل ريث، أنت متقد الذكاء، قلت. ثم ضمته.

- عجباً، قال: ثم ضحك وقال: واو. هاه، متقد الذكاء. ليب-ي ذات الأصابع

الملتصقة تعتقد أنني متقد الذكاء.

- من دون شك، قلت.

طابق الحمض النووي من هاتين القطعتين، الحمض النووي في الدم الذي كان على شرشف ميشيل. وغمزت صنارة الصياد. إذن لا غرابة في أن تصرّ ديونдра على أنها ليست على علاقة ببن لا من بعيد ولا من قريب. كل تلك التطورات العلمية، واحداً تلو الآخر، تجعل الأمور أسهل لمطابقة الحمض النووي: ولا بد من أن ديونдра شعرت بأن تعرضها للخطر يزيد كل عام بدلاً من أن ينقص.

جيد.

أوقفت ديونдра عند استلامها حوالة بريدية في أماريللو. أما كريستال فلم يعثر لها على أثر في أي مكان. لكن ديونдра تم القبض عليها. رغم أن الأمر تطلب أربعة رجال من الشرطة لإدخالها إلى السيارة. وهكذا فقد أصبحت ديونдра في السجن وكالفين دايهل اعترف بجرائمه. وتجمّع بعض وكلاء القروض مباشرة، مجرد اسمه يثير أعصاب-ي: كالفين. مع كل ذلك، اعتقدت أنه يجب أن يُطلق سراح بن من السجن، لكن الأمور لا تجري بهذه السرعة. ديونдра لم تعترف بجريمتها، سيواصلون الحجز على أخي، إلى أن تتم محاكمتها وتظهر الحقيقة، أخي الذي رفض أن يورطها. ذهبت أخيراً لأزوره في نهاية شهر أيار.

بدا منهاراً، حزيناً. ابتسم بضعف لي وأنا أجلس.

- لم أكن متأكدة أنك تريد رؤيتي، قلت.

- كانت ديوندا متأكدة على الدوام أنك ستجديها. كانت واثقة من ذلك دائماً، وأظن أنها كانت على حق.

- أظن أنها كانت كذلك.

لا أحد منا بدا راغباً في تخطي الأمر. بن حمى ديوندا لقراءة خمس وعشرين سنة، وأنا دمّرت كل ذلك. بدا مغموماً ولكن ليس حزيناً. يحتمل أنه كان يأمل دائماً بأنها ستتكشف، وكنت راغبة بتصديق ذلك، إكراماً لي. لم يكن من السهل أن أسأل هذا السؤال.

- ستخرج من هنا قريباً، يا بن. هل تصدق ذلك؟ ستكون خارج السجن وهذا من دون شك شيء مؤكد. خيط من الدم على شرشف فتاة كان أمراً جيداً. لكن الاعتراف يكون أفضل. كنت متفائلة، وما زلت.

- لا أهتم لذلك.. ربما الوقت. أعتقد أن أربعاً وعشرين سنة كافية ل... للوقوف موقف المتفرج، والتسليم بالأمر الواقع.

- أعتقد ذلك.

جمعت ولايل مقاطع مما قالته لي ديوندا في تلك الليلة: (إنهما كانا في البيت، يستعدان للهرب، وحصل شيء ما) هذا هو حلّ لغز ديوندا، هي قتلت ميشيل، وحينها لم يوقفها بن. في اعتقادي أن ميشيل علمت بطريقة ما بحمل ديوندا، بالطفل السري. سوف أسأل بن ذات يوم، أسأله عن التفاصيل. لكنني أعرف أنه لن يبوح لي بأي شيء الآن.

خلال اليومين الأولين جلسا وكل منهما ينظر إلى الآخر، يفكران بأشياء ويبتلعانها، شطب بن حرف (ي) من وشم (بولي) الذي كان يظهر على ساعده من

تحت كمة.

- إذاً كريستال. ماذا يمكنك أن تخبريني عن كريستال، يا ليب.ي؟ ماذا حصل في تلك الليلة؟ سمعت روايات مختلفة. هل هي.. هل هي مؤذية وسيئة؟
هكذا كان بن يتساءل: ماذا حدث في بيت منزل بارد خارج المدينة. أشرت إلى خدشين على شكل دمعتين فوق عظم خدي، انطباعا بسبب فتوات مكواة بخارية.
- إنها ذكية كفاية لتتفادى الشرطة كل هذا الوقت، قلت. ديوندر لن تقول أبداً أين يمكن أن تكون.
- هذا ليس ما سألت عنه.

- لا أعرف يا بن، كانت تحمي أمها. ديوندر قالت لي إنها أخبرت كريستال بكل شيء، وأعتقد أنها قصدت بذلك الكل شيء: أنا قتلت ميشيل ولا يمكن لأحد أن يعرف. ماذا يمكن أن يفعل هذا بفتاة عرفت أن أمها قاتلة؟ انتابتها الهواجس. حاولت أن تغفل الأمر. اقتصت صوراً لقرباتها المتوفيات، قرأت مفكرة عمته حتى أنها كانت تقتبس منها، تعرف كل زاوية فيها.

أمضت حياتها وهي مستعدة للدفاع عن أمها، عندها ظهرت أنا. كريستال هي من فجرت الموقف. وماذا فعلت؟ حاولت إصلاحه. أنا تفهمت ذلك، وأعطيتها إقراراً. هي لن تدخل السجن بسبب.ي.

كنت غامضة مع الشرطة بشأن كريستال. أرادوا أن يحققوا معها عن الحريق، لكنهم لم يعرفوا أنها حاولت قتلي. لم أكن سأبلغ عن فرد آخر من عائلتي. هذا ما كنت عليه بالضبط حتى لو حدث وكان هذا الفرد مذنباً. حاولت أن أقول لنفسي إنها لم تكن فتاة مضطربة عقلياً. قد يكون هذا جنوناً مؤقتاً، نابعاً من المحبة.

لكن هناك زيادة على ذلك، لدى أمها قضية من هذا النوع، أودت بحياة أختي.
آمل ألا أرى كريستال ثانية أبداً، ولكن إن فعلت فسأكون مسرورة بامتلاك سلاح،

لنقلها بهذا الأسلوب.

- هل حقاً أعطيتها إقراراً بذلك؟

- أنا أعرف القليل عن المحاولة لفعل الشيء الصحيح وإنهائه بشكل تام، أضفت.

- أنت تتحدثين عن أمي؟ قال بن.

- كنت أتحدث عن نفسي.

- ربما كنت تتحدثين عنا جميعاً.

ضغط بن يده على الزجاج، وأنا وأخي جارينا بعضنا بعضاً براحتي أيدينا.

بن داي الآن

في اليوم التالي كان بن واقفاً في باحة السجن، يشم رائحة دخان. دخان كان عائماً في تيار من الهواء فوق رأسه بثمانية أقدام تقريباً، فتخيل حرائق الحقول في فصل الخريف. قديماً حين كان طفلاً، كانت ألسنة اللهب تمشي عبر التربة في خطوط مشتعلة، تحرق في طريقها كل ما ليس له فائدة. كره أن يكون طفلاً مزارعاً، لكن ذلك هو كل ما يفكر فيه الآن، خارج السجن. في الليل، وعندما كان الرجال الآخرون يصرون أصواتهم البغيضة، أغمض عينيه ورأى آكرات من الذرة تخشخش عند ركبتيه بتلك السنابل البنية اللامعة، تشبه حلي فتاة. رأى هضاب الصوان من كنساس بقممها المسطحة الغريبة، كأن كل رابية منها تنتظر ذئاب القيوط لتعوي فيها. أم أنه أغمض عينيه وتخيل قدمه تغوص في الوحل، الشعور بامتصاص الأرض له، ينتظره.

مرة أو مرتان في الأسبوع، تمرّ على بن لحظة طيش يضحك فيها. فهو كان في السجن المؤبد بجريمة قتل عائلته. هل يمكن أن يكون ذلك عدلاً؟ هو الآن يفكر ببن، بن ابن الخمسة عشر ربيعاً، تقريباً مثل ابنه، كائن مختلف كلياً. كان أحياناً يريد أن يخنق ذلك الولد - الولد الذي لم يكن في داخله - ويتخيل أنه يهز بن هزاً شديداً يحمر له وجهه.

لكنه أحياناً يشعر بالفخر.

نعم، هو كان متذمراً جباناً، وتافهاً صغيراً في تلك الليلة، الولد الذي ترك الأمور تحدث وهو خائف. لكن قد يكون حلّ شيء آخر في المكان بعد الجرائم، كان عليه أن يبقى هادئاً ليحمي ديوندر، امرأته، والطفل. عائلته الثانية. لم يستطع أن يرغم نفسه على الإنطلاق خارج تلك الغرفة وإنقاذ ديب.ي وأمه. لم يرغم نفسه على إيقاف ديوندر وإنقاذ ميشيل. لم يرغم نفسه لفعل أي شيء سوى أن يخرس، ويسلم بالأمر، أن يتجمد ويسلم بالأمر. ذلك ما استطاع فعله.

سيكون ذلك الصنف من الرجال.

سيصبح مشهوراً على أنه ذلك الصنف من الرجال. هو، في البداية، كان ابن الشيطان اللعين وكل شخص يرتعش ويتهرب منه، حتى الحرس أجفلوا منه، وبعدئذ أصبح محبوباً، سجيناً أسوء فهمه. تأتيه النساء طول الوقت. وقد حاول ألا يقول الكثير، تركهن يتخيلن بم فكر. وقد تخيلن أنه كان يفكر بأفكار جيدة. هو كان كذلك أحياناً. وأحياناً أخرى كان يفكر لو أن الأمور في تلك الليلة جرت بشكل مختلف، ماذا كان سيحدث: سيكون هو وديوندر وطفل مشاكس في مكان ما غرب كنساس. ديوندر تذرف دموع الندم في ركن طعام مقبوت وصغير من فندق استأجراه بشكل أسبوعي. في مرحلة ما، كان سيقتلها، قد يحدث ذلك، أو أنه سيخطف الطفل ويهرب وسيكون هو وكريستال سعيدين في مكان ما، هي تتخرج من كليتها، وهو يدير المزرعة. وستكون غلاية القهوة جاهزة دائماً، مثل المنزل.

الآن جاء دوره كي يخرج من السجن وتدخله ديوندر، سيخرج ويجد كريستال أينما تكن، فقد كانت طفلة مستترة، ولن تستطيع أن تختفي لفترة أطول. سيجدها ويعتني بها. سيكون ممتعاً أن يعتني بها، أن يقوم فعلاً بعمل ما غير أن يخرس ويسلم بالأمر.

لكن حتى وهو يفكر بهذا الشكل، يعرف أن عليه أن يطمح لأقل من هذا، ذلك ما

تعلمه خلال حياته حتى الآن: اطمح دائماً لتحقيق القليل. خُلق ليكون وحيداً. هذا ما يعرفه تماماً.

حين كان طفلاً، وحين كان مراهقاً، وبالتحديد الآن. أحياناً، يشعر بأنه أمضى حياته كلها في منفى، بعيداً عن المكان الذي يفترض أن يكون فيه، مثل جندي، يعلّق آماله على العودة، ويمضّته الحنين إلى المكان الذي لم يكن فيه.

إذا خرج، سيذهب إلى ليب-بي، ليب-بي التي تبدو شبيهة بأمه، وشبيهة ب-بي، هي من لديها تلك الإيقاعات التي عرفها للتو، من دون أن تعرف السؤال. سيمضي كل ما تبقى من حياته يرجو الغفران من ليب-بي. يهتم بها، أخته الصغيرة. في مكان ما في الخارج. في مكان صغير.

ذلك كل ما يريده الآن.

ليبي داي الآن

ملفات السجن الشائكة كانت تلتهم صفراء حين وصلت إلى سيارتي. كنت مشغولة التفكير بكل أولئك الناس الذين تأدوا: عمداً، أو عن غير قصد. بحق أم بغير حق. بشكل طفيف أم بشكل تام. أمي، ميشيل، ديب.ي، بن، وأنا. كريسي كيتس، والديها، والدي ديوندر. دايان، تري، كريستال.

تساءلت كم واحد منهم يمكن أن يُعالج، إن كان بالإمكان شفاء أي واحد، أو حتى إراحته. توقفت عند محطة وقود لأحصل على إرشادات الاتجاهات، لأنني نسيت كيف يمكنني أن أصل إلى موقف بيت دايان المتنقل، وأدخله. كنت ذاهبة لأرى دايان. مشطت شعري بأصابعي على مرآة في حمام المحطة، ووضعت بعض المساحيق التي كنت قد سرقتها واشترت عوضاً عنها (ما زلت لا أشعر بالقناعة تماماً حول ذلك القرار). ثم قدت سيارتي عبر المدينة، إلى داخل موقف بيت دايان المتنقل والمسيج بأوتاد بيض حيث تعيش دايان. النرجس الأصفر يصبغ بلونه كل المكان.

هناك مكان آخر يماثل بيت دايان المتنقل بالجمال، أنت تعرفه.

كان بيت دايان حيث تذكرت تماماً، ركنت السيارة وأطلقت زموها ثلاثاً. ذلك كان طقسها حين تزورنا في طريق عودتها. هي كانت في ساحتها الصغيرة، تبحث عن أزهار الخزامى، مؤخرتها في اتجاهي، امرأة ضخمة البنية وبشعر رمادي متموج.

استدارت لسماعها زمور السيارة وهي ترفّ بعينيها بشكل مفرط، حينها خرجت من السيارة وقلت: خالتي دايان.

مشيت بخطوات واسعة عبر الساحة. خطوات صارمة، ووجه مشدود. وحين أصبحت فوقى تماماً، التقطتني بقوة أخرجت الهواء من رئتي، ثم ربتت علي بقسوة مرتين، أبعدتني على طول ساعديها، ثم شدتني ثانية إليها وهي تقول: - كنت أعرف أنك ستفعلينها، عرفت أنك ربما تفعلينها يا ليب.ي. تمتمت داخل شعري، دافئة وتفوح منها رائحة الدخان.

- أفعل ماذا؟ سألتها.

- حاولي مجرد قليل من المثابرة.

بقيت في بيت دايان لساعتين، إلى أن نفذت الأمور التي نتحدث فيها. تماماً وكما كنا نفعل دائماً. ضمتني مرة ثانية بشدة وطلبت مني أن أعود لزيارتها يوم السبت. فهي تحتاج مساعدة في تركيب منضدة المطبخ.

لم أذهب مباشرة إلى الطريق العام. بل مررت رويداً رويداً حيث كانت مزرعتنا ذات يوم، أحاول أن أجد نفسي هناك بالمصادفة. كان الجو ربيعياً متقلباً، لكنني أنزلت زجاج النوافذ الآن. شارفت على نهاية الامتداد الطويل للطريق المؤدية إلى المزرعة. كنت أهين نفسي لتطورات عمرانية أو مجمعات عمرانية، لكنني بدلاً من ذلك وجدت عرضاً صندوقاً قديماً مطبوعاً على جانبه بالخط المائل: آل ميوهلر. مزرعتنا عادت مزرعة مرة ثانية. هناك رجل يتمشى في الحقول. بعيداً قرب البحيرة، امرأة وفتاة كانتا ترقبان كلباً يترشرش بالماء. كانت الفتاة تدور يديها حول خصرها مثل طاحونة هوائية ضجرة.

تأملت المشهد كله لبضع ثوان. أبقيت ذهني هادئاً. أبعدته عن المكان المظلم. لا صرخات، ولا طلقات بندقية، ولا صيحات شؤم وحشية. أنصت للهدوء فقط. لاحظني الرجل أخيراً ولوّح لي، لوّحت له وانسحبت مبتعدة بينما عاد وهو يتجول وكأننا جيران.

لم أكن أرغب بلقائه، ولا أن أقدم له نفسي. ما أردته فقط أن أكون امرأة تعود إلى
موطنها، إلى (أوفر نير ذات وي).

النهاية

تقدير وعرّفان

ترعرعت في رحاب مدينة كنساس من ولاية ميسوري. نسير بعدها مسافة عشرين دقيقة بالسيارة ونكون في حقول الذرة والحنطة الواسعة. إنني مفتونة بالحقول، مسحورة بها، فهل نتيجة ذلك حسن اطلع؟

أتقدم بالشكر الجزيل لكل الفلاحين والخبراء الذين وجهوني إلى حقائق الزراعة في ذلك الزمن أو الآن: إلى تشارلي كريفن، من مؤسسة مساعدة المزارعين في كنساس، وفورست موهلر، من خدمات وسطاء الزراعة في كنساس، وابن عمي جيرولد أوليفر، وكريستي بياتي وزوجها، ديفيد: مؤسس مزارع كنساس مدى الحياة.

وفاءً وعرّفانً بالجميل إلى دانا روبنت وإلى جون الذي أسند لي دور المزارعة ليوم في حقوله في ميسوري حيث أجابني عن أسئلتني التي لا تنتهي عن الزراعة، من روافع الحنطة حتى خصي العجول.

توقفت قليلاً ليوضح لي كيف يقدمون بقرة قرباناً للشيطان، شعائر شيطانية لكنني غفرت له تلك اللمحة الطيبة.

إلى أخي ترافيز فلين، أحد أفضل المساهمين في موقع كنساس. لقد كان كريماً بمنحنا وقته بكل أريحية وبشكل لا يوصف، كان يقدم لي النصح ويشرح لي نوعية الأسلحة وتاريخ تصنيعها، كان يصحبني معه إلى الخارج ويدربني على إطلاق النار من بندقية الطلقات العشر ومسدس الماغنوم عيار (أ. 44) مم والشكر لزوجته روث

التي قامت بالإمداد والتعبئة.

أتقدم بالشكر للجنرال إيميت ب. هيرتش لتأمين المأوى، والشكر إلى سلاير، فينوم، وإيرون ميدن، وإلى ابن عمتي المحامي كيفن روبنت الذي جاؤبني عن استفساراتي القانونية بتوفيق ممزوج بالذكاء والفهم، والشكر العميق لعمي (الهون) روبيرت شابير الذي عانى من كثرة تساؤلاتي الغريبة في روايتي (أماكن مظلمة) خلال عامين، وكان يمنحني من وقته للحديث عما قد يحدث، وما قد حدث وما يمكن أن يحدث، على الأخص، فيما يتعلق بالقانون. محاكماته العقلية لا تقدر بثمن. وإنني أعتذر عن أية أخطاء تتعلق بالزراعة أو الأسلحة النارية أو الأمور القانونية. فأنا أتحمل مسؤوليتها، وسوف يتساهل أهل كنساس معي لحرיתי الأدبية.

من جهة النشر، أشكر (ستيفاني كيت روستان) لطباعتها الرائعة وذكائها وحساسيتها التي كنت أعتد عليها، وأرفع نخب مديرة التحرير عندي سارة نايت، التي تحدثت الصعاب ووثقت بي. استمتعت برفقتها الطيبة، لا سيما حين كانت تدعوني لقضاء ليلة طيبة في أرجاء المدينة في المملكة المتحدة، نخب كريستي دنسيت ومجموعتها في أوريون. لقد كانوا في منتهى الطيبة.

وكل الشكر أخيراً للتي لا تُضاهى (شايي آر هارت) التي اعتنت بي لعدة سنوات خلت.

عندي مجموعة حلوة من الأصدقاء والأقرباء الذين كانوا يشجعونني باستمرار، فأشكر جينيفر ومايك أريفا. وآمي بروكس وكاتي كالدويل وكارمن دبنهاوسر. وسارة واليكس إيكرت ودايان إنرايت بول، ونييترا جبسين شين كيلبي وسالي جيسيكا أدويتل. والشكر للعائلة الكبيرة، عائلة شيبرز في ميسوري/كنساس وتنيسي ودنهاوسرز وإلى آل (ناجيلز) ويلز وبسلر وكاريت، وآل (فلين) وإلى جدتي روزبيج، وعمتي ليسلي كاريت. وعمي تيم فلين، الذي قدم لي دعماً خاصاً، والكثير من الأفكار الرائعة في كتاباتي الأنثوية.

والى آل حمي أهل زوجي جيمس وكاتي نولان، وجنيفر نولان، وفيجان وبابلو ماروكين، الذين أبدوا لطفهم وتعاطفهم مع الكتاب، والذين رسموا الضحكة على محياي في أوقات لا يتوقع فيها المرء أن يضحك. والذين شجعوني لالتهام وجباتي كلها، حظيت بهم عائلة ظريفة وهذا ليس كلاماً فقط.

والى (مجموعة أصدقاء الكتاب) الصديقة العظيمة، إيميلي ستون. ذات العين الذكية في التفاصيل والتي كثيراً ما ذكرتني بالابتهاج. خلال فترات العمل المضني في الكتابة، والى سكوت براون الذي كان يقرأ ويقرأ ويجعل مني متألقة أكثر، إضافة إلى أنه يعرف متى يجب التوقف عن الكتابة، وينطلق لزيارة بيوت الدجاج في ألباما، إلى والدي مات وجوديت فلين، روح والدي الخلاقة وحنانه جعلاني أخاف الله في عملي، أمي الرحيمة الكريمة أعرف أنني سأكتب كتاباً عن (الأم) وأعدك أنها لن تكون أماً شريرة، أولاً، ولا مقتولة ثانياً، أنت من تستحقين الشكر أكثر. أشكركم لمرافقتي في مختلف مشاويري في دروب ميسوري/كنساس وكشف كل المعلومات لي. سأجعلكم تفخرون بي، وماذا يريد الابن أكثر من هذا.

أخيراً كل الشكر إلى زوجي بريت نولان المتألق ذي القلب الكبير الودود والمتحمس. ماذا أقول للرجل الذي يعرف بماذا افكر وينام معي والأنوار مطفاة. الرجل الذي يسألني أسئلة تنير دروب بي؟ الذي يقرأ بنهم والذي يبدو متأنقاً رائعاً في ثياب السهرة (الصفير أفضل من الضرب) ورفيق الدراسة القديم الهادئ مثل نيك تشارلز الذي نادى بصوت مرتفع. ماذا أقول عنا؟ كلمتان.

حول المؤلفة

حازت جيليان فلين في الظهور الأول لروايتها (أدوات حادة) جائزة (إدغار) الأولى وهو الكتاب الذي حصد جائزتين من جوائز (السيف البريطاني).
جيليان تعيش في شيكاغو مع زوجها (بريت نولان) وخط كبير يدعى روي.
ولدت في شباط 24/1971 وترعرعت في كنساس سيتي/ميسوري.
ارتادت جامعة كنساس ونالت درجة الماجستير من جامعة (نورث ويسترن).
عملت لدى مجلة - إنترتينمنت ويكلي الأسبوعية.

أماكن مظلمة

هذا عمل روائي، كل الأسماء والشخصيات والأحداث الواردة في هذه الرواية هي نسج خيال المؤلفة وقد تم استخدامها بشكلها الروائي، إن أي تشابه أسماء أناس أحياء أو أموات أو أحداث يكون محض مصادفة.
تمت طباعتها في 2009 في الولايات المتحدة.